

شرح الهمزية

ابن حجر الهيثمي

٨١١٫٥ المنح المكيه فى شرح الهمزيه، تأليف ابن حجر
م٠ح الهيثمى، احمد بن محمد ٩٧٤هـ. بخط
سنة ١٠٤٤هـ.

١٤٢٢ ٢٤٨ق ٢١س ٢١٫٥ × ١٥سم
نسخه جيده، خطها نسخ معتاد، طبع
الاعلام ١: ٢٢٣ دار الكتب المصريه
٣: ٣٩١
١-الشعر، العصر التركى والمملوكى، ادب اللغه
العربيه أ-المؤلف ب-تاريخ النسخ. ج-شرح
الهمزيه.

هذا كتاب

شرح الهمزية للامام الاوحد العلامة

الامجد شهاب الملة والدين احمد

ابن حجر الهيتمي رحمه الله

تعالى امين

امين

من الكتب الموقوفة المفوض حفظها

الى السيد محمد المفتي لمدرسة د...

١١٩٧

من فيض فضل ذي العطا الباري

علي مراد الخزرجي الانصاري بن عبد اللطيف

عفى الله عنه عنهما

الحمد لله تعالى

دخل في ملك ... عام

١٢٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي اختص نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتاب
اخرس الفصحاء واعجز البلغاء عن التفوه بمثل اقصر سورة من
سوره بل اية من اياته وبجوامع الكلم وبدايع الحكم وعظيم الخلق في
سائر اقواله وافعاله وحالاته وخرق له خوارق الوجود بمعجزات
بهرت العقول وقصر عن احصائها استقصاء المادحين لسيرة اياته
وخصوصيات قطعت الخلائق عن ان يصلوا الى شأو علاه وكمال شرفه
وشرف كمالاته في عالم شهوده فانار من اخلاقها وعقولها وكمل من اقبالها
وقبولها وزين من بديع فصاحتها وعجيب بلاغتها ورياض ما استصعب
من ابائها واغاض ما اشراب من نوابها ما صارت به خير الامم والعدول
والشهود على من عليهم تقدم بنص القران وقطع البرهان القاصم لظهور
المعاند وبرهانه واوجب على الكافة غاية تعظيمه ومنة ذكر مناقبه
ومآثره وبيان اوصافه السنية واحواله العلية وخصايصه ومعجزاته ولذلك
ذهب الناس في هذه الفنون كل مذهب واظهروا تعظيمه نظما ونثرا
سرا وجهرا كما وجب فحباهم بلحظه واسعافه وامد اداته واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة انتظم بها في سلك اهل عناياته
واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المحبو منه بخوارق هباته
والمفوض اليه امداد الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين بمعالي
القرب وبيناته صلى الله عليه وعلى آله واصحابه حماة الدين القويم عن زيغ
كل زايغ وتحريفاته وهداة الخلق الى صراط المستقيم بايضاح كلياته
وجزئياته صلاة وسلاما دايمين بدوام نعم الله تعالى على خواصه

واهل طاعته وبعد فمما يتعين على كل مكلف ان يعتقد
كمالات نبينا صلى الله عليه وسلم لا تحصى وان احواله وصفاته وشمائله
لا تستقصى وان خصائصه ومعجزاته لم تجتمع قط في مخلوق وان حقه
على الكل فضلا عن غيرهم اعظم الحقوق وانه لا يقوم ببعض ذلك
الا من بذل وسعه في اجلاله وتوقيره واعظامه واستجلاء مناقبه ومآثره
وحكمه واحكامه وان المادحين لجنابه العلي والواصفين لكماله
الجلي لم يصلوا الا الى اقل من كل لا حد لنهايته وغيض من فيض لا وصول
الى غايته ومن ثم كان ابلغ بيت هذا المطلع الاتي كما يعلم مما ياتي فيه وفي بردة المديح

قال فان فضل رسول الله ليس له ... حد فيعرب عنه ناطق بفم

ثم يليه دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

ثم يليه فمبلغ العلم فيه انه بشر ... وانه خير خلق الله كلهم

ثم يليه فاق النبيين في خلق وفي خلق ... ولم يدانوه في علم ولا كرم

فهم مقصرون عما هنالك قاصرون عن اداء ما يتعين من ذلك
كيف واتى الكتاب مفصحة عن علاه بما يبهر العقول ومصرحة من
كل صفاته بما لا يستطاع اليه الوصول وقد قيل

وماذا عسى الشعراء اليوم تمدحه ... من بعد ما مدحته خير تنزيل

فعلم انه لو بالغ الاولون والاخرون في احصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء
ما حباه مولاه الكريم من مواهبه ولقد صح لمحبيه ان ينشد وافيه

وعلى تفنن واصفيه بحسنه ... يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وانه لخليق بقول القائل

فما بلغت كف امرئ متناول ... من المجد الا والذي نال اطول

ولا بلغ المهدون في القول مدحه * ولو حذقوا الا الذي فيه اتصل

ولابن خطيب الاندلس

مدحتك آيات الكتاب فما عسى * يثني على علياك نظم مديحي

واذا كتاب الله اثنى مفصحا * كان القصور قصار كل فصيح

وقد روي العارف بالله المحقق السراج ابن الفارض السعدي رضي الله عنه
في النوم فقيل له لم لا مدحت النبي صلى الله عليه وسلم اي بالصريح والا فنظمه
في الحقيقة اما في الحضرة الالهية او فيه صلى الله عليه وسلم فقال

اراي كل مادح في النبي مقصرا * وان بالغ المثني عليه واكثرا

اذا الله اثنى بالذي هو اهله * عليه فما مقدار ما يمدح الورا

قال البدر الزركشي ولهذا لم يتعاط فحول الشعرا المتقدمين كابي تمام
والبحتري وابن الرومي مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه عندهم
من اصعب ما يحاولونه فان المعاني دون مرتبته والاوصاف
وان كلت دون وصفه وكل علو في حقه تقصير فيضيق على البليغ المطاق
فلا يبلغ الا قلا من كثير هذا وان من ابلغ ما مدح به النبي صلى الله عليه وسلم
من المنظوم الرايق البديع واحسن ما كشف عن كثير من شمايله من الوزن
الفايق المنيع واجمع ما حوته قصيدة من ماثره وخصايصه ومعجزاته وافصح
ما اشارت اليه منظومة من بدايع كلماته ما صاغه صوغ التبر الاحمر ونظمه نظم
الدر والجوهر الشيخ الامام العارف الكامل الهمام المفنن المحقق البليغ
الاديب المدقق امام الشعرا واشعر العلما وبليغ الفصحا وافصح الحكما
الشيخ شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله
ابن صنهاج بن هلال الصنهاجي كان احد ابويه من بوصير الصعيد والاخر

من دلاص فركبت النسبة منهما فقيل الدلاصيري ثم اشتهر بالبوصيري
قيل ولعلها بلد ابيه فغلبت عليه ولد سنة ثمان وستمائة واخذ عنه
الامام ابو حيان والامام اليعمري ابو الفتح ابن سيد الناس ومحقق عصره العز
ابن جماعة وغيرهم وتوفي سنة ست او سبع وتسعين وستمائة على ما قاله المقريزي
لكن صوب شيخ الاسلام العسقلاني انه ~~سنة اربع وتسعين~~ وتوفي سنة اربع
وتسعين وقيل توفي سنة احدى وثمانين وستمائة وكان من عجايب الدهر في النثر والنظم
ولو لم يكن له الا قصيدته المشهورة بالبردة التي بسبب نظمها عن وقوع فالج
به اعيا الاطبا ففكر في اعمال القصيدة يتشفع بها اليه صلى الله عليه وسلم به الى ربه
فانشاها فراه ماسحا بيده الكريمة عليه فعوفي لوقته ثم لما خرج من بيته لقيه
صالح فطلب منه سماعها فعجب اذ لم يخبر بها احدا فقال سمعتها البارحة تنشد
بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل كتمايل القضيب فاعطيته اياها وقيل
انه اشتد رمده بعد نظمها فراى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقرا عليه شيئا
منها فتفل في عينيه فبرئ لوقته فكفاه ذلك شرفا وتقدما كيف وقد ازدادت
شهرتها الى ان صار الناس يتدارسونها في البيوت والمساجد كالقرآن وكان يعاني صناعة
الكتابة على الحايات وباشر ببلبيس الشرقية ثم ترك ذلك وصحب القطب ابا العباس
المرسي رضي الله عنه وارضاه وجعل جنات المعارف متقلبه ومثواه فعادت عليه
بركته وساعده لحظه وهمته اي ان فاق اهل زمانه ورزقه الله من الشهرة والحظ
ما لم يصل اليه احد من اقرانه فرحمه الله ورضي عنه من قصيدته الهمزية
المشهورة العذبة الالفاظ الجزلة المباني العجيبة الاوضاع البديعة المعاني
العديمة النظير البديعة التحرير اذ لم ينسج احد على منوالها ولا وصل الى حسنها
وكمالها حتى الامام البرهان القيراطي المولود سنة ست وعشرين وسبعمائة

والمتوفي سنة احدي وثمانين وسبعماية فانه مع جلالته وتضلعه من
العلوم النقلية والعقلية وتقدمه علي اهل عصره في العلوم العربية والادبية
لاسيما علم البلاغة ونقد الشعر واتقان صنعته وتمييز حلوه من مره ونهايته
من بدايته اراد ان يحاكيها ففاته المشنب وانقطعت به الحبل عن ان يبلغ
من معارضتها ادني ارب وذلك لطلاوة نظمها وحلاوة رسمها وبلاغة
جمعها وبراعة صنعها وامتلاء الخافقين بانوار جمالها وادحاض
دعاوي اهل الكاذبين ببراهين جلالها فهي دون نظايرها الاخذة
بازمة العقول والجامعة بين المنقول والمعقول والحاوية لاكثر المعجزات
والحاكية لشمائله الكريمة علي سنن قطع اعناق افكار الشعراء عن ان
تشرئب الي محاكات تلك المحكيات والسالمة من عيوب الشعر من
حيث فن العروض كادخال عروض الي اخري وضرب علي اخر من حيث
فن القوافي كالايطا وهو تكرير لفظ القافية لمعناه قيل سبعة ابيات
وقيل عشرة وكالاكفار وهو اختلاف حرف الروي والاقوي وهو اختلاف
حركته ولكنها وان شرحت وتعاورها الانكار وخدمت تحتاج الي شرح
جامع ودستور مانع يجلو عرائس ابكارها علي منصات الالباب مع
الاختصار ويظهر مخبآت اسرارها ظهور الشمس في رابعة النهار صح وينبه علي نفائس فرائدها
وينوه بجلالة عرائس فوائدها ويعرب عن غرائب تعقيدها ويفصح عن
فنون بلاغتها وبدائع تانيقها وتشييدها فاستخرت الله في ذلك وان
كنت لست هنالك راجيا ان اندرج به في سلك خدمة جنابه صلي الله
عليه وسلم وان اطوق بسببه سوابغ مدده ولحظه الاعظم ومستعينا بالله
ومتوكلا عليه ومفوضا ساير اموري اليه وسائلا منه بدايع الطافه

وتتابع

وتتابع اسعافه وتيسير هذا المطلب ونجاح هذا المآرب انه الجواد الكريم
الرؤف الرحيم وسميته المنح المكية في شرح الهمزية ثم بلغني ان
الناظم سماها ام القري تشبيها لها بمكة بجامع انها حوت بطريق التصريح او
الايما علي ما في اكثر المدائح النبوية وصح تسميتها افضل القرا للقرى ام القري
وقد بين شارحيها الامام المحقق في الاكيه والشيخ عبد الشمس الجوجري شيخ
مشايخنا رحمه الله وشكر سعيه ولا اعلم شارحا لها غيره بحورها وعروضها
وضربها وقافيتها وما يدخلها من العلل والزحاف بما اطال فيه لكن ليس
له كثير جدوي هنا لان من يعرف فن العروض وتوابعه لا يحتاج اليه الا لمجرد
التذكير ومن لا يعرفه يستوي عنده ذكر ذلك وحذفه اليسير منه والكثير
وخلاصته التي منه انها من بحر الخفيف وهو مركب من ستة اجزاء سباعية
الحروف فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن مرتين وقد يدخل الخبن في
مستفعلن فيصير متفعلن فينقل الي مفاعلن لانه اخف بل وفي جميع اجزائه
فيحذف ثاني كل وهو حسن والكف وهو حذف سابعه من البعض او الكل
غير السابع اذ لا يوقف علي متحرك وهو صالح وقد يجتمعان وهو قبيح ولم يدخله صح
التشعيث بان تفقد صورة الوتد فيصير مفعولن علي صورة ثلاثة
اسباب خفيفة ووقع كثير من ابيات هذه القصيدة وهو من جملة
الزحاف وان اجري مجري العلل وقافيتها من المتواتر وهو ما فصل
بين ساكنيها حرف واحد متحرك اذ ليس هنا بين الالف والواو الساكنين
سوي الهمزة التي هي الروي والثانية قبل اخر كلمة من البيت والاصح
انها من اخر حرف متحرك منه قبل ساكنين فقافية البيت الاتي علي الاول
لفظ سما وعلي الاصح من الميم منه وستأتي الاثارة ما راعاه الناظم من

انواع البديع لاسيما الاقتباس القوافي لكن فيه كلام منتشر للعلما وخلاصة الحق
منه انه مجمع علي جوازه كما قاله بعض المتاخرين المطلعين قال وقد استعمله
العلما في خطبهم وانشائهم واستنكره قوم جهلا منهم بالمنصوص والمنقول فقد
استعمله النبي صلي الله عليه وسلم في غير ما هو حديث والصحابة والتابعون والعلما
قديما وحديثا وبضواحي كتب الفقه علي جوازه وزعم بعض المالكية منعه يرده استعمال
مالك رضي الله عنه له ونص علي جوازه غير واحد منهم كابن عبد البر وعياض وقد نقل
الشيخ داود المناخلي اتفاق المالكية والشافعية علي جوازه وفي شرح مجمع البحرين
لابن الساعاتي التصريح بجوازه ولا فرق فيه بين ان يراد علي لفظ القران او ينقص
منه او بغير اعرابه وان لاقال السكاكي اعلم ان شان الاعجاز عجيب
لا يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن ولا طريق لتحصيله لغير ذوي
الفطر السليمة الا بالتمرن في علمي المعاني والبيان وقال
غيره لا يدرك معرفة الفصيح والافصح والرشيق والارشق الا بالذوق
ولا يمكن اقامة الدليل عليه كما ان التي ادون في المحاسن قد تكون احلى
منها من العيون والقلوب ولا يدرك سبب ذلك ولكنه يدرك بالذوق
والمشاهدة واهل الذوق ليسوا الا الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا
انفسهم بالرسايل والخطب وبالكتابة والشعر وصارت لهم بذلك دربة
وملكة تامة فاليه يرجع في فضل بعض الكلام علي بعض ولكون علم المعاني
والبيان والبديع بهذه المثابة كان يسمي قديما صيغة الشعر ونقد الشعر
ونقد الكلام وتسميته بالمعاني والبيان والبديع حادثة من المتاخرين كما
اشار لذلك الكمال ابن انباري وعسكري وغيرهما وقد حصلت لي رواية هذه
القصيدة وغيرها من شعر الناظم من طرق متعددة متنا بل اعلاها الي اردها

عن

عن شيخنا شيخ الاسلام خاتمة المتاخرين ابي يحيي زكريا الانصاري الشافعي عن الغزالي
محمد بن فرات عن العز ابي عمرو بن البدر بن جماعة عن ناظمها وعن حافظ
العصر ابن حجر عن الامام المجتهد السراج البلقيني والسراج ابن الملقن والحافظ
زين الدين العراقي عن العز بن جماعة عن الناظم رحمهم الله تعالي واروبها
ايضا عن مشايخنا عن الحافظ السيوطي عن جماعة منهم الشمني بعضهم قراة
وبعضهم اجازة عن عبد الله بن علي الحنبلي كذلك عن علي العز ابن جماعة عن الناظم
وقد راعي الناظم رحمه الله تعالي امرين مهمين احدهما البداة بالبسملة للحديث
الحسن او الصحيح كل امر ذي بال اي بال يهتم به لا يبدا فيه ببسم الله الرحمن الرحيم
فهو اجذم اي مقطوع البركة ولا ينافيه رواية الحمد لله لان القصد البداة باي
ذكر كان كما افادته رواية لا يبدا فيه بذكر الله فذكر البسملة والحمدلة لبيان افضل
الذكر لا غير ومن ثم ابتدأ القران بهما ولم ينظر الناظم الي ما قيل ان الشعر لا يبدا فيه
بالبسملة لان محله علي ما فيه فيما ليس كهذه القصيدة لانها اشتملت علي افضل
العلوم والمعلومات فهي احق بالبداة بالبسملة من كثير من العلوم
ثانيهما ما هو الاحق بالرعاية علي كل بليغ من براعة المطلع وهو سهولة اللفظ
وصحة السبك ووضوح المعني ورقة التشبيب وتجنب الحشو وتناسب المعاني
وعدم تعلق البيت بما بعده ويسمي ايضا حسن الابتدا وقد انتزعوا من هذه
براعة الاستهلال في النظم والنثر بان يكون مبدأ الافتتاح والا علي
ما بني ذلك النظم او النثر عليه من العروض من المسبوق لقول ابي تمام
السيف اصدق انبا من الكتب لما كان عرضه فتح الفتح والتحريض علي
الحرب وما افتتح به الناظم هذه القصيدة فيه جميع تلك الشروط وزيادة
كما لا يخفي علي متامل لغرضه وهو ذكر اوصافه صلي الله عليه وسلم التي ارتقي فيها

الي اخر القصيدة
اي غاية لم يبلغها غيره ولذلك كان جميع ما بعده من المدح الي اخر القصيدة
كالشرح والبيان لما تضمنه هذا المطلع فلله دره من مطلع جامع بديع لم
يسبق ناظمه لمثله **كيف** هي في الاصل اسم مبني لتضمنه معني حرف
الشرط والاستفهام على الفتح لخفته وعلي حركته لالتقا الساكنين وترد للشرط
وخرج عليها نحو ينفق كيف يشا وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وللاستفهام
وهو الغالب اما حقيقيا نحو كيف زيد او غيره كما هنا اذ هي للانكار المشوب التعجب
المتضمن للنفي كلا يعلم بها باني وكاني الايتين الاتيتين وتقع خبرا قبل ما لا يستغني
نحو كيف انت وحالا قبل ما يستغني نحو كيف جا زيد اي على اي حال جا ومنه
ما هنا في النظم اذ هي حال من ترقا اي على اي حال ترقا الانبيا عليهم الصلاه والسلام
رقيك اي لا يكون ذلك وكان وعن سق انها ظرف فموضعها نصب دايما
وتقديرها في اي وعلى اي حال وجوابها المطابق على خبر ونحوه وانكر ذكر الاخفش
والسيرافي موضعها رفع مع المبتدا نصب مع غيره وتقديرها في نحو كيف
زيد اصحيح زيد وفي كيف جا زيد اركبا جا زيد ونحوه وجوابها صحيح ونحوه وقال
ابن مالك لم يقل احد ان كيف ظرف اذ ليست زمانا ولا مكانا ولكنها لما كانت
تفسر بقولك على اي حال لكونها سوالا عن الاحوال العامة سميت ظرفا
لانها في تاويل الجار والمجرور واسم الظرف يطلق عليهما مجازا قال
ابن هشام وهذا حسن انتهى ويعلم من قوله لكونها الخ انه يستفهم بها
عن حال الشي لا عن ذاته قال الراغب وانما يسال بها عما يصح ان يقال
فيه شبيه وغير شبيه ولهذا لا يصح ان يقال في الله كيف قال وكلما اخبر الله
بلفظ كيف عن نفسه فهو استخبار على طريق التنبيه للمخاطب والتوبيخ
والانكار كما نحن في كيف تكفرون بالله كيف يهدي الله قوما كفروا وفرق

وعلم

الزمخشري

الزمخشري بين كيف والهمزة بان كيف سوال تفيض لاطلاقه فكان الله سبحانه
وتعالى في الاية الاولى فوض الامر اليهم في ان يجيبوا باي شي اجابوا ولا كذلك الهمزة
فانه سوال حصر وتوقيت فانك تقول اجدك الكبار ام ما سبا فتوقت وتحصر
ومعني الاطلاق ما قاله صاحب المفتاح كيف سوال عن الحال وهو ينتظم فيه
الاحوال كلها والكفار حين صدر الكفر عنهم لا بد ان يكونوا على احدي الحالتين
اما عالمين بالله نظارا او جاهلين به فاذا قيل كيف تكفرون بالله افاد في حال
العلم تكفرون بالله ام في حال الجهل هذا معني التفويض في الاية **ترقى رقيك**
الحسي فيما منه مكسور القاف من رقي السلم وهو رقيه صلى الله عليه وسلم بيدنه يقظة
بمكة ليلة الاسرا قبيلة الهجرة اي السما فما فوقها الي سدرة المنتهي فمنها الي المستوى الذي
سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار فمنها الي العرش والرفرف والرؤية
وسماع الخطاب بالمكالمة والكشف الحقيقي وغير ذلك مما لم يصل اليه ملك مقرب
ولا نبي مرسل والمعنوي من رقي بالفتح وهو التنقل من كل صفة كاملة وخلق عظيم
الي صفة اخري وخلق اخر اكمل واعظم وهكذا الي ما لا غاية له فيكون في كلامه استعمال
المشترك في معنييه او الجمع بين الحقيقة والمجاز وهو الاصح عند ائمة الاصول وعلى
مقابله المنقول عن الاكثرين يكون هذا من عموم المجاز **الانبيا** جمع نبي
فعيل بمعني فاعل او مفعول من النبا بالهمز وقد لا يهمز لانه من تفع او مرفوع الرتبة
على غيره من الخلق ونهيه صلى الله عليه وسلم عن المهموز بقوله لا تقولوا يا نبي الله بالهمز
بل قولوا يا نبي الله اي بلا همز لانه قد يرد بمعني الطريد فخشي صلى الله عليه وسلم في الابتدا
سبق هذا المعني الي بعض الاذهان فنهاهم عنه فلما قوي الاسلام وتواترت
به القراة نسخ النهي عنه لزوال سببه وهو حر ذكر من بني ادم سالم من منفر كعمي
وما وقع ليعقوب وشعيب لم يكن عما حقيقيا وكذا ابلا ايوب صلى الله عليه وسلم

لم يستقر بل صار بدنه بعد الشفا اجمل منه قبله اوحي اليه بشرع ولم يومر
بتبليغه فامر فرسول ايضا وان لم يكن له كتاب ولا نسخ لشرع من قبله علي الاشهر
فالرسول اخص مطلقا من النبي ولا اطلاق علي غير الادمي كالملك والجني الا مقيدا
ومنه جاعل الملائكة رسلا الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس علي ان معني
الارسال فيهما غيره في الاول اذ هو ايحا ما يتعبد به هو وامته وفيهما
مجرد الارسال للغير بما يوصله اليه فان قلت نفي رقي الانبيا رقيه لا يستلزم
نفي رقي الرسل رقيه لتصريحهم بان الاعم لا دلالة له علي الاخص والمراد انما
هو نفي رقي كل منهما رقيه ولم يف به عبارته قلت ممنوع بل هي وافية
بل مصرحة به لان قوله ما طاولتها سما صريح في نفي رقي الكل رقيه كما يعلم مما ياتي في شرحه
لان النكرة في حيز النفي للعموم وفي انه اراد بالانبيا هنا ما يشمل الرسل علي ان المحقق
الكمال ابن الهمام نقل في سايرته ان المحققين علي ترادف النبي والرسول فلعل
الناظم ممن يري ذلك وان كنت رددته في شرح المنهاج لمخالفته للاحاديث الصريحة
الصحيحة في عدد الانبيا والرسل وسياتي بعضها وايضا فنفي الحقيقة مطلقة
كالنبوة التي تضمنها نفي الانبيا هنا يستلزم نفيها مع قيدها ولا عكس كما مر جرا
ره فتعين ما ذكره الناظم ولا يصح ذكر الرسل فتامله تنبيهات
منها ما صرح به كلامه لما مر في معني كيف انه استفهام متضمن لنفي رقيهم كرقيه
والتعجب ممن يتشكك في ذلك وهذا اولي من قال وللتعجب من وقوعه لو وقع
من اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك الرقي لنبيه السابقين وانه المنفرد بغا
كمال الشرف والرفعة اجمع اما الاول فواضح واما الثاني فكذلك عن من تامل
اي القران وما اشتملت عليه اما تصريحا وتلويحا من الاشارة الي انافة قدره
العلي عنده وانه لا يجد يساوي مجده وقال المفسرون في ورفع بعضهم

درجات

درجات يعني محمدا صلى الله وسلم قال الزمخشري في هذا الابهام من تفخيم فضله
واعلا قدره ما لا يخفي لما فيه من الشهادة علي انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز
الذي لا يلتبس ومن تلك الدرجات ان اياته ومعجزاته اكبر وابهر اذ ما من معجزة
لنبي الا وله مثلها وابهر منها كما بينه الايمة وسياتي بعضه وزاد عليهم بمعجزات
لم يقع نظيرها لاحد منهم وناهيك بكتابة القران فانه لا تتناها معجزاته ولا تنقضي
اياته وان امته ازكي واكثر وخير واطهر من بقية الامم بنص كنتم خير امة اخرجت
للناس وخيرية الامم تستلزم خيرية نبيها وافضلية دينها اذ لا شك ان خيريتهم
بحسب كمال دينهم المستلزم لكمال نبيهم وان صفاته اعلا واجل وذاته
افضل واكمل كما يصرح به قوله تع فبهداهم اقتده لانه تع وصف الانبيا عليهم الصلاة
والسلام بالاوصاف الحميدة ثم امره ان يقتدي بجميعهم وذلك يستلزم ان ياتي
بجميع ما فيهم من الخصال الحميدة فاجتمع فيه ما تفرق فيهم وفي حديث الشفاعة العظمي
وانتهايها اليه بعد تنصل كل منهما واعترافه بانه ليس اهلا لها التصريح بذلك ايضا وكذلك
الحديث الصحيح انا سيد ولد ادم وفي رواية انا اكرمهم علي ربي وفي حديث
الترمذي انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما
من بني ادم فمن سواه الا تحت لوايي وهو صريح في دخول لحديث
البخاري وغيره انا سيد الناس يوم القيامة وحديث انا سيد العالمين صححه الحاكم
واعترض وبذلك يعلم افضليته علي الملائكة لان ادم افضل منهم بنص الاية
وعليه ويويده الحديث الاتي علي الاثر ليس احد من الملائكة وحديث الترمذي
الحسن كما بينه البلقيني في فتاويه ردا علي الترمذي وانا اكرم الاولين والاخرين
وهذا صريح في شمول الانبيا والملائكة جميعهم وحديث قال ادم يا رب
اسالك بحق محمد صلى الله عليه وسلم لما غفرت لي الحديث وفيه انه تع قال

يا ادم كيف عرفته ولم اخلقه قال يا رب لما خلقتني بيدك اي قدرتك الباهرة ونفخت
في من روحك اي سرك العجيب الذي لا يعلم حقيقته احد غيرك رفعت
راسي فرايت على قوايم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم
تضف الي اسمك الا احب الخلق اليك قال الله تعالى صدقت يا ادم انه
لاحب الخلق الي واذ سالتني بحق محمد فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك
صححه الحاكم واعترض لكن صح عن ابن عباس رضي الله عنهما وله حكم المرفوع
ولولا محمد ما خلقتك يا ادم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت
العرش على الما فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن
وفي روايات اخر لولاه ما خلقت السموات ولا الارض ولا الطول ولا العرض
ولا وضع ثواب ولا عقاب ولا خلقت جنة ولا نار ولا شمس ولا قمر وصح انا
اول من تنشق عنه الارض فالبس الحلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين
العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري وفي رواية ذكرها السراج
البلقيني في فتاويه ان الله تعالى قال لقد مننت عليك بسبعة اشيا اولها اني
لم اخلق في السموات والارض اكرم علي منك وفي اخرى ذكرها ابن الجوزي قال
له ابشر فانك خير خلقه وصفوته من البشر جاك ابشر عالم يحب به احدا
من خلقه لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا الحديث وصح عن كعب وهو من علما اهل
الكتاب الذين لا يقولون شيا الا عنه هذا سيد العالمين وصح ايضا عن عبد الله
ابن سلام الصحابي الجليل امام اهل الكتاب [illegible] صلى الله عليه وسلم انه ذكر
بالمسجد يوم الجمعة اسور اسمنا وان اكرم خليقة الله على الله ابو القاسم صلى
الله عليه وسلم فقيل له اين الملايكة ~~خلق كخلق السموات~~ فضحك وقال

للسايل

للسايل يا ابن اخي هل تدري ما الملايكة انما الملايكة خلق كخلق السموات والارض والرياح
والسحاب والجبال وساير الخلق التي لا تعصي الله شيا وان اكرم الخلق على الله ابو القاسم
محمد صلى الله عليه وسلم وبين السراج البلقيني ان هذا له حكم المرفوع وهو كذلك فانه من
اجلا الصحابة فلا يقول الا عنه صلى الله عليه وسلم او عما صح من التوراة قال
واختار الباقلاني والحليمي افضلية الملايكة ويمكن حمله على غير نبينا صلى الله عليه وسلم الي
وبهذا جزم بعض اجلا تلامذته كالبدر الزركشي او على تفضيل في نوع خاص اي لانه
قد يوجد في المفضول مزية بل مزايا لا توجد في الفاضل ثم قال ولا نظن باحد
من ايمة المسلمين انه يتوقف في افضلية نبينا على جميع الملايكة وكذلك ساير
الانبيا واطال في الحط والرد على من توقف في ذلك وزعم ان هذا ليس
مما كلفنا بمعرفته ثم قال وهذا الزعم باطل فان هذا من مسايل اصول الدين
الواجبة الاعتقاد على كل مكلف والبيان سبق ادلتها وايضاحها على كل من تاهل
لذلك وقد صح في الحديث المشهور ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان
الله ورسوله احب اليه مما سواهما وتامل قوله سواهما تجده ظاهرا او صريحا في كل ما ذكرناه
ومنها ما افاده كلامه من جواز التفضيل بين الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهو ما عليه
عامة العلما الماشين مع الادلة المرجحة فيه واما قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم فهو
باعتبار الايمان بهم وبما انزل اليهم واما الاحاديث الصحيحة لا تفضلوني على الانبيا
لا تفضلوا بين الانبيا لا تخيروا بين الانبيا فهي اما قبل علمه بالتفضيل وانه افضلهم
واما محمولة على التواضع لتصريحه بالتفضيل او على تفضيل يؤدي الى تنقيص او الى غض
من مقام احدهم وعليهما يدل سياق الحديث او على التفضيل في ذات النبوة
او الرسالة فانهم كلهم مشتركون في ذلك لا يتفاوتون فيه وانما يتفاوتون في زيادة
الاحوال والمعارف والخصوصيات والكرامات وزعم حملها على التفضيل ما رايتا

ليس في محله لان تفضيل ذلك بالراي المحض مجمع علي منعه وبالدليل الدال عليه
لا وجه لمنعه واما الحديثان الصحيحان ماينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس
اي مني من قال انا خير من يونس بن متي فقد كذب فمحمله التخصيص
فيهما بيونس نفي توهم التفاوت بينهما في القرب من الحق لاختلاف محلهما
الصوري برفع نبينا صلي الله عليه وسلم الي قاب قوسين ونزول يونس صلي الله عليه وسلم
فقعر البحر الي انتهى وهو امن هذا التفاوت الصوري تفاوتا في القرب والبعد
من الله تعالى بل نسبة كل اليه واحده وان تفاوتت مكانتهما التعالية عن الجهة
والمكان لان النهي عن تفضيل مقيد بالمكان لا مطلقا ومنها ان قول الانبيا
يشمل من عرف منهم ومن لم يعرف قال منهم من قصصنا عليك ومنهم من
لم نقصص عليك واختلفوا في عدد من عرف منهم والمشهور فيه ما في حديث
ابي ذر عند ابن مردويه في تفسيره قال قلت يا رسول الله كم الانبيا قال مائة
الف واربعة وعشرون الفا قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال
ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير قلت يا رسول الله من كان اولهم
قال ادم مرسل قال يا اباذر اربعة سريانيون ادم وشيث ونوح وخنوخ
وهو ادريس وهو اول من خط بالقلم واربعة من العرب هود وصالح
وشعيب ونبيك يا اباذر واول نبي من بني اسرائيل اي ممن بعد اولاد اسرائيل
وهو يعقوب صلي الله عليه نبينا وعليه وعليهم وسلم موسى واخرهم عيسى
واول النبيين ادم واخرهم نبيك وروى هذا الحديث بطوله الحافظ ابو حاتم
ابن حبان في كتابه الانواع والتقاسيم وصححه لكن خالفه ابن الجوزي فذكره
في موضوعاته واتهم به ابراهيم بن هشام قال الحافظ ابن كثير ولا شك انه تكلم فيه غير
واحد من ائمة الجرح والتعديل من اجل هذا الحديث فالله تعالى اعلم

بل

عدد الانبيا مائة الف واربعة وعشرون الف ١٢٤

يا سماء ما طاولتها سماء

في شرح خطبة المنهاج ان حديث كون الانبيا ~~ثمانية الاف~~ مائة الف واربعة وعشرون
الفا وحديث كون الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر صحيحا فاعلمه وروى ابو يعلى كان في من خلا
من اخواني من الانبيا ثمانية الاف نبي ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت انا **يا**
حرف ندا للبعيد او للقريب المنزل منزلته وهو هنا اشارة الي بعد مرتبته صلى الله
عليه وسلم عن ان يلحق او يباري **سماء** بالتنوين والنصب لانها نكرة موصوفة
وهي حينئذ شبيه بالمضاف فتنصب لا غير علي الاصح وقال الكسائي يجوز فيها النصب
والضم وفصل الفراء فاوجب النصب اذا كان العائد من الصفة اليها ضمير غيبة
كما هنا وكيا رجلا ضرب زيدا او الضم اذا كان ضمير خطاب كيا رجل ضربت زيدا
تنبيه لا ياتي هنا الخلاف في النكرة غير المقصود وهو قول الاصمعي لا تنادي
مطلقا والمازني لا يتصور نداوها لانه يقتضي الاقبال عليها وعدم قصدها يقتضي
عدمه قال وما جاء منونا منها فتنوينه للضرورة والكوفيين شرط صحة ندائها ان يكون
معه في الاصل حذف موصوفها نحو يا ذاهبا والمنع ان لم تكن كذلك وذلك لان محل
هذه الاقوال الاربعة حيث لم توصف النكرة بمعرفة او جملة او ظرف والا جاز نداؤها
مطلقا اتفاقا فان **قلت** ما هنا نكرة مقصودة قطعا كما يعلم مما ياتي
وموصوفة بجملة ما طاولتها سما كما تقرر وحكمها مستانف فان قصدها يوجب بناها
علي الضم ووصفها يوجب نصبها علي الاصح كما تقرر فما المغلب منهما **قلت**
لم ار للنحاة في مثل هذه الصورة نصا وانما اطلقوا في المقصوده البنا وفي الموصوفه
النصب ومفهوميهما متخالف اذ اطلاق الموصوفة يقتضي انه لا فرق بين المقصودة
وغيرها لا يقال الوصف يستلزم القصد ومع ذلك لم ينظروا للقصد معه لانا نمنع
استلزامه له او لا بدع ان الاعمى يقول يا رجلا صالحا خذ بيدي من غير ان
يقصد احدا بعينه ولكن لا يبعد ان يدار الامر في هذه الصورة علي نظر الناظر

فان اعتبر الوصف او القصد اجري على حكمة المذكور له **فائـــدة** يجوز
تنوين المنادي المبني للضرورة اجماعا ثم اختلفوا فهل الاولى بقا الضم او الاولى
النصب والخليل وسيبويه والمازني على الاول علما كان او نكرة مقصودة وعيسى
ابن عمرو والجرمي والمبرد على الثاني رد الى اصله كما رد غير المنصرف الى الكسر
عند تنوينه في الضرورة واختار ابن مالك في شرح التسهيل ابقا الضم في العلم
والنصب في النكرة المعينة لان شبهها بالمضمر اضعف وبعض المتاخرين عكسه
وهو اختيار النصب في العلم لعدم الالتباس فيه والضم في النكرة المعينة لئلا يلتبس
بالنكرة غير المقصودة اذ لا فارق حينئذ بالحركة لاستوائهما في التنوين اذا تقرر ذلك
وقلنا بان النكرة المنونة هنا مبنية على الضم على احد شقي كلام الكسائي او على ما ذكرته
انه اذا اريد بالنكرة الموصوفة مقصوده بنيت على الضم فالاولى هنا على الاول
والرابع بقا الضم وعلى الثاني والثالث النصب والذي اقوله ان الضم متعين
هنا على الكل لان الظاهر خلافا لما يوهمه الراي الرابع ان محل الخلاف حيث لا التباس
يتولد منه محذور وهنا النصب يترتب عليه محذور كما يوهمه ان السما الا نكرة
غير مقصودة وحينئذ يفسد المعنى لان النكرة غير المقصودة لا يصح نفي مطاول
نكرة غير مقصوده ايضا لها بخلاف ما اذا كانت الاولى نكرة مقصودة كما هو
المراد هنا وهي اسم جنس يشمل ساير الاجرام العلوية فان هذه بهذا المعنى هي لا اعلا او لا
سما اي مرتفع غيرها لانه لم يوجد في هذا الوجود ارفع منها **تامـــل** ذلك حق
التامل واحفظه فانه مما يتعين استفادته لا سيما مع النظر لما قاله الشارح لما مر
يعول فيه على شي مما ذكرته **ما** نافيه **طاولتها** اي غالبتها في الطول والارتفاع
سما وهذا الشطر الثاني كالدليل للشطر الاول اذ التقرير لم يرتق احد منهم ارتقاك
لانه لم يستطع مطاولتك في ارتفاعك الحسي ولا المعنوي وان كانت درجاتهم

المراد من الشارح هو الجوجري

كلها

لم يساووك في علاك وقد حال سنا منك دونهم وسناء

كلها ورتبهم وصفاتهم باسرها ارفع الدرجات واكمل المراتب واجل الصفات قال تعالى ولقد
اخترناهم على علم على العالمين وهذه الاية صريحة في فضلهم على جميع الملائكة بل الخلق اذ العالم
ما سوى الله تعالى وانما جمع جمع العقلا تغليبا لهم وفيه استعارة لفظ السما الاول للنبي صلى
الله عليه وسلم والثاني لبقية الانبيا عليهم الصلاة والسلام اجمعين لان السما اعلا ما يرى من
الاجرام الحسية كما انهم اعلا الخلق ومن نسخ لذلك بذلك الارتفا الملايم للمستعار منه **لم
يساووك** مستانفة على ما يأتي فيكون من اسلوب الحكيم او حال من فاعل ترتقي **في
علاك** جمع عليا تانيث الاعلى من علي بالفتح يعلو علوا في المكان وعلي بالكسر يعلا
وعلا بالفتح يعلا علا في الشرف قال الشارح ولما كان نفي المطاولة لا يلزم منه نفي المساواة
وكان المعنى لا يتم الا بنفيها صرح بذلك وتبعه غيره فقال لما لم يلزم من نفي المطاولة
نفي المساواة اشار الى نفيها وان كان يوجد مما تقدم لكن لا بطريق التصريح **انتهى**
وهو عجيب مع ما مر في كيف انه افاد بطريق التصريح نفي رقي احد منهم رقيه وهذا مساو
لقوله لم يساووك فالحق انه تاكيد واطناب فقط على ان لذكره **فائـــدة**
اخرى هي البرهان عليه بطريق اخرى وحينئذ يكون ما سلكه من ذكر الجملة الاولى البيت
الثاني في شطر البيت الاول والبرهان عليها في شطر الثاني ثم اعادتها بمعناها في
اول البيت الثاني والبرهان عليها بما في بقيته من بديع تحقيقه وكمال بلاغته
وقد حال اي وقد حجز وسنع جملة مستانفة او حالية من الفاعل او المفعول
وقد هنا واجبة الذكر او التقدير عند البصريين قالوا لتقريب الماضي من الحال
واعترضهم المحقق السيد الجرجاني وتبعه المحقق الكافيجي وغيره بان هذا غلط
منهم سببه اشتباه لفظ الحال عليهم فان الحال الذي تقربه قد حال الزمان
والحال المبين للهيئة حال الصفات ولك رده بانهما وان تغايرا لكنهما متقاربان
كما هو شان الحال وعاملها وحينئذ لزم من تقريب الاولى تقريب الثانية المقارنه

لمعاني القرن فتامله فانه بهر اذ في تغليظ اوليك الايمة الذين
لا ينحصرون مع امكان تاويل كلامهم تشاهدنا **سنا** بالقصر اي ضو
عظيم ظاهر **منك** خصك الله به وهو مجاز عن علوم القران المحيطة
بعلوم الاولين والاخرين وغيرهما التي اختصه الله بها وامره ان
يساله ان يزيده منها وهذا مقتبس من تسميته تع للقران نورا في
ايات كثيرة من كتابه نحو اتبعوا النور الذي انزل معه وعما اختصه الله
به من الجمال الظاهر بما اتاه من الحسن في خلقه بما لم يلحقه فيه يوسف
فضلا عن غيره كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وفي خلقه بما ان الله تعالى نعته
فيه اي الغاية بقوله عز قايلا وانك لعلى خلق عظيم وهذا مقتبس من
تسميته تع لنبيه نورا من نحو قد جاكم من الله نور وكتاب مبين وكان صلى
الله عليه وسلم يكثر الدعا بان الله تعالى يجعل كلا من حواسه واعضايه وبدنه
نورا لاظهار الوقوع ذلك كما هو انا امرنا بالدعا الذي في اخر سورة البقرة
مع وقوعه وتفضل الله به لذلك ومما يويد ذلك انه صلى الله عليه وسلم
صار نورا انه كان اذا مشى في الشمس او القمر لا يظهر له ظل لا يظهر الا لكثيف
وهو صلى الله عليه وسلم قد خلصه من ساير الكثايف الجسمانية وصيره نورا صرفا
لا يظهر له ظل اصلا خرقا للعادة كما خرقت له في شق صدره وقلبه مرارا
ولم ينلهم بذلك **دونهم وسنا** بالمد اي رفعة عظيمة او نيتها الرفيعة اليها
مخلوق اي بلغت مساواتهم لمانع منعهم عن اللحوق به نحو ما اختص به
من ذلك النور وتلك الرفعة اللذين لم يصل احد الى ادنى شاوهما فضلا
عن كماله وفي جعله هذين حاجزا استعارة تجريدية كما ان في جمعها الجناس
المذيل ويعبر عنه بالمطرف لان الزيادة وقعت ذيلا وطرفا وهو

لان الظل

ان

ان يماثل اللفظان وينفرد احدهما بزيادة حرف في اخره كقولهم العابد
ذل العارف وهو احد اقسام الجناس الناقص ومنها الساق والمساق
ويسمى بالمكتنف لان حرف الزيادة مكتنف اي متوسط بين ما اكتنفاه
وقد يقع الاختلاف باكثر من حرف نحو من امن ويسمى متوجا ونحو هذا مجاهد
وجوي واحوانح سماه في التلخيص مذيلا واهل البديعيات على ان الزايد من
اخره حرف او اكثر يسمى مذيلا ~~واهل البديعيات على ان الزايد~~ ومن اوله كذلك
ويسمى مطرفا **تنبيه** الجناس تشابه اللفظين من
حيث اللفظ وفايدته الميل الى الاصغا اليه فان مماثلة الالفاظ تحدث
ميلا واصغا اليها فلهذا اكثر منه الناظم في هذه القصيدة وربما تركت التنبيه
على كثير منه في محله استغنا بظهوره او تقدم التنبيه على نظيره ومع كون
الجناس يوجب الميل والاصغا فمحل مراعاته لم يعارضه قوة المعنى وتمكنه
مع فقده والا لم يراع ومن ثم قال وما انت بمومن لنا ولو كنا صادقين فلم
يقل بمصدق رعاية لجناس الاشتقاق لان معنى قولك فلان مصدق لي انه
قال لي صدقت ومعنى مومن لي ان صدقني وامنني والمقصود الثاني
لا الاول فترك الجناس لذلك وترك ايضا في اتدعون بعلا وتذرون احسن
الخالقين اما لان التجنيس تحسيني وانما يستعمل في مقام الوعد والاحسان
لا في مقام التهويل او لان يدع اخص من يذر لانه ترك الشي مع سبق الاعتنا به
فلو قيل تدعون لتوهم انهم كانوا معتنين بالاله الحق ثم تركوه وليس
كذلك بل كانوا تاركين له مطلقا فتعين تذرون مبالغة في التشنيع عليهم
بانهم بالغوا الغاية في الاعراض عن ربهم وامتنع تدعون لايهامه وبهذا
يظهر عبارة لبعض الادبا في قوله لو قال وتدعون لراعي الجناس

ونفيت اجوبة اخرى ليست بذاك فلذا تركتها وفي قوله وقد الخ التذييل وهو ان
يوتى بعد اتمام الكلام بجملة تشتمل على معناه تجري مجرى العلة لتوكيد ما قبلها وتحقيقه
كقوله تع وهل نجازي الا الكفور بعد ذلك جزيناهم بما كفروا وقوله النابغة اي الرجال
المهذب بعد ولست لمستبق الخ **تنبيه** ثان سيمر بك
ذكر الاستعارات بليغة تحتاج الى معرفتها في هذه القصيده فلا باس بالاشارة
الى بعض شي مما يتعلق بها وحدها انها مجاز يتضمن تشبيه ما عبر به بما وضع
له فهي مجاز لغوي لانها لفظ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة ومن ثم
احتاجت لقرينة كرايت اسدا يرمي ثم ما قصد اشتراك طرفيها المستعار له والمستعار
منه فيه اما داخل فيها كاستعارة الطيران للعدو بجامع ان في كل قطع المسافة او لا كاستعارة
الاسد للشجاع فالشجاعة عارضة للاسد وهي باعتبار طرفيها والجامع اقسام كثيرة
باعتبار ان كلا اما عقلي واما حسي ثم اللفظ المستعار ان كان اسم جنس ولو
تاويلا كالعلم المشعر بوصف سميت اصلية او فعلا او مشتقا منه بان يقصد به الثبوت
القايم بالذات او حرفا فتبعية لان الاستعارة تعتمد التشبيه المقتضي لكون
المشبه موصوفا بوجه التشبيه او مشاركا للمشبه به فيه وانما يصح للموصوفية
الحقايق اي الامور الثابتة دون معاني الافعال ونحوها ومتى لم تقترن
بما يلايم احد طرفيها سميت مطلقا او بما يلايم المستعار له فمجرده او بما يلايم
المستعار منه فمرشحه وهي ابلغ لان مبنى الاستعاره على تناسي التشبيه
فيه منتزعا من عدة امور سمي استعارة تمثيلية كما يقال للمتردد في
امر اني اراك تقدم رجلا وتوخر اخرى وبقي من اقسامها الاستعارة
بالكناية والاستعارة التخييلية وهما عند صاحب التلخيص معنوبان
غير داخلين في تعريف المجاز فاذا اضمر تشبيه في النفس ولم يصرح بشي

من اركانه سوى المشبه ودل على ذلك التشبيه بذكر شي من خواص ذلك
المشبه به سمي ذلك التشبيه المضمر استعارة بالكناية واثبات تلك الخاصة
استعارة تخييلية لانه يخيل ان المشبه من جنس المشبه به **انما** للحصر عند
الجمهور وقيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم ويقال له الاختصاص والقصر
خلافا لمن فرق وهو تخصيص امر باخر بطريق مخصوص ويعبر عنه ايضا بانه
اثبات الحكم المذكور ونفيه عما سواه وينقسم الى قصر الموصوف على الصفة
وعكسه وكل اما حقيقي او مجازي فالحقيقي نحو ما زيد الا كاتب اي لا صفة
له غير ذلك وهو كالمحال لتعذر ان يكون لذاته صفة واحدة فقط ولم
يقع منه شي في القران والمجازي نحو وما محمد الا رسول اي مقصور على الرسالة
لا يتعداها الى التبري من الموت الذي استعظموه ذهولا عن كونه من شان
الاله وانكر قوم افادة انما الحصر عليهم ايات كثيرة نحو انما العلم عند الله انما
يا تيكم به الله واعلم ان المحصور فيه هو الاخير ومن ثم كان مفاد انما قايم
زيد اثبات القيام لزيد ونفيه عن غيره وانما زيد قايم لاثباته له ونفي غيره
عنه **مثلوا** اي صور الانبيا عليهم الصلاة والسلام ان الواصفون
لشمايلك وهو الاقرب وان لم يجد له ذكر لانه معلوم على حد حتى توارت
بالحجاب **صفاتك** جمع صفة وهي ما دل على المعنى الزايد على الذات محسوس
كالابيض او معقول كالعالم **للناس** من الانس فيختص ببني ادم فاصله
الاناس فحذفت همزته تخفيفا لا للتعويض الا عنا للجمع بينهما ومن نوس
اذا تحرك فيعم الجن كذا قيل والذي في القاموس الناس يكون من الانس
ومن الجن جمع انس اصله اناس جمع عزيز ادخل عليه ال ثم ناف وناس
الا لا نساقيها وانا سه حركه **كما** نعت لمصدر محذوف مفعول مطلق

لمثلوا الا تمثيلا مثل **ما** مصدريه **مثل النجوم الما** اصله موه بالتحريك
قمونته بدلّ من الها وهو جوهر قيل لا لون له وانما يتكيف بلون مقابله
والحق خلافه فقيل ابيض وقيل اسود والمعنى على ان الضمير للانبيا
عليهم الصلاة والسلام انما شاركتم فيه من الصفات وان كانت لم يصل لا وبالكا
غيرهم الا انها فيه بلغت من الكمال ما لم يبلغه مخلوق فهو فيه حقيقة كالنجوم
الحقيقية المرئية من غير حايل وفيهم كصور النجوم التي ترى من الما
دون حقيقتها وشتان ما بينهما واسناد ذلك التصريح اليهم
على هذا مجاز عقلي كقول الموجد انبت الربيع البقل ويحتمل انه لمح
بذلك الى ما علم من حال الانبيا عليهم الصلاه والسلام انهم تعتوا صفاتك
الكريمة لاممهم وصوروها لهم لكنهم مع ذلك لم يصلوا التصوير كنهها لله
احاطتهم به وانما غاية ما وصلوا اليه تصوير صورها الحاكية لمباديها كما ان
الماء لم يحك من النجوم التمحرد صور لا غير وفي هذا من الابلغية في المدح
كلاما لا يخفي لان الانبيا عليهم الصلاه والسلام مع كمالهم الاكبرا ذا عجزوا
عن ادراك حقايق صفاته العلية كان غيرهم اعجز لا يقال هذا يستغني
عنه ما ياتي في قوله الا بشرت قومها بك الانبيا لان ذاك في مطلق تبشيرهم
بانه سيوجد وهذا بيان صفات ذلك المبشر به وعلى انه للواصفين انهم
وان اكثروا الاوصاف وتفننوا في ايرادها على ابلغ انواع البلاغة واكمل فوابق
الفصاحة فغاية ما وصلوا اليه ان ادركوا الواضح منها وعجزوا عن ادراك
شي من حقايقها كما ان غاية من يرى النجوم في الما انه يدرك مبادي اوصافها
ويعجز عن ادراك ~~لو وصلها~~ حقايقها وقد شرح الناظم هذا بقوله في بردة
المديح اعيي الورى فهم معناه البيتين وهذا البيت من جلة التذييل

ابضا

انت مصباح كل فضل وما يصدر الا عن ضوئك الاضواء

ايضا بنا على المعنى الاول كانه برهان على مطلعها وشرح وبيان له كما مر ولما قرر
انما اوتيه من المزايا لا تدرك غايتها بل ولا حقايقها زاد ذلك تقريرا وتمكينا في
النفوس فقال **انت** ايها العلم الفرد الذي لا يساوي بل ولا يداني **مصباح**
اي سراج فهو مقتبس من قوله تعالى وسراجا منيرا **كل** اسم موضوع لاستغراق
افراد المنكر المضاف هو اليه كما هنا والمعرف المجموع نحو وكلهم اتيه يوم القيامة
فردا واجزا المفرد المعرف نحو يطبع الله على كل قلب متكبر جبار باضافة
قلب الى متكبر اي على كل اجزايه وقراه التنوين لعموم افراد القلوب فان
لم يكن بمعنا النكرة ولا توكيد المعرفة بان تلاها العامل كما هنا جازت اضافتها
كما هنا وقطعها نحو وكلا ضربنا له الامثال واعلم انها حيث صيغت لمنكر
وجب في ضميرها مراعاة معناها نحو وكل شي فعلوه في الزبر وعلى كل ضامر
ياتين او لمعرف جاز مراعاة معناها نحو وكل لفظها في الافراد والتذكير ومراعاة
معناها وكذا اذا قطعت نحو وكل يعمل على شاكلته وكل اتوه داخرين وانها حيث
وقعت في حيز نفي بان سبقتها اداته او فعل منفي نحو ما جا كل القوم وكل الدراهم
لم اخذ لم يتوجه النفي الا لسلب شمولها فتفهم اثبات ~~العقل~~ لبعض الافراد ما لم
يدل الدليل على خلافه نحو والله لا يحب كل مختال فخور بمفهومه اثبات المحبة لاحد
الوصفين لكن لا نظر اليه للاجماع على تحريم الاختيال والفخر مطلقا وحيث وقع النفي
في حيزها كقوله صلى الله عليه وسلم في خبر ذي اليدين كل ذلك لم يكن توجه الى كل فرد كذا
ذكره البيانيون وانما سقت هذا جميعه هنا لنفاسته وكثرة الاحتياج اليه كما
ينبغي ان يستفاد ويحفظ **فضل** وكمال برز لغيرك في الوجود لانك الخليفة
الاكبر الممد لكل موجود وشاهده ما صح من خبر ادم فمن دونه تحت لوائي وخبر
ان ابراهيم اغا انا قاسم والله يعطي وخبر لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي

الفعل

وخبر ان ابراهيم قال انما كنت خليلا من ورا ورا التشبيه بالسراج على الغرض
لانه مقتبس منه الانوار بسهولة وتخلفه فرد عنه تقتبس بعد ووجه التشبيه
ان نوره صلى الله عليه وسلم يظهر الاشيا المعنوية كنور البصاير ونور السراج يظهر
المحسوس كنور البصر ولا ريب ان المحسوس اظهر من المعقول من حيث
هو معقول فلذا اشبه نوره صلى الله عليه وسلم لكونه معقولا بنور السراج لكونه
محسوسا فلا ينافي ذلك ان السراج دونه صلى الله عليه وسلم بل لا نسبة ويمكن
انه من التشبيه المقلوب كما في قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق واذا تقرر
ان كمالات غيره المشبهة بالاضوا مستمدة من كماله الذي هو الضو الاعلى
فبسبب ذلك ما يصدر اي يبرز في الوجود ضوء ينشأ عن ضو احد
مطلقا الا ضوءك فانت المخصوص بانك الذي يبرز عن ضوئك
الذي اكرمك الله به الاضوا كلها من الآيات والمعجزات
وسائر المزايا والكرامات وان تاخر وجودك عن جميع الانبيا
عليهم الصلاة والسلام لان نور نبوتك متقدم عليهم بل وعلى جميع
المخلوقات وشاهده حديث عبد الرزاق بسنده عن جابر رضي الله
تع عنه يا رسول الله اخبرني عن اول شي خلقه تعالى قبل الاشيا قال
يا جابر ان الله خلق قبل الاشيا نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور
بالقدرة حيث شا الله تع ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا
نار ولا ملك ولا سما ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا انسي فلما اراد
الله تع ان يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة اجزا فخلق من الجزء الاول
القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع اربعة
اجزا فخلق من الاول السموات ومن الثاني الارضين ومن الثالث

الجنة

الجنة والنار ثم قسم الرابع اربعة اجزا فخلق من الاول نور ابصار المومنين
ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله تعالى ومن الثالث نور انسهم وهو
التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله الحديث وصح حديث اول ما خلق الله
القلم وجا باسانيد متعددة ان الماء لم يخلق قبله شي ولا ينافيان ما في الاول
في نور نبينا لان الاولية في غيره نسبية وفيه حقيقية فلا تعارض وفي حديث
ابن القطان كنت نورا بين يدي ربي قبل ادم باربعة عشر الف عام وفي الخبر
لما خلق الله ادم جعل ذلك النور في ظهره فكان يلمع في جبينه فيغلب على ساير
نوره الحديث وصح متى كنت او كتبت نبيا قال وادم بين الروح والجسد
وليس المراد بذلك التقدير لان غيره كذلك بل الاشارة الى كون روحه العلية
متصفة بها ذلك الوصف دون غيره في عالم الارواح اذ ورد ان الارواح خلقت
قبل الاجساد بالفي عام وفي حديث عبد الرزاق السابق تايد لما قيل ان الله
تع لما خلق نور نبيه صلى الله عليه وسلم امره ان ينظر الى نور الانبيا عليهم الصلاة والسلام
فغشيهم من نوره ما انطقهم الله به وقالوا ربنا من غشينا نوره فقال هذا نور
محمد بن عبد الله ان امنتم به جعلتكم انبيا قالوا امنا به وبنبوته فقال الله
تعالى اشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى من الشاهدين وفي هذه الاية كما قال التقي السبكي
في النبوة بقدره العلي ما لا يخفى وفيها مع ذلك انه على تقدير مجيئه يكون مرسلا
اليهم والى اممهم فتكون رسالته عامة لجميع الخلق فهو نبي الانبيا عليهم الصلاة
والسلام ولذا كانوا كلهم يوم القيامة تحت لوائه صلى الله عليه وسلم فاستعارة
المصباح للعقل المبني على تشبيهه ببيت واسع يحتاج الناس اليه حوله وسراجه
فيه استعارة بالكناية يتبعها استعارة تخييلية والضو الذي هو اعلى من النور

٥ تِلْكَ ذَاتُ الْعُلُومِ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ وَمِنْهَا لِآدَمَ الْأَسْمَاءُ

بدليل جعل الشمس ضيا والقمر نور الصفات الكمال استعارة مصرحة بجامع
ان كلا من الضوئين المعنوي والحسي يهدي الى المقصود واجراء الكمالات
الدينية بنور الظاهر والباطن **تلك** لا لغيرك **ذات** اصلها مونث
ذو المقتضية لموصوف واللازمة للاضافة غالبا كرجل ذي مال ثم استعملوها
استعمال الاسما المستقلة فقالوا ذات قديمة ونسبوا اللفظها فقالوا ذاتي
وقد تستعمل بمعنى نفس الشي وحقيقته كما هنا وكما في قول خبيب
رضي الله تعالى عنه وذلك في ذات الاله **العلوم** جمع علم وهو هنا صفة يتجلي
بها المذكور لمن قامت به انجلا تاما او الادراك الجازم الذي لا يحتمل النقيض
وحد بحدود اخرى كلها مدخولة ايضا وترادفه المعرفة لكون لا يقال لله تعالى عارف
نها
لا استدعي سبق جهل بخلاف العلم واليقين لكن فرق بينهما بعض المحققين
بان اليقين خاص بما من شانه ان لا يتطرق اليه شك فلا يقال تيقنت ان الواحد
نصف الاثنين وقال الراغب اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية
واخواتها يقال علم يقين ولا يقال معرفة يقين وهو سكون النفس مع ثبات
الحكم حال كونها واصلة اليك على لسان الملك او لا لقا في الروع او بخلق العلم
الضروري او بسماع الكلام النفسي **من** فيض **عالم الغيب**
مصدر وصف به للمبالغة بمعنى اسم الفاعل اي الغايب وهو ما لم يشاهد
لكن بالنسبة الينا واما بالنسبة اليه تعالى فالكل من عالم الشهادة لا المفعول
اي المغيب خلافا لمن زعم لان غاب لازم وخص بالذكر على حد قوله تعالى عالم
الغيب فلا يظهر على غيبه احد الاية لان العلم به افخر واظهر ولان اكثر
علوم نبينا صلى الله عليه وسلم تتعلق بالمغيبات به ليلة فعلمت علم الاولين والاخرين
الحديث المشهور ولانه تعالى اختص به لكن من حيث الاحاطة والشمول

بمعني
م

لعلمه

١٥

لعلمه بالكليات والجزئيات فلا ينافي ذلك اطلاع الله تعالى لبعض خواصه على
على كثير من المغيبات حتى من الخمس اللاتي قال فيهن صلى الله عليه وسلم في خمس
لا يعلمهن الا الله تعالى لانها جزئيات معدودة لا غير وانكار المعتزلة لذلك
مكابرة فقد وقع للانبيا عليهم الصلاه والسلام والاوليا من ذلك ما يمكن عده ٥
لا سيما لنبينا صلى الله عليه وسلم وسياتي بسط جملة مما اخبر به صلى الله عليه وسلم
من المغيبات في شرح قوله ٥ وكم اخرج خبار الغيوب خبا ٥ وجلة مما يتعلق باذكا
المعتزلة اواخر الكتاب **ومنها** اي العلوم بمعنى المعلومات وهو متعلق بالاسما
لادم ابي البشر صلى الله عليه وسلم واصله اادم وهو متعلق لكنهم ليتوا الثانية
تخفيفا وجعلوها في التصغير واوا النظر التليين اما من الادمة بالسكون او الفتح او
من اديم الارض كما صح عن ابن عباس وورد عن علي وابن مسعود رضي الله عنهم وادم
الارض ظاهر وجهها والادمة السمرة وهو مراد من قال لون يقارب السواد
ومن ثم قيل يشبه التراب واستشكل بما ورد من براعة جماله وان يوسف صلى
الله عليه وسلم كان على الثلث من جماله واجيب بان الجمال لا ينافي السمرة لانها
من البياض والحمرة قيل اشتقاقه مما ذكر يويد القول بانه عربي ويرد ما ذكر الجواليقي
وغيره ما ورد بان توافق اللغتين غير منكر وبانه لا دليل على ان الاشتقاق
من خواص كلام العرب واجيب بان الاصل عدم التوافق وبان الوجه ان الاشتقاق
خاص بكلام العرب فقد اجمعوا على ان التفرقة بين اللفظ العربي والعجمي بصحة
الاشتقاق وصح خبر ان ادم كان يتكلم بكل لسان والكن الغالب انه كان يتكلم
بالسرياني **الاسما** مبتدا مؤخر جمع اسم وهو هنا ما دل على معنى فيشمل
الفعل والحرف ايضا واحتاج النظم الى هذا التفصيل مع العلم به مما قبله لان
ادم ميزه الله على الملائكة بالعلوم التي علمها له وكانت سببا لامرهم بالسجود

والخضوع لا بعد استعلا بهم عليه بلزمه ومدحهم بقوله لم تحعل فيهما من يفسد

الخ فربما يتوهم ان هذه المرتبة الباهرة لم تحصل لنبينا صلى الله عليه اذ غير بوجد المعنى

ماكسي مي الفاضل من ذلك التوهم ببيان ان ادم عليه الصلاة والسلام لم يحصل له

من العلوم الا بمجرد العلم باسمايها وان الحاصل لنبينا صلى الله عليه وسلم هو العلم

بحقايقها ومسمياتها ولا ريب ان العلم بها اعلى واجل من العلم بمجرد اسمايها

لانها انما يوتى بها لتبيين المسميات فهي المقصودة بالذات وتلك بالوسيلة

وشتان ما بينهما نظير ذلك ان المقصود من خلق ادم صلى الله عليه وسلم انما هو

خلق نبينا صلى الله عليه وسلم من صلبه فهو المقصود بطريق الذات وادم بطريق

الوسيلة ... قال بعض المحققين انما سجد الملائكة لاجل نور محمد صلى

الله عليه وسلم الذي في جبينه ... ما سلكه الناظم من ان ادم انما علم باحد الطرق الثلثة

اسما فقط اي الالفاظ الموضوعة بازا فقيل علم الاسما الموضوعة بكل لغة

وعلمها اولاده فلما افترقوا في البلاد وكثرت اقتصر كل قوم على لغة وهذا يقوي ما هو

الاصح في الاصول ان اللغات كلها توقيفية وقيل انما علم لغة واحدة لان الحاجة

لان الحاجة لم تدع اليها واما بقية اللغات فما لواضع ويقابل ما سلكه الناظم

قولان احدهما انه علم مدلولاتها لان المزية في العلم انما تحصل بمعرفة مقاصد الخلق

ومنافعها لا بمعرفة ان اسماها كذا وكذا قال بعض المحققين وهذا

وان قرب من المعنى فهو بعيد من اللفظ اي لا قوله باسما هو كلها وما بعد

ظاهر وصريح في الاسما فقط ومعنى ثم عرضهم اي الاعيان لانها التي تعرض دون

الاسما انها ابرزت اليهم ليخبروا باسمايها فلا تايد فيه لكون المعلم المسميات

خلافا لمن زعمه ثانيهما وهو الذي سلكه صاحب الكشاف انه علم الامرين معا جامعا

بين مقتضى والمعنى ولما ذكر شرف ذاته وترفيه صلى الله عليه وسلم بما بهر العقول

انتقل

انتقل الى ذكر نسبه كذلك فقال مستانفا لم تزل حال لونك في ضمائر

الكون اي الوجود وضماير مستوراته الخفية من الاصلاب والارحام

تختار اي تصطفى لك الامهات جمع ام وهي الوالدة وان علت

واصلها امهة بجمعه على الامهات فتلك امهات الادميات واما ت لغيرهن

والآبا جمع اب واصله ابو بالتحريك حذفت واوه تخفيفا اي كما طابت

ذاتك بها ونعته من الكمال الاعلى لذلك طاب نسبك فلم يكن في الامهات

من لدن حوا الى امك امنه ولا في ابايك من لدن ادم الى ابيك عبد الله الا من

هو مصطفى مختار وشاهد ذلك الحديث البخاري بعثت من خير قرون بني

ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وحديث مسلم ان

الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش

بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وحديث الترمذي بسند حسن ان الله

خلق الخلق فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا اي روحا وذاتا وخيرهم

بيتا اي اصلا وحديث الطبراني ان الله اختار الخلق فاختار منهم بني ادم

ثم اختار من بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختارني من العرب فلم ازل

خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض فببغضي

ابغضهم واعلم ان ادم ولد من حوا اربعين ولدا في عشرين بطنا الا

شيث وصيد فانه ولد منفرد اكرامة لكون نبينا صلى الله عليه وسلم من نسله

ثم لما توفي وصى بنيه بوصية ابيه له ان لا يضع هذا النور الذي

كان بجبهة ادم ثم انتقل الى شيث الا في المطهرات من النسا

ولم تزل هذه الوصية معمولا بها في القرون الى ان وصل ذلك النور الى

جبهة عبد المطلب ثم ولده عبد الله وطهر الله هذا النسب

الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد في الاحاديث كحديث البيهقي ما ولدني
من سفاح الجاهلية شي ما ولدني الا نكاح الاسلام وسفاحهم بكسر السين زناهم
كان المراة منهم تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها وروى ابن سعد وابن عساكر
عن محمد بن السائب الكلبي عن ابيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه خمسمائة ام فما وجدت
فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من امر الجاهلية والطبراني وابو نعيم وابن عساكر خرجت
من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن ادم الى ان ولدني ابي وامي لم يصبني من سفاح
الجاهلية شي وابو نعيم لم يلتق ابواي قط على سفاح لم يزل الله ينقلني من الاصلاب
الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما وابن
مردويه قرا صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم اي بفتح الفاء وقال
انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلنا نكاح

تنبيه لك ان تاخذ من كلام الناظم الذي علمت ان الاحاديث
مصرحة به لفظا في اكثره ومعنى في كله ان اباء النبي صلى الله عليه وسلم غير الانبياء وامهاته
الى ادم وحوا ليس فيهم كافر لان الكافر لا يقال في حقه مختار ولا كريم ولا
طاهر بل نجس كما في انما المشركون نجس وقد صرحت الاحاديث السابقة
بانهم مختارون وان الاباء كرام والامهات طاهرات وايضا فهم الى اسماعيل
كانوا من اهل الفترة وهم في حكم المسلمين بنص الاية الاتية وكذا من
بين كل رسولين وايضا قال تع وتقلبك في الساجدين على احد التفاسير
فيه ان المراد تنقل نوره من ساجد الى ساجد وح فهذا صريح في ان ابوي
النبي صلى الله عليه وسلم امنة وعبد الله من اهل الجنة لانهما اقرب المختارين
له صلى الله عليه وسلم وهذا هو الحق بل في حديث صححه غير واحد من الحفاظ
ولم يلتفتوا لمن طعن فيه ان الله احياهما له فامنا به خصوصية لهما وكرامة

له صلى الله عليه وسلم فقول ابن دحية يرده القران والاجماع ليس في محله لان
ذلك ممكن شرعا وعقلا على جهة الكرامة والخصوصية فلا يرده قران ولا اجماع
وكون الايمان به لا ينفع بعد الموت محله في غير الخصوصية والكرامة وقد صح انه صلى
الله عليه وسلم ردت عليه الشمس بعد مغيبها فعادت الوقت حتى صلى العصر
اداء كرامة له صلى الله عليه وسلم فكذا احياهما وطعن بعضهم في صحة هذا ايضا لا يجدي
ايضا وخبر انه تع لم ياذن لنبيه صلى الله عليه وسلم في الاستغفار لامه انما كان
قبل احيايها له وايمانها به او ان المصلحة اقتضت تاخر الاستغفار لها عن
ذلك الوقت فلم يوذن له فيه ح فان قلت اذا قررتم انهما من اهل الفترة وكما علم
انهم لا يعذبون فما فائدة الاحيا قلت فائدته الحاقهما بكمال لم يحصل
لاهل الفترة لان غاية امرهم انهم الحقوا بالمسلمين في مجرد السلامة من العذاب
واما مراتب الثواب العلية فهم بمعزل عنها فاتحفا بمزية الايمان زيادة في
شرفهما لحصول تلك المراتب لهما وفي هذا مزيد ذكرته في الفتاوي ولا يرد
على الناظم ازر فانه كافر مع ان الله تع ذكر في كتابه العزيز انه ابو ابراهيم صلى الله
عليه وسلم وذلك لان اهل الكتابين اجمعوا على انه لم يكن اباه حقيقة وانما كان عمه
والعرب يسمون العم ابا بل وفي القران ذلك قال اباءك ابراهيم واسماعيل مع انه عم
يعقوب ثم لو لم يجمعوا على ذلك وجب تاويله بهذا جمعا بين الاحاديث
واما من اخذ بظاهره كالبيضاوي وغيره فقد تساهل واستروح وحديث مسلم
قال رجل يا رسول الله اين ابي قال في النار فلما قفا دعاه فقال ان ابي واباك
في النار يتعين تاويله واظهر تاويل له عندي انه اراد بابيه عمه ابا طالب
لما تقرر ان العرب تسمي العم ابا وقرينة المجاز فيه الاية الاتية الشاهدة
بخلافه على اصح محاملها عند اهل السنة وان عمه الذي كفله بعد جده

عبد المطلب او انه قصد بذلك انما تطييب خاطر ذلك الرجل خشية ان يريد لوقوع
في سمعه اولا ان اباه في النار دليلا انه انما قاله قبل ان يوحى اليه او كان ذلك قبل ان
ينزل عليه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا كما وقع له انه صلى الله عليه وسلم سئل عن
اطفال المشركين فقال هم مع ابائهم ثم سئل عنهم فذكر انهم في الجنة واما قول
النووي رحمه الله في حديث مسلم ان من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من
عبادة الاوثان فهو في النار ليس في هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة فان هولا قد بلغتهم دعوة
ابراهيم وغيره عليهم الصلاة والسلام انتهى فبعيد جدا للاتفاق على ان ابراهيم ومن
بعده لم يرسلوا للعرب ورسالة اسماعيل اليهم انتهت بموته اذ لم يعلم لغير نبينا صلى الله
عليه وسلم عموم بعثه بعد الموت وقد يؤول كلامه الفخر الرازي القرايب من كلام النووي
ثم رايت الابي شارح مسلم بالغ في الرد على النووي بان كلامه متناف فحكمه بانهم فترة وان
الدعوة بلغتهم رمي بلغتهم الدعوة ليسوا اهل فترة لانهم الامم الكائنة بين ازمنة الرسل
الذين لم يرسل اليهم الاول ولا ادركوا الثاني ثم قال لما دلت القواطع ان لا تعذيب
حتى يقوم الحجة علمنا ان اهل الفترة غير معذبين انتهى وهو موافق لما ذكرته
وما احسن قول بعض المتوقفين في هذه المسئلة الحذر من ذكرهما بنقص
فان ذلك قد يؤذيه صلى الله عليه وسلم لخبر الطبراني لا تؤذوا الاحياء بسبب
الاموات انتهى واما الذي صح تعذيبهم مع كونهم من اهل الفترة فلا يرد ولا
نقضا على ما عليه الاشاعرة من اهل الكلام والاصول والشافعية من الفقهاء
ان اهل الفترة لا يعذبون ونسبة ذلك اتباعهم ناقي العلامة الذي
قتله الخضر انه حكم بكفره مع صباه لامر يعلمه الله تعالى وحده فكذلك هولاء
حكم بكونهم بخصوصهم وان لم تبلغهم الدعوة لامر يعلمه الله تعالى
فلا يرد هو لا نقضا علم لما استفيد من الابد ومشى عليه ابن الاثير

٧ مَا مَضَتْ فَتْرَةٌ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا بَشَّرَتْ قَوْمَهَا بِكَ الْأَنْبِيَاءُ

٨)

ان اهل الفترة لا يعذبون وهذا الذي ذكرته في الجواب اولى من الجواب بان
احاديثهم احاد فلا تعارض القطع بان اهل الفترة لا يعذبون او بان التعذيب
المذكور في الاحاديث مقصور على من بدل او غير من اهل الفترة بما لا يعذر به كعبادة الاوثان
وتغيير الشرايع وكان قايل هذا امحى من وجوب الايمان بالعقل والذي عليه اكثر اهل
السنة والجماعة انه لا يجب توحيد ولا غيره الا بعد ارسال الرسل اليهم ومن المقرر ان
العرب لم يرسل اليهم رسول بعد اسماعيل صلى الله عليه وسلم وان اسماعيل انتهت
رسالته بموته عليه الصلاة والسلام فلا فرق بين من غير وبدل وغيره ما عدا من صح تعذيبه
فيقصر ذلك عليه لانه لا قياس في ذلك وقول ابي حيان ان الرافضة القائلون ان
ابا النبي صلى الله عليه وسلم مومنون مستدلين بقوله تعالى وتقلبك في الساجدين فلك
رده بان مثل ابي حيان انما يرجع اليه في علم النحو وما يتعلق به واما المسائل الاصولية
لو فيها عنزل كيف والاشاعرة ومن ذكر معهم فيها من اتباعهم على انهم مومنون
ونسبه ذلك للرافضة وحدهم مع ان هولا الذين هم ايمة اهل السنة قائلون به
قصور اي قصور وتساهل اي تساهل **ما مضت فترة** وهي ما بين من الرسل
وبعثة الرسول الذي يليه كما بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم واختلفوا في قدرها
والمشهور انه نحو ستماية سنة اي زمن خال **من الرسل** جمع رسول ومن
تبعيضية اول الكتاب اي ما مضى زمن خال من الرسل في شيء ذكرك **الا** حدثته
وبشرت البشارة وهي الخبر السار **قومها** ليس فيه اضمار قبل الذكر
لان مرجع الضمير الفاعل وهو متقدم الرتبة وان تأخر لفظه على انه يحتمل
على بعد ان الضمير للفترة اي الا بشرت الاقوام التي في تلك الفترة **بك**
اي بقرب بعثتك وباهر رسالتك وعظمتك **الانبيا** اي الرسل الذين اتوا
بعد تلك الفترة وفي هذا اسناد لانه واضح على كمال شرفه صلى الله عليه وسلم

ورفعته على السنة الرسل وانه نبي الانبيا المقدم عليهم التابعون له هم واممهم
وشاهد ذلك قول الله تعالى عن عيسى صلى الله عليه وسلم ومبشرا برسول ياتي من بعدي
اسمه احمد ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابراهيم اي في اية ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم وبشارة عيسى بقوله ثم واذ اخذ الله ميثاق النبيين اي واممهم
وحذف اختصارا استغناء بذكر المتبوعين عن ذكر الاتباع لما مفتوحة توطية
للقسم الذي تضمنه اخذ الميثاق ولتؤمنن به يسد مسد جوابه وجواب ما
الشرطية ومكسورة اي لاجل ما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
اي وهو محمد صلى الله عليه وسلم لتؤمنن به ولتنصرنه الاية وقد اختلف المفسرون
فيما والذي قاله علي وابن عباس رضي الله عنهم وتبعهم الحسن وطاوس وقتاده
رحمهم الله تعالى اخذ على كل نبي بعثه من لدن ادم الى محمد صلى الله عليه وسلم امنوا به
وتنصروه ودعوى ان هذا هو معنى الاية دون الاول مردودة ولا ينافي الاول
العلم بان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يدركون حياته صلى الله عليه وسلم ولا الحكم
في اخر الاية بالفسق على تولى عن ذلك لان التعليق في مثل ذلك لا يستلزم الوقوع
الا ترى قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا
منه باليمين والمقصود انه لو فرض انه بعث وهو احيا لزمهم ذلك كما ان القصد
من هاتين الايتين الفرض والتقدير ايضا ومن ثم قال الامام التقي السبكي دلت
الاية على انهم لو ادركوا زمنه صلى الله عليه وسلم كان مرسلا اليهم فتكون نبوته
ورسالته عامة لجميع الخلق والانبيا واممهم من لدن ادم الى قيام الساعة ويكون قوله
في قوله وارسلت للناس كافة وحكمة اخذ هذا الميثاق على الانبيا عليهم الصلاة
والسلام اعلامهم واممهم بانه المتقدم عليهم وانه صلى الله عليه وسلم نبيهم ورسولهم
وقد ظهر ذلك في الدنيا بكونه امامهم ليلة الاسرا ويظهر في الاخرة بانهم كلهم

لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم
وهو حي لتؤمنن به ولتنصرنه
ويلزم من هذا ان الانبيا كانوا
ماخوذ الميثاق من اممهم بانهم
اذا ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم
٣ ص ٥

تحت لوايه بل وفي اخر الزمان يكون عيسى عليه الصلاة والسلام نزل حاكما بشرع
محمد صلى الله عليه وسلم دون شريعة نفسه ثم بين الناظم بعض فوايد تلك البشارة
في تلك القراات فقال **تتباهى** اي تتفاخر **بك** اي بوجود لك **العصور**
اي الازمنة الطويلة من لدن ادم الى يوم القيامة وما بعده فكل عصر يفخر على العصر
الذي قبله لوجودك فيه بكمال اعلاما قبله ولو في ضمن ابايك لكن اعظمها افتخارا
العصر بروزك الى هذا العالم ثم عصر نشاتك ثم عصر رضاعتك فشق بطنك
فتعبدك بحرا وغيره ثم عصر نبوتك ثم عصر رسالتك ثم عصر دعايك الخلق الى
الله تعالى ثم عصر اقبالهم عليك ثم عصر معراجك ثم عصر هجرتك ثم عصر
جهادك ثم عصر سراياك وبعوثك ثم عصر فتوحك ثم عصر دخول الناس في دين
الله افواجا ثم عصر حجك ثم عصر اتباعك على تفاوتهم الى يوم القيامة كما
دل عليه الحديث المشهور لا تزال طايفة من امتي فمزاياه تتزايد في كل عصر
من اعصار حياته صلى الله عليه وسلم على ما قبله وبحسب ذلك يكون افتخار ذلك
العصر على غيره وكذلك عصر اتباعه تتفاوت بتفاوت مزاياهم المستمدة من
مزاياه واعمالهم المتضاعفة له تضاعفا يفوق الحصر لان كل عامل يتضاعف له صلى
الله عليه وسلم بحسب عمله ولذلك كل واسطة بينه وبينه لانه الدال للكل ومن دل
على خير فله مثل اجر فاعله فكل حال يتضاعف له بحسب تضاعف من بعده ويضاعف
للنبي صلى الله عليه وسلم تضاعف الجميع وهذا شي يقصر عن ادراك كنهه العقل
ثم مقامه المحمود وشفاعته العظمى في فصل القضا ثم عصر بقية شفاعاته
ثم عصر وسيلته وفضيلته التي يعطاها في الجنة مما لا تدرك غايته ولا
تحد نهايته فكل هذه العصور تفتخر به بحسب ما يقع فيها من كماله لان الازمنة
والامكنة تتشرف بشرف من يكون فيها وما يكون فيها من المزايا والكمالات

١٦

اعصر

ولذا قال بعضهم ان ليلة مولده صلى الله عليه وسلم افضل من ليلة القدر وهو صحيح
لولا النص على خلافه على ان ليلة القدر من خصوصياته فتفضيلها انما هو لاجله
وتسموا اي تعلوا وترتفع من سموت وسميت كعلوت وعليت بك
اي بتلبسها بك مرتبة عليا تانيث الاعلا بعدها في الزمان والعلو مرتبة عليا
اي اعلا منها الى لك في كل عصر من العصور المذكورة مرتبة اعلا مما قبلها واعلا منها بعدها
وهكذا الى ما لا نهاية له ودليل تفاوت مراتبه كما ذكر قوله تع وقل رب زدني علما ولا
شك ان علومه ومعارفه متزايدة متفاوتة اي ما لا نهاية له ومن قوله صلى الله عليه وسلم
انه ليغان على قلبي فاستغفر الله قال العارف القطب ابو الحسن الشاذلي
هذا غين انوار لا غين اغيار اي لانه صلى الله عليه وسلم كان دايم الترقي فكان كلما توالت
انوار العلوم والمعارف على قلبه ارتقى الى مرتبة اعلا مما هو فيها ورأى ما قبلها دونها
فيستغفر تواضعا طلبا للتزايد كماله وفي قول الناظم وتسمو الخ من البديع ما لا يخفى
عظمه ورفعة لانه جعل تلك المراتب هي التي تسمو وترتفع به والذي يجري على ما هو
المتبادر انه الذي يسمو ويرتفع بها لما هو الحق انه تع خلقه في عالم اكمل كمال يمكن
ان يوجد لمخلوق مشهد ابرزه في عالم الخلق متدرجا في تلك المراتب ويتشرف بها
لا يتشرف هو بها لما علمت انه كامل قبلها فتامل ذلك فانه دقيق غفل عنه الكثير
وبدا اي ظهر للوجود اي لهذا العالم منك كريم اي سالم من
صفة نقص جامع لكل صفة كمال وهو احد انواع التجريد الذي هو من انواع
البديع وهو اعني التجريد ان ينتزع من امر ذي صفة امر اخر مماثل لذلك الامر في
كانه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه موصوف اخر بتلك
الصفة وهو انواع منها ما يكون بمن التجريدية كما هنا نحو قولهم لي من فلان صديق حميم
اي قريب يهتم لامره اي بلغ فلان من الصداقة حدا صح معه ان يستخلص منه

فلان

٩ وَبَدَا لِلْوُجُودِ مِنْكَ كَرِيمٌ مِنْ كَرِيمٍ آبَاؤُهُ كُرَمَاءُ
نَسَبٌ تَحْسِبُ العُلَا بِحُلَاهُ قَلَّدَتْهَا نُجُومَهَا الجَوْزَاءُ

فلان اخر مثله في الصداقة لهو صلى الله عليه وسلم لكمال صفة الكرم صح ان ينتزع منه
شخص كريم مبالغة في صفة كرمه وكماله فيه ثم ذلك الكريم الذي ظهر وهو محمد صلى الله
عليه وسلم وجد من اصلاب وام كريم اي سالم من نقص الجاهلية فالكريم
هنا فيما بعده غيره مما علم بما مر وياتي وهذا الظاهر في اسلام ابويه صلى الله عليه وسلم
ومر ما في ذلك اباؤه اي جميعهم كما افادته الاضافة فهي لمن ادم الى ابيه صلى الله عليه
وسلم واراد بالابا ما يشمل الامهات لما قدمه ان النوعين مختاران للاختيار والكرم
ما لهما واحد كرما اي سالمون من سفاح الجاهلية ونقصهم تغليبه
قال ابن دحية اجمع العلماء والاجماع حجة على انه صلى الله عليه وسلم كان انما انتسب
الى عدنان معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون لكن قال السهيلي الاصح
ان هذا من قول ابن مسعود قال غيره كان مسعود اذا قرا والذين من بعدهم لا يعلمهم
الا الله قال كذب النسابون انهم يدعون علما وقد نفى علمها عن العباد وعن ابن
عباس بين اسماعيل وعدنان ثلاثون ابا لا يعرفون وممن صرح انكر مالك رضي الله
تعالى عنه على من يرفع لنسبه الى ادم وقال من اخبره بهذا او ان ذلك من كلام المؤرخين
الذي لا دليل عليه ولا ثقة به مع ما فيه من التخليط والتغيير وقلة الفائدة هذا
نسب عظيم بل لا اظهر ولا اجل سنده في الانساب وهو اسم لعموم القرابة
الذي لم يجمع متفرقها تحسب ايها المخاطب اي تظن العلا جمع عليا
تانيث اعلا كما مر بحلاه بضم اوله وكسره وهو افصح جمع حلية بكسر اوله
اي بسبب حلا ذلك النسب قلدتها اي العلا في محل مفعول تحسب
الثاني والاول العلى نجومها اي بنجومها الجوزا اسم لبرج في السما
كما في القاموس وعليه فنجومها هي الانجم ويطلق على قابل النجوم المجتمعة
المعروفة قيل وهي تشبه المرأة فلذا انسب التقلد اليها و لا بدع ان ينسب

اي التي من حيث هو مجموع انه قلد عنقه كلا من تلك الافراد التي اشتمل عليها
او يقال ان المراد بنجومها هنا ما حواليها من النجوم التي تسمى نطاق الجوزا
وقبة الجوزا كما قال القائل لو لم تكن فيه الجوزا احد منه لما رايت عليها عقد منتطق
اي من كمال النسب وشرفه ان من تامل فيه حسب بسبب ما تحلى به الكمالات
ان معاليها قلدتها الجوزا بنجومها اي جعلت نجومها قلادة لها فعلم ان كلا من ابائه
ان علا واحد من اوليك الاباء الكرام قد ارتفع قدر مانه حتى صار كانه النجم في الشرف
وعلو المرتبة والاضاءة والاهتداية في ظلمات البر والبحر حتى يظن الظان انه نجم
من نجوم الجوزا وان ذلك النسب في العقد الثمين جدا الذي تقلده عنق الكمال
المراتب العلية فعلم من هذا مع ما قدمته في مبحث الاستعارة من انواعها ما في
هذا البيت البالغ الغاية في البلاغة كاستعارة نجوم الجوزا المتتابعة كتتابع ذلك
النسب في الشرف وعلو المراتب ولما قرر ان مجموع ذلك النسب كالعقد الثمين الذي
تقلدته تلك المراتب العلية اخذ في مدح ذلك فقال **حبذا** وهي كنعم عملا
ومعنى مع زيادتها عليها باشعارها بان الممدوح بها محبوب للقلب واصله حبب
بالضم اي صار حبيبا لا حب بالفتح خلافا لمن زعم فصار حب وذا ان ذا فاعله ويلزم
الافراد والتذكير وان كان المخصوص بخلاف ذلك لانه كالمثل والامثال لا تتغير
او لانه حذف فالتقدير في حبذا هند حبذا حسنها وحبذا زيد حبذا امره وشانه
فالمقدر المشار اليه مفرد مذكر دايما حذف واقيم المضاف اليه مقامه او لانه علي ارادة
جنس شايع اقوال والاكثرون علي [illegible] الاول وقيل حبذا كله فعل
وفاعله المخصوص وقيل الكل اسم واحد واختاره ابن عصفور فهو مرفوع اتفاقا ثم
هل هو مبتدا خبره المخصوص او عكسه قولان وعلى الاول ان ذا هو الفاعل
المخصوص مبتدا الجملة وهي خبره والرابط ذا وقيل مبتدا محذوف الخبر

وقيل

الثالث

حَبَّذَا عِقْدُ سُودَدٍ وَفَخَارٍ اَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصْمَاءُ

وقيل عكسه وكانه قيل من المحبوب فقال زيد اي هو وقيل بدل من ذا وقيل عطف بيان
له ولا يتقدم مخصوص حبذا عليها وان جاز تقديمه بقلة علي نعم لانها فرع عنها فلا تساويها
في تصرفاتها ويحذف بقلة ويكون قبل المخصوص او بعده نكرة منصوبة
مطابقة حبذا الصبر شيمة وحبذا رجلين الزيدان ثم ان اشتق
اعرب حالا والا فهو تمييز علي خلاف ستعرفه والناظم حذف هنا لدلالة
المقام عليه والتقدير حبذا كمالا [illegible] وتدخل عليها لا فتساوي بيس في العمل
والمعنى مع زيادة ما تقدم في حبذا وهي غير متصرفة فلا مصدر لها ومن ثم عملت فيما
عداه كالظرف والتمييز والحال وان توقف ابو حيان في الاخيرين وتجرد من ذا
بضم اولها ويجوز بقلة فتحه وجر فاعلها بالباء كحب بها واما اطلت في هذه لان
كلام الشارح فيها غير موف بالمراد مع انه لا يخلو كالشطر في حذفه مامر من ابهام
فتامله **عقد** بكسر اوله وهو القلادة من الجوهر **سودد** اي سيادة
وفخار اي تمدح بالخصال الجليلة **انت فيه** اي ذلك العقد وفي نسخ فيها
نظرا الي المعنى لما تقرر ان العقد القلادة **اليتيمة** التي لا شبيه لها في جنسها
العصما من العصمة اي الحفظ او المنع لان من شان هذه الدرة ان يبالغ في
حفظها ومنعها عن ان تصل اليها يد الاغيار وجملة انت وما بعده صفة لعقد
او حال منه لتخصيصه بالاضافة وهذا فيه غاية المدح له صلى الله عليه وسلم والنسبة
اي حبذا فيك الذي اذكرت وعددت معك اباؤك كانوا قلادة منتظمة من جواهر
ثمينة لها السيادات والفخار علي جميع الجواهر وكنت انت اعظمها وانفسها واجلاها
بحيث تكون انت واسطتها العديمة النظير والمخصوصة من الرعاية والحفظ والمنع
بما لم يوجد لغيرها لتميزها ببلوغها من صفات الجمال ونعوت الجلال ما يبهر العقل
ويفوق الوصف وشاهد هذا ما مر من الاحاديث الصحيحة الصريحة في انه صلى الله

وَمُحَيًّا كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُضِيءٌ أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةٌ غَرَّاءُ

عليه وسلم افضل المخلوقين والخليفة الاكبر عن رب العالمين ولما تم مدح كماله
ونسبه اخذ في مدح ذاته فقال **ومحيا** اي وجه **كالشمس منك** وجه الابغ
مضيء مبتدا خبره كالشمس والجملة صفة لمحيا او حال منه
حال من محيا لتخصيصه بمنك وشاهد هذا حديث البخاري عن الربيع بنت معود لو رايته
لقلت الشمس طالعة وحديث احمد والترمذي والبيهقي وابن حبان عن ابي هريرة رضي الله
تعالى عنه ما رايت شيا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه
وحديث مسلم عن جابر بن سمرة وقال له قايل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل السيف فقال لا مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وبين بذلك الرد على من شبهه
بالسيف في الطول وانه جمع صفة الشمس من الاشراق والاضاة وصفة القمر من الحسن
والملاحة ومن حديث علي الترمذي والبيهقي كان في وجهه تدوير اي قليل مع سهولة
خديه وهو احلى ما يكون عند العرب وعلم بما تقرر انهم لم يقصدوا بالتشبيه بهما الا ما
من قول ابي نواس قال • تتيه الشمس والقمر المنير • اذا قلنا كانهما الامير
• كان الشمس تغرب في جبيني • وان البدر يقصده المسير
نعم قول ابي هالة يتلالا وجهه تلالا القمر ليلة البدر ربما يفوق التشبيه بالشمس
من حيث ان القمر يملا نوره الارض احوج ما كانت اليه ويونس كل من شاهده
فهو يجمع النور من غير اذى ويتمكن الناس من مشاهدته بخلاف الشمس فانها تغشي
البصر وتمنع من تمكن الروية اليها ولك ان تقول لا يعرفه لما علم مما قدمته ان
وجه الشبه مراعا وح فالتشبيه بالشمس مع رعاية وجه الشبه بها ابلغ منه بالقمر قال
تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وشتان ما بينهما **اسفرت** صفة او حال
ابغ اي تجرت وانتقصت **عنه** اي منه عن ذلك المحيا او اضاف متجاوزة عنه
ليلة عظيمة **غرا** اي بيضا بظهور نوره فيها وعقبها وهذا اولى جعل ذلك

الظهور

لَيْلَةَ الْمَوْلِدِ الَّذِي كَانَ لِلدِّينِ سُرُورٌ بِيَوْمِهِ وَازْدِهَاءُ

الظهور القمر فيها بناء على انها ليلة ثاني عشر ولكونها من الغرر بناء على انها الليلة ثاني الشهر
وغرته ثلاث ليال لان كلا من هذين لا مدح له فيه صلى الله عليه وسلم بخلاف الاول من الغرة
وهي بياض في وجه الفرس لانه غرة في وجه الدهر حسنا ابدل منه قوله **ليلة المولد** بكسر
اللام زمن الولادة وبفتحها مكانها وكلاهما ههنا بعيد فالاحسن انه مصدر ميمي اي ليلة
الولادة **الذي كان** اي دام واستمر على حد وكان الله غفورا رحيما **للدين** وهو
لغة الخبر او اصطلاحا الشرع المبعوث به النبي الكريم وحدانيته بانه وضع الهي سايق لذوي
العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات **سرور** اي فرح عظيم **بيومه**
واليوم في عرف الفلكيين وغيرهم من طلوع الشمس وفي عرف الشرع من طلوع الفجر
وازدها اي بهذه الليلة الغرا هي ليلة ولادته وانت اشرف مولود فلاجل ذلك سر
الدين واهله اليوم الذي برزت فيه الى هذا الوجود على الوجه الاكمل وافتخر وتاه به
على ساير الاديان والايام **تنبيه** اضاف الناظم كلا من الليلة واليوم الى
المولد فاحتمل ان يكون من القايلين بانه ولد ليلا واستدلوا بما رواه ابن السكن من حديث
عثمان بن العاص عن امه فاطمة بنت عبد الله الثقفية انها شهدت ولادة النبي صلى الله
عليه وسلم ليلا قالت فما شي انظر اليه في البيت الا نور واني لانظر الى النجوم تدنو حتى
اني لاقول لتقعن علي ورواه البيهقي ولم يذكر فيه الا النور وتدلي النجوم وبتصريح
عايشة رضي الله عنها ايض بذلك كما رواه الحاكم وان يكون القايلين بانه ولد نهارا وهو
ما يصرح به قوله الاتي تبوح قالت بوضعه ابنة وهب وهذا هو الاصح كما صرح به
حديث مسلم وغيره لكن بعد الفجر كما في حديث وان كان فيه ضعف لان الضعيف في الفضايل
والمناقب حجة اتفاقا فمن اطلق انه ولد ليلا اراد بالليل ما قبل طلوع الشمس او اراد
مجاز المجاورة وليس في رواية ان النجوم تدلت عنه ولادته الاتية ما يدل على ان
ذلك كان قبل الفجر لانها تكون بعد الفجر فيمكن تدليها حينئذ بل بعد طلوع الشمس خرقا

للعادة المبالغة في اكرامه صلى الله عليه وسلم وعلم انه ولد ليلا قيل ليلة مولده افضل من ليلة
القدر واستدل قايله بوجوه كثيرة كلها مدخولة كما يعلم الواقف عليها ان حقق
ودقق وعلى انه ولد نهارا فهو يوم الاثنين اتفاقا وصح به خبر مسلم فقيل انه في شهر
غير معين والمشهور انه معين وهو صفر او ربيع الاول او الاخر او رجب او رمضان او يوم
عاشورا اقوال والاصح انه في شهر ربيع فقيل ان اليوم منه غير معين والاصح انه معين
فقيل لليلتين منه وقيل لثمان واختاره اكثر اهل الحديث وغيرهم بل اجمع عليه اهل الزيج
وقيل لعشر وقيل لثنتي عشرة وهو المشهور وعليه العمل وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان
بقين منه وانما لم يكن في يوم الجمعة ولا في بعض الاشهر الحرام او رمضان لئلا يتوهم انه
صلى الله عليه وسلم تشرف بذلك الزمن الفاضل فجعل في المفضول ليظهر مرتبته به على
الفاضل ونظير ذلك دفنه صلى الله عليه وسلم بالمدينة دون مكة لانه صلى الله عليه وسلم
لو دفن بها لكان يقصد تبعا لها فافرد صلى الله عليه وسلم بموضع مفضول عند اكثر العلما
ليتشرف به بل يفوق به الفاضل عند كثير منهم وليقصد قبره ومسجده بطريق الاستقلال
لا التبعية اظهارا لمزيد كرامته على ربه واختلفوا في عام ولادته صلى الله عليه وسلم والاكثر
انه عام الفيل بل حكي الاتفاق عليه والمشهور انه ولد بعده بخمسين يوما ووراء ذلك اقوال
اخر منه خمسة وخمسون يوما اربعون عشر سنين خمس عشر سنة وابعد كونه بعد بالله
ارهاص لنبوته هذا وولد بمكة وتقدمه لظهوره صلى الله عليه وسلم وفي محلها والصواب انه
بمكة قيل بالشعب وقيل بالردم والمشهور انه المسجد المشهور الان بالمولد وزعم انه بعسفان
شاذ لا يعول عليه فقد صرح بعض ائمتنا ان اول واجب على الاولياء ان يعلموا صبيانهم
ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينة بل قيل انكار ذلك كفر لاستلزامه
انكار وجود النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو محمد صلى الله عليه وسلم **وتوالت** اي تتابعت
بشرى اي بشارة **الهواتف** جمع هاتف وهو ما يسمع هتفه اي صوته

وقيل

وَتَوَالَتْ بُشْرَى الْهَوَاتِفِ أَنْ قَدْ وُلِدَ الْمُصْطَفَى وَحَقَّ الْهَنَاءُ

وقيل الصوت الخفي ولا يرى شخصه والمراد هنا اعم من ذلك لان البشارة به جاءت في
كتب الله تعالى والسنة الاخبار والكهان والجان كما استوعبه اهل السير وجمع اكثره ابن
ظفر في كتابه البشر بخير البشر
اي المختار على الخلق كلهم **ان** اي بان متعلق ببشرى **قد ولد المصطفى**
وحق اي ثبت **الهنا** اي الفرح والسرور لكل الخلائق
به قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والبشارات به صلى الله عليه وسلم على الانواع المذكورة
كثيرة لا يحتملها هذا المحل لكن منها ما جاء انه حين ولد هتف هاتف على الحجون وقال
فاقسم ما انثى من الناس انجبت ولا ولدت انثى من الناس واحده كما ولدت
زهرية ذات مفخر مجنبة لوم القبايل ماجده وهتف اخر على ابي قبيس باربعة
ابيات فيها معنى ذلك وزيادة ومنها ان سواد بن قارب الدوسي لما قدم على رسول
صلى الله عليه وسلم واسلم وحسن اسلامه اخبره ان رئيه انشدته ابياتا ثلاث ليال
متواليه وذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها [illegible] قارب على المنبر اي رسول الله صلى الله
عليه وسلم والايمان به وبظهور [illegible] ومنها ما جا بسند ضعيف ان راهبا كان بمر الظهران
يقول يوشك ان يولد فيكم يا اهل مكة ولد اسمه محمد تدين له العرب ويملك
العجم هذا زمانه فكان لا يولد بمكة مولود الا سال عنه فجاء عبد المطلب صبيحة ولادته
صلى الله عليه وسلم فلما راه قال كن اباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت احدثكم عنه فما
سميته قال محمدا وروى الحاكم عن عايشة رضي الله تعالى عنها انه كان بمكة يهودي في
نصاح ليلة ولادته يا اهل مكة هل ولد لكم في هذه الليلة مولود قالوا لا نعلمه قال ولد هذه
الليلة نبي هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كانهن
عرف فرس فادخلوه على امه واخرج لهم فكشف عن ظهره فراى تلك الشامة فخر
مغشيا عليه فلما افاق قالوا ما لك ويلك قال والله ذهبت النبوة من بني اسرائيل
وذكر الحافظ ابو سعيد النيسابوري ان نور النبي صلى الله عليه وسلم لما صار الى عبد الله

فيه رائحة المسك الاذفر
ابن عبد المطلب وكان يضيء في غرته ويفوح من
وكانوا يستسقون به فيسقون نام في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسي
حلة البهاء والجمال فتحير فيمن فعل به ذلك فانطلق به ابوه الى كهنة
قريش فقالوا ان اله السموات قد اذن لهذا الغلام ان يتزوج ونام مرة اخرى
في الحجر فراى رؤيا قصها على الكهان فقالوا له صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك
من يؤمن به اهل السموات والارض وليكونن من الناس علما مبينا وذكر الحافظ ان
زمزم كانت اندرست فراى عبد المطلب ما دله عليها فحفرها فاذاه سفهاء
قريش ولم يكن له الا ولده الحارث فنذر ان رزق عشر بنين ليذبحن احدهم لله
فلما تمموا عشرة راى من يامره بوفا نذره فانتبه وذبح كبشا فراى انه لا يجزيه فذبح ثورا
فراى وهكذا حتى امر بذبح احد بنيه كما نذر فاقرع بينهم فخرجت على عبد الله
فجاء به ليذبحه عند باب الكعبة فمنعه سادة قريش وامروه بمشاورة كاهنة
فاشارت ان يقرع بينه وبين عشر من الابل وانه كلما خرجت القرعة عليه يزاد عشرة
فلما بلغت مائة خرجت عليها فذبحها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انا ابن
الذبيحين وصح انه صلى الله عليه وسلم اقر من قال له ذلك والثاني اسماعيل على انه الذبيح
وعليه الاكثرون فقد مر ان العرب تسمي العم ابا **و** من عجائب ليلة ولادته صلى الله
عليه وسلم انه **تداعى** تهادم اي اشرف على الانهدام كانه انشق شقا بينا آية به
الاغراب **ايوان** بكسر الهمزة ويقال فيه اوان ككتاب وفسره الجوهري
بانه الصفة العظيمة كالازج وغيره بانه بيت مؤزج اي مبني طولا مسدود
الوجه اي فهو صفة طويلة واسعة بابا ولها عقد واسع قال وهو فارسي
وقيل هو البيت العالي وقيل بيت كبير مستطيل ذو شرفات وقيل بيت
الملك المعد لجلوسه مع ارباب مملكته لتدبير مملكته والحاصل ان ذلك

الايوان

وتداعى ايوان كسرى ولولا آية منك ما تداعى البناء

الايوان كان من اعاجيب الدنيا سعة وبناء واحكاما **كسرى** انوشروان
بفتح الكاف وكسرها معرب خسرو اي واسع الملك وهو لقب لكل من ملك الفرس كقيصر
لملك الروم وتبع لملك اليمن والنعمان لملك العرب من قبل العجم والنجاشي
لملك الحبشة وفرعون لملك القبط والعزيز لملك مصر وجالوت لملك البربر
وخاقان لملك الترك **ولولا** حرف امتناع لوجود اي امتنع جوابها لوجود
تاليها **آية** صادرة **منك** اي الوجود اي علامة عظيمة على نبوتك ورسالتك
العامة وان كان من عاندك لا يرتفع له راس وفيه التفات من الغيبة الى الحضور
والاصل منه اي المصطفى **ما تداعى البنا** اي هذا المبنى المذكور مع ما هو عليه
من العظم والاحكام الذي كان يظن انه لا تهدمه الا نفخة الصور اذ قد تحرك وسقط
منه اربع عشرة شرافة حتى فليس ذلك الا محض انه منه صلى الله عليه وسلم للوجود على
نبوته صلى الله عليه وسلم وانه لا ملك ولا عز يبقى مع ملكه وعزه وسر تلك الاربع عشرة
الاشارة الى انه لم يبق من ملوكهم الا اربعة عشر فملك عشرة في اربع سنين واربعة
الى زمن عثمان وقد فتح في زمن عمر رضي الله تع عنه اكثر اقليم فارس وكسر كسرى
واهانه غاية الهوان وتمزقوا في اقصى مملكته ثم قتل في زمن عثمان رضي الله تع
عنه وزال ملكه بالكلية وصح انه صلى الله عليه وسلم اخبر بانه اذا هلك كسرى
فلا كسرى بعده وان امواله وكنوزه تنفق في سبيل الله تع فانقطع ملكه وزال من
جميع الارض وتمزق مملكته كل ممزق لانه صلى الله عليه وسلم دعا عليه بذلك لما جاءه كتابه
ثم قد بشر صلى الله عليه وسلم امته في حفر الخندق بملك بلاده وقال لسراقة وكان من
نفر اصحابه كيف بك اذا البست سواري كسرى فلما اتي بهما عمر رضي الله تع عنه
البسهما اياه اي لاظهار المعجزة وذلك عذر صحيح وقال الحمد لله الذي سلبهما
كسرى والبسهما سراقة ولما راى كسرى ما وقع بايوانه وراى تلك الليلة الموبذان

اعلم علما مملكته راي الابل الصعاب تقود خيلا عرابا قطعت وانتشرت في بلادها
ان فزع كسري ذلك فسال الراوي فقال حدث يكون من ناحية العرب فكتب الي النعمان ابن
المنذر ملك العرب ان يرسل اليه اعلم من في ارضه من العرب فبعث اليه عبد المسيح بن عمرو
الغساني وكان معمرا فقال له خاله سطيح يعلمني وهو بالشام فامره كسري بالذهاب اليه فجاه فوجده
مشفيا على الموت فاخبره سطيح بما من جله عبد المسيح على جمل مشيح الي سطيح وقد وافا على
الضريح بعثك ملك ساسان لارتجاس الايوان اي تحوله وخمود النيران ورويا الموبذان راي
الابل الصعاب تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح اذا
كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وفاض وادي سماوة اي قرية بين الكوفة والشام والميت
من العواصم وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ثم
للفرس منهما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو ات ثم
قضي سطيح مكانه وسمي صلي الله عليه وسلم صاحب الهراوة لانه كان في يده القضيب كثيرا وكان
يمشي بين يديه بالعصا يصلي اليها قال القاضي واراها العصا المذكورة في حديث الحوض
اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن اي لاجلهم ليتقدموا وسمي ايضا صاحب القضيب اي السيف
كما في الانجيل فهو صاحب العصا عبر بها الاخبار والقضيب بيده الاسرار ومن العجائب
التي ظهرت ليلة ولادته ايضا ليتنبهوا دينا الوعي سبب ذلك انه **غدا** اي صار في تلك
الليل **كل بيت نار** اي كل واحد من بيوت نار الفرس التي كانوا يعبدونها ويشتد
ابقادهم لها حتى ان لها سنة لم تخمد ونار من ذوات الواو وانما جمعت على نيران لانكسار
ما قبل الواو والمستلزم لقلبها يا **و**هي للحال وفيه موافقة لما ذهب اليه الجمهور وتبعهم ابن
مالك ان المنصوب بعد غدا حال اذ لا يوجد الا نكرة وقال قوم الزمخشري وابو البقا
والجزولي وابن عصفور فجعلوه خبر سيبويه كانت بمعني صار وبمعني وقع بفعله في وقت
الغدو والرواح وجعلوا من ذلك اغد عالما وحديث تغدو اخماصا وغدا زيد ضاحكا الي

صار

وَغَدَا كُلُّ بَيْتِ نَارٍ وَفِيهِ كُرْبَةٌ مِنْ خُمُودِهَا وَبَلَاءُ
وَعُيُونُ الْفُرْسِ غَارَتْ فَهَلْ كَانَ لِنِيرَانِهِمْ بِهَا إِطْفَاءُ

26

صار في حال صحك **فيه كربة** بضم اوله اي غم ياخذ بالنفس وربما اهلكها
من اجل **خمودها** اي سكون لهبها من غير ان يطفا جمرها والا قيل همدت **وبلا**
عظيم صبه الله عليهم صابا زالذما يعتقدونه التعظيم وتعبدهم لانهم مجوس فكان في
اقليم الفرس من بيوت النار الموقده المياه من السنين ما تحيل العاده انطفاه فاذا
انطفات تلك النيران كلها في ساعة واحدة تلك الليلة علموا ان ذلك لامر عظيم
حدث في العالم وكان كذلك وسببا لازالة ملكهم وتمزيقهم كل ممزق كامر **و**من تلك
العجائب ايضا **عيون** فهو مبتدا اسوغه وصفه بقوله **للفرس** بالضم ويقال
فارس ومنه حديث وفاد منهم فارس والروم وهم امة عظيمة كان مسكنهم في شمال
العراق من الفراسة بالفتح اي الشجاعة وكرهب من اجل ملوكهم **غارت** في الارض حتى لم
يبق منها قطرة ومنها بحيرة طبرية التي كان فيها من كثرتها وسعتها ما تحيل العادة
غيضها ولذا قيل طولها ستة اميال وعرضها مثل ذلك وتسمي عين ساوة لبلد معروف
بينها وبين الري اثنان وعشرون فرسخا وقيل موضع بالشام **فهل** استفهام للتعجب
من حالهم او للتوبيخ وتقريعهم **كان لنيرانهم بها** اي بتلك المياه التي غارت
اطفا لا بل لم يطفها الا سر وجود نبينا صلى الله عليه وسلم وظهوره المضمحل به كل
كهود باطل ولذا قال **لمولد** عظيم بالجر بدل من المولود والرفع خبر مبتدا محذوف
كان اي لما صار على الدوام **منه** اي من اجله او من لابتدا الغاية
في طالع الكفر اي في نجم النوم او الالهام الذي يطلع به على عواقب الكفر وغايات اهله المترتبة عليه
كرويا الموبذان والهام سطيح السابقين انفا ويصح ان يراد ان المولد نفسه اطلع كل
ذي بصيرة على ان الفرس الكفار حل بهم **وبال** اي ضرر عظيم اي على اهله
الذين هم الفرس المخطر بدليل السياق او اعم بدليل الواقع **ووبا** ويجوز قصره وهو
المرض الشديد العام وهما وفيهما الجناس اللاحق كنايتان عما اعتراهم بوجوده من اشراق

فهنيئا لآمنة الفضل الذي شرفت به حواء من لحواء بأنها حملت أحمدا أو أنها به نفساء

مكلهم على الزوال ومما حل بهم من البوار والوبال والهوان والنكال فـ بسبب ما حصل بوجوده صلى الله عليه وسلم في هذا الكون لهذه الامة من المزايا وله من العطايا ولابائه ولامهاته صلى الله عليه وسلم من الشرف الاكبر والتمييز الاظهر حق ان يقال في شان امه لآمنة به الفضل اي ثبت لها الفضل اي الكمال والشرف والعلو حال كونه هنيئا اي لا اثم فيه ولا نكد نوحال عند الاكثرين موكده لعاملها الملتزم اضماره اذ لم يسمع الا كذلك وقال المبرد انه مصدر كالعافية واصل ذلك انهم انابوا عن المصدر صفات كعايذا بك وهنيا لك قال بعض المغاربة وهي موقوفة على السماع وقال غيره انه مقيس عند سق بقال لكل من لا يزم صفه وهنيا اسم فاعل من هني او هنو كشريف الذي شرفت به فمن دونها من امهاته الى من شرف ما اتاك بلا مشقة حوا امه فان الولادة منسوبة الى كل منهن لكنها اليهن بواسطة ولا منه بد ونها فمن ثم خصها من بينهن بذلك وزاد في مدحها بانها شرفت بما شرفت به ام البشر وزيادة عدم الواسطة فذكرها لهذا وللجمع بين طرفي الولادة الاول والاخر وليفيد على ان حوا امتازت بابرازه الى الوجود من عالم الاصلاب وامنه امتازت بابرازه الى عالم الاستقلال مع عدم الواسطة ومن ثم قال مبينا تميزها على حوا بذلك من استفهام استبعادي يعني اي ومن ذا الذي يفرح لها بانها او يشفع لها في لحوا انها حملت احمد النبي بالتنوين للضرورة اي حملت به وهو من عزيز اسمايه وقد سماه الله به على لسان موسى عليه الصلاة والسلام كما في الحديث وعيسى صلى الله عليه وسلم كما في القران وهو منقول من الصفة التي معناها التفضيل فمعناه احمد الحامدين لربه وكذلك هو في المعنى لانه يفتح يوم القيامة عند سجوده تحت العرش ليال في الشفاعة العظمى وهو مقامه المحمود بمحامد لم يفتح على احد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لوا الحمد ويكون تحته ادم فمن دونه او انها به نفسا اي اصابها نفاس وهو الدم الخارج عقب الولادة وذلك لان النفس اي وبانها ولدته بلا واسطة اي قدر لها ان تحمله وتلده

يوم نالت بوضعه ابنة وهب من فخار ما لم تنله النساء

بلا واسطة لكان لها به غاية الفخر لكن لم يقدر ذلك لها بل لامنه لما سبق في علم الله ان فيها الفايزة بطرف الانتهاء وهو افضل مما فازت به حوا من طرف الابتداء او لما قال يوم بدل من رسول اسم زمان اي اعطيت نالت اي بسببه امنه ابنة وهب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب بن مرة لتو يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابايه من كلاب وكان وهب سيد بني زهرة سنا وشرفا وام امنه ابنة عبد العزى بن قصي بن عبد الدار بن قصي بن كلاب من فخار بيانية وهو التمدح بالخصال العليه والشيم المرضية ما لم تنله النسا حتى حوا كما مر وهذا لا يقتضي افضليتها على حوا مطلقا لانها انما فضلت من وجه واحد وهو ولادتها له صلى الله عليه وسلم بلا واسطة والتفضيل من حيثيه من مزية واحدة او مزايا لا يقتضي الافضلية على الاطلاق وانما ذكرت ذلك لان الاجماع قام في حوا على ايمانها الكامل وامنة وقع الخلاف في ايمانها في نجاتها ونقل عن الاكثرين عدمهما ولكن الاصح بل الصواب خلافه كما مر ومما نالته ما اخرجه ابو نعيم والخرايطي وابن عساكر ان عبد المطلب لما خرج بعبد الله ليزوجه للرويا التي راها وقد مر فيه رانه كاهنة قرات الكتب فرات نور النبوة في وجهه ومن ثم كان اجمل رجل في قريش فسالته ان يقع عليها وتعطيه ما نحر من الابل فابي وقال اما الحرام فالممات دونه فمضى به حتى اتي به وهبا ابا امنه فزوجه بها وهي يوميذ افضل امراة في قريش نسبا وموضعا فوقع عليها يوم الاثنين ايام منى عند الجمرة ثم خرج ومر على تلك المراة فلم تكلمه فسالها لم لا تعرضي نفسك الان علي قالت فارقك النور الذي كان معك ولا حاجة لي فيك وذكروا انه لما استقرت تلك النطفة الكريمة فيما اصبحت اصنام الدنيا منكوسة واخضرت الارض وحملت الاشجار وكانت قريش في جدب شديد فسميت تلك السنة سنة الفتح ونودي في الملكوت ان النور المكنون قد انتقل الى بطن امنة ذات العقل الباهر والفضل الظاهر قد خصها الله تعالى بهذا الحبيب لانها افضل قومها حسبا وازكاهم اصلا وفرعا وفي حديث ابن اسحاق

به صلي الله عليه وسلم قيل لها انك حملت بسيد هذه الامة وقالت
انها حدثت انها لما حملت
ماشعرت بحمله ولا وجدت علي ثقلا اجماعا بين الاحاديث واتاني ات وانا بين النائمة
واليقظانة فقال هل شعرت انك حملت بسيد الانام فلما استهلني حتي دنت ولادتي اتاني
فقال قولي اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا وبعد هذا البيت ابيات اخر مشهورة
ولا اصل لها كما قاله الزين العراقي واخرج ابو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما انه قال
كان من دلالة حمل امنة برسول الله صلي الله عليه وسلم ان كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت
حمل برسول الله صلي الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج العلما ولم يبق سرير ملك من ملوك
الدنيا الا اصبح منكوسا وفرت وحوش المشرق الي وحوش المغرب بالبشارات وكذلك اهل البحار
بشر بعضهم بعضا وله في كل شهر من شهور حمله نداي في الارض ونداي في السما ان ابشروا فقد آن ان يظهر
ابو القاسم ميمونا مباركا وروي ابو نعيم ان امنة انها قالت بعد ستة اشهر من حملها وقال
يا امنة انك حملت بخير العالمين فاذا وضعتيه فسميه محمدا واكتمي شانك ثم لما اخذها
الطلق وكانت وحدها رأت كان طاير ابيض قد مسح فوادها فذهب
رعبها ثم اتيت بشربة بيضا فاصابها نور عال ثم رايت نسوة كالنخل طوالا
فاحدقن بها فقالت من اين علمن بي وفي رواية ديباجا ابيض مد بين
السما والارض ورجالا بايديهم اباريق فضة وقطعة من الطير اقبلت حتي
غطت حجرتها مناقيرها من الزمرد واجنحتها من الياقوت ورات مشارق
الارض ومغاربها وثلاثة اعلام منصوبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما علي ظهر
الكعبة فاخذها المخاض فوضعته صلي الله عليه وسلم فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الي السما
كالمتضرع المبتهل ثم رأت سحابة بيضا غشيته فغيبته عنها فسمعت مناديا
يقول طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته
وصورته ويعلموا انه سمي الماحي لانه لا يبقي شي من الشرك الا محي في زمنه صلي الله عليه وسلم

ثم

وَأَتَتْ قَوْمَهَا بِأَفْضَلَ مِمَّا حَمَلَتْ قَبْلُ مَرْيَمُ الْعَذْرَاءُ

ثم تجلت عنه الي اسرع وقت وروي الخطيب البغدادي بسنده انها لما وضعته رات
سحابة عظيمة لها نور عظيم يسمع فيه صهيل الخيل وخفقان الاجنحة وكلام الرجال
حتي غشيته وغيب عنها فسمعت مناديا يقول طوفوا به جميع الارض واعرضوه علي كل
روحاني من الجن والانس والملائكة والطيور والوحوش واغمسوه في اخلاق النبيين
ثم انجلت عنه وقد قبض علي حريرة بيضا مطوية طيا شديدا ينبع منها ماء واذا قايل
يقول بخ بخ قبض محمد صلي الله عليه وسلم علي الدنيا كلها حتي لم يبق احد من اهلها الا دخل
طايعا في قبضته ثم رات ثلاثة نفر في يد احدهم ابريق فضة والثاني طست من زبرجد
اخضر والثالث حريرة بيضا فاخرج منها خاتما يحار الناظرون دونه فغسله سبع مرات
ثم ختم به بين كتفيه ثم احتمله فادخله بين اجنحته ساعة ثم رده الي امه **ف** يوم
اتت امنة **قومها** اسم جنس للذكور وقد يدخل فيه النسا تبعا كما هنا **ب** مولود
افضل بالاجماع **مما** اوقع ما علي العاقل وهو عيسي صلي الله عليه وسلم وان كان نادر الوقوع
في القران نحو لما خلقت بيدي والسما وما بناها الايات ولا انتم عابدون ما اعبد
وكلام العرب سمع من كلامهم سبحان ما سخركن لنا ولورود هذا وامثاله زعم قوم منهم
درستويه وابو عبيدة ومكي وابن خروف وقوعها علي احاد من يعقل كثيرا مطلقا وقال
السهيلي لا تقع علي اولي العلم الا بقرينة وتقع صفات من يعقل نحو فانكحوا ما طاب لكم من
النسا اي الطيبة منهن وعليه فما هنا نظير الاية لان من صفات من يعقل الحمل المذكور
حملت قبل اي قبل امنة ومر[illegible] ان بينهما نحو ستماية سنة امه **مريم العذراء**
بنت عمران الصديقة بنص القران قيل وهي من ذرية سليمان صلي الله عليه وسلم وبينهما
وبينه اربعة وعشرون ابا وفي الصحيح خير نسايها مريم ولذا فضلت علي جميع
النسا للخلاف في نبوتها وان كان شاذا ولما رفع عيسي عليه الصلاة والسلام الي السما

جمس

كان سنها ثلاث وخمسين سنة وبقيت بعد ذلك خمسين سنين وست
كما قال الجلال السيوطي قال ايضا ولما رفع الي السما تعلقت به امه وبكت
فقال لها ان القيامة تجمعنا **العذرا** اي البكر لانها لم تتزوج والعذرة البكارة
وحملها بعيسي عليه الصلاة والسلام انما هو نفخ جبريل عليه الصلاة والسلام في جيب
درعها فحملت به ووضعته من وقتها علي الاشهر كرامة لها ومعجزة له قيل
الله عليه وسلم وخصه بهذا مع تحرجه قيل بانه افضل الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لانه ينزل من السما علي منارة جامع بني امية البيضا شرقي دمشق كما رواه
مسلم في اخر هذه الامة ويقتل الدجال والخنزير ويبطل الجزية فربما توهم
من ذلك مع باهر معجزاته عليه الصلاه والسلام وولادته من غير اب وان كان
لنبينا عليه الصلاة والسلام ما هو مثلها او ابهر منها كما ياتي انه الافضل فنبه
ذلك علي الوجه الاكمل ونزوله عليه الصلاة والسلام انما هو بشريعة نبينا
صلي الله عليه وسلم ان الجزية لا تقبل بعد نزوله لانتفا ما لهم من نوع شبهة
تمسك بكتاب بتكذيبه لهم فيكون من اتباعه ولاجل ذلك يصلي وراء
المهدي اولا اشعر بعد اعلاما بانه عليه الصلاه والسلام لم ينزل مستقلا
بل تابعا مويدا احكاما بشريعة محمد صلي الله عليه وسلم ولخبر البخاري انا اولي الناس بابن
مريم في الدنيا والاخرة وليس بيني وبينه نبي وبه يرد علي من قال كان بينهما
خالد بن سنان نبي اصحاب الرس ولخبر الصحيحين من شهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسي عبد الله ورسوله
وكلمته القاها الي مريم وروح منه وان الجنة حق وان النار حق ادخله
الله علي ما كان منه من عمل وفي خبر الصحيحين ان كل مولود يمسه الشيطان

يتقدم

نبصيح

٢٨

شَمَّتَتْهُ الْأَمْلَاكُ إِذْ وَضَعَتْهُ وَشَفَتْنَا بِقَوْلِهَا الشَّفَاءُ

نبصيح الا عيسي عليه الصلاة والسلام قال ابو هريرة اقروا ان شيتم
واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولا ينافي هذا افضلية نبينا
صلي الله عليه وسلم لان لنبينا من المزايا ما يغمر هذا في جنب دونها وقد يكون في
المفضول مزية او مزايا ليست في الفاضل لكن فيه ما يخلف ذلك ويفوقه
شمتته من التشميت وهو ان يقال للعاطس يرحمك الله بالمعجمة
والمهملة اي دعا له بالسلامة من الشوامت او بقا سمته كما هو لان العاطس
ربما كان سببا لتعوج العنق **الاملاك** جمع ملك وهذا هو القياس في جمعه
كجمل واجمال ولفظ الملك مشتق من الالوكة وهي الرسالة ويقال لها مالكة فالا
فيه مالك ثم قلبت فصار ملاكا علي وزن مفعل ثم خفف بعد قلبه
ونقلت حركة الهمزة الي اللام فصار ملكا علي وزن فعل وجمع فقياس هذا
جمعه علي افعال كما جري عليه الناظم رحمه الله تعالي وانما جمعوه علي ملايكه
لانهم جمعوا املاك بعد القلب وقبل ان يخفف وقولهم من الالوكة مصرح بان
ميمه زايدة وهو راي الجمهور وذهبت طايفة الي انها اصلية ثم اختلفوا
هل هو من الملك بالفتح اي القوة لقوتهم او بالكسر بمعني مملوكه فوكان قيل
واحسن من الجميع قول النضر بن شميل انه غير ماخوذ من شي والتحقيق
الذي دلت عليه الاثار وقوله تعالي الا ابليس كان من الجن وزعم ان نوعا
من الملايكة يسمون بذلك ليس في محله لتوقفه علي صحة خبر به ان ابليس
ابو الجن كما ان ادم ابو البشر وانه لم يكن من الملايكة طرفة عين وان المصحح
للاستثنا في الاية التغليب لكونه كان فيهم او هو منقطع وفي خبر مسلم خلقت الملايكة
من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق ادم مما وصف لكم وظاهرهم
ان عنصرها متمحض من النور والنار وقيل بل هما من العناصر الاربعة لانا

صل

لث

وانما غلب عليه ذلك وزعم تاويل الاولين بانه علي التمثيل ليس لي
محمله لانه يلزم عليه ان الثالث كذلك وكان مدار المتعزله علي هذه
الطريقة فانهم اولوا احاديث السوال في القبر وعذابه والصراط والميزان
والحوض والشفاعة ودابة الارض ونحوها ولم يبالوا بمنابذتهم للسنة
الغرا قبحهم الله **اذ وضعته** اي وقت وضع امه له **وشفتنا**
اي افرحتنا واسرتنا او من الشفا لانها رقيه والرقية كثيرا ما يحصل منها
الشفا كان قولها الاتي يشفي العليل ويبرد الغليل **بقولها الشفا** بالفا
المشددة وهي ام عبد الرحمن بن عوف احد العشرة رضي الله تعالى عنهم بنت عمرو
ابن عوف وقولها ما اخرجه ابو نعيم عن ولدها عبد الرحمن عنها قالت لما ولدت
امنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي فاستهل فسمعت قايلا يقول رحمك الله
ورحمك ربك قالت الشفا واضا لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الي بعض
قصور الروم قالت ثم البسته واضجعته فلم انشب ان غشيتني ظلمة
ورعب وقشعريرة ثم غيب عني فسمعت قايلا يقول اين ذهب
قال الى المشرق قالت فلم يزل الحديث مني على بالي حتى بعثه الله
فكنت في اول الناس اسلاما وحمل الناظم قولها استهل على انه صلى الله عليه وسلم
عطس حتى عبر بشمتته الذي لا يطلق الا على ما يقال عقب العطاس
يحتاج فيه لسند اذ حقيقة الاستهلال رفع الصوت عند الولادة وهذا
هو الغالب من احوال المولودين فخلافه لا يصار اليه الا بتصريح من يعتمد عليه
به ولم اره وقولها فسمعت قايلا يقول على الملك هو الظاهر وجمعه مبالغة
واشارة الي ان عصمة الملايكة توجب ان الفعل المسند الي احدهم كانه
مسند الي الجميع وعلى ما قاله الناظم مع ما استقر من شرعه صلى الله عليه وسلم

ان

مني

رافعا راسه وفي ذلك الرفع الي كل سودد ايماء ۞ رامقا طرفه السما ومرمى عين من شانه العلو العلاء

ان التشميت انما يليق لمن حمد الله عقب عطاسه يحتمل انه صلي الله عليه
وسلم حمد الله فشمت فيكون من جملة من تكلم في مهده وان كان صلى الله عليه وسلم
عدهم ولم يذكر نفسه منهم **رافعا** حال من مفعول وضعته **راسه** الي السما
كما رواه ابو سعيد من حديث جماعة منهم عطا وابن عباس ان امنة قالت لما انفصل
مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم خرج مني نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع الي الارض
معتمدا على يديه ثم اخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع راسه الي السما
وفي ذلك الرفع الذي هو اول فعل وقع منه بعد بروزه الي هذا العالم وهو
خبر مقدم **الي كل سودد** اي رفعة وسيادة علي الخلق وهو متعلق بالمبتدا
الذي هو **ايما** اي اشارة الى انه شانه وقدره يرتفع ويعلو في الدنيا والاخرة الي
مراتب لا يصلها غيره من ملك ولا جن ولا انس **رامقا** حال منه الاولي وتعدد
الاحوال جايز كتعدد الاخبار او من ضمير رافعا فهي من الاحوال المتداخلة
طرفه اي بصره **السما** اي ناظرا الي جهتها نظرا حقيقيا كما علم من حديث
عطا وابن عباس المذكور وروى الطبراني انه لما وقع الي الارض وقع مقبوضة اصابع
يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وسبقت رواية انها لما وضعته نظرت اليه
فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السما كالمتضرع المبتهل **و** سر هذا الرمق الاشارة
الي العلو مرماه اذ **مرمي** هو في الاصل موضع الرامي الذي يصيبه وهنا ما ينتهي
اليه البصر **عين من** موصول **شانه** اي قصده **العلو** ارتفاع مكانه والجملة
الصلة وخبر مرمي **العلا** بالفتح والمد اي الرفعة والشرف ويجوز ضم عينه مع
القصر اي كما ان رفع راسه ايما الى ما مر فلذلك رمقه ببصره الي جهة العلو ايما الي
انه لا يقصد الا اعلى المراتب اذ من شانه العلو لا يقصد الا جهاته وما يوصل
اليها دون غيرها مما لا يناسب فضله تعلم ان المترتب على الرفع والرمق متحدا

وَتَدَلَّتْ زُهْرُ النُّجُومِ إِلَيْهِ فَأَضَاءَتْ بِضَوْئِهَا الأَرْجَاءُ وَتَرَاءَتْ قُصُورُ قَيْصَرَ بِالرُّومِ يَرَاهَا مَنْ دَارُهُ البَطْحَاءُ

وهو عطف على ثالث بالذات مختلفة **و** يوم **تدلت** اي قربت ودنت **زهر النجوم** من اضافة الصفة الي الموصوف اي الكواكب المضية **اليه** صلي الله عليه وسلم اكراما له وتعظيما المرتفع نظيره لغيره كما رواه البيهقي وابن السكن عن عثمان بن ابي العاص عن امه فاطمة الثقفية انها قالت حضرت ولادة رسول الله صلي الله عليه وسلم رايت البيت حين رفع قد امتلا نورا ورايت النجوم تدنوا حتي ظننت انها ستقع علي **ف**بسبب هذا التدلي **اضات بضوئها** اي تلك الكواكب المضية **الارجا** اي نواحي البيت او نواحي السما او نواحي الوجود من راي بمعني ابصر وليس المراد هنا حقيقة التفا باسره **و** يوم **ترات** بل اصل الفعل كتجادعون اسه وعاقبة اللص اي رويت **قصور قيصر** وهو لقب لكل من ملك الروم **بالروم** اي في بلاد الروم وهو ابن عيصو وبين قيصر وقصور التجنيس المطلق وهما قوم كالسبكي وغيره تجنيس المشابهة وهو تماثل الكلمتين بحيث يشبهان المشتقين الرافع معناهما الي اصل واحد كقوله تعالي ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة وقوله اثاقلتم الي الارض وقوله اسفا علي يوسف واسلمت علي سليمان فاقم وجهك للدين القيم وزعم الحكي ان هذا ليس من اصناف التجنيس وان عد اكثر المولفين له تجنيسا غلط وليس كما زعم لانهم لم يطلقوا كونه تجنيسا وانما قيدوه بتجنيس المشابهة فبينوا انه يشبه التجنيس وليس في الحقيقة تجنيسا وبهذا يعلم ان ما ذكر في الاخير هو ما ذكره كثير منه معبرا عنه وفيه تجنيس شبه الاشتقاق وما ذكره الحلي والايناني عده غيره له من تجنيس الاشتقاق لانه نظر الي ان المراد من اقم وجهك للدين احرف وسعك في حرف جميع ازمنتك في فترة والا له وغيره نظر الي ان المراد استقم لتبليغه والرسالة اليه حال تلك

ومرائه

العصور

٢

القصور **يراها** روية كاملة **من** اي الذي **داره البطحا** اي مكة والابطح والبطحا المسيل الواسع الذي فيه دقاق الحصبا واصل ذلك الحديث الصحيح انه صلي الله عليه وسلم قال اني عبد الله خاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وساخبركم عن ذلك انا دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسي ورويا امي التي رات وكذلك امهات الانبيا يرين وان ام رسول الله صلي الله عليه وسلم رات حين وضعته نورا اضاات له قصور الشام وفي رواية عنها قالت رايت كانه خرج من فرجي شهاب اضاات له الارض حتي رايت قصور الشام وفي اخري رايت تلك الليلة وضعته نورا اضاات له قصور الشام حتي رايتها وفي اخري لما ولدته خرج من فرجي نورا اضاات له قصور الشام فولدته نظيفا ما به قذر وفي اخري لما فصل مني خرج منه نور اضاات له ما بين المشرق والمغرب وفي رواية الشفا السابقة واضا لي ما بين المشرق والمغرب نظرت الي بعض قصور الروم ولا ينافي هذه الروايات رواية انها رات مثل ذلك عند ابتدا وضعه لان تلك الاماه وقعت مرتين عند حمله وعند ولادته زيادة في البشارة بظهوره به وخصت الشام بالذكر في اكثر الروايات لما اختصت به من سبق نور نبوته اليها ومن ثم نقل كعب عن الكتب السالفة انها دار ملكه اي باعتبار سبقه اليها اثبل نظرا اليها وكذا اسري به صلي الله عليه وسلم الي بيت المقدس منها كما هاجر اليها ابراهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام وبها ينزل عيسي صلي الله عليه وسلم وهي ارض المحشر والنشر **فايـــــدة** صح عند الضيا انه صلي الله عليه وسلم ولد مختونا مقطوع السرة حتي لا يري احد سوءته زاد الحاكم ان ذلك تواترت به الاخبار واعترضوا التصحيح بانها كلها ضعيفة والتواتر بانها اذا لم يصح كما تقرر فكيف تتواتر قيل علي ان كثيرا من الناس ولد مختونا فلا خصوصية فيه بل قال ابن الكلبي ان ادم واثني عشر نبيا بعده ولدوا مختونين وروي بعض الحفاظ بسنده الي ابن عباس ان عبد المطلب ختنه يوم سابع ولادته وجعل له مادبة وسماه محمدا وفي مستدرك انه ختن عند حليمة

وَبَدَتْ فِي رَضَاعِهِ مُعْجِزَاتٌ لَيْسَ فِيهَا عَلَى العُيُونِ خَفَاءُ

عند شق قلبه ولما تمم الكلام على عجايب ولادته صلى الله عليه وسلم
ومعجزاتها شرع في ذكر عجايب الرضاع ومعجزاته فقال مستانفا
او عاطفا عطف الجمل فقال وبدت اي ظهرت لمن في عصره صلى الله
عليه وسلم بطريق العيان ولمن بعدهم بطريق البرهان في فعل زمن
رضاعه وهو امتصاصه اللبن من الثدي معجزات تسميتها بذلك
مجاز او جرى على اصطلاح السلف كالامام احمد فانهم يطلقون المعجزة
على كل خارق ليس بسحر وجدت فيه الشروط الاتية ولكن الاشهر
الذي عليه اكثر اهل الكلام وغيرهم ان المعجزة لا تطلق حقيقة الا على الامر الخارق
للعادة المقرون بالتحدي الدال على صدق الانبيا عليهم الصلاه والسلام فعلم
ان لها شروطا احدها خرقها للعادة بان تحيل وقوعها كانشقاق القمر ثانيهما
اقترانها بالتحدي وهو طلب المعارضة المقابلة مع امن معارضتها من
تحديث فلانا نازعته لا غلبه وهو مجاز اذ اصله الحد يتعارض فيه
الحدبان فيتحدى كل الاخراي يطلب حداه فخرج الخارق من غير تحد
وهو كرامة الولي والخارق المتقدم على التحدي كاظلال الغمام له في
الصدر الوافعين لنبينا صلى الله عليه وسلم قبل النبوة فهي كرامات
لا معجزات وتسمى ارهاصا اي تاسيسا للنبوة لا يقال خرج به ايضا
الخارق المتاخر عن التحدي بما يخرجه عن المقارنة العرفية لانه يلزم
عليه اخراج اكثر اياته صلى الله عليه وسلم كنطق الحصا والجذع والدواب ونبع الما بل قيل انه لم
يتحد بغير القران وتمني الموت وزعم ان لا معجز الا هذان اقرب الى الكفر
منه الى البدعة فالحق ان المراد بالتحدي ليس معناه الاصلي بل المراد به دعوى
الرساله وكل معجزاته مقارن لذلك والخارق الذي لا تؤمن معارضته كالسحر

إِذْ أَبَتْهُ لِيُتْمِهِ مُرْضِعَاتٌ قُلْنَ مَا فِي اليَتِيمِ عَنَّا غَنَاءُ

سوا قلنا انه قلب الاعيان واحالة الطبايع ام لا وان جوزنا ذلك فقد جرت العادة
الالهية بانه لا يقع من مدعي النبوة كذبا وانما يقع من مدعيها صادقا ام لم نقل بذلك
وهو ظاهر ولا ينافي ذلك ما يظهر على يد الدجال الخوارق العظيمة لانه ليس مدعيا
للنبوة بل للالوهية وقد دلت القواطع على كذبه وان بروز تلك على يديه
لمحض الفتنة لا غير لانها دلالتها على صدق التحدي فخرج الخارق كما وقع لمسيلمة
الكذاب اللعين انه تفل في بير ليكثر ماؤها فغارت لا يقال كان ينبغي للناظم
رحمه الله تع ان يقول ايات او بينات او برهان لان هذه هي الواردة في القران و
السنة دون لفظ المعجزة لانا نقول هي وان لم ترد لكن صارت في اصطلاح المتاخرين
ابين واظهر فلذا خصت بالذكر ليس فيها متعلق بخفا على العيون
خفا لوضوحها وهو اسم مصدر لا خفية لانه الذي بمعنى كتمته لا مصدر لخفيته لانه
بمعنى اظهرته وبين بدت وخفا الطباق اذ اي وقت او لاجل انه ابته
ليتمه اي لاجل موت ابيه وقد مضى له وهو حمل شهران وقيل سبعة اشهر وقيل
مات وهو في المهد وهذا قد ينافي المتن الا ان يقال يحمل عليه انه مات عقب الوضع
قبل ان يرضع لكن يرده ان موته انما كان بطيبة المنورة وهو ات من تجارة الشام عند
اخوال ابيه عبد المطلب بني النجار وقد تقرر ان المرضعات عقب وضعه علمن يتمه
قيل انما سمي عبد المطلب لانه لما ولد بطيبة ذهب اليه عمه المطلب ليأتي به مكة فكان
كل من يراه معه يتوهم انه عبده فيناديه بعبد المطلب ثم اشتهر به وقيل
دفن بالابوا محل قريب رابغ قال جعفر الصادق وانما يتم صلى الله
عليه وسلم لئلا يكون لمخلوق في عنقه حق مرضعات كن ياتين الى مكة
يلتمسن الرضعا كما كان ارضاع المراة ولدها عارا عندهم قلن انما
تركناه لانا انما نبغي الرضعا رجا للمعروف من ابايهم واما الام والجد فما عسى

فَأَتَتْهُ مِنْ آلِ سَعْدٍ فَتَاةٌ ‌ قَدْ أَبَتْهَا لِفَقْرِهَا الرُّضَعَاءُ

ان يضعوا **ما في هذا اليتيم** بينه وبين يتمه جناس الاشتقاق **عنا** متعلق بقوله **عنا** بفتح المعجمة اي لبس فيه ليتمه وفقره بقع بغني عنا شيا وبينهما الجناس المحرف الناقص علي خلاف فيه منتشر **ف** بعدان تركته لذلك **اتته من السعد** بن بكر ونسبت اليه مع انه الجد التاسع لانه اشهر وبه عرفت القبيلة وزوجها منهم ايضا **فتاة** اي شابة كريمة كاينة من بعض هذه القبيلة فقول الشارح ان من بيانيه بعيد وفي كونها حليمة السعدية من الفال الحسن والبشارة العظيم بحصول غايات الحلم والسعد لهذا الرضيع ما لا يخفي عظيم وقعه وقد كان صلي الله عليه وسلم يحب الفال الحسن **قد ابتها لفقرها الرضعا** جمع رضيع اي اهلهم لان الفقر يستلزم قلة الاكل المستلزمة عادة لقلة اللبن المضره بالرضيع غالبا وما تعطاه من جعل ربما تصرفه في حوايجها الخارجة فلا بعيد هاهم في دفع الجوع الذي هو المحذور واصل ذلك ما رواه ابن اسحاق واسحاق بن راهوية وابو يعلي والطبراني والبيهقي وابو نعيم عن حليمة رضي الله عنها انها قدمت مكة في نسوة من قومها يلتمسن الرضعا في سنة مجدبة ومعها صبيها وشاه ما تبض بقطرة لبن ولا لبن يشد بها فلا ينام صبيها من الجوع قالت وما علمت امراة منا الا وقد عرض عليها رسول الله صلي الله عليه وسلم فتاباه اذا قيل يتيم فوالله ما بقي من صواحبي امراة الا اخذت رضيعا غيري فلما لم اجد غيره قلت لزوجي والله اني لاكره ان ارجع من بين صواحبي ليس معي رضيع لانطلق الي ذلك اليتيم فلاخذنه فذهبت فاذا به مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة خضرا راقد علي قفاه يغط فاشفقت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدي علي صدره صلي الله عليه وسلم فتبسم ضاحكا ففتح

المراد من ان يح العلاج الجوهري ه

أَرْضَعَتْهُ لِبَانَهَا فَسَقَتْهَا ‌ وَبَنِيهَا أَلْبَانَهُنَّ الشَّاءُ ‌ أَصْبَحَتْ شُوَّلًا عِجَافًا وَأَمْسَتْ ‌ مَا بِهَا شَائِلٌ وَلَا عَجْفَاءُ

عينيه ينظر اليّ فخرج من عينيه نور حتي دخل خلال السما وانا انظر فقبلته بين عينيه واعطيته ثدي الايمن فاقبل عليه بما شا من لبن فحولته الي الايسر فابي وكانت تلك حالة صلي الله عليه وسلم بعد قال اهل العلم اعلمه الله ان له شريكا فالهمه العدل ثم اخذته فما هو الا ان جيت به رحلي فقام صاحبي يعني زوجها الي الشاه فاذا انها حافل فحلب ما شرب وشربت حتي روينا وبتنا بخير ليلة من الخير والبركة حين اخذناه فلم يزل الله يزيدنا خيرا وفي رواية انها لما ودعت امه ذهبت به علي اتانها سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت راسها الي السما ثم مشت فسبقت دوابهن فصرن يتعجبن ويقلن لها هذه اتانك التي كانت ترفعك طورا وتخفضك اخري فتقول نعم فيقلن ان لها لشانا عظيما فسمعت الاتان تقول لهن ان لي لشانا عظيما بعثني الله بعد موتي وبحلكن هل تدرين من علي ظهري علي ظهري خير الاولين والاخرين وابدل من اتته قوله **ارضعته لبانها** بكسر اوله مفعول ويجوز علي بعد كونه مطلقا لان معني لبانها ارضاعها اذ يقال هو اخوه بلبان امه ولا يقال بلبنها فاللبان يختص بلبان الرضاع **ف** بسبب هذا الارضاع لهذا المولود الافضل من ساير المخلوقات **سقتها** اي حليمة **وبنيها** وقد كانوا اشرفوا علي الهلاك من الجوع لما مر ان ارضهم كانت في غايت المحل والجدب **لبانهن** فيه استعمال لبان في غير لبن الرضاع وكان الحامل عليه مقابلته بلبانها السابق فيكون من باب المشاكلة نحو ومكروا ومكر الله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك **الشا** جمع شاه كرامة لذلك المولود عليه الصلاة والسلام وانما سقتهم مع ذلك المحل لانها ببركته صلي الله عليه وسلم **اصبحت** فهو من اسلوب الحكيم ويجوز كونه حالا نظر الصورة تعريفه وصفة نظرا الكون الّذي فيه جنسية نحو ولقد امر علي اللئيم يسبني **شولا** بالتشديد جمع شايل

اخصب العيش عندها بعد محل اذ غذا منها للنبي غذاء

وهو في الاصل الناقة التي تشول بذنبها للقاح ولا لبن بها اصلا فاستعمالها
في الشاة مجاز علاقته المشابهة **عجافا** اي هزيلات **وامست** لم يرد باصبح
وامسي معناهما بل انها كانت في حال فاعرها نقبضة في اقرب زمنه واسرعه
فبينهما الطباق وان لم يرد بهما موضوعهما **ما بها** اي فيها **شايل**
مبتدا او فاعل الظرف **ولا عجفا** اي هزيلة وبين اثبات الشول والعجاف
ونفيها طباق على حد قوله تع ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا ولك ان تقول ليس ما هنا على وزن الاية لان الذي فيها
نفي العلم عنهم واثبات بعضه لهم لا بقيد زمن ولا غيره وما هنا فيه الاثبات
في زمن والنفي في زمن اخر وهذا لا تضاد فيه حقيقة ولا ايهاما وشرط الطباق
التضاد او ايهامه ولو بيادي كما هو معلوم من استقرا امثلتهم وذكر الزمنين المتخالفين
يمنع من ذلك ولا ينافي فيه عدهم من الطباق قوله تع او من كان ميتا فاحييناه
اذ الفا تاتي لغير التعقيب فالايهام موجود على انها معه قد لا تمنعه ايضا لان ضمير
احييناه للميت فكانه قال احيينا الميت وهذا فيه ايهام اجتماع الحياة والموت
فتامله **اخصب** من الخصب بكسر اوله وهو ضد الجدب **العيش** اي كثر قوت
الادميين والدواب **عندها** اي حليمة او الشاوين جميعها الاتي **بعد محل** اي شدة
وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلا والزرع **اذ** اي في ذلك الاخصاب وقت
او لاجل ان **غذا** اي صار **للنبي** الاعظم **منها** اي من الشاة **غذا** بالمعجمة
اي لبان تغذيه وبين غذا وغذا الجناس السابق في غدا اغدا **يا لها** كلمة تعجب
من هذه الفعلة الجميلة من حليمة وهي ارضاعها له صلى الله عليه وسلم من غير مقابل دنيوي
ترجوه ونظير هذا التعجب قوله في البردة يا طيب مبتدا منه ومختتم فالندا فيه
للتعجب اذ لا ينادي به الا العاقل او المنزل منزلته والمعرب اذا استعظمت

شيا

يا لها منة لقد ضوعف الاجر عليها من جنسها والجزاء
واذا سخر الاله اناسا لسعيد فانهم سعداء

شيا نادته على سبيل التعجب وفيه مجاز التشبيه لتشبيه ما يتعجب منه لعظمته
بمنادي يسمع ويعقل وزعم ان يا للتنبيه مردود بانهم لم يذكروا هذا من محالها
نبيل والتقدير يا تعجبا تامل طيب مبتدا به ونظيره هنا يا تعجبا تامل ما استقر لها
منة تمييز اي نعمة منها عليه **لقد** اللام للقسم او للتاكيد **ضوعف الاجر** اي
كرر الثواب اذ تضعيف الشي ان يزاد عليه مثله او اكثر **عليها** اي توالي وتتابع
حال كونه مستوليا على حليمة فعلي على بابها من الاستعلا المجازي او على تلك المنة
اي لاجلها على حد ولتكبروا الله على ما هداكم اي لاجل هدايته اياكم وحال كونها **من**
جنسها كما علم من قوله فسقتها الخ **والجزا** من عطف الرديف اذ هو الاجر وذلك
لان الجزا من جنس العمل فلما سقته صلى الله عليه وسلم لبنها سقتها وبنيها باشباعها
مع انها كانت وقت اخذه من امه على غاية الهزال وعدم اللبن فلاجل ان غذاه
كان من لبانها ازال الله عنها المحل والجدب وابدلها منها الخصب والخير الكثير
جزاء وفاقا واعلم ان ما حصل لحليمة من هذه المزية الجليلة انما نشا عن تسخير الله لها
لهذا الفعل الجميل الصادر منها المنبي عن سبق سعادتها **و** قد تقرر في المعقول والمنقول
انه **اذا سخر** اي ذلل ووفق **الاله اناسا** لعله في الناس **لسعيد** اي لخدمته
ومحبته والقيام بشانه **فانهم سعدا** بسبب ذلك جمع سعيد لان بركة ذلك السعيد
وعظيم بره تتابع عليهم حتى يكونوا من سعدا الدنيا والاخرة ولان المرضع اخبر من الاكابر وان
لم يعلم بعلمهم كما صح الحديث به ولان الارواح كما في الحديث جنود مجندة فما تعارف منها
في عالم الارواح ايتلف في عالم الاجساد ومن اعظم اجرها وسعادتها توفيقها للاسلام هي وزوجها
وبنوها بل برد رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي هوازن اليهم بواسطة كونهم قومها وكانت تقدم
عليه صلى الله عليه وسلم فيكرم مثواها وكذلك زاد في اكرام بنتها الشيما لما اعتقها وجلوس اعتوا
سبيهم كما ياتي وهذا من فن البديع المسمي بالكلام الجامع وهو ان ياتي الشاعر ببيت يكون



حبة انبتت سنابل والعصف تستشرف الضعفاءُ

جملته حكمة او موعظة او تنبيها او نحو ذلك من الحقايق الجارية مجري الامثال كقول
ابي الطيب ٥ واذا كانت النفوس كبارا ٥ تعبت في مرادها الاجسام ٥ وهو كثير
في كلام الناظم واصل ما ذكر بقوله ارضعته الي هنا ما رواه ابن اسحاق وغيره من
قولها بعد ما قدمناه عنها انغانم قدمنا ارض بني سعد ولا اعلم ارضا اجدب منها
فكانت غنمي تروح علي شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان غيرنا قطرة
لبن ولا يجدها في ضرع حتي توامر رعيان ان تسرح غنمها حيث تسرح غنمي فروح
اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح اغنامي شباعا لبنا فلم تزل نتعرف
من بركته الزيادة والبركة حتي مضت له سنتان وفطمته ولما قرر ما حصل لها من الخصب
بعد الجدب ببركة ارضاعها له صلي الله عليه وسلم ومن الجزاء من جنس
عملها بكثرة لبن شياهها عقبه بما تبين ان تلك المضاعفة في قوله
ضوعف بلغت مرات كثيرة فقال **حبة** اي هذه الفعلة الصادرة
من حليمة كما دل عليه السياق وبه يعلم ان هذا ليس من الاستعارة
لان شرطها طي ذكر المستعار له بان لا يكون في الكلام رمز اليه ولو
تقديرا ومن ثم كان التحقيق في صم بكم الاية انه من التشبيه
البليغ لدلالة السياق على المشبه الذي يتوهم وقول الها العكي انه
استعارة راي يخالف الجمهور ولا يعول عليه نعم وان ثار اي وجه
المشبه الذي هو تضاعف الجزا اليقيني انه ليس من التشبيه البليغ
لان شرطه ان لا يذكر وجه الشبه بقوله **انبتت سنابل** كثيرة
جمع سنبلة وهي مجتمع الحب في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف
لمن يشاء ففيه اقتباس وحذف لفظ سبع لبيين ان العرب قد
يذكرونها كالسبعين مريدين بها مطلق الكثرة لا خصوص العدد

المعروف

٢٦

وانت جده وقد فصلته وبها من فصاله البرحاءُ
اذا حاطت به ملايكة الله فظننت بانهم قرناءُ
ورائ وجدها ومن الوجد لهيب تصلي به الاحشاءُ

المعروف **والعصف** اي والحال ان ورق النبات اليابس كالتبن **لديه** اي
عنده **تستشرف** اي تطلع **الضعفا** اي حصلت تلك المضاعفة الكثيرة
في تلك السنابل والحال ان الوقت وقت عدم النبات بالكلية بحيث ان الفقرا يتطلعون
الي ورق النبات فضلا عن النبات فضلا عن الحب كما ان حليمة حصل لها ذلك الخصب واللبن
والحال ان قومها يتطلعون الي ورقة حبة او قطرة لبن فلا يجدونه **و** بعد ان انتهي رضاعه
لبلوغه سنتين **اتت** به **جده** عبد المطلب الذي في الرواية الاتية امه فلعل الناظم
ذكر جده لانه الاصل ولان امه كانت لا تفعل به شيا الا بعد مشاورة جده نعم في سير
ابن هشام ان حليمة رضي الله تعالى عنها لما اتت به مكة اضلته في الناس فاتت جده واخبرته
بذلك فدعا الله حتي وجده **و** الحال انها **قد فصلته** اي فطمته **و** الحال انه يعف
بها من اجل **فصاله** اي فطامه **البرحا** اي التالم الكثير لما شاهدت من توالي
الخيرات وتتابع البركات بسبب رضاعه واقامته عندها **اذ** اي اتت به وقت او
لاجل انه **احاطت** اي احدقت **به ملايكة الله** لاجل شق قلبه الاتي وهذا
ظاهر علي الرواية الاتية انهم ثلاثة وكذا وكذا علي رواية انهم اثنان لانها اقل الجمع عند
جماعة **فظنت** حليمة **بانهم** البازابدة **قرنا** اي شياطين يريدون ايذاه فخافت
عليه واسرعت به الي جده لتسلم من تبعته **ورأت** جده وامه حين ردته اليهما **وجدها**
اي شدة محبتها له وتعلقها **به** فراده معها لذلك وليعلم ربه بامكه كما ياتي في الرواية وهذا
حفظه الناظم لكن سياقه يدل علي **وهي** للحال المبينة لعظمة ذلك الوجد الذي راه بها
من اجل **الوجد** الذي بها **لهيب** اي نار **تصلي** اي تحترق **به الاحشا** جمع
حشا وهي ما انضمت عليه الضلوع ويحتمل انها استينافية فمن ابتدائه وح فهذا من ارسال
المثل او هو حكمة مفيدة ان شان الوجد انه ينشا عنه ذلك اللهيب الذي يحرق الاحشا
وان وجدها من هذا القبيل فمن ثم رثي لحالها واطغا نار ذلك الوجد برده

فارقته كرها وكان لديها ثاويا لا يمل منه الثواء
شق عن قلبه واخرج منه مضغة عند غسله سوداء

اليها فارقته بدل من اتت كرها اي كونها ذات كراهية لفراقه لما شاهدت
في اقامته عندها من الخيرات الكثيرة عليها وعلى زوجها وبنيها وسائر متعلقاتها من الحال
انه كان لديها اي عندها ثاويا اي مقيما لا يمل بالبنا للمجهول منه متعلق
بقوله الثواء الاقامة فهو مع ثاويا من جناس الاشتقاق اي لا احتمال اقامته
بل تحب وترغب فيها لما يترتب عليها من الاحسان الواسع المجبول له على حبه النفوس
ولما فرغ من قصة رضاعه ذكر قصة شق صدره لانه السبب في احضارها له
وامه المذكور انفا ولذا ابدل من قوله احاطت قوله شق عن قلبه بالكيفية الاتية
في القصة ويحتمل ان قوله شق عن قلبه استيناف لبيان مطلق الشق الشامل
للواقع في زمن الرضاع وما بعده ياتي ويؤيده انه ذكر في قصته اشيا لكون الخاتم
جبريل عليه الصلاة والسلام لم ترد في قصة شقه عقب الرضاع بل في شقه الذي
بعد ذلك كما يعلم بتامل كلام الناظم مع القصة الاتي بسطها وهو اعني القلب مضغة في
الفؤاد معلقة بالنياط فهو اخص من الفؤاد قاله الواحدي والذي في الصحاح انهما مترادفان
قال البدر الزركشي والاحسن قول غيره الفؤاد غشا القلب والقلب حبته وسويداؤه
ويؤيد الفرق قوله صلى الله عليه وسلم الين قلوبا وارق افئدة وفرق الزمخشري
بان الفؤاد وسط القلب سمي به لتفوده اي توقده والقلب مشتق من القلب
الذي هو المصدر لفرط تقلبه كما في الحديث ومثل هذا القلب كمثل ريشة ملقاة بفلاة
يقلبها الريح بطنا لظهر واخرج منه اي القلب مضغة اي قطعة لحم قدر ما يمضغ
سودا صفة لمضغة وانما خلقت هذه المضغة
عند غسله ظرف لاخرج
فيه ثم اخرجت لانها من جملة الاجزا الانسانية فعدمها نقص في البدن وايضا
فاخراجها بعد خلقها على هذه الصورة البديعة ادل على مزيد الرفعة وعظيم
الاعتنا والرعاية من خلقه بدونها وياتي في رواية صحيحة انه اخرج منه

ختمته يمنى الامين وقد اودع ما لم يذع له انباء
صان اسراره الختام فلا الفض ملم به ولا الافضاء

علقتان سوداوان لا ينافي ما ذكره الناظم انها واحدة لان المراد بها الجنس
على ان الشق تكرر كما ياتي حال بلوغه صلى الله عليه وسلم اخرج منه
واحدة ثم ثنتان لان المراد المبالغة في تطهيره صلى الله عليه وسلم
وبلوغه وذلك يستدعي استقصا استيفاء الجوف ختمته اي
ذلك الشق المفهوم من شق وهي استينافية او معطوفة على شق بحرف
حرف العطف اي ثم بعد شقه لامته واعادته الى مكانه عليه
يمنى جبريل عليه الصلاة والسلام جبريل على كنت الله وجهه
و الحال ان ذلك القلب الكريم قد اودع حالة الشق من الايمان والحكمة
والعلوم والاسرار الالهية ما اي الذي او شيا لم يذع بضم الياء وكسر
الذال المعجمة اي يشع له اللام زائدة اي ما لم يشع له وخطابه انبا اي
اخبار لانه لا يعلمه الا مولاه والمتفضل به عليه قال العلماء رضي الله تعالى
عنهم جعل الله القلب في الانسان هو الذي يعقل عنه وهو اصل وجوده
وبه صلاحه وفساده وهو محل اسراره التي يودعها قلب من يشاء واول
اودعها قلب محمد صلى الله عليه وسلم لانه اول خلق وصورته اخر صور
الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهو اولهم واخرهم فلذا حاز جميع كمالاتهم
وزاد عليهم بما لا يعلمه الا الله تعالى صان اي حفظ اسراره التي اودعت
فيه مفعول مقدم ذلك الختام الواقع من جبريل عليه الصلاة والسلام
وهو ما يختم به الكتاب ونحوه من طين او نحوه وبينه وبين ختمته جناس
الاشتقاق فبسبب هذا الصيانة فلا الفض اي الكسر بالتفرقة ملم
اي واقع به اي بذلك الختم ولا الافضا اي الاشاعة واخذ ذلك
السر وبين الفض والافضا التجنيس المطلق وهو فيه في فضض وفضو

الامين

زيادة و يجري ذلك في قوله بمعنى الامين واصل قوله وانت جوده الخ
قوله حليمة رضي الله تعالى عنها بعد ما قدمته عنها كما في السير عنها
لم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتان وفصلته فكان يشب
شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على امه ونحن
احرص شي على بقائه عندنا لما نرى من بركته فقلنا لامه لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فانا
نخشى عليه وبا مكة ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا به بشهرين
او ثلاثة مع اخيه من الرضاعة لفي بهم لنا خلف بيوتنا جاء اخوه يشتد فقال ذاك اخي القرشي
قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه وشقا بطنه فخرجت انا وابوه نشتد
نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه ابوه وقال اي بني ما شانك قال
جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيا فطرحاه
ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون ابني
قد اصيب فانطلقي برده الى اهله قبل ان يظهر فيه ما تتخوفه قالت فاحتملناه
الى امه فقالت ما ردكما به فقد كنتما حريصين عليه فقلنا نخشى الاتلاف والاحداث
فقالت ما ذاك بكما فاصدقاني شانكما فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره فقالت اخشيتما
عليه الشيطان لا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكاين لابني هذا شان ندعاه
عنكما وفي حديث عند ابي يعلى وابي نعيم وابن عساكر كنت مسترضعا في بني بكر بن
فبينا انا ذات يوم في بطن واد مع اتراب لي من الصبيان واذا انا برهط ثلاثة معهم
طست من ذهب ملي ثلجا فاخذوني من بين اصحابي وانطلق الصبيان هربا مسرعين
الى الحي فعمد احدهم فاضجعني على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق بطني ما بين مفرق صدري
الى منتهى عانتي وانا انظر اليه فلم اجد لذلك مسا ثم اخرج احشا بطني ثم
غسلها بذلك الثلج فانعم غسلها ثم اعادها مكانها ثم اقام الثاني فقال لصاحبه
تنح

تنح فامد يده بين مفرق صدري ومنتهى عانتي فالتام ذلك الشق باذن الله
ثم اخذ بيدي فانهضني من مكاني انهاضا لطيفا الحديث وفي رواية عند
البيهقي ان احد الثلاثة في يده ابريق من فضة وبيد الثاني طست من ذهب
زمردة خضرا وورد في خبر التابوت المذكور في الاية انه كان فيه الطست
الذي غسلت فيه قلوب الانبيا صلى الله عليهم وسلم وحكمة ختم قلبه المقدس الاشارة
الى ختم الرسالة به قيل وانما يسلم هذا ان اختص الختم به اما اذا لم يختص به كما مر
فالحكمة انه من جملة علامات النبوة وانما يشاركه فيها غيره على ان هذه الكيفية
المذكورة في شق قلبه صلى الله عليه وسلم الظاهر انها الكيفية التي بلغت البالغة
الخارقة من خرق العادة والتعظيم مبلغا لا يدركه العقل وروي الشق ايضا وهو
ابن عشر او نحوها مع قصة له مع عبد المطلب رواها ابو نعيم في الدلايل ورواها
عبد الله بن الامام احمد في رواية مسند ابيه بلفظ قال ابو هريرة يا رسول
الله ما اول ما ابتديت به من امر النبوة قال اني لفي صحرا واسعة ابن عشر حجج
اذا انا برجلين فوق راسي يقول احدهما لصاحبه اهو هو قال فاخذاني فاضجعاني
لحلاوة القفا ثم شقا بطني وكان احدهما يختلف بالما في طست من ذهب والاخر
يغسل جوفي فقال احدهما لصاحبه افلق صدره فاذا صدري فيما ارى لا اجد
له وجعا ثم قال اشقق قلبه فشق قلبي فقال اخرج الغل والحسد فاخرج شبه
العلقة فنبذ به ثم قال ادخل الرافة والرحمة قلبه فادخل شيا كهيية الفضة ثم
اخرج ذرورا كان معه فذر عليه ثم نقر ابهامي ثم قال اغد فرجعت بما لم اغد
به من رحمتي للصغير ورافتي للكبير وروي خامسة ولا يثبت وحكمة شق صدره
الشريف في حال صباه واستخراج ما مر منه تطهيره من نقايص الصبا ليكون حينيذ
على اكمل صفات الرجولية ولذلك نشا على اكمل الاحوال قال بعض الايمة ولعل هذا

من خواصه سيما مع تكرر الشق ان الوارد فيهم مجرد غسل قلوبهم وهو لا يستلزم هذه الكيفية

26

الشق كان سببا للاسلام فتنبيه المروي عند البزار او اشارة الى حظ الشيطان الباقي
له كالعفريت الذي اراد ان يقطع عليه صلاته وامكنه الله منه واما قول الرازي وقوعه
في حال الطفولية مشكل لانه معجزة وهي لا يجوز تقدمها على النبوة لان الذي عليه اكثر
اهل الاصول اشتراط اقتران المعجز بالتحدي فمردود بان هذا من باب الارهاص
لا المعجزة ونظاير ذلك كثيرة قيل وهذا الشق هو المراد بقوله تعالى الم نشرح لك
صدرك تنبيه اول اما ثبت شق صدره الشريف مرة اخرى عند مجي جبريل
له بالوحي وهو بغار حرى كما ياتي ومما رواها الطيالسي والحارث في مسنديهما
وكذا ابو نعيم ولفظه ان جبريل وميكايل شقا صدره وغسلاه ثم قال اقرا باسم
ربك الايات والحكمة فيه كمال التهيؤ والتقوي على ما يلقي اليه من القول الثقيل
بقلب قوي في اكمل احوال التطهير وثبت مرة اخرى تواترت به الروايات
خلافا لمن انكرها ليلة الاسرا ففي البخاري وغيره انه شق قلبه فيها وهو بالمسجد
قبل ان يخرج به الى ركوبه البراق فشق من ثغرة نحره الى عانته فاستخرج قلبه
ثم غسله في طست من ذهب اي لان تحريم الذهب كان بعد على ان الغالب في احوال
تلك الليلة من احوال الغيب فيلحق باحكام الاخرة مملوا حكمة وايمانا ثم حشي اي
وتجسيم المعاني جايز ومنه الرواية الصحيحة بذبح الموت ثم اعيد والحكمة في هذا
الشق التهيؤ الى الرقي الى الملا الاعلى والتقوي في استجلا ما شاهد تلك
الليلة ولما لم ينفق هذا المؤسي صلى الله عليه وسلم لم يطق الروية وجميع ما ورد
من الشق واخراج القلب وغيرهما يجب الايمان به وان كان خارقا للعادة
ولا يجوز تاويله لصلاحية القدرة له ومن ثم زعم ذلك وقع في هوة المعتزلة في
تاويلهم نصوص الملايكة وعذاب القبر ووزن الاعمال والحوض وغير ذلك بالتشهي
فقبح الله هولاي ومن تبعهم وقد رمي ابراهيم صلى الله عليه وسلم في النار فكانت عليه

١٦٢

٢٧

بردا وسلاما وهذا الشق ابلغ في الصبر والكرامة مما وقع لاسماعيل صلى الله عليه
وسلم فانه مقدمات ذبح لا حقيقته كما هو راي اهل السنة وبتقديره فذاك فتل
واحد وهذه مقاتل متعددة شق الصدر ثم اخراج القلب ثم شقه ووقع له صلى
الله عليه وسلم من ذلك نوع مشقة لرواية فاقبل وهو منتقع اللون اي صار كلون
النقع اي الغبار وهو شبيه بالوان الموتى ومعنى قول ابن الجوزي فشقه وما شق
عليه انه صبر صبر من لم يشق عليه ومما يدل على المشقة ايضا بعده بالفطم مع انفراده
عن امه ويتمه من ابيه واختطافه من بين الاطفال ليكون ذلك تسهيلا لما يلقاه
في الحال ومن ثم لما شج وجهه وكسرت رباعيته يوم احد قال اللهم اغفر لقومي فانهم
لا يعلمون وفي رواية انه غسل ليلة الاسرا بما زمزم اي لانه يقوي القلب ويسكن
الروع واخذ البلقيني من ايثار الملك له على ما الكوثر انه افضل منه وهو ظاهر فلا
لمن نازع فيه كما لا يخفي بما لا يجدي كما بينته في شرح العباب وفي وضع الايمان والحكمة
بالقلب دليل لما عليه اكثر اهل السنة لان العقل في القلب كما دلت عليه الايات
لا في الدماغ تنبيه ثان قال عياض رحمه الله خاتم النبوة اثر شق الملكين
بين كتفيه وابطله النووي رحمه الله بان شقهما كان في بطنه وصدره كما جاء
في الروايات ومن ثم صح عن انس رضي الله عنه ارى اثر المخيط في صدره فالصحيح
او الصواب انه كان عند نغض كتفه الايسر وهو بنون ومعجمتين اعلاه ورواية
الاسم ضعيفة قبل ولد به وروى ابو نعيم انه جعل عقب ولادته والذي في حديث
البزار وغيره عن ابي ذر يا رسول الله متى علمت انك نبي وبما علمت حتى استيقنت
قال اتاني اتيان وفي رواية ملكان وانا ببطحا مكة الحديث وفيه قال احدهما لصاحبه
شق قلبه فشق بطني فاخرج قلبي فاخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما
فقال احدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الانا واغسل قلبه غسل الملا اي الثوب

فما

قف على ان العقل في القلب لا في الدماغ

الذي يتغطى به ثم قال احدهما لصاحبه خيط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين
كتفي كما هو الآن وولياعني وكاني اري الامر معاينة وعند احمد وصححه الحاكم استخرجا
قلبي فشقاه فاطرحا منه علقتين سوداوين فقال احدهما لصاحبه ايتني بماء
ثلج فغسلا به جوفي ثم قال ايتني بالسكينة فذرها في قلبي ثم قال احدهما لصاحبه
خيطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة تنبيه ثالث اختلفت الروايات في كيفية
تشبيه ذلك الخاتم على انواع كثيرة بيضة الحمام ، شعر مجتمع ، بضعة ناشزة ،
بندقة ، سلعة ، شيء يختم به ، تفاحة ، شامة خضراء محتفرة في اللحم ، شامة
سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات ، زر الحجلة ، اي الشمانة ، وزعم انها هنا
الطائر المعروف وزرها بيضها مردود وقال المحققون ولا اختلاف في الحقيقة
بل كل شبهه بما سنح له وكلها الفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم بارزة عليها
شعر اذا قلل قيل كبيضة الحمام واذا كثر قيل كالجمع الكف اي على هيئته لكنه اصغر
منه وفي المستدرك عن كعب ان شامات النبوة في ابهامه فعليه وضعه في الكتب
الاسبرين خصوصياته صلى الله عليه وسلم فائدة اخرج البيهقي والخطيب
وابن عساكر وغيرهم عن العباس رضي الله عنه قلت يا رسول الله دعاني الى الدخول
في دينك امارة لنبوتك رايتك في المهد تناغي القمر وتشير اليه باصبعك فحيث
اشرت اليه مال قال اني كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء واسمع وجبته
اي حين يسجد تحت العرش قال البيهقي تفرد به مجهول وقال الصابوني هذا
حديث غريب الاسناد والمتن في المعجزات حسن ولما فرغ من ذكر رضاعه وما وقع
بعده من شق صدره ذكر حكم نشاته في حال طفوليته وما بعدها مبينا ان الله
الاتي نتيجة ما اودعه في قلبه بعد شقه من الاسرار والكمالات فقال الف
النسك والعبادة عطف تفسير اي اعتادهما واستمر عليهما **والخلوة**

قف على خاتم النبوة

عن

٢٦

عن الناس في حال كونه **طفلا** فما بعده كما فهم اولي واختلفوا هل كان يتعبد
بشرع من قبله والجمهور لا والا لنقل ولانه لو تعبد بشرع احد لظن انه من اتباعه
ولافتخر اهله به وعليه لم يوجد وعلى الاول فقيل بشرع لم يعرف وقيل بشرع نوح وقيل
ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى ومعنى ان اتبع ملة ابراهيم اي في التوحيد وحض لانه الا
الاقرب المبشر به على ان المراد في كيفية الدعوى من الرفق والحلم الذي لم يوجد كما له
الا لابراهيم صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين وسلم وقد امرنا باتباع الكل
فبهداهم اقتده مع اختلاف شرائعهم وهو ان نهر من ليس برسول كيوسف على قول
فتعين ان المراد اصول التوحيد والاخلاق فان قلت لا احتاج للجواب عن ذلك لان
الكلام قبل النبوة والذي في الاية بعدها قلت بل يحتاج اليه كما صنعوه لان القائلين
بانه كان متعبدا بشرع غيره يستدلون به ناظرين الى انه امر باتباعه فيما لم ينزل عليه
فيه شيء فامره بذلك بعد النبوة يدل على انه كان يالغدو يعمل به قبلها والا فكيف يومر
باتباع ما لم يعرفه قال السراج البلقيني ولم يجي في الاحاديث التي وقفنا عليها كيفية
تعبده عليه الصلاة والسلام لكن ذكر ابن اسحق وغيره انه كان يخرج الى حراء شهرا
من كل عام ينسك فيه فكان من نسك قريش في الجاهلية ان يطعم الرجل من جاءه من
المساكين حتى اذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة انتهى
والظاهر مما قاله غير واحد ان عبادته كانت الذكر والفكر مع الانقطاع للخلوة والاعتزال
للناس بحراء وغيره **وهكذا النجباء** اي ومثل هذا الشان العلي شان
الكرام فما بالك باكملهم وسيدهم على الاطلاق ويليه في ذلك ابوه ابراهيم صلى الله
عليه وسلم فانه اعتزل قومه وانقطع الى الله تعالى ينتظر الفرج من مولاه فان انتظاره
عبادة كما في الحديث وفي البيت من انواع البديع ثاني اقسام التناسب وهو تشابه
الاطراف بان تتناسب معانيها اذ النجابة اخره تناسبها اوله ما ذكر لانها

ب

اعتزال

السبب في ذلك وثالث اقسامه ايضا وهو مناسبة اللفظ للمعنى في الرقة
والسهولة والشدة والصعوبة ومنه حديث الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف
متضعف غبر ذي طمرين لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار هم
كل جعظري جواظ مستكبر فاتى من اوصاف اهل الجنة بما يناسب حالهم
من الرقة والانكسار ومرة من اوصاف اهل النار بما يناسب حالهم من الشدة
والغلظة والابا والترفع عن قبول الحق والفاظ البيت تناسب معناه في السهولة
وحسن السبك والانقطاع عن النظير وقوله وهكذا البيتا تذييل وهو
تعقيب الجملة باخرى تشتمل عليها للتاكيد ونوعه ضربان احدهما وهو ما هنا
ما خرج مخرج المثل نحو وهل يجازي الا الكفور كما مر وانما كان هذا شان الانبيا
من الانبيا وصالحي اممهم كما هو المستقر المعلوم انه **واذا حلت الهداية**
وهي بمعنى الوصول الى الحق لا الدلالة عليه فقط ومن الاول انك لا تهدي
من احببت اي لا توصله ومن الثاني واما ثمود فهديناهم اي دللناهم ولم
نوصلهم بدليل فاستحبوا العمى على الهدى اذ لو وصلوا لم يستحبوا ذلك **قلبا**
لان القلب هو رئيس البدن
نشطت في العبادة الاعضا ومن ثم صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
المعول عليه في صلاحه وفساده
ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله
الا وهي القلب وهذا من الكلام الجامع الذي مرت نظايره واعلم ان بين انتها
رضاعه صلى الله عليه وسلم وما وقع له بعده وبين مبعثه وقايع ونعت له لا بأس
بالاشارة اليها باختصار وذلك ان حليمة لما ردته الى امه وحده كان في كلاة الله
وحفظه ينبته نباتا حسنا ويوفقه لافضل الاعمال والاحوال كما اشار الى ذلك
الناظم بقوله الف النسك الى اخره وبالغ صلى الله عليه وسلم اربع سنين وتبا

مرة

اثني عشر وشيئا وبين ذلك اقوال اخر فمات امه وكانت قدمت به طيبة
تزور اخوال ابيه فاقامت عندهم شهرا ومعها مملوكته ام ايمن واخرج ابن سعد
انه صلى الله عليه وسلم لما راى دار النابغة قال ههنا نزلت بي امي واحسنت
العوم في بير بني النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الي قالت ام ايمن
فسمعت احدهم يقول هو نبي هذه الامة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك من
كلامهم ولما رجعت امه به ماتت بالابوا وفي رواية انها دفنت بالحجون وفي الحري
في بعض دور مكة كما في القاموس وحضنته بعدها امة ابيه ام ايمن بركة ثم مات
جده كافله وله ثمان سنين وقيل اكثر وقيل اقل فقيل سنة وقيل ثلاث وكفله
عمه ابو طالب شقيق والده واخرج ابن عساكر عن عرفطة قال قدمت مكة وهم في
قحط فقالت قريش يا ابا طالب اقحط الوادي واجدب العيال فهلم فاستسق فخرج
ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجى تجلت عنه سحابة قتما وحوله اغيلمة فاخذه
ابو طالب والصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام باصبعه وما في السما قزعة فاقبل
السحاب من ها هنا وها هنا واغدق واغدودق وانفجر له الوادي واخصب
النادي والبادي وفي ذلك يقول ابو طالب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

وهذا البيت من جملة قصيدة له فيها مدح عجيب له صلى الله عليه وسلم حتى اخذ
الشيعة منها القول باسلامه ويوافقه رواية ضعيفة عن العباس انه اسر
اليه الاسلام عند موته ويويد ذلك ايضا ما في رواية البيهقي لله در ابي طالب
الخ لكن صريح الاحاديث المتفق على صحتها يرد ذلك وهي اكثر من ثمانين بيتا
استوفاها ابن اسحق لكن ذكر ان انشادها كان بعد المبعث وقد يجمع بان ذكر
هذا البيت اثر هذه الواقعة ثم كملها بعد المبعث والثمال بكسر المثلثة الملجا

والعصمة للحافظ من الضياع والارامل المساكين رجال ونسا كلهن في الدنيا
اكثر استعمالا انتهى رايت في شرح المنهاج للدميري في باب الاستسقاء عن
الطبراني وابن سعد ان عبد المطلب استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم
فسقوا ولذلك يقول فيه عبد المطلب وابيض يستسقى الغمام بوجهه
البيت انتهى وفيه مخالفة لما مر ان المستسقي به ابو طالب وانه القائل
للبيت فاما الاول فيمكن الجمع بين الروايات المتخالفة فيه بتكرار الواقعة
اذ وافقه ابي طالب كان الاستسقا فيها عند الكعبة ووافقه عبد المطلب
كان اولها انهم امروا باستلام الركن اليماني ثم برقي ابي قبيس ليدعوا عبد
المطلب ومعه النبي صلى الله عليه وسلم ويومن القوم ففعل فسقوا لكن قال
الحافظ نور الدين الهيثمي شيخ الحافظ ابن حجر وتلميذ الزين العراقي عن رواية
الطبراني في سندها رجال لا اعرفهم لكن لا يوثر ذلك فيها لان الحديث الضعيف
يعمل به في الفضائل اتفاقا قال بعض الحفاظ وكذا المناقب على ان صاحب
الروض ذكر روايتين عن ابن الاعرابي وغيره يوافقانها وحينئذ تعين
الجمع بما ذكرته واما الثاني فكون ابي طالب هو الذي انشا ذلك البيت هو ما
درج عليه ايمة السير وغيرهم ومن ثم جعله السهيلي في روضه امرا مقررا
ثم بنى عليه اشكاله وجوابه الاتي ردهما واما قول الدميري هو انه انشا
عبد المطلب فهو وهم منه وسببه ما في اخر قصة عبد المطلب ان رقيقة بنت
ابي صيفي بن هشام وهي التي سمعت الهاتف في النوم او في اليقظة لما تتابعت
على قريش سنون اهلكتهم يصرخ يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث قد
اظلتكم ايامه ولهذا ابان نجومه فحيهلا بالحيا والخصب ثم امرهم ان يستسقوا
به وذكر قصة ما يطول ذكرها حاصلها ما مر فلما قضت الرواية
المذكورة

المذكورة انشات تمدح النبي صلى الله عليه وسلم بابيات اخرها هذا البيت هي
٭ مبارك الامر يستسقى الغمام به ٭ ما في الانام له عدل ولا خطر ٭
فكان الدميري لما مر على هذا البيت في قصة عبد المطلب التي رواها الطبراني وهو
يشبه بيت ابي طالب لاتحادهما في كل استسقا الغمام به الذي هو المقصود توهم
ان بيت ابي طالب لعبد المطلب فوهم من وجهين نسبة هذا البيت لعبد
المطلب وانما هو لرقيقة والحكم بانه عين البيت المنسوب الى ابي طالب
وليس كذلك بل شتان ما بينهما فتامل هذا المحل فانه مهم وقد اغتر بكلام الدميري
هذا من لا خبرة له بالسير الماخوذة من الكتب المعتمدة ثم رايت ما يقطع بغلط
الدميري وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم نسب وابيض البيت لابي طالب كما اخرجه
البيهقي عن انس قال جا اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله اتيناك وما لنا صبي يغط ولا بعير يئط اي ما لنا بعير اصلا لانه اذا وجد
لا بد ان يئط فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداه حتى صعد المنبر فرفع
يديه الى السماء ودعا فما رد يده الى نحره حتى ابرقت السماء بابراقها وجاؤا
يضجون فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در ابي طالب
لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي يا رسول الله كانك
تريد قوله ٭ وابيض يستسقى الغمام بوجهه ٭ ثمال اليتامى عصمة للارامل ٭
مع ابيات اخر فقال صلى الله عليه وسلم اجل فهذا نص صريح من الصادق بان منشي
البيت ابو طالب فنسبته لعبد المطلب غلط صريح تنبيه برواية ابن عساكر
هذه يسقط قول السهيلي في روضه فان قيل كيف قال ابو طالب البيت ولم يره
قط استسقا انما كانت استسقاءاته صلى الله عليه وسلم بالمدينة في حضر وفيها
شوهد ما كان من سرعة اجابة الله له فالجواب ان ابا طالب استسقى به صلى الله

سفر وحضر صح

عليه وسلم وسقي فانشد ذلك البيت وانشده حينئذ والعجب من شيخ الاسلام
الحافظ ابن حجر انه غفل ايضا عن رواية ابن عساكر هذه فاجاب عن اشكال
السهيلي بقوله ويحتمل ان ابا طالب مدحه بذلك لما راى مخايل ذلك فيه وان لم
يشاهد ذلك انتهى اذ لو استحضر رواية ابن عساكر هذه لم يبد هذا الاحتمال
ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ثنتي عشرة سنة خرج به ابو طالب الى الشام حتى بلغ
بصرى فراى بحيرى الراهب فعرفه بصفته فقال هذا سيد العالمين انكم
حين اشرفتم به من العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجد الا لنبي واني
اعرفه بخاتم النبوة عند غضروف كتفه كالتفاحة ثم سال عمه ان يرده خوفا
عليه من اليهود رواه ابن ابي شيبة وفيه انه صلى الله عليه وسلم اقبل وعليه غمامة
تظله وبحيرى بفتح فكسر مقصور وذكره جمع في الصحابة بناء على ان الشرط رؤيته
الايمان به ولو قبل المبعث وصح ان سبعة من الروم اقبلوا يريدون قتله صلى
الله عليه وسلم فمنعهم بحيرى ورده ابو طالب وبعث معه ابا بكر بلالا وقوله
وبعث معه الخ وهم من احد رواته لان ابا بكر اذ ذاك لم يكن شاهدا لذلك ولا
اشترى بلالا وفي حديث عند البيهقي وابي نعيم انهم لما اقبلوا راى بحيرى غمامة
تظله من بينهم ثم نزل تحت شجرة فانحنت عليه اغصانها حتى اظلته وروى ابو نعيم
وابن عساكر ان اخته الشيما بنت حليمة راته في الظهيرة وغمامة تظله اذا وقف
وقفت واذا سار سارت ولما بلغ ثمان عشرة سنة سافر الى الشام مرة اخرى قال
لتجارة على ما ورد لكن بسند ضعيف وفيه ان ابا بكر كان معه وان بحيرى قال
هذا والله نبي وان ذلك سبب ايمان ابي بكر به لما بعث وقيل غيره ثم خرج وله خمس
وعشرون سنة في تجارة لخديجة ومعه غلامها ميسرة فراى في الهاجرة ملكين
يظلانه من الشمس وكذا رات خديجة ذلك لما اقبلوا وهي في علية لها في هذه

مرة اخرى ثالثة صح

السنة

السنة فتزوجها وكانت تسمى بالطاهرة وكان سنها اربعين سنة ولما بلغ
خمسا وثلاثين سنة خافت قريش ان تهدم السيول الكعبة لتشعثها
باقوم النجار القبطي مولى احدهم ان يبنيها وحضر صلى الله عليه وسلم
وكان ينقل معهم الحجارة ثم لما تقارب بعثه صلى الله عليه وسلم وكثر
تحدث بذلك احبار اليهود ورهبان النصارى لما في كتبهم من صفته
وصفة زمانه وكهان العرب لان شياطين الجن كانت لا تحجب عن خبر
السما فتسترق السمع وتخبر الكهنة به فيعلمون بعض خبر السما لكن
كانت العرب لا تلقي لذلك بالا فلما دنى مبعثه حجبت الشياطين عن
السمع كما قال بعث اي ارسل الله علم على الذات الواجب الوجود
المستحق لجميع الحمد من الخلق عند بتثليث العين اي قرب مبعثه
اي زمن بعثه صلى الله عليه وسلم اي ارساله الى الخلق كلهم كما قال في خبر مسلم
وارسلت الى الخلق كافة وبين بعث ومبعث جناس الاشتقاق الشهب
على الشياطين الذين يسترقون السمع فيخطف احدهم الكلمة ثم يضم
اليها ماة كذبة كما في الحديث ثم يلقيها للكاهن وجمع شهاب وهو شعلة
نار تحرق الشيطان المسترق للسمع او تخبله حراسا جمع حارس على
قياس كنائم وقيام وهو حال او مصدر اي لاجل الحراسة لشريعته التي
ياتي بها من الشياطين ان يخلطوا بها ما ليس منها وهو للمبالغة والتاكيد
لانه معلوم من قوله تطرد الى اخره ففيه التتميم كعلى حبه من ويطعمون
الطعام على حبه ولكثرة تلك الشهب وعمومها للمسترقين في نواحي السما
ضاق عنها الفضا اي المفازات الواسعة ولم يبق محل يجدونه حتى
يسترقوا السمع منه وبين ضاق والفضا الطباق تطرد حال من الشهب

تطرد الجن عن مقاعد للسمع كما تطرد الذياب الرعاءُ

اوصفة له كما في ولقد امر علي الليثي يسبني لكن ظاهر المقام ترجيح الحالية
اذ رعاية التنكير هنا بعيدة **الجن** وهم اجسام نارية تقدر علي
علي التشكيل في الصور المختلفة **عن مقاعد** اي امكنة قريبة من
السما يقعدون فيها **للسمع** اي ليسمعوا شيا من الملايكة المتكلمين
بما سيقع في الارض من الاقضية والمغيبات اما الكون رئيسهم يلقيه
عليهم ليكتبوه فيتلقونه منه او ان بعضهم ينسخه من كتب للبعض
الاخر زيادة في الاعتنا والظهور للملايكة واصل ذلك قوله تع قل اوحي
الي انه استمع نفر من الجن الي قوله فمن يسمع الان يجد له شهابا رصدا فلما
سمع الجن ذلك عرفوا الحق فامنوا ثم ولوا الي قومهم منذرين قايلين
ما حكاه الله عنهم في اواخر سورة الاحقاف ويوافق هذا ما رواه اهل
السير انه لما حيل بينهم وبين خبر السما قالوا ان ذلك لامر حدث
فاضربوا مشارق الارض ومغاربها وانظروا ما حال بينكم وبين خبر
السما فخرجت طايفة منهم من جن نصيبين باليمن قبل تهامة فوجدوا
النبي صلي الله عليه وسلم بنخلة قرية علي ليلة من مكة مع اصحابه يصلي الصبح
وهو يقرا فاستمعوا له ثم قالوا هذا الذي حال بينكم وبين خبر السما فاسلموا
وولوا الي قومهم منذرين وفي ذلك نزل قل اوحي الي الايات واذ صرفنا اليك نفرا
من الجن الاية قال الحافظ بن كثير عن ابن اسحاق انه صلي الله عليه وسلم خرج
الي اهل الطايف يدعوهم الي الاسلام وانه انصرف عنهم فبات بنخلة يقرا
تلك الليلة فاستمع جن نصيبين اي مدينة بالشام انتهى وما ذكره صحيح
الاقوله ان استماع الجن كان تلك الليلة ففيه نظر فان استماعهم انما كان
في ابتدا الوحي كما يدل له حديث ابن عباس عند احمد كان يستمعون الوحي

فيسمعون

٤٢

فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما يسمعون حقا وما زادوه
باطلا وكانت النجوم لا يرمي بها قبل ذلك فلما بعث صلى الله عليه وسلم
كان احدهم لا ياتي مقعده الا رمي بشهاب يحرق ما اصاب فشكوا
ذلك الي ابليس فقال لو اما هذا الا لامر اي عظيم قد حدث فبث
جنوده فاذا بالنبي صلي الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فاخبروه
فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض ورواه النساي وصححه
الترمذي قال اعني ابن كثير واما خروجه صلي الله عليه وسلم
الي الطايف فانما كان بعد موت عمه ابي طالب وروي ابن ابي
شيبة عن ابن مسعود انهم هبطوا عليه صلى الله عليه وسلم وهو ببطن
مكة يقرا القران فلما سمعوه قالوا انصتوا فانزل الله عز وجل
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية فهذا مع رواية ابن عباس
يقتضي انه صلي الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة وانما
استمعوا قراته ثم رجعوا الي قومهم ثم بعد ذلك وفدوا عليه
ارسالا قوما بعد قوم انتهى وصح ان الذي اذنه صلي الله عليه وسلم
بهم لما وفدوا اليه شجرة وانهم سالوه الزاد فقال كل عظم ذكر
اسم الله عليه يقع في يد احدكم اوفر ما يكون لحما وكل بعر علف لدوابكم
وفيه رد علي من زعم ان الجن لا تاكل ولا تشرب والحاصل ان ذهابه
الي الطايف انما كان بعد موت ابي طالب سنة عشر من البعثة ثم
موت خديجة بعده بثلاثة ايام او خمسة ثم تزوجه سودة بعد
ايام وكان خروجه الي الطايف بعد موت خديجة بثلاثة اشهر
في شوال لما نالته من قريش وكان معه مولاه زيد بن حارثة

بهم

فاقام به شهرا يدعو اشراف ثقيف فلم يجيبوه واغروا به سفهاءهم
وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورموا عقبيه بالحجارة
حتى اختضبت نعلاه بالدم زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة
قعد الى الارض فياخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشى
رجموه وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في راسه
شجاجا وفي الصحيحين انه لقي منهم اشد مما لقيه يوم احد وان
جبريل اتاه حينئذ ومعه ملك الجبال ليامره في قومه بما شا
فقال صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم
من يعبد الله وحده لا يشرك به شيا وجا عن ابن عباس
ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون
باخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات
فلما ولد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما منهم من احد
يريد استراق السمع الا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار فلا
يخطي ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله
فيصير غولا يضل الناس في البراري قال الائمة وهذا لم يكن
ظاهرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولم يذكره احد قبل زمانه
وانما ظهر في بدء امره وكان اساسا لنبوته نعم جا عن معمر انه قال
للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت افرايت
قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الاية قال
غلظت وشدد امرها حين بعث صلى الله عليه وسلم وجرى
على هذا ابن قتيبة فقال كان الرجم قبل مبعثه ولكن لم يكن

في شدة

فمحت اية الكهانة ايات من الوحي ما لهن امحاء

في شدة الحراسة مثله بعد مبعثه وعلم من قول ابن عباس شعلة نار ان الكوكب
لا ينفصل عن مجلسه وانما الذي ينفصل عنه تلك وقيل ينقض ثم يرجع الى
مكانه وطرد تلك الشهب لاوليك الشياطين طرد بالغ جدا **كما** موصولة او
مصدرية **يطرد الذياب** جمع ذيب بالهمز وقد يخفف وتشبيه شياطين
الجن بالذياب صرح به الحديث الصحيح **الرعا** بضم اوله وكسره للغنم
عنها اذا ارادت العدو
عليها **ف**بسبب ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر السما **محت اية الكهانة**
مفعول مقدم وهي بالفتح مصدر كهن بضم الها اذا صار كاهنا اي يخبر بالامور
الخفية والمغيبات المستقبلة اي علاماتها وهي ما كانت تاتي به الكهان وتذكر من
المغيبات التي تلقيها اليهم الشياطين بواسطة استراقهم لبعض كلام
الملايكة ثم القايه اليهم اليهم مع ما يضمونه اليهم من الكذب كما مر **ايات من**
جملة **الوحي** وهو الكتابة والاشارة والرسالة والالهام والكلام الخفي ولذلك
كان الوحي الاتي اليه صلى الله عليه وسلم على اقسام الرويا الصادقة فكان لا يرى رويا
الا جات مثل فلق الصبح ما يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير ان يراه الاحاديث
الصحيحة للحديث الصحيح ان روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس
حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب بمثل الملك له رجلا فيخاطبه
وصح انه كان ياتيه في صورة دحية اي لانه كان جميلا جدا اذا خرج لتجارة
خرجت الظعن لتراه وتشكل جبريل مع عظم صورته وان له ستمائة جناح يسد
الافق في صورة رجل غير بعيد لان الاجسام النورانية تقبل التضامر حتى تصغر
الصورة جدا كما ان القطن يقبل يقبل الانكباس فتصير الصورة الكبيرة منه
صغيرة وهذا اولى من قول بعضهم ان صورته الاصلية باقية على حالها وصورة
الرجل صورة اخرى له وروحه متعلقة بها كما في الابدال الذي يتعدد صورهم

ودانه خديجة والتقي والزهد فيه سجية والحياءُ

في الوجود وروحهم واحدة والتكليف حح مناط باي صورة ارادها الانسان يأتيه
مثل صلصلة الفرس وهو اشده عليه وكذا كانت ناقته صلي الله عليه وسلم
تبرك وكان راسه علي فخذ زيد بن ثابت فكادت ترض من شدة الثقل حتي انه يقول
لا امشي بعد اليوم علي رجلي ابدا اتاه علي صورته الاصلية ووقع له ذلك مرتين
كما في سورة النجم كلام الله له بلا واسطة كموسي واختص بالكليم لان ذلك وقع له
وهو بالارض ونبينا انما وقع له ذلك وهو كقاب قوسين او ادني وصح عن الشعبي
انه صلي الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراي له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة
من الوحي والشي ثم وكل به جبريل فجاه بالقران ثم وصف ايات الوحي بانهن
مالهن انمحا من محي يمحو ويمحي ويمحاي مالهن ذهاب ولا تغير كيف وقد
تكفل لهذه الشريعة الغرا بانها باقية علي ممر الدهور الي ان ينزل عيسي صلي الله
عليه وسلم فيحكم بها ثم تضمحل عند قيام الساعة بموت الطايفة التي اخبر
الصادق بانهم لا يزالون قايمين بالحق لا يضرهم من خالفهم حتي ياتيهم امر الله
اي ريح لينة تقبض ارواحهم ثم لا يبقي علي وجه الارض من يقول الله الله فتقوم
الساعة وبين يمحي وانمحا جناس الاشتقاق ثم ذكر قصة زواجه صلي الله عليه
وسلم لخديجة رضي الله عنها ولو قدمها كما فعلت ولو قدمها كما فعلت لتوافق الواقع
لانها قبل قوله بعث الله الي اخره لكان اولي فقال ودانه اي علمته واخبرته
لما سبق لها من الفضل الذي فاقت به ساير امهات المومنين رضي الله عنهن
خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزي بن قصي ابن كلاب وكانت
ذات شرف طاهر ومال وافر وحسب فاخر وهي للحال التقا هو البراة
من كل شي سوي الله وهذا غايته ومبداوه اتقا الشرك واوسطه اتقا المحارم
وكذا يقال في التقوي وصح خبر ان اتقاكم واعلمكم بالله انا وخبر اني لاعلمكم
بالله واشدكم له خشية والزهد هو اخذ اقل الكفاية مما يتيقن

قصة زواجه صلي الله عليه وسلم

حله وترك الزايد علي ذلك وقد صح خبر ما شبع ال محمد من طعام ثلاثة ايام
تباعا حتي قبض وخبر كان صلي الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة واهله طاويا
لا يجدون عشيا وانما كان خبزهم الشعير وخبر النعمان بن بشير لقد رايت
نبيكم صلي الله عليه وسلم يظل يلتوي ما يجد من الدقل ما يملا بطنه وخبر انه كان
يمضي الشهران ولا يوقد في ابياته صلي الله عليه وسلم نار وانما طعامهم التمر والما
وخبر انه صلي الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي علي ثلاثين صاعا من
شعير اخذها قوتا لاهله كل فيه كل منهما سجية بالسين المهملة اي خلق
غريزي طبيعي والاختلاف في كون حسن الخلق غريزيا او مكتسبا يتعين ان
يكون محله في غيره صلي الله عليه وسلم وتمسك من قال بانه غريزة بالحديث
الصحيح ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم والتحقيق ان اصول
الاخلاق غرايز وملكات في نوع الانسان وانما التفاوت في ثمراتها وهذا هو الذي
به التكليف لان الغريزي لا تكليف به لانه ليس في الطاقة نعم من فيه
غريزة منه اعانته علي المكتسب حتي يكاد يكون غريزيا فيومر بالمجاهدة
في الضعيف حتي يقوي وفي غير المحمود حتي يصير محمودا وقد صح انه صلي الله عليه
وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة قال يا رسول
الله قديما كان في او حديثا قال قديما قال الحمد لله الذي جبلني علي خصلتين يحبهما
الله فترديد السوال وتقريره عليه يشعر بان في الخلق الجبلي والمكتسب وصح انه
صلي الله عليه وسلم كان يقول اللهم كما حسنت خلقي اي بفتح اوله فحسن خلقي وكان
يقول في دعا الافتتاح واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت ولما
اجتمع في نبينا صلي الله عليه وسلم من صفات الكمال وخصال الجلال والجمال ما لا يحيط به
حد اثني الله تعالي عليه في كتابه العزيز فقال موكدا لذلك بذكري الاستعلا منه

وانك لعلي خلق عظيم والخلق ملكة نفسانية تحمل صاحبها على كل جميل ووصف
بالعظيم مع ان الغالب وصفه بالكريم لان خلقه لم يقتصر على الكرم المقتضي للسماحة
والدماثة بل يعم صفتي الانعام والانتقام اذ كان رحيما بالمومنين شديدا غليظا
على غيرهم **والحيا** فيه سجية ايضا على اكمل غاياته ففي البخاري من حديث
ابي سعيد كان صلي الله عليه وسلم اشد حيا من العذرا اي البكر في خدرها وقيد به لان
حياها فيه اشد لانه مظنة ان يظفر منها طامع بما يحل عليها فيه بنبي بخلافها بحضرة
الناس والحيا بالمد تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به من الحياة
ولذلك سمي المطر حيا لكنه مقصور وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ومنه
التقصير في حق من له حق ومن ثم صح انه لا ياتي الا بخير وانه من الايمان
وجعل منه وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الي قصد واكتساب
وعلم وحلم **واتاها** الخبر بكرامتين عظيمتين وقعتا له صلي الله عليه وسلم قبل
النبوة وهما **ان الغمامة** وهي السحابة **والسرج** وهو كما في القاموس شجر عظام
او كل شجرة لا شوك فيه او كل شجر طال انتهى وقضية سياق القصة الاتية
ان المراد الاول او الثالث واما الثاني فلم ار ما يدل له **اظلته منهما**
حال من قوله **افيا** جمع فيء وهو ما بعد الزوال من الظل من فاء اذا رجع
لرجوعه من جانب الي جانب وفرق بعضهم بين الظل والفيء بان الظل ما نسخته
الشمس والفيء ما نسخها ومر ذكرها تين الايتين قبيل قوله بعث الله عند
مبعثه الشهب وحاصلها مع بعض زيادة انها ارسلته في تجارة لها ومعه
عبدها ميسرة الي بصري فنزل تحت ظل شجرة فاظلته فقال راهب ثم
ما نزل تحتها الا نبي وسال ميسرة افي عينيه حمرة قال نعم لا تفارقه فقال
الراهب هو اخر الانبيا ليت اني ادركه اذ يومر بالخروج وقال له من خالفه

في بيع وهو في سوق بصري احلف باللات والعزي فقال ما حلفت ~~والعزي فقال~~
بهما قط فقال خصمه لميسرة هذا نبي والذي نفسي بيده انه هو الذي يجد له احبارنا
منعوتا في كتبهم فوعي ذلك ميسرة وكان ميسرة يري ملكين يظلانه في الهاجرة دراك
خديجة ذلك لما اقبل صلي الله عليه وسلم وهي في علية لها فارته نساءها عندها فعجبن من
ذلك فلما جاءها ميسرة اخبرته بما رات فاخبرها بجميع ما راه منه وبقول الراهب
السابق وبقوله ما حلفت بهما قط **تنبيه** ورد في تظليل الغمامة له صلي الله
عليه وسلم احاديث اصحها ما رواه جماعة وهو على شرط الصحيح الا ان في روايته غرابة ان ابا
طالب خرج به الي الشام في اشياخ من قريش فمروا ببحيرا فخرج اليهم على خلاف عادته فجعل
يتخللهم حتي اخذ بيد رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين زاد البيهقي
هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقالوا له وما علمك قال انكم
حين اشرفتم من الثنية لم تبق شجرة ولا حجر الا خر ساجدا ولا يسجدون الا لنبي
واني اعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما
اتاهم به كان صلي الله عليه وسلم في رعية الابل فقال ارسلوا اليه فاقبل وغمامة تظله فلما
دني الي القوم وجدهم قد سبقوا الي الشجرة فلما جلس صلي الله عليه وسلم مال فيء الشجرة
عليه فقال انظروا الي فيء الشجرة مال اليه الحديث رواه ابو موسي الاشعري وهو
اما ان يكون تلقاه عنه صلي الله عليه وسلم فيكون ابلغ او من بعض كبار الصحابة او
كان مشهورا اخذه بطريق الاستفاضة وروي ابن اسحاق معضلا والبيهقي
في الدلائل موصولا انهم لما نزلوا قريبا من صومعة بحيرا صنع لهم طعاما كثيرا لانه
راي رسول الله صلي الله عليه وسلم حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم اقبلوا
فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه فنظر الي الغمامة حين اظلت الشجرة وتهصرت اغصانها
اي مالت وانعطفت على رسول الله صلي الله عليه وسلم حين استظل تحتها القصة وورد ان

واحاديث ان وعد رسول الله بالبعث كان منه الوفاءُ
فدعته الي الزواج وما احسن ما يبلغ المني الاذكياءُ

حليمة ذات تمامة تظلله وهو عندها وورد ذلك ايضا عن اخيه من الرضاعة واشار غير
واحد الي ان تظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم انما كان قبل النبوة ارهاصا وتاسيسا للنبوة
كالاية ومما ياتي يدل على انقطاع ذلك ان الصديق رضي الله عنه اظله صلى الله عليه وسلم
حين قدما المدينة في الهجرة لما اصابته الشمس فظلل عليه بردايه وصح انه صلى الله عليه
وسلم ظلل عليه بثوب وهو يرمي الجمرة وظلل عليه مرة اخري وهو بالجعرانة وانهم كانوا في
اسفارهم اذا اتوا على شجرة ظليلة تركوها له صلى الله عليه وسلم وسياتي في شرح قوله واذا ان
ما مشي محي نوره الظل الي اخر ماله تعلق بذلك **و** اتاها ايضا **احاديث** الاحبار والرهبان
والكهان **ان** اي بان **وعد رسول الله** مصدر مضاف للمفعول اي وعد الله له وهو
عند الاطلاق لا يستعمل الا في الخير **بالبعث** اي الارسال الي الخلق كائنة **كان** اي
قرب **منه** اي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بقوله **الوفا** اي قرب وفا
الله سبحانه بذلك الوعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم **ف**بسبب ما رات منه وما
بلغها عنه مما يحمل من له ذرة ميز علي ان يغسل قدميه ويشرب ما غسلها **دعته**
اي خطبته **الي الزواج** اي الي ان يتزوج بها وعرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عم
اني قد رغبت في نكاحك لما رايته وعرفته منك ومن ان سنها حين كان اربعين سنة
وسنه صلى الله عليه وسلم كان خمسا وعشرين سنة على الاشهر فيهما وكانت تزوجت قبلها
برجلين **الي الزواج** هذه احدى صفتي التعجب **ما** مصدرية متوول مع
يبلغ بمصدر منصوب المحل على التعجب **المني** اي الاماني جمع امنية وهي ما يتمناه
الانسان **الاذكيا** جمع ذكي كغني والذكا بالمد حدة القلب ومزيد يقظة اي
شي عظيم حسن بلوغ الاذكيا كل ما يتمنونه ومنهم بل اكملهم خديجة رضي الله عنها
فانها ادركت لقوة ذكائها وتفرسها فيه صلى الله عليه وسلم سنه وبه كل ما تمنته
واملته مما لم تبلغه امراة من هذه الامة اذ هي على الاصح افضل امهات المؤمنين

وما احسن

رضي الله

46

واتاه في بيتها جبريل ولذي اللب في الامور ارتياءُ

رضي الله عنهن وهذا من انواع البديع المسمي بارسال المثل وهو ان يذكر الشاعر في بعض بيت
ما يجري مجري المثل السائر من حكمة او نحوها كقول ابي الطيب لان حلمك حلم لا تكلفه ليس
التكحل في ~~العينين~~ العينين كالكحل وهو كثير من كلام الناظم ولما عرضت نفسها عليه صلى
الله عليه وسلم ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على ابيها خويلد فخطبها اليه فاجاب
فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصدقها عشرين بكرة وحضر ابو بكر ورؤساء مضر فخطب
ابو طالب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضيضي
بمعجمتين او بمهملتين اصل معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته اي الكافلين
له وسواس حرمه اي المتولين لامره وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام
على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به فان كان
في المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة
بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما اجله وعاجله من مالي كذا وهو والله بعد هذا له
نبا عظيم وخطر جليل فزوجها ابوها منه وذكر المحب الطبري وغيره انه صلى الله عليه وسلم اصدقها اثنتي
عشرة اوقية ذهب ونصف اوقية قالوا وكانت كل اوقية اذ ذاك اربعين درهما **و**مما
يدل على عظيم ذكائها وفرط معرفتها انه **اتاه** بعد النبوة والرسالة **في بيتها جبريل**
كعند كيف لغة في جبريل ليلقي اليه ما امر به من الوحي وكان عندها من الايمان به علم
اليقين فاحبت ان ينتقل عنه الي عين اليقين كما وقع لابراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا وعلى
سائر الانبياء والمرسلين وسلم في قوله بلي ولكن ليطمئن قلبي وكيف لا يريد هذه
المرتبة العلية **ولذي** اي صاحب **اللب** اي العقل الكامل وخديجة رضي الله
عنها من اكمل اولي الالباب واذكاهم **في الامور** اي الاحوال التي قد تشتبه **ارتيا**
اي استبصار من ارتايته اي نظرته بالعين والقلب كما في القاموس وفراسة يقضي
بها على تلك الامور بتمييز حسنها من قبيحها فعلم ان هذه الجملة اعتراضية وان فيها

فاماطت عنها الخمار لتدري اهو الوحي ام هو الاغماء
فاختفي عند كشفها الراس جبريل فما عاذ واعيد الغطاء

غاية المناسبة لما قبلها وما بعدها اذ الاعتراضية لابد لها من نكتة فهي هنا الاشارة
الي كمال عقلها واستبصارها مع افادة ان هذا امر كلي جار مجرى المثل او الحكمة فهو من
ارسال المثل ف بسبب تلك المحبة مع ما عندها من كمال العقل اماطت اي
ازالت عنها اي عن راسها الخمار وهو ما يخمر اي يغطي به الراس لتدري اي لكي تعلم
علم اليقين اهو اي هذا الذي يعرض له صلى الله عليه وسلم حتى اخرجه عن حالته
المالوفة منه الوحي اي حامله والمبلغ الذي كان ياتي به الانبيا قبله ومن اقسام
ام هي معادلة الهمزة المطلوب بها وبام التعيين ولها قسم ثان وهو ان تقع بعد
همزة التسوية وسميت فيها معادلة لمعادلتها الهمزة في افادتها الاستفهام في الاول
والتسوية في الثاني وتسمى فيهما متصلة لان ما قبلها وما بعدها لا يستغني باحدهما
عن الاخر ويقابلها المنقطعة وهي ثلاثة اقسام مبسوطة في محلها هو الاغما الذي
هو من بعض الامراض العادية ومن ثم جاز على الانبيا دون الجنون ف بسبب ازالتها
الخمار عن راسها اختفي عند كشفها الراس منه مفعول كشف المضاف لفاعله
جبريل فما عاذ اذ اعيد الغطا اي الى ان اعادت خمار راسها فاعيد فاعيد ماض
مبني للمفعول والغطا نايب الفاعل ووقع للشارح هنا انه قال واعيد
منصوب بان مضمرة بعد او التي تصلح موضعها حتى والغطا فاعل اعيد انتهى
وهو سهو عجيب لما تقرر ان اعيد ماض الخ وكان هذا الوهم سرى اليه مما يوهمه
بعض كلام النحاة ان او غير العاطفة التي بمعنى ان لا تدخل الا علي مضارع كما في حتى
الغائية المرادفة لها المذكورة كما صرح به وح فما ضبطه ذلك الا ما ذكره غفلة عن
ان اعيد ماض لكن كان عليه ان يقول وقول الناظم اعيد صوابه يعاد ويذكر
ما اشرت اليه واما كونه يبقي اعيد على حاله ويجعله منصوبا وهو حال الفا
لا يقال هو ماض لفظا مستقبل معنى فيجوز دخول او الناصبة عليه

لما

لما مر جوابه في حتى المرادفة لها ان الشرط النصب بعدها ان يكون الفعل مستقبلا
او ماضيا في حكم المستقبل نحو سرت حتى ادخل المدينة تحفظ او يؤول بالمستقبل نظرا
الي انه غاية لما قبل حتى فهو مستقبل بالاضافة اليه لانا نقول معنى قولهم او ماضيا
في حكم المستقبل ان لفظه لفظ المضارع ومعناه ماض مكان قضية القياس
ان لا يدخل عليه حتى الغائية فاجابوا بان ما فيه من المضي يؤول بالاستقبال
نظرا الي انه غاية كما تقرر واما ما لفظه ماض فلا يدخل عليه حتى الغاية اصلا فان قلت
كيف هذا مع قوله تعالى حتى اذا هم نفرنا حتى عفوا حتى جاهم العلم وفي البخاري حتى
فجيه الحق وهو في غار حرا قلت حتى هنا ابتدائية لا غائية واو الناصبة
انما تكون بمعنى حتى الغائية لا غير وقد صرح بذلك الايمة وخصه الجلال السيوطي في
شرح جمع الجوامع له حيث قال ما ملخصه ان حتى الابتدائية تليها الجملتان
الاسمية والفعلية والماضوية والمصدرية بشرط وزعم ابن مالك انها جارة
غائية قبل الفعل الماضي باضمار ان بعدها على تاويل المصدر فغلطه فيه ابو حيان
وتبعه ابن هشام فقال لا اعرف له في ذلك سلفا وفيه تكلف اضمار من غير ضرورة
ورد زعمه هو والاخفش انها جارة قبل اذا وان اذا في موضع جر بها بانه خلاف
ما عليه الجمهور انها ابتدائية واذا في موضع نصب بشرطها وجوابها ثم قال
الجلال قال بعض شيوخنا ضابط حتى انها وقع بعدها اسم مجرور او مضارع
منصوب فحرف جر او اسم مرفوع او منصوب فحرف عطف او جملة اي ماضوية
فحرف ابتدا ولا محل لهذه الجملة انتهى وهذا كله صريح كما ترى في ان كل جملة
ماضوية دخلت عليها حتى في القران او غيره تكون حتى ابتدائية ولا تكون جارة
بمعنى الي ان وان صح المعنى لما مر ان ذلك تحتاج لتقدير ما لا حاجة اليه واذا
تقرر ان حتى الغاية لا تدخل على الماضي فاو التي بمعناها اولى فان قلت

لو قست او على حتى الغاية في منع دخولها على الماضي ولم تقسها على اي ان او الا ان فهو
ماذكره ابن مالك وقد رد عليه ولله ومن ثم قال ابو حيان فدا عنانا ولله عن
الرد عليه وعلى التنزل فالان لا تدخل على الماضي الا عند قوم بشرط ان يتقدمه
فعل او قد كما هو مقرر في محله واما كونها بمعنى اي ان فوجهه ان حتى ان ما امتنع
دخولها على الماضي لكونها غاية كما مر مبسوطا وهذا المعنى موجود في اي بطريق الاصالة
فيمنع دخولها على الماضي بنص كلامهم لا بطريق القياس فان قلت تقرر ان او
بمعنى اي ان وهذه تدخل على الماضي كما في الحديث قام الي تورمت قدماه فلتكن
او كذلك قلت هذا اشتباه لان ان المتضمنة في او هي الناصبة وهي خاصة
بالمضارع فلم يتصور دخول او المتضمنة لها على الماضي واما ان الملفوظ بها بعد اي
فهي التي لا يتصور لها عمل وهي تدخل على الماضي فلا جامع بين هذه وتلك فان قلت
بعضهم يقدرها بالي ان وبعضهم يقدرها بالي فقط وهذا يدل على ان لا نظر
اليها قلت لا يدل لذلك بوجه وانما سبب ذلك انهم اختلفوا في ناصب المضارع
الداخل عليه او فالاصح انه بعدها وقال قوم هي الناصبة بنفسها فعلى الاول
تقدر بالي ان وعلى الثاني بالي فقط فان قلت فقد ادخل الناظم او على الماضي في
موضع من البردة وسكت عليه شراحها قلت الاعتراض عليه فيهما ايضا واما
الشراح فيحتمل انهم انما سكتوا على ذلك نظرا للمعنى او لانهم غفلوا عما ذكرته من صريح
كلامهم الدال على ان او الغاية لا تدخل على الماضي ثم رايت شارحها العلامة
ابن مرزوق تنبه لما ذكرته فقال في او وقلت البطاح بهالان او هنا على الغاية
ثم جعلها بمعنى الواو وبل وانها على حالها للشك او التخيير وتكلف بيان
ذلك ثم يعرج على انها او الغاية بوجه وليس سر ذلك الا امتناع دخولها على الماضي
والا كان معنى الغاية في البيت اقرب مما تكلفه ولا ياتي نظير ما تكلفه هنا بوجه

ان

واله

فاستنابت خديجة انه الكنز الذي حاولته والكيماء

والا لبادرت اليه ومما يصرح بذلك ايضا ان النحاة لم يذكروا الا او قسمين عاطفة
وناصبة وهي الغاية فالعاطفة امرها واضح ولا كلام فيها والناصبة تختص بالمضارع
نحو اثبت لها اقساما لشاهد دخولها على الماضي ولا يمكن للعطف فعليه
البيان ولا يجد ذلك كما دل عليه كثرة البحث والتتبع فتامل ذلك كله فانه نفيس
مهم غفل عنه الناظم وغيره فاستنابت خديجة قيل صرفها للضرورة ويرد
بانها باقية على عدم صرفها والوزن صحيح اي ظهر لها اتم الظهور لانها علمت
من ابن عمها ورقة الاتي او من غيره ان جبريل لا يابى محلا فيه امراة مكشوفة الراس
انه اي ما يعرض للنبي صلى الله عليه وسلم الذي طلبت الوقوف على عين اليقين فيه
الكنز اي الشيء النفيس بل الذي لا انفس منه الذي حاولته اي ارادت حيازته
والظفر به وانه الكيميا اي العلم البديع الذي يقلب الاعيان الرديئة الى الاعيان
النفيسة واستعار الكنز وهو المال المدفون والكيميا وهو العلم
المعروف للوحي لانه بهما حصل لذخاير النفيسة المنتفع بها
حالا ومالا كما ان الوحي كذلك وايضا بها لا يظفر بهما الا الفذ
النادر كما ان الوحي لا يظفر به الا اكمل البشر وهم في غاية
الندرة والقلة بالنسبة لبقية الناس واشار لما وقع لخديجة اي سبب
ذلك وهو قصة ابتدا بعثه صلى الله عليه وسلم وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ اربعين
سنة وقيل وكسر ابعثه الله يوم الاثنين كما في خبر مسلم لسبع عشرة من
رمضان وقيل من ثمان من ربيع الاول وقيل كان في رجب رحمة للعالمين ورسولا
الى كافة الخلق اجمعين كما قال صلى الله عليه وسلم ارسلت الى الخلق كافة وروى
البخاري وغيره اول ما بدي به صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة فكان
لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وابتدي بها لان الملك لو فجاه بغتة

لم تحمله قواه البشرية وكان ياتي حرا فيتعبد فيه الليالي الكثيرة ثم يرجع الى
خديجة فيتزود لمثلها حتى فجاءه الحق اي جاءه جبريل وهو بغار حرا فقال له اقرا قال
ما انا بقارئ اي لست بقارئ ما قاله امتناعا لانه كان اميا لا يقرا ولا يكتب
فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم ارسله وقال له اقرا قال ما انا بقارئ قال
له اخبارا بالواقع فغطه ثم ارسله كذلك وقال له اقرا قال ما انا بقارئ ما الذي
اقرؤه فغطه وارسله كذلك وحكمة الغط ثم تكريره مزيد التاهل اي لقا الملك
لما بين البشرية والملكية من التباين ثم اي التلقي منه ثم قال اقرا باسم ربك
حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة فقال زملوني
زملوني حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة ما لي واخبرها الخبر ثم قال قد خشيت
على نفسي اي قبل ان يحصل لي العلم الضروري بان الذي جاءني جبريل او خشيت ان لا اقدر
على قدر اعبا الرساله وان يقتلني قومي ولا بدع فانه بشر فقالت له كلا ابشر فوالله
لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف
وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به الى ابن عمها ورقة وكان شيخا كبيرا قد
عمي وهو ممن تنصر من العرب وعرف وعرف الانجيل فقالت له اسمع من ابن اخيك
فاخبره صلى الله عليه وسلم ما راى فقال هذا الناموس الذي انزل على موسى يا ليتني
فيها اي [illegible] جذعا اي شابا بالغا لنصرتك اذ يخرجك قومك قال او مخرجي هم قال
نعم لم يات رجل قط بما جئت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا
ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة يعني حزن صلى الله عليه وسلم وتكرر ذهابه
الى رؤس شواهق الجبال ليرمي نفسه فيبدو له جبريل ويقول يا محمد انك رسول الله
حقا فيسكن لذلك جاشه واخرج الشيخان وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم قال جاورت
بحرا لا لطلب النبوة فانها موهبة لا تنال بكسب الله اعلم حيث يجعل

رسالاته

ثم قام النبي يدعو الى الله وفي الكفر نجدة واباء

رسالاته فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت فلم ار شيئا فرفعت راسي
فرايت شيئا لم اثبت له فاتيت خديجة فقلت دثروني دثروني وصبوا علي ماء باردا
فنزلت يا ايها المدثر الاية وهذا بعد نزول اقرا بل وبعد فترة الوحي اذ اول ما نزل اقرا
على الاصح بل الصواب وصح عن الشعبي انه قال انزلت عليه صلى الله عليه وسلم النبوة وهو
ابن اربعين سنة فنزل بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة الكلمة والشي
ولم ينزل عليه القران على لسانه فلما مضت ثلاث سنين فنزل بنبوته جبريل فنزل عليه
القران على لسانه عشرين سنة وحكمة الفترة ذهاب الروع الذي وجده
صلى الله عليه وسلم ومزيد تهييجه الى الاشتياق للعود وروى اصحاب السير انه صلى الله
عليه وسلم لما اخبر خديجة الخبر قالت له اتستطيع ان تخبرني بهذا الذي ياتيك اذا
جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل اخبرها به فقالت له اجلس على فخذي الايسر
ففعل فقالت له اتراه قال نعم فقالت فعلى الايمن ففعل فقالت
اتراه قال نعم قالت فاجلس في حجري ففعل فقالت اتراه قال نعم فالقت
خمارها ثم قالت اتراه قال لا قالت اثبت وابشر فوالله انه لملك ما هذا
شيطان ثم بعد تلك الفترة ونزول قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر اي بادر صلى الله
عليه وسلم الى امتثال ذلك فحينئذ قام النبي اي جد واجتهد في حال كونه يدعو الى
عبادة الله والايمان به وبرسوله وترك ما هم عليه من عبادة الاصنام والاوثان
وذلك لان ما وجب عليه صلى الله عليه وسلم الانذار والدعا الى التوحيد ثم فرض الله
من قيام الليل ما ذكره في اول سورة المزمل ثم نسخه بما في اخرها ثم نسخه بايجاب
الصلوات الخمس ليلة الاسرا بمكة قال النووي وقال في فتح الباري كان
صلى الله عليه وسلم قبل الاسرا يصلي قطعا وكذلك اصحابه لكن اختلف هل افترض
قبل الخمس صلاة ام لا فقيل ان الفرض صلاة قبل طلوع الشمس وقبل

اول

الغروب وروي ان جبريل بدا له صلى الله عليه وسلم في احسن صورة واطيب رايحة
فقال يا محمد ان الله يقريك السلام ويقول لك انت رسولي الي الجن والانس
فادعهن الي قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض فنبعث عين ما فتوضا
منها جبريل ثم امره ان يتوضا وقام جبريل فصلي وامره ان يصلي معه فعلمه الوضوء
والصلاة ثم عرج الي السما ورجع صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر
الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله حتى اتي خديجة فاخبرها فغشي عليها
من الفرح ثم امرها فتوضات وصلى بها كما صلي به جبريل فكان ذلك اول
ركعتين الحديث **وهي** للحال **في** اهل **الكفر نجلة** اي قوة تامة وتحزب
عليه **وابا** اي امتناع عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به **اما** منقول
يدعوا اي جماعات بكرامة الدعوي **اشربت** بالبنا للمفعول **قلوبهم الكفر**
اي اختلطت به بتقدير تجسمه وتمكن فيها حبه حتى صارت لا تقبل علي غيره
ولا تلتفت اليه لامتزاجها به امتزاج المشروب بها فاستعار لفظ الشرب
للمخالطة وشدة الممازجة وح **فذ الضلال** الذي استقر **فيهم** اي مرضه
او الاضافة بيانية اي فالمرض الذي استقر فيهم وهو الكفر دا اعيي الاطبا مداواته
وحصول شفايه ولما قام صلى الله عليه وسلم يدعوا الي الله دخل في الاسلام رجال
ونسا حتى كمل السابقون الاولون واولهم علي الاطلاق خديجة ثم من الرجال
ابو بكر ومن الصبيان علي وصح اسلامه مع صباه لان الاحكام اذ ذاك كانت
منوطة بالتمييز ومن الموالي زيد ومن الارقا بلال وروي ان ورقة اسلم فان
صح كان اول من اسلم من الرجال وبهذا تجتمع الاقوال المتباينة في اول
من اسلم ثم دخل الناس في الاسلام ارسالا وكان صلى الله عليه وسلم مختفيا الى ان
امره الله بالاظهار امر بقوله فاصدع بما تؤمر قالوا وكان ذلك بعد النبوة

بثلاث

عياءُ

هاشم

بثلاث سنين ولم يبعد منه قومه ولا ردوا عليه حتى عاب الهتهم سنة اربع من النبوة
فاجمعوا على عداوته الا من عصمه الله بالاسلام او صدق المحبة كابي طالب فانه حزب
عليه ومنعه وقام دونه فاشتد الامر وتضارب القوم وتوامرت قريش على من
اسلم منهم يعذبونهم ومنع الله رسوله منهم بعمه ابي طالب
وبني هاشم غير ابي لهب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في منازلهم يقول
اعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وابو لهب وراه يحذر منه ويرميه بالسحر والشعر والكهانة
والجنون وكان بعضهم يحثوه بالتراب ويجعل الدم على بابه ووطي عقبة ابن ابي معيط
على عنقه وهو ساجد عند باب الكعبة حتى كادت عيناه يبرزان وخنقوه خنقا شديدا
وجذبوا راسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر ودفعه عنهم ثم اسلم عمه حمزة
رضي الله عنه سنة ست من النبوة فعزبه وكفت عنه قريش قليلا وسالوه ان يملكوه عليهم
ويبذلوا له من الاموال ما شا ويترك ما هو فيه فابي وقال اصبر لامر الله حتى يحكم بيني وبينكم
وفي سنة خمس اذن الله لاصحابه في الهجرة الي الحبشة فكان اولهم عثمان مع زوجته رقية
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم عمر بعد حمزة رضي الله عنهما بثلاثة ايام فعز رسول الله
صلى الله عليه وسلم كثيرا فاجمعت قريش علي قتله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك ابا طالب فجمع
بني هاشم والمطلب فادخلوه صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه **ورأينا** معشر
امة الاجابة اي ابصر الصحابة وعلم من بعدهم بطريق التواتر والشهرة وصح انها
بمعني علم في الكل وهو واضح وابصر في الكل وهو فيمن بعد الصحابة بالنسبة لمشاهدة
حروف القران الدال على ايات لا تحصي **اياته** اي معجزاته وخلقه وخلقه من بديع صنعته
فاهتدينا اي وصلنا الي المطلوب منا من كمال الايمان والاتباع وانما بادرنا الي ذلك
لانا اصحاب عقول كاملة وقد راينا الحق عيانا لا مرية فيه ولا شبهة فعلمنا انه **اذ**
الحق جا زهق الباطل وبين بجا ان الحق فاعل مثله المحذوف كان اذا الاتدخل

رب ان الهدي هداك , واياتك نور تهدي بها من تشا
كم راينا ما ليس يعقل قد الهم ما ليس يلهم العقلاء
اذ ابى الفيل ما اتى صاحب الفيل ولم ينفع الحجا والذكاء

الا على الجملة الفعلية على الراجح وزال المرا اي الضلال والجدال فيه وفي هذا ابلغ
التعريض لكفار قريش حيث لم يومنوا به صلى الله عليه وسلم مع ما شاهدوه من كماله الاعظم
خلقا وخلقا وعلما وسيرة ومن معجزاته الدالة على صدقه يا رب ان الهدي
اي اتباع الحق ليس الا هداك اي ليس الا بتوفيقك وهدايتك كما قلت في
كتابك فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقا حرجا كانما يصعد في السما من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي
له وان اياتك التي اقمتها دالة على صدق انبيايك ويصح رفعه فعلى الاول
كل من الجملتين موكد لما قبلها وعلى الثاني هي موكدة ايضا لكن فيها شبه اعتراض
بنا على جواز وقوعه بعد تمام الكلام نور كما قلت قد جاكم من الله نور تهدي
بها من تشا هدايته وتضل عنها من تشا غوايته ففي كلامه اقتباس من الايتين
المذكورتين كما اشرت اليه وايما الى ان الايات لا ينفع مع سبق الشقاوة ولما قرر
ان الهدي هدي الله وانه يهدي من يشا ويضل من يشا ذكر ما يستغرب من ذلك
ويعرب وهو ان غير العاقل قد يلهم كثيرا مما يحرمه العاقل فقال كم مرة
اي مرارا كثيرا فهي خبرية ويجوز حذف مميزها كما فعله الناظم فان ذكر جر باضافتها
اليه عند البصريين وجوز بنو تميم نصبه وافراده اكثر وافصح من جمعه فان فصل
نصب حملا على كم الاستفهامية راينا اي علمنا وابصرنا نظير ما مر واستعمال المشترك
في معنييه واللفظ في حقيقته ومجازه جايز وعلى منعه الذي ذهب اليه الاكثرون
فهو من عموم المجاز ما اي شخصا ليس يعقل اصلا كالحيوان والجماد قد
الهم من المصالح وهذا في موضع ثان مفعولي راى ما اي كثيرا ليس
يلهم العقلا اذ ظرف او علة لراى ابى اي امتنع الفيل المذكور في الاية
من ان يفعل ما اتى اي عزم عليه صاحب الفيل وهو ابرهة ملك صنعا

الكلام م

وهو

وهو دخوله الحرم لهدم الكعبة وبين ابي واني الجناس المصحف ومنه قوله تع وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا ولم ينفع الحجا اي العقل الوافر والذكا اللذ ان
اتصف بهما فلم يوفق لما وفق له الفيل مع وضوح فرقان ما بينهما في الذكا والعقل
نعلم ان الهداية والضلال ليس الا بتوفيق الله وهدايته او خذلانه وعدم
رعايته وبسط هذه القصة ان ابرهة ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى
كنيسة بصنعا وكتب الى النجاشي قد بنيت لك كنيسة واريد ان اصرف حج
العرب اليها فجا رجل من بني كنانة فاحدث فيها فسمع بذلك فغضب وحلف
ليسيرن الى كعبة العرب ويهدمها فامر الحبشة فتهيات ثم سار وخرج معه
بالفيل فيل واحد يسمى محمودا وقيل اكبر فخرج عليه ملوك فهزمهم واسرهم الى
ان قرب من المغمس عند عرفه فبلغ ذلك عبد المطلب فقال
يا معشر قريش لا يصل لهدم البيت ان له ربا يحميه ثم ارسل ابرهة خيلا
فاستاقت ابل قريش وغنمهم ولعبد المطلب فيها اربعماية ناقة فركب في
قريش حتى بلغ جبل ثبير فاستدارت دايرة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على الكعبة مثل السراج فقال ارجعوا
فقد كفيتم فوالله ما استدار هذا النور مني الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا ثم
ارسل ابرهة رجلا لسيدهم وهو عبد المطلب ليخبره انه لا حاجة له بدمايهم
وانما غرضه تخريب الكعبة فان مكنتموني بخوتم فقال له عبد المطلب
لا طاقة لنا بحربه والبيت بيت الله فان منعه فهو بيته ثم حمله اليه فاكرمه
واجله ونزل عن سريره وجلس معه على بساطه ثم قال له ما حاجتك قال
ان ترد على ابلي فقال له كنت اعجبتني ثم زهدت فيك تكلمني في ابلك
دون بيت هو دينك ودين ابايك فقال له اما الابل فانا ربها واما البيت

نله رب يحميه فرد اليه ابله فرجع فاخبرهم فتحذروا في شعف الجبال
والشعاب ثم اخذ عبد المطلب ومعه نفر من قريش بحلقة باب الكعبة ودعوا
واستنصروا وفي رواية ان رسول ابرهة لما دخل مكة وراي وجه عبد المطلب خضع
وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه وخار كما يخور الثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا ل
لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا وروي ان عبد المطلب لما ذهب لابرهة احضر فيله الابيض العظيم فلما راي عبد المطلب خر ساجدا
وقال السلام علي النور الذي في ظهرك يا عبد المطلب ولما اصبح ابرهة بالمغمس
هيا فيله وجنوده لدخول مكة برك الفيل في محله بنا علي الاصح انهم لم يدخلوا الحرم
وقيل دخلوه وانما برك لما وصلوا الي وادي محسر ولذا سمي بذلك لان به فيلهم
حسر اي اعيي فضربوه في راسه وبزاق بدنه بالحديد فابي فوجهوه نحو اليمن
فقام ثم نحو الشام فمشي ثم نحو المشرق فمشي ثم نحو الكعبة فابي ثم ارسل الله
عليهم طيرا ابابيل كامثال الخطاطيف من البحر مع كل طاير منها ثلاثة احجار
حجر في منقاره وحجران في رجليه كامثال العدس لا يصيب احدا منهم
الا قتله فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق واصيب ابرهة في جسده
فتساقط انامله انملة انملة حتي وصل صنعا وهو مثل فرخ الطاير وسال
منه الصديد والقيح والدم وما مات حتي تصدع قلبه وقد ذكر الله تع هذه
القصة في سوره الفيل وافتتحها بالم تر مع انها قبل مبعثه بل قبل ولادته
اشاره الي ان المراد من الروية العلم والتذكير وان الخبر بذلك متواتر فكان
العلم بذلك ضروريا مساويا للعلم الحاصل بالروية البصرية وقد دلت هذه
القصة علي غاية شرف نبينا فانها كانت ارهاصا وتاسيسا النبوته ويجوز
تقديم المعجزة علي زمن النبوه تاسيسا كما مر في تظليل الغمام والشجر

والجمادات افصحت الذي اخرس عنه لاحمد الفصحاءُ

والملكين بل جاان الشجرة والحجارة قبل مبعثه صلي الله عليه وسلم كان لا يمر بها
بشي الا سلم عليه سلاما يسمعه باذنيه وعلي شرف قومه وحماية الله لهم ولذا دانت
العرب لشرفهم لعلمهم بان ابرهه لا قدرة للعرب باسرهم علي قتاله فاذا تولي الله
نصرهم عليه ذلك علي ان علمهم اعتنا الله بهم ولعقل معني الارهاص بعد مجي النبوة
وثبوتها بالدلايل القطعية املي للحجاج قبحه الله حتي خرب الكعبة ولم يعاقب
بشي ولما ذكر ما يتعلق بالهام الحيوان بذكر قصة الفيل ذكر ما يتعلق بالهام الجماد
فقال **والجمادات** وهي ما لا روح فيه **افصحت** اي اظهرت ونطقت
بكلام مبين فصيح لا تلعثم فيه قيل تخلقه الله فيها من غير حياه وان من شي الا يسبح
بحمده وقيل بل تخلق فيها حياة ولسان وادراكا فتنطق مختارة عارفة بما تنطق به
ويدل لهذا ما ياتي في حنين الجذع وانينه فان ذلك يدل علي ان الله تعالي خلق فيه الحياه
والعقل والشوق حتي حن وان ولا يعارضه ان مذهب الاشعري ان خلق الصوت
في محل لا يستلزم خلق الحياة والعقل فيه لانا لم ناخذ الحياه من صوته بل من الملاق
المحابه عليه انه حن وان ومذهب الاشعري ان الذكر المعنوي والكلام النفسي
يستلزمان الحيوة استلزام العلم لها ولذا عامله صلي الله عليه وسلم معاملة الحي
بالقرابة كما يلزم الغايب اهله بالشهادة والارسال **الذي اخرس عنه**
لاحمد متعلق بافصحت **الفصحا** نايب فاعل اخرس وفيه الطباق اي ان
العرب قريبا وغيرهم مع كونهم ارباب الفصاحة وفرسان البلاغة امتنعت
السنتهم من النطق له صلي الله عليه وسلم بالايمان به والشهادة له بالرسالة الا بعد
وشهد له بذلك الجمادات الصم بافصح لسان وابلغ بيان فمن ذلك تسبيح الحصي
في يده ثم في يد ابي بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهما بحيث يسمع تسبيحهن من في الحلقة
رواه جماعة وهو مشهور لكن في سنده ضعف وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه

استقبلنا

كنا ناكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام ونحن نسمعه لذكر غاية الكرامة لهم وصح ايضا اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث اني لاعرفه الان قيل هو الحجر الاسود وقيل البارز بزقاق المرفق لانه كان ممره صلى الله عليه وسلم من دار خديجة اي المسجد وعليه اهل مكة سلفا وخلفا وصح عن علي كرم الله وجهه كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحي مكة فما استقبلنا حجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله والبزار وابو نعيم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله والبيهقي وابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم غطى العباس وبنيه بملاته فقال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهولاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاتي هذه فقالت اسكفة البيت وحوايط البيت امين امين وصح انه صلى الله عليه وسلم كان هو وابو بكر وعمر وعثمان على احد وصح ايضا على حرا فتحرك فقال اثبت وضربه برجله فما عليك الا نبي وصديق وشهيدان وصح انه صلى الله عليه وسلم طلب من رجل الايمان فقال له هل من شاهد فقال هذه الشجرة فدعاها صلى الله عليه وسلم وهو على شاطي الوادي فاقبلت تخد الارض خدا اي تشقها شقا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها وفي خبر قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها وبين يديها ومن خلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة وقفت بين يديه فقالت السلام عليك يا رسول الله فقال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابي ايذن لي اسجد لك فقال لو كنت امر احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها وصح ان اعرابيا قال له بما اعرف انك رسول الله قال بان ادعوا هذا العرق من هذه النخلة يشهد باني رسول الله فدعاه فنزل

ثم قال ارجع فعاد فاسلم الاعرابي تنبيه علم من كلام الناظم على مولده صلى الله عليه وسلم وما بعده ان من دلايل نبوته ما وجد في كتب الله من بعثته وخروجه بارض العرب وما ظهر بين يدي مولده ومبعثه من العجايب المبطلة لسلطان الكفر والمنوهة بشرف العرب كقصة الفيل وما حل باصحابه وخمود نار فارس وما ذكر معها وما سمع من الهواتف الصارخة بها وصفاته صلى الله عليه وسلم وانكباب الاصنام المعبودة على وجوهها من محالها فيه من غير فعل فاعل مع شدة ثباتها واحكامها وما سبق بعضه من العجايب التي ظهرت ايام رضاعه وما بعده الى بعثته واتباع الخلق له مع انه لم يكن له مال يطمع فيه ولا قوم يقهر بها الرجال مع ما كانوا عليه من محبة الاصنام والمبالغة في الحمية لها بالمقاتلة وشن الغارات لا يجمعهم الفة دين ولا يمنعهم عن سوء معاملة النظر في عاقبة ولا خوف لايمة فالف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الارا واجتمعت القلوب فصاروا يدا واحدة على من سواهم وهجروا اوطانهم واهاليهم في محبته وبذلوا مهجهم لنصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف في اعزاز كلمته بلا دنيا افاضها عليهم في العاجل ولا عرض في الاجل المطمع في نيله يتجوزونه بل كان من شانه صلى الله عليه وسلم ان يجعل الغني فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل يلتيم مثل هذه الامور ومن قبل اختيار عقلي او تدبير فكري لا والذي بعثه بالحق انما ذلك امر الهي وتاييد سماوي فعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وهذا الذي ذكرته يتضح تعقيب الناظم لما مر بقوله ويح منصوب بفعل محذوف او بحرف الندا اي يا ويح على حد يا حسرة على العباد اي احضري هذه اوقتك كذا قيل والذي صرح به الايمة حيث كان المصدر به لا من اللفظ بفعله وجب نصبه وحذف عامله نعم بعض تلك المصادر يجوز رفعه كويح فقد قالوا ومما استعمل مفردا ومضافا

قوله ويح فلان وويحاله قال ابن طاهر متى اضفت ويح وجب النصب وامتنع الرفع
لانه مبتدا الاخبر له متى افردت جاز كل منهما وكذا ويل والنصب فيه غير قوي لانه
مصدر لا فعل له بخلاف نحو حمدا وشكرا ومن ثم غلب على ويح الرفع بل قال
ابن ابي الربيع يجب رفعه دون ويل نعم ان عطف ويح على تب تعين نصبه ومنع
المازني عطف ويح على تب وعكسه لتناقض معناهما ورد بان ويح اخرج مخرج
الدعا وليس معناه الدعا وربما يستعمل لقاتله الله ما اشعره فعلم ان ويح وويل
ونحوهما متى نصب فانما هو بعامل المحذوف وجوبا وانه لا يدخل للندا هنا واعلم
انهم اتفقوا على ان ويح كلمة ترحم تقال لمن وقع في مهلكة لا يستحقها وويل كلمة عذاب
وقيل هما بمعنى وعلى الاول فقد يستشكل اتيان الناظم في هذا المحل فان الجافين
له صلى الله عليه وسلم يستحقون الهلاك الدايم وقد يجاب بان كثيرا منهم اسلم بعد
ذلك فالترحم لهم باعتبار ما ال اليه حالهم ويرد انهم بهذا الاعتبار لا يقال
فيهم ويح لانهم لم يقعوا في هلاك اصلا فالاحسن الجواب بان الترحم من حيث النظر
الى القرابة التي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم من عمود نسبه وجلدته
والترحم لهم من هذه الحيثية لا محظور فيه **قوم جفوا نبيا** بلغ من مراتب
الجلالة والتعظيم ما لم يبلغه نبي اي عصره واذوه الايذا البالغ بل قصدوا قتله
كما مر اتفا مبسوطا **بارض الفته ضبابها** جمع ضب وحديثه مشهور على
الالسنة ورواه البيهقي في احاديث كثير لكنه حديث غريب ضعيف قال
المزني لا يصح اسناده ولا متنه وهو ان اعرابيا اصطاد ضبا فلما راى النبي صلى الله
عليه وسلم طرحه بين يديه قال لا او من بك حتى يومن بك هذا فقال يا ضب
قال لبيك وسعديك قال من تعبد قال الذي في السما عرشه وكلمات
اخر قال من انا قال رسول رب العالمين فاسلم الاعرابي الحديث بطوله

قيل

قيل وهو موضوع ورد بان نهايته الضعف لا الوضع وفي معجزاته صلى الله عليه وسلم ما هو
ابلغ من هذا **والظبا** جمع ظبي روي حديثه من طرق البيهقي وابو نعيم والطبراني وساق
الحافظ المنذري حديثه في الترغيب والترهيب لكن ضعفه الاذرعي قال الحافظ ابن
كثير لا اصل له ومن نسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب ورد بانه ورد في الجملة
في عدة احاديث يتقوى بعضها ببعض بل بالغ بعض المحققين فزعم انه حديث
صحيح قال الشارح السبكي وهو وان لم يتواتر اليوم فلعله استغنى عنه
بغيره او لعله تواتر ذلك وهو بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحرا اذا هاتف يهتف
يا رسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة في وثاق واعرابي قايم
عندها فقال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في هذا الجبل
فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت عذبني الله عذاب
العشار اي المكاس ان لم افعل فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها صلى الله عليه وسلم
فانتبه الاعرابي فقال يا رسول الله الك حاجة فقال تطلق هذه الظبية فاطلقها
فخرجت تعدو في الصحرا فرحا وهي تضرب برجلها الارض وهي تقول اشهد ان
لا اله الا الله وانك رسول الله ولم يذكر المصنف الحمرة هذين فقد صح ان الذيب
الفه واخبر بنبوته صلى الله عليه وسلم فما جا من طرق منها طريقان صحيحان حاصلهما
انه اخذ شاة فانتزعها الراعي منه فقال الا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله
اي فتعجب الراعي من كلامه له فقال له الذيب الا اخبرك باعجب من ذلك
محمد بيثرب يخبر الناس بانبا ما قد سبق وفي رواية صحيحة بما مضى وما هو كاين
فاتى الراعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فامر ان ينادي للصلاة جامعة
ثم امر الراعي فاخبرهم وفي رواية عن سعيد بن منصور في سننه ان الذيب
جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال وافد الذياب جاؤا يسالك ان تجعلوا له شيا من اموالكم

قالوا والله ما نفعل واخذ رجل من القوم حجرا ورماه به فادبر الذيب وله عوا فقال
صلى الله عليه وسلم الذيب وما الذيب وكلمه ايضا صلى الله عليه وسلم الحام ايضا على ما روي في حديث
طويل لكن قال ابن الجوزي انه موضوع وكلمه ايضا الجمل كما جا في عدة طرق بعضها سنده
جيد وبعضها سنده صحيح وحاصلها ان جماعة من الانصار شكوا اليه صلى الله عليه وسلم جملهم
وانه استنع من العمل حتى عطش النخل والزرع فقال لاصحابه قوموا فقاموا ودخل الحايط
فمشي اليه فقالوا يا رسول الله انه جبار وانه كالكلب الكلب فقال ليس علي منه باس
فلما نظر الجمل اليه اقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فاخذ بناصيته اول ما كان
قط حتى ادخله في العمل الحديث وفي رواية صحيحة انه صلى الله عليه وسلم دخل حايطا
فراه جمل فحن وذرفت عيناه فمسح قريب راسه من قفاه ثم قال لربه الا تتقي الله
في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها فانه شكي لي انك تجيعه وتدئبه اي تتعبه
وجا بسند ضعيف ان غنما سجدت له صلى الله عليه وسلم **وسلوه** اي نفرت قلوبهم
عنه حتى هجروه مع نشاته فيهم وعلمهم بغاية تراهته ونباهة كماله **و** الحال انه قد
حن جذع اليه كما جا من طرق كثيرة صحيحة وغيرها يفيد بمجموعها التواتر
المعنوي الموجب لتيقن وقوع ذلك والقطع به وعلى التواتر المعنوي يحمل قول التاج
السبكي الصحيح عندي ان حنينه متواتر فسقه لذلك غير اض وحاصلها انه صلى الله
عليه وسلم قبل ان يعمل المنبر كان يخطب مستندا الى جذع نخلة من الجذوع المسقوف
عليها المسجد فلما صنع له المنبر ثلاث درجات وصنعه موضعه الان فمحله ثم
تخطى الجذع يوم الجمعة ليخطب على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه جميع من في المسجد
وفي رواية ان خار خوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره وفي اخرى خار حتى تصدع وانشق
وفي اخرى فجعل يئن انين الصبي وفي اخرى حن حنين الناقة التي انتزع ولدها فنزل
اليه صلى الله عليه وسلم وضمه اليه رحمة له حتى سكن وفي رواية فمسحه بيده ولعله فعل

سي

الاسوية

الاسوية وفي اخرى ان هذا بكى حين فقد من الذكر عنده وفي اخرى والذي نفسي بيده لو لم
التزمه لم يزل يصوت ~~من الكبر محزاهلك~~ الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهذا من اكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم بل اشار الشافعي رضي الله عنه الى انه ابدع
من احيا عيسى صلى الله عليه وسلم للموتى لانه عهدت له حياة رجعت اليه بخلاف هذا وفي
رواية عند الدارمي انه صلى الله عليه وسلم خيره ان يعيده اي يغرسه فينمو كما كان وان يغرسه
في الجنة ياكل الاوليا من ثمرته ثم اصغي اليه فاختار دار البقا على دار الفنا او سوية فدفن ومر
في شرح قوله والجمادات افصحت اي اخره ما له تعلق بذلك **وقلوه** اي ابغضوه
و الحال انه قد **وده** اي احبه وهي السلو والجفو والقلي والود الطباق كما بين
الاخراج والايوا الاتيين **الغربا** الذين هم ليسوا من عشيرته ولا من قومه ولا عرفوا ما عرفته
قريش من كماله الاعظم كالانصار الاوس والخزرج وذلك انه صلى الله عليه وسلم خرج في الموسم
الذي لقيهم فيه يعرض نفسه على قبايل العرب كما كان يصنع في كل موسم فلقي بعض الخزرج
عند العقبة فقال من انتم قالوا من الخزرج قال افلا تجلسون اكلمكم فجلسوا فدعاهم
الى الاسلام وتلى عليهم القران وكان عندهم علم منه فعرفوا نعته لان يهود المدينة كانوا
يقولون لهم ان نبيا يبعث الان نتبعه ونقتلكم معه فاجابوه لئلا تسبقهم اليهود
اليه واسلم منهم ستة نفر فقال لهم تمنعون ظهري حتى ابلغ رسالة ربي فقالوا ندعوا
قومنا الى ما تدعونا اليه فان اجابوا فلا احد اعز منك وموعدك الموسم العام القابل
فلما وصلوا المدينة لم يبق دار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه في العام القابل
اثنا عشر خمسة من الستة والبقية من الخزرج ايضا الا رجلين من الاوس وهذه هي العقبة
الثانية فاسلموا وقبلوا ما اشترطه عليهم ثم رجعوا فاظهر الله الاسلام فيهم فكان
اسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن اسلم ثم ارسلوا يطلبون من يعلمهم القران فارسل
اليهم مصعب بن عمير فاسلم على يده جمع كبير منهم سيد الاوس سعد بن معاذ واسيد بن حضير

واسلم باسلامهم جميع بني عبد الاشهل في يوم واحد رجالهم ونساؤهم الا واحد فيوم احد ولهذا لم يكن فيهم اعني بني عبد الاشهل منافق ولا منافقة ثم قدم في العام القابل في الموسم نحو سبعين رجلا وهي العقبة الثالثة فبايعهم على انهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم وعلى حرب الاحمر والا[illegible] وصح عن جابر مكث صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في المواسم وغيرها يقول من ينصرني حتى ابلغ رسالة ربي وله الجنة حتى بعث الله له من يثرب وذكر الحديث وفيه وعلى ان تنصروني اذا قدمت عليكم يثرب فتمنعوني مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة وحضر العباس هذه المبايعة فالرعليهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ثم امر صلى الله عليه وسلم من بقي معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا ارسالا واقام ينتظر الاذن له في الهجرة واستاذنه ابو بكر فقال لا تعجل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فطمع ابو بكر في ان يهاجر معه صلى الله عليه وسلم ولما بلغهم انه بويع وامر من معه ان يلحق بالمدينة وانه ظهر امره بها تشاوروا بدار الندوة ثم اجمعوا ان يبيتوه ويقتلوه ويخرجوه فاعترضهم ابليس في صورة رجل جليل واظهر لهم انه يريد نصحهم وامرهم ان يعرضوا عليه اراءهم ليختار الانفع لهم فقيل نحبسه فقال قد ينتزع منكم فقيل نخرجه فقال يا تيكم بما لا طاقة لكم به فقال ابو جهل اري ان تاخذوا من كل قبيلة غلاما قويا ثم تعطوهم شفارا فيضربوه ضربة فيتفرق دمه في القبائل فلم يقدر اهله على حرب قومهم فياخذون ديته فقال ابليس لله درك هذا هو الراي فاجمعوا عليه فاتاه جبريل فقال لا تبت الليلة على فراشك فاجتمعوا في الليلة ببابه يرصدونه لينام فيثبوا عليه فامر عليا بان ينام مكانه ثم خرج عليهم فلم يبق احد منهم الا اخذ الله على بصره فلم يروه ونثر على راس كل منهم ترابا كان في يده وهو يتلو يس الى فهم لا يبصرون

اخرجوه منها واواه غار وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت ما كفته الحمامة الحصداء

وصح انه ما اصاب احدا منهم تراب الا قتل كافرا ثم اعلموا الخبيثة فوضع كل يده على راسه فوجد التراب وفي هذا انزل قوله تع واذ يمكر بك الذين كفروا الاية ثم اذن الله لنبيه في الهجرة كما قال **اخرجوه** بدل من فاعل **منها** اي كانوا السبب في خروجه من تلك الارض التي هي مولده ومرباه ووطنه ووطن ابائه احب ارض الله الى الله والى رسوله كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ثم قال ولولا اني اخرجت منك كرها ما خرجت وكان ذلك بعد العقبة الثالثة بنحو ثلاثة اشهر يوم الاثنين هلال ربيع الاول او الخميس الذي يليه ووصل المدينة يوم الاثنين ثاني عشر الشهر وجمع بان خروجه من مكة يوم الخميس ومن الغار ليلة الاثنين وخلف عليا ليؤدي ما عنده من الودايع وكان مجيئه بيت ابي بكر وقت الظهيرة فقال له قد اذن لي في الخروج قال الصحبة يا رسول الله قال نعم قال فخذ احدى راحلتي قال بالثمن اي لتتمحض هجرته لله ولا يكون لاحد فيها منة فخرجا ليلا الى غار جبل ثور فاستخفيا فيه كما قال **واواه غار** ولما فقدته قريش طلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة في كل وجه فوجد الذي ذهب قيل ثور اثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق عليهم خروجه وجزعوا منه وجعلوا لمن رده مائة ناقة ولما دخل الغار قيل انبت الله على بابه شجرة ام غيلان فحجبت عن الغار اعين الناس وارسل الله تع حمامتين وحشيتين فوقعتا على الغار كما قال **وحمته** منهم **حمامة** فيه جناس سبق نظيره **ورقا** وهي ما في لونها بياض يخالطه سواد قيل وحمام الحرم من نسلها ومعنى حمايتهما له ان فتيان قريش من كل بطن لما اقبلوا بسلاحهم جعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه احد وقال اخر ادخلوا الغار فقال اللعين امية بن خلف وما اربكم في الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد وفي مسند البزار ان الله عز وجل امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ولذا قال الناظم **وكفته بنسجها عنكبوت** يقع على الواحد

واختفي منهم علي قرب مراة ومن شدة الظهور الخفاء

اخله من قوله **الحمامة الحصدا** اباهم **كفتة** الذين الاعدا اي **ما** والجمع والذكر والانثي
شجره اي كثيرة الورق فاستعار للحمامة لكثره ربيلها ووصف الحمامة بورقا وحصدا
لاجتماعهما فيهما والممتنع انما هو الوصف بمتضادين او متماثلين وروي ان الحمامتين
باضتا في اسفل النقب ونسج العنكبوت على اعلاه فقالوا لو دخلا لتكسر البيض وتفسخ
منسج العنكبوت قال الائمة وهذا ابلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود وروي
انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم ابصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون
يمينا وشمالا حول الغار للظنهم ان الحمام لا يحوم حوله وان العنكبوت لا ينسج فيه
فيه احد لما جرت العادة انهما متوحشان مهما احسا بالانسان فر منه وما علموا
ان الله تعالى يسخر ما شاء من خلقه لمن شاء من عباده وان وقاية الله عبده بما
اراد يغنيه عن التحصين بالاكنة والاسلحة وصح ان ابا بكر قال يا رسول
الله لو ان احدهم نظر الي قدميه لرانا فقال ما ظنك باثنين الله ثالثهما ولذا قال
الناظم **واختفي** صلى الله عليه وسلم اي استتر والاحسن عطفه على واواه غار **منهم على**
اي مع **قرب مراة** اي محل رويته وفي ذكر الناظم لهذا تعجيب السامع وبيان لهذه
المعجزة العظيمة **و** حكمة استتاره منهم مع ظهوره لهم لو نظر احدهم الي ما تحت
قدميه كما تقرر ان **من** جملة **شدة الظهور** عليهم بالعناية والمعونة الالهية
له **الخفا** عنهم الذي حصل له خرقا للعادة ظفرا عليهم وخيبة واستعماله الظهور
فيما ذكر مع ان مقابلته بالحقايق هم انه اراد به ضله من الفن المسمي بالتورية
والايهام وهو ان يذكر لفظ له معنيان بالاشتراك او التوطي والحقيقة والمجاز
احدهما بعيد فيقصد ويوري عنه بالقريب ليتوهمه السامع من اول وهلة
وهو هنا ضد الخفا الموهم له قوله واختفي قال الزمخشري لا نرى بابا ادق
ولا الطف من التورية ولا انفع ولا اعون على تعاطي تاويل المتشابهات في كلام

الله ورسوله نحو الرحمن على العرش استوي اذ يريد الاستوا معناه البعيد الذي هو الاستيلا
دون القريب الذي هو الاستقرار في المكان لاستحالته على الله تعالى انتهي ملخصا وهذه
تسمي مجردة لانه لم يذكر فيه شي من لوازم الموري عنه والحق بها ما ذكر فيه لازم كل
منهما لانهما تكافيا ومنه ما في البيت فانه ذكر فيه لازم كل منهما بذكر اختفي وبالخفا
اذ المتبادر منه انه ليس المراد بالظهور ضد الخفا فان ذكر لازم احدهما سميت مرشحة
نحو والسما بنيناها بايد فانه يحتمل الجارحة وهو الموري به ورشح له بذكر البنا
ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود وزاد بعضهم في حد التورية مع
صحة كل من المعنيين ولا معني لهذه الزيادة كما علم مما تقرر في ايتي الاستوا
والبنا ولعله اراد في الجملة لا بالنظر لما الكلام فيه وعليه فوجه صحة الظهور الذي
هو ضد الخفا هنا ان من المعلوم ان شدة قرب المري من العين يوجب عدم
ادراكها له فكذلك هنا لما اشتد قربهم منه لم يدركوه ولا يمنع منه ان الاول عادي
والثاني خارق للعادة وكالتورية في كونه اشرف انواع البديع الاستخدام بل فضله
بعضهم عليها ولهم في حده عبارتان اشهرهما ان يوتي بلفظ له معنيان فاكثر يراد به
احد معانيه ثم يوتي بضميره ويراد به المعني وروي ان ابا بكر نظر الي قدميه صلى الله
عليه وسلم في الغار يتقطران دما لانه لم يتعود الحفا فبكي وانه دخل قبله ليفديه بنفسه
وانه راي جحرا فيه فالقمه عقبه فجعلت الحيات والافاعي تضربه وتلسعه فجعلت
دموعه تتحدر وفي رواية عند رزين فدخل صلى الله عليه وسلم وجعل راسه في حجره ونام
فلدغ ابو بكر في رجله فلم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال مالك قال لدغت فتفل عليه فذهب ما يجده وروي ان ابا بكر
لما راي القافة اشتد حزنه وقال ان قتلت فانما انا رجل واحد وان قتلت انت
هلكت الامة فقال صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا اي بالمعونة والنصر

ونحي المصطفى المدينة واشتاقت اليه من مكة الانحاء

فانزل الله سكينته عليه اي ابي بكر لانه الذي انزعج وهي امنة تسكن عندها القلوب وايده
اي رسوله بجنود لم تروها اي ملايكة يصرفون ابصار الكفار عنه وبين قول نبينا ان
الله معنا وقول موسى صلى الله عليه وسلم كلا ان معي ربي ما بين سقاميهما اذ كمال الامداد
للاتباع ليس الا لنبينا فامد ابو بكر بشهود المعية ايضا وقصر بها موسى صلى الله عليه
وسلم على نفسه وايضا فشتان بين معية الالوهية ومعية الربوبية والمشهور انه
صلى الله عليه وسلم مكث في الغار ثلاث ليال وكان عبد الله بن ابي بكر مع صغر سنه
ياتيهما ليلا بخبر قريش ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح كبايت بمكة وكان عامر
ابن فهيرة مولى ابي بكر ياتيهما كل ليلة بما يغديهما من لبن واستاجر عبد الله
ابن الاريقط ليدلهما على الطريق ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما
وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما وسار معهم عامر بن فهيرة
فاخذ بهما طريق البحر **ونحي** اي قصد **المصطفى** على الخلق كلهم محمد صلى الله
عليه وسلم **المدينة** المسماة بطيبة لان الله طيبها بهجرته اليها ووقعت
في طريق الهجرة غرايب منها انهم مروا بقديد على ام معبد الخزاعية
وكانت تسقي وتطعم من يمر بها وكانت في سنة فطلبوا منها لبنا ولحما يشترونه
فلم يجدوه فنظر الى شاة خلفها الجهد عن الغنم فسالها هل بها لبن فقالت
هي اجهد من ذلك فقال اتاذنين لي ان احلبها قالت نعم فدعى بها فاعتقلها
ومسح ضرعها وسمى الله فدرت وسقى القوم حتى رووا ثم شرب اخرهم ثم حلب
فيه مرة اخرى عللا بعد نهل وتركوه وذهبوا فجا زوجها فعجب منه فذكرت
له القصة واوصافه صلى الله عليه وسلم فقال هذا والله صاحب قريش ولو رايته
لاتبعته واخرج ابن سعد وابو نعيم ان تلك الشاة بقيت عندهم يحلبونها
ليلا ونهارا الى زمن عمر ثم تعرض لهما بقديد سراقة كما ياتي في ورد الباي

اتاذنين

انه

انه اجتاز بعبد يرعى غنما فاستقيناه لبنا فاتاها بشاة لا لبن فيها فحلبها صلى الله عليه وسلم
بعد ان دعى وسقى ابا بكر ثم الراعي ثم شرب وهذا محمول على علمه سيد العبد
ثم ظن رضاه والجواب بان هذا مال حربي غير صحيح لان هذا قبل مشروعية الجهاد
ومع عدم مشروعيته لا يحل مال اهل الحرب كما لا يحل قتالهم لان الواجب حينئذ مسالمتهم
ولا يتم الا بترك التعرض لاموالهم كنفوسهم ولما سمع المسلمون بالمدينة بقدومه
صاروا يخرجون كل يوم الى الحرة ينتظرونه الى قرب الظهر فانتظروا يوما وعادوا
الى بيوتهم واذا يهودي علا على موضع عال فراه فصاح هذا احدكم اي حظكم
يا بني قيلة اي الاوس والخزرج فخرجوا اليه سراعا بسلاحهم فنزل بقبا فقام ابو بكر
للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ساكتا فكانوا يحسبون ابا بكر رسول
الله لانه اسرع اليه الشيب مع انه اصغر سنا منه صلى الله عليه وسلم حتى اذا اصا بته
الشمس ظلل عليه فعرفوه وكان ذلك يوم الاثنين قبيل اول ربيع وقيل
ثاني عشره وقيل غير ذلك وادركه علي بقبا ولم يقم بعده بمكة الا ثلاثة
ايام ثم امر صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة واقام بقبا اربع عشرة ليلة
كما في مسلم واسس مسجدها وهو اول مسجد بني في الاسلام ولذا كان
الاصح انه الذي اسس على التقوى من اول يوم ثم ركب فكان كلما مر بدار من
دور الانصار سالوه النزول عندهم فيقول خلوا سبيلها اي ناقته فانها
مامورة وارخى زمامها فاستمر الى ان بركت موضع باب المسجد ثم
ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت بباب ابي ايوب وبنو النجار
اخوال عبد المطلب ثم ثارت منه وبركت في مبركها الاول ثم
صوتت فنزل النبي صلى الله عليه وسلم عنها وقال هذا المنزل ان شاء الله
واشتاقت من الشوق وهو تحرك النفس وهو هنا مجاز نحو واسال

وتغنت بمدحه الجن حتي اطرب الانس منه ذاك الغناءُ

بها

المقوية بل حقيقة اذ لا بدع في ميل الجمادات له حقيقة بان تخلق الله فيها

ادراكا حقيقيا ومنه وان من شي الا يسبح بحمده ولو انزلنا هذا القران علي

جبل الاية وتسبيح الحصا وتامين اسكفة الباب وحنين الجذع ونحو

ذلك مما مر اذ الاصح في مثل ذلك مما لا تحيله العقل والشرع حمله علي

حقيقته كما في حديث ما بين منبري وقبري روضة من رياض الجنة ومنبري

علي حوضي ولذا قال جماعة واختار بعض المحققين انه صلي الله عليه وسلم حتي

الي الجمادات لتصريح خبر مسلم بذلك في قوله صلي الله عليه وسلم وارسلت الي الخلق

كافة **الا كما اليمن مكة** التي هي مولده وام القري وافضلها عند العلما فاستوحشت

اي الجهات والنواحي لانها كانت معمورة بانفاسه صلي الله عليه وسلم

لفقد وبين نحت والانخاجناس الاشتقاق ان قلنا ان الانخاجع ناحيه

بمعني منحو اي مقصودة ورد العجز علي الصدر وكذا بين تغنت والغنا واداه

من الندا الابيات **وتغنت بمدحه الجن** المومنون ومرت قصة

ايمانهم وارساله صلي الله عليه وسلم اي جميع الجن امر معلوم من الدين بالضرورة

فيكفر منكره كما اجمع عليه الامة اي اظهرت اوصافه الجميلة في صورة الغنا

الذي تتلوع به النفس ولا يصرفها متسع لغيره **حتي اطرب الانس**

منه اي الجن **ذاك الغنا** الذي سمعوه والطرب خفة

المومنين بل وغيرهم اسما ابنت

تعتري الانسان عند شدة حزن او سرور وذكر اهل السير عن

ابي بكر رضي الله عنها انها قالت لما خفي علينا امر رسول الله صلي الله عليه وسلم

اتانا نفر من قريش فيهم ابو جهل فقال اين ابوك قلت والله ما ادري فلطم

خدي لطمة خرج منها قرطي ولما لم ندر اين توجه رسول الله صلي الله عليه وسلم

اني رجل من الجن يسمعون صوته ولا يرونه وانشد هذه الابيات

جزا الله

واقتفي اثره سراقه فاستهوته في الارض صافن جرداءُ

١

جزي الله رب الناس خير جزائه ۰ رفيقين حلا خيمتي ام معبد

هما نزلا بالبر وارتحلا به ۰ فافلح من امسي رفيق محمد

فيا لقصي ما زوي الله عنكم ۰ به من فعال لا تجازي وسودد

ليهن بني كعب مكان فتاتهم ۰ ومقعدها للمومنين بمرصد

سلوا اختكم عن شاتها وانايها ۰ فانكم ان تسالوا الشاة تشهد

دعاها بشاة ضرة فتحلبت ۰ له بصريح ضرة الشاة مزبد

والضرة لحمة الضرع والصريح بمهملتين اوله واخره الخالص اي بلبن خالص

مزبد نازل من ضرة الشاة فغادرها رهنا لديها لحالب يرددها في مصدر

ثم مورد اي خلف الشاة مرتهنة عندها بازيد قالت اسما فلما سمعنا

قول الجني هذا علمنا اين توجه رسول الله صلي الله عليه وسلم **و** لما وصل

صلي الله عليه وسلم هجرته اي قديد محل قريب من رابغ **اقتفي** اي تبع

اثره سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي قال جانا رسل كفار قريش

يجعلون فيهما ان اسرا وقتلا ديتين فركبت مستخفيا فلما دنوت

منهما عثرت بي فرسي فخررت ثم قمت وركبته حتي اذا سمعت قراة رسول الله

صلي الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر ملتفت فبكي ابو بكر وقال يا رسول

الله اتينا قال كلا ودعي رسول الله صلي الله عليه وسلم بدعوات **فاستهوته**

في الارض صافن اي طلبت ان تهوي به فيها هذا مقتضي الصيغة وليس

مرادا بل السين لمجرد التاكيد لان الذي في القصة انه صلي الله عليه وسلم لما دعي

تلك الدعوات غاصت قوايم فرسه في الارض حتي بلغت الركبتين فخر عنها ثم

زجرها فنهضت ولم تكد تخرج يديها فلما استوت قايمة اذا لاثر يديها

غبار ساطع في السما كالدخان والصافن من الخيل الذي يقوم علي ثلاثة قوايم

ثم ناداه بعد ماسيمت الخسف وقد ينجد الغريق النداء

ويقم علي طرف الحامي جردا اي رقيقة الشعر قصيرتها وهذه صفة مدح في الخيل واصله للشجرة التي قلم ورقها فاستعير للفرس ثم ناداه اي سراقة النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما وصل اليه وقال الامان يا محمد بعدما مصدرية سيمت الفرس الخسف بفتح اوله وضمه قال الشارح في موضع اي اولية ذلا قال في اخر اي بعد اسامة الخسف للفرس اي بعد حصول الذل للفرس المذكور وكان الحامل له على هذا ان ظاهر النظم لم تخسف بالفرس حقيقة وليس كذلك لما علمت ان قوايمها غاصت في الارض فحصل لها الخسف الحقيقي لكن ببعضها فعبر الناظم بتسمية الخسف بالنظر الي كلها اي سمت الي كلها وح لا تحتاج الي ما قاله الشارح مد ثم رايت بعضهم صرح بنحو ما ذكرت فقال سمته خسفها اوليته ذلا او كلفت مشقة ويحتمل ان يريد بعد ما قاربت ان تخسف بها ومن الحكم المناسبة هنا لانها كالسبب الي ما قبلها فهو تذييل انه قد ينجد الغريق النداء اي الدعا منه بانكسار وتذلل كما وقع ليونس صلى الله على نبينا وعليه وعلى ساير الانبيا والمرسلون وسلم قال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر اي نضيق عليه بسبب مغاضبته وفراقه لقومه لاباية عليه فنادى في الظلمات الاية والندا رفع الصوت لطلب تخليصه لانه قد لا يعلم او لا يعبا به احد فاذا نادى وصاح تنبه الناس له وانقذوه ولما طلب الامان قال اعلم انكما دعوتما علي فادعوا لي ولكما ان ارد الناس عنكما ولا امركما قال فوقفا لي فركبت فرسي حتى جيتهما قال ووقع لي في نفسي حين لقيت ما لقيت انه يستظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار ما يريد بهما الناس وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزاني اي لم ياخذا مني شيا ولا اقف عنا فانه

فطوي الارض سايرا والسموات العلي فوقها له اسراء

كما امن به فامر عامر بن فهيرة فكتب في رق من ادم اخرجها يوحنين فقراها منه ومن يلوذ به تنبيه ذكر الناظم الهجرة وبعض ما وقع فيها من المعجزات مع انه سيذكر وقايع وقعت له بمكة قبل الهجرة كالاسرا وكان يقتضي الواقع ان يذكر هذه كلها قبل ذكر الهجرة ليوافق الترتيب في الذكر الترتيب في الواقع ولعله اهتم بشان الهجرة فقدمها للتنبيه النفسي اي حكمة ذلك وهي انها انقطع بها عنه صلى الله عليه وسلم كل اذا كان يصل اليه من قريش وترتب عليها الظفر بهم حتى استاصل شافتهم واقطع جادرتهم فطوي الارض في حال كونه سايرا ماشيا عليها وهذا كما طويت له قبل ذلك السموات العلا لما كان فوقها له اسرا ليلة الاسرا اي ان جاوزها جميعها في اسرع وقت ~~[illegible]~~ فقطع مسيرة ثمانية الاف سنة في اسرع وقت اذ بين الارض والسما خمسماية سنة وكذا سمك كل سما وما بين كل سمايين هذا بالنسبة الي السما السابعة واما بينها وبين ما وصل اليه مما كان فيه قاب قوسين او ادنى فلا يعلمه الا الله تعالى فبالها من مسير بين مسيري في الارض ومسيري في السما اظهر الله عليه فيهما فيهما عظيم قدره في سيره واسرايه وافضلية تقدمه على جميع خلقه في ارضه وسمايه قال بعض الايمة والمعاريج ليلة الاسرا عشر سبع في السموات والثامن الي سدرة المنتهى والتاسع الي المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار والعاشر الي العرش والرفرف والروية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقي وقد وقع له صلى الله عليه وسلم في سني الهجرة العشرة ما كان منها مناسبات لطيفة لهذه المعاريج العشر ولهذا ختمت وفاته التي فيها المقاربة والعروج بروحه الكريمة الي الوسيله وهي المنزله التي لا ارفع منها كما ختمت بمعاريج الاسرا باللقا والحضور بحضرة القدس

فصف ايها الناظر في شمايله صلى الله عليه وسلم وخصوصياته وما اكرمه الله



فصلا لليلة التي كان للمختار فيها علي البراق استواءُ

به تلك **الليلة** وهي ليلة الاثنين او الجمعة او السبت من رمضان او
شوال او رجب وبه جزم النووي في الروضة او ذي الحجة او ثالث عشري
ربيع الاخر وجرى عليه النووي في فتاويه او من ربيع الاول وجرى عليه في
شرح مسلم بعد المبعث بخمس سنين ورجحه النووي او بعشر او باحدى
عشر او ثنتي عشرة اقوال رجح كلا قوم ووقع ذلك الاسرا فيها من مكة
الي بيت المقدس ثم منه الي السما ثم الي حيث شا الله ومارأى من
ايات ربه الكبرى اي اذكر صفاتها الجليلة بما يمكنك والا فمحال ان تستوعبها
اوتاتي بتفصيل ما يحيط بها كيف وقصة الاسرا والمعراج من اشهر
المعجزات واظهر البراهين واقوى الحجج واصدق الانبا واعظم الايات
ومن ثم قال بعض المفسرين انها افضل من ليلة القدر بالنسبة
له صلى الله عليه وسلم لانه اوتي فيها ما لا يحيط به الحد ولذا كان الاسرا بالجسم
في اليقظة من خصايص نبينا صلى الله عليه وسلم وخالف في كونه بالجسم وكونه
في اليقظة من لا يعتد بخلافه وزعم تعدد الاسرا لتباين الروايات فيه
تباينا منتشرا ولا يمكن الجمع بينهما الا بدعوى التعدد بالجسم تارة والروح
اخرى مردود والاصح انه اسرا واحد بالجسم والروح في اليقظة وان
ما خالف العادة من الروايات ان امكن تاويله تعين والا حكم عليه
بانه وهم كرواية ان الاسرا كان قبل البعثة فان الاجماع علي انه بعدها علي
انها اولت **التي** كان للمختار صلى الله عليه وسلم **فيها** عجايب منها ان جاه
جبريل وفي رواية وميكاييل وفي اخرى ذكر ثالث ولا مانع ان جبريل نزل
اولا ثم ميكاييل ثم الثالث بالحطيم او شعب ابي طالب او بيته
او بيت ام هاني بعد ان انفرج سقف روايات جمع بينهما بانه بات

والبيات ص

الدر

مد

في

في بيت ام هاني وبيتها عند شعب ابي طالب واضيف اليه لانه كان
يسكنه فاخرجه الملك منه فاضطجع لاثر نعاس كان به ثم اخذه فاخرجه
من المسجد فاركبه البراق فاستمرت يقظته وفي رواية انه كان بين النايم
واليقظان محمولة علي ابتدا الامر وفي رواية فلما استيقظت اي من شغل البال
بمشاهدة الملكوت وحكمة كونه لم يأته من باب البيت انه انصب من السما
انصبابة واحدة باذ يحله الذي هو فيه ولم يعرج علي غيره مبالغة في المناجاة
وتنبيها علي ان الطلب وقع علي غير ميعاد اظهارا انه مراد ووقع في موسي بميعاد
تنبيها علي انه مريد وشتان ما بينهما وانها في سقف البيت والقيامة عقبه
تنبيه علي شق صدره الشريف تلك وانه لا باس عليه فيه ومرت
قصة شقه هناك عند ذكر الناظم لشقه عقب رضاعه عند حليمة ومنها
ان الملك اركبه **علي البراق** فكان له عليه **استواء** اي استقرار
وتمكن مع انه لم يركبه قبل ذلك ولا هو من جنس ما يركبه الادميون وهو
كما صح الخبر دابة اي يشبهها اذ هو ليس بذكر ولا انثى دون البغل وفوق
الحمار ابيض يضع خطوه عند اقصى طرفه وذكر باعتبار كونه مركوبا وسمي
بذلك من البرق لسرعة سيره او من البريق او من قولهم شاة برقا اذا كان
في خلال بياضها اسود وقوله يضع خطوة الي اخره معناه انه يضع رجله
عند منتهى ما يرى بصره وقال ابن المنير اي يقع ما انتهى اليه
بصره في خطوة واحدة قال فعلي هذا يكون قطع من الارض الي السما
في خطوة واحدة لان بصر الذي في الارض يقع في السما فبلغ اعلا السموات
في سبع خطوات انتهى وهذا انما ياتي علي رواية تخلت عليه ان
البراق حتى انطلق بي جبريل الي السما الدنيا ظاهرها انه استمر عليه حتى

وصل الى السما والمشهور انه استمر عليه الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج كما
ياتي وفي رواية لابي يعلي والبزار اذا اتى على جبل ارتفعت رجلاه وفي رواية شاذة
له جناحان واخرى ضعيفة له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوايم
كالابل وذنب كالبقر وكان صدره ياقوتة حمراء وفي رواية صحيحة اتي به مسرجا
ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك قط اكرم
على الله منه فارفض عرقا وظاهرها كصريح رواية النسائي وابن مردوية وكانت
تسخر للانبيا قبله ان الانبيا كانوا يركبونها ولم يطلع عليها بعضهم فنفي ركوب
غيره صلى الله عليه وسلم لها فاستصعابه ليس لعدم الفه الركوب بل البعد عهده
به او ليظهر جبريل له مرتبته صلى الله عليه وسلم وانها علت على ساير المراتب
وانما لم يات البراق على شكل الفرس اشارة الى ان ركوبه في سلم وامن لا حرب وخوف
والى ظهور المعجزة بوقوع هذا الاسراع الباهر من دابة على هذا الشكل وصح
ان جبريل حمله على البراق رديفا له ورواه احمد بلفظ على ظهره هو وجبريل حتى
انتهيا الى بيت المقدس واول بعضهم ذلك بالاحتياج اليه اذ ركوب جبريل معه
لا ينافي كونه في حرمته وصح انهما مرا بيثرب فامره ان ينزل ويصلي ركعتين فامره
بذلك وببيت لحم الذي ولد فيه عيسى عليه السلام بذلك واراه عجايب اخرى الى
ان وصلا الى بيت المقدس فنزلا وربطه اي جبريل كما في رواية لكن في اخرى
النبي صلى الله عليه وسلم ويجمع باحتمال انهما ربطاه معا بالحلقة التي كانت الانبيا
تربطه بها ثم دخل وبعث له جماعة من الانبيا فصلى بهم وصح في رواية اي بارواح
الانبيا اي مع اجسادهم لرواية ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين
قايم وراكع وساجد ثم اذن مؤذن فاقيمت الصلاة فقمنا صفوفا
ننتظر من يؤمنا فاخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم وفي رواية لاحمد



فاذا النبيون اجمعون يصلون
وفيها زيادة على رواية جماعة
منهم فيؤخذ من ذلك ~~العشا~~ بتلك الزيادة وفي حديث ما يدل على انه صلى بهم بعد
العروج وقبل العشاء اي بناء على انه صلى بهم في بيت المقدس بعد العروج وقبل
العشاء اي بناء على انه صلى فيه قبله ولما فرغ من امامتهم نصب له المعراج كما في رواية
ابن هشام والبيهقي وغيرهما ووضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وعن
يمينه ملايكة وعن يساره ملايكة ثم صعد فيه هو وجبريل حتى انتهيا الى باب
السما الدنيا فاستفتحاه ففتح لهما وهكذا الى السما السابعة ورأى في السما الدنيا
ادم وعن يمينه ارواح المومنين فاذا انظر اليهم ضحك وعن يساره ارواح بنيه الكفار
فاذا انظر اليهم بكى اي انه يكشف له عنهم وهو في النار التي هي مستقر ارواحهم والقيل والنوات
اي انهما نهاوالانهار انما ابتدا اوهما من سدرة المنتهى وفي الثانية يحيى وعيسى عليهما السلام وفي
الثالثة يوسف وفي حديث البيهقي وغيره فاذا انا برجل اي يوسف احسن ما خلق الله
فقد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على ساير الكواكب المراد غير نبينا صلى الله
عليه وسلم لخبر الترمذي ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم
وجها واحسنهم صوتا على ان للاصوليين قولا مشهورا اعتمده النووي وغيره في موضع
واعتمده اخرون ايضا على ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه ومن ثم قال بعض المحققين
المراد اعطي شطر الحسن الذي اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وفي الرابعة ادريس وفي الخامسة
هرون وفي السادسة موسى وفي السابعة ابراهيم وهذه مقدمة على رواية لم يضبط
منازلهم وعلى رواية ادريس في الثانية وهارون في الرابعة وابراهيم في السادسة وموسى
في السابعة لان سياقها يدل على انه لم يضبط منازلهم كما صرح به الزهري قال اولى التي
فيها انه ضبطها اولى على انه يجمع بين الروايات المختلفة في ذلك بانه راهم في الصعود
على كيفيات وفي الهبوط على كيفيات اخر فلما جاوز موسى بكى فقيل ما يبكيك قال

يارب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وبكاوه
ليس لحسد حاشاه من ذلك بل غبطة وحزنا على مافاته من مضاعفة اجور نبينا
بكثرة اتباعه وصلاحهم الى ما الازيادة له او رحمة لامته لما وقع منهم بعده مما لم يقع
نظيره لهذه الامة وذكره بغلام لانه اصغر منه سنا ولكن قوة الشباب بعد السن
الشيخوخة وحكمة تخصيص هولا باللقا الاشارة لكل الى ما يقع له كالاخراج من الجنة
ثم العود اليها والهجرة من مكة ثم العود اليها وكمعادات اليهود له اوايل
الهجرة كما عادوا عيسى وارادوا قتله ويحيى وقتلوه وكمعادات اهله له وكرجوع
قومه اليه بعد كما رجع قوم هرون اليه بعد محبته وكمعالجته لقومه كما عالج موسى
قومه وكتمكنه من مكة والكعبة وتمتعه بها كما وقع لابراهيم ومن ثم رآه مسند
ظهره الى البيت المعمور الذي بحيال الكعبة ويدخله من حين خلق الله الخلق الى
الابد كل يوم سبعون الف ملك فلا يعود اليه واخذ منه ان الملايكة اكثر المخلوقات
واختلفوا في رويته لهولا الانبيا صلى الله عليه وسلم على نبينا وعليهم وعلى ساير الانبيا
والمرسلين وسلم فقيل لارواحهم الا عيسى فانه رفع بجسده وكذا ادريس على قول
واختلف قايلوا هذا في الذين صلوا معه في بيت المقدس فقيل الارواح
ايضا وقيل بل الاجساد وقيل خرق الله الحجب له حتى راى كلا في قبره من المحل
الذي اخبر به وقيل رفعوا من قبورهم تلك الليلة لتلك المواضع اكراما له صلى الله
عليه وسلم وبعد ان جاوز السما السابعة رفعت له سدرة المنتهى فراها وقد
غشاها من امر الله تعالى حتى تغيرت فما احد من خلق الله تعالى يستطيع ان ينعتها
من حسنها وراى الفيلة الزات وسبحان جيحان تخرج من اصلها ورآيه
انهار الجنة لا ينافي ذلك لان الذي ينبع من تلك الانهار في الجنة فلا ينافي
ما قيل اصلها في السابعة واعلاها وعليه يحمل رواية انه راها فيها واعلاها

في

ودنوّي الي قاب قوسين وتلك السيادة القعساءُ

في السابعة وعليها يحمل ما مر انها فيها وسميت بذلك لانه ينتهي اليها علم الخلايق
ولم يجاوزها احد الا نبينا صلى الله عليه وسلم قاله النووي رحمه الله وينبغي حمله على انه
لا يجاوزها من الملايكة الذين ينزلون الى الارض ويصعدون بالاعمال لما ياتي من انه
صلى الله عليه وسلم جاوزها الى مستوى يسمع صريف اقلام الملايكة ثم ادخل الجنة واحاط
بما عرج به صلى الله عليه وسلم كما في رواية البخاري حتى ظهر لمستوى اي محل عال يسمع فيه صريف
الاقلام اي تصويت اقلام الملايكة بما يكتبونه من اقضية الله تعالى وفي رواية لم تثبت
كساير روايات الحجب ثم زج بي في النور زجا فخرق بي سبعين الف حجاب كل حجاب
مسيرة خمس مائة عام ثم دلي لي رفرف اخضر ثم احتملني حتى وصلت الى العرش وهذه
الحجب بفرض صحتها انما هي بالنسبة للمخلوقين واما هو تعالى فلا يحجبه شي وصح عن
انس عنه صلى الله عليه وسلم قال عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودني الجبار اي بقربه المعنوي
كما يشير اليه قول رب العزة جل جلاله فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى كما قال الناظم
ودنوي الى قاب قوسين اي صعد البراق وقاب القوس ما بين مقبضه
واخر وتره فلكل قوس قابان ومن ثم قيل في الاية قاب اي قابي قوس ويرد بانه
لا يتعين ذلك بل المراد تشبيه قربه صلى الله عليه وسلم المعنوي من ربه بقرب قاب القوس
اذا التصق بقاب قوس اخر ثم رايت بعضهم قال قاب قوسين اي مقدار
قوسين وقاب قوس اي قدر طولها وقيل قدر الوتر منها قال الجوهري
الجوهري يقول بينهما قاب قوس اي قدر قوس تنبيه ما افهمه كلام
الناظم ان البراق ترقى به صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين هو ما دلت عليه رواية البخاري
ولفظها فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى السما الدنيا فاستفتح ثم قال ثم
صعد بي حتى اتى السما الثانية وهكذا لكن صحت الاحاديث بانه استمر على البراق الى بيت
المقدس لا غير ولهذا التنافي ذهب بعضهم الى ان الاسرا على البراق وقع مرتين مرة الى بيت

المقدس ومنه من مكة الى السما لكن رد هذا بان الاصح انه لم يتعدد وانه لاتنافي وانما
الذي ذكر هنا به عليه من مكة الى السما اختصر ذكر بيت المقدس وفيه نظر لان رواية
البخاري السابقة صريحة في انه كان معراج وانه استمر راكبا البراق الى السما الدنيا ثم التي
بعدها وهكذا وجرى عليه الناظم كما علمت فالاولى الجواب بتعدد بين الروايتين
بان من ذكر بيت المقدس والمعراج معه زيادة علم فقدم وعليه فيكون لما وصل في
في المعراج الى السما الدنيا ركب البراق واخترق السموات وما فوقها وبهذا اعني رواية
البخاري الظاهرة في التعدد والجمع بينها وبين الرواية الاخرى المشهورة التي عليها
العلما يظهر عذر الناظم في ذكر انه ركبه اي منتهى وصوله لكن في جزمه به نظر
ظاهر والحاصل انه بعد وصوله لسما الدنيا يحتمل انه استمر راكبا البراق على ظاهر
الرواية الاولى وانه جي له به ثانيا على الرواية الثانية ويحتمل انه ذهب من غير ركوب
شي تعظيما للسموات ومن فيهن اذ هن افضل من الارضين عند الاكثرين وعلى مقابله
المشهور كان الانبيا خلقوا من الارض وهي مدفنهم ومستقرهم وهم افضل من
الملايكة تعظيما لمن فيهن ممن اجتمع به من الانبيا والملايكة لانها عالم السما لم
يعص الله فيها بخلاف الارض لانا نقول هذه مزية وقد يكون في المفضول مزايا
على ان ذلك منتقض بما وقع لادم وحوى وابليس وادعا انهم لم يكونوا في السما
يحتاج لدليل وعلى التنزل فكون المعصية تقع في محل دون محل يقتضي فضيلة الثاني
لذاته غير مسلم فتامله بعد اتيانه بدليل يدل له وانما قلنا فالاولى الجواب الى اخره لم
نقل بالتعدد لان مجرد اختلاف الروايات في هذا الامر لا يقتضيه على
ان ما وقع في تلك الليلة من فرض الصلاة وغيره ذكر في كل من رواية الى السما ورواية
الى بيت المقدس وهذا صريح في اتحاد الاسرا وعدم تعدده فتامل ذلك كله
فانه مهم واعلم ان هذا التدلي والدنو المذكور في حديث انس وغيره من احاديث

المعراج

المعراج غير الدنو والتدلي في اول سورة النجم فان هذا في حق جبريل كما صح عنه صلى الله
عليه وسلم وصح ايضا انه لم يره في صورته التي خلق عليها الا في هذه المرة المذكورة في الاية ومرة
اخرى عند اوايل البعثة كما مر وتلك المرتبة التي وصل اليها صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هي
السيادة القعسا اي الثابتة الدايمة التي لا يطرقها تغيير ولا زوال ولما وصل
صلى الله عليه وسلم الى ذلك القرب الذي لم يصل اليه مخلوق فرض الله عليه وعلى امته خمسين
صلاة فرجع فمر على موسى فساله عما فرض الله عليه وعلى امته فامره ان يرجع الى ربه ويساله
التخفيف لامته فانهم لا يطيقون ذلك فرجع وسال فحط عنه خمسا وهكذا الى ان بقيت خمسا
فامره بالرجوع فقال له ان بني اسرايل فرض عليهم صلاتان فما قاموا بها فقال استحييت
من ربي وفي رواية علمت انها عزمة من ربي فلا اراجعه فقال هي خمس اي في الفريضة
وهي خمسون اي في الثواب لا يبدل القول لدي وحكمة فرضها في هذه الليلة انه صلى الله عليه
وسلم لما شاهد تعبد الملايكة فيها وان منهم مديم القيام ومديم الركوع ومديم السجود
واعطاه الله ذلك كله لامته في ركعة يصليها الواحد منهم بشروطها وادابها واختص موسى
صلى الله عليه وسلم بامره بتلك المراجعة لانه اطلع من صفات هذه الامة على ما حمله
على قوله اللهم اجعلهم امتي فقال له الله تعالى تلك امة محمد فقال اللهم
اجعلني منهم وهو حديث مشهور فكان اعتناوه بهم كما يعتني بالقوم من هو منهم
ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فمررت بموسى ونعم الصاحب كان لكم وفي رواية
كان اشدهم علي حين مررت به وخيرهم لي حين رجعت فايدة اختلف العلما قديما
وحديثا في ان نبينا صلى الله عليه وسلم راى ربه في هذا المقام الذي وصل اليه دون غيره من
الخلق بعيني راسه او بعين قلبه فقط والذي صح عن ابن عباس في رواية انه راه بعينه
وفي اخرى انه راه بقلبه ولا تخالف لانه صح عنه كما رواه الطبراني باسناد رجاله رجال
الصحيح الا واحدا فوثقه ابن حبان انه راه مرتين واحدة بالعين وواحدة

بالقلب بمعنى انه تعالى خلق فيه ادراكا كادراك البصر وليس المراد مجرد العلم لانه
حاصل له بل ولغيره فلا خصوصية ورواية ابن مردويه عنه لم يره بعينه لم تصح
وبتسليمها فالاثبات مقدم على النفي وجا عن انس باسناد قوي راي محمد ربه واطلاق
الروية انما تنصرف لروية العين وكان الحسن البصري يحلف انه راي ربه وبذلك
قال عروة وساير اصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهري
ومعمر واخرون وهو قول الاشعري وغالب اتباعه وانكرت عايشة رضي الله
عنها وابن مسعود الروية قال النووي لكن خالفها غيرها من الصحابة والصحابي
اذا خولف لا يكون قوله حجة اتفاقا ولا حجة لها فيما في مسلم ان مسروقا قال
لها لما انكرت الروية الم يقل الله ولقد راه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت يا رسول الله هل رايت ربك قال لا انما رايت
جبريل وذلك لانها انما سالت عما في الاية فاجابها بانه لم يره اي في قصة الاية وقد
مر انها غير قصة المعراج وان التدلي والدنو الذي في قصة المعراج غيرها في الاية
ولا حجة لها في لا تدركه الابصار لان المراد لا يحيط بحقيقة ذاته العلي بدليل الى ربها
ناظرة واذا جازت في الاخرة جازت في الدنيا لتساويهما بالنسبة للمرئي وسوال
موسى اياها في الدنيا اعظم دليل على ذلك اذ لا يجوز على نبي ان يسال محالا وانكار
المعتزلة فيحجبهم الله لها حتى في الاخرة من بدعهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنة
وعلى جوازها في الدنيا لم تقع الا لنبينا صلى الله عليه وسلم وصح في مسلم واعلموا انكم لن تروا ربكم
حتى تموتوا ومعنى خبر مسلم عن ابي ذر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فقال نور انى اراه ان النور حال بيني وبين رويته ببصره فكيف يراه مع ذلك
وقد مر انه راه مرة ببصره ومرة بقلبه فسبب هذه حصول ذلك النور فلا
ينافي وقوع الاولى وسيل احمد رضي الله عنه عن قول عايشة من زعم ان

عنها

رتب تسقط الاماني حسرى دونها ما وراهن وراء
ثم وافا يحدث الناس شكرا اذا اتته من ربه النعماء

محمدا راي ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم يدفع قولها قال بقول النبي صلى
الله عليه وسلم رايت ربي قول النبي صلى الله عليه وسلم اكثر واذا تاملت ما وقع له صلى الله
عليه وسلم ليلة الاسرا من الكرامات التي تميز بها على ساير الخلق علمت انها
رتب جليلة **تسقط الاماني** جمع امنية **حسرى** جمع حسير من حسر
اعيى ظرف لتسقط اي لجلالة هذه الرتب وعزتها على الخلق سقطت امنياتهم
وتخلفت طلباتهم واما لهم عن نيل هذه الرتب فلم يستطيعوا التوجه اليها حال
كونها عاجزة عن التاهل لها ولما لا وهي **ما وراهن وراء** اي ما قداهن بمعنى
انه ليس بعدهن مرتبة ينالها غيره صلى الله عليه وسلم **ثم** لما رجع رسول الله صلى
الله عليه وسلم من سفر الاسرا مر بعير لقريش تحمل طعاما فيها جمل عليه غرارتان سودا وبيضا
فلما حاذى العير نفرت منه واستدارت وتصرع ذلك البعير فسلم عليهم فقال
بعضهم هذا صوت محمد ومر اي بعير اضل وجمعه واحد منهم ثم **وافا** مكة قبل
الصبح فاصبح **يحدث الناس** بما راي من تلك العجايب والكرامات
امتثالا لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث **شكرا** اي من جهة الشكر او لاجل
قيامه بشكر ربه او حال كونه شاكرا الانعمه **اذا** اي لاجل او وقت **اتته من ربه
النعما** تلك الليلة وح ارتد ناس كانوا اسلموا اذ ذهب مشركون لابي بكر وذكروا
له انه يخبر انه ذهب الى بيت المقدس وجاني ليلة فقال صدق فانكروا عليه
فقال اني لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك في خبر السماء غدوة وروحة فلذلك
سمي الصديق رضي الله عنه وكرم وجهه رواه الحاكم في مستدركه وابن اسحاق وزاد ان
ابا بكر جاه فقال يقولون انك الليلة اتيت بيت المقدس قال نعم قال
صفه لي فاني جيته ثم فوصفه له كما هو لانه رفع اليه فجعل ينظره ويصفه وابو
بكر يصدقه وقوله له صفه انما هو ليرد به على من تشكك في ذلك ورفعه له حتى

دونها

وتحدي فارتاب كل مريب او يبقي مع السيول الغثاءُ

يتلوه رواه البخاري وكذا مسلم وزاد انهم سالوه عن اشيا فيه لم يثبتها فكرب
كرباً لم يكرب مثله قط ورفعه اما بحمل مثاله ووضعه قريبا منه وعليه يحمل رواية
فجي بالمسجد اي بمثاله واما بحمل المسجد نفسه اليه وهذا الاظهر بامر حي
وانتقاق اليه من مكة الاخاو نظيره بخي عرش بلقيس الي سليمان صلي الله علي
وعلي نبينا وعليه وسلم في طرفة عين واما بازالة الحجب بينه وبينه وبهذا ظهرت
الحكمة في الاسرا الي بيت المقدس ثم العروج الي السما لما تقرر ان فيهم من
راي بيت المقدس فوصفه له كما هو مع علمهم بانه لم يذهب اليه قط اوضح
لهم علي صدقه في جميع ما اخبر به من امر السما وبما اخبرهم به انه قال لهم
ان من اية ما اقول لكم اني مررت بعير لكم في مكان كذا وقد اضلوا بعيرا لهم
فجمعه فلان وان مسيرهم ينزلون بمكان كذا وياتونكم يوم كذا يقدمهم لهم
جمل ادم عليه مسح اسود وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرف الناس ينظرون حتي
اذا كان قريب من نصف النهار اقبلت العير كما وصف وفي رواية انهم يقدم
العير يوم الاربعا فلما كان يوم كادت شمسه ان تغرب ولم يقدموا فدعي الله تع فحبس
الشمس حتي قدموا كما وصف وعطف علي ولما قوله وتحدي صلي الله عليه وسلم
كفار مكة وغيرهم بما وقع له ليلة الاسرا وما تقدمه من المعجزات كانشقاق القمر
اي طلب منهم ان يعارضوا ما جا به شاهدا علي نبوته بابداء نظيره والا كانوا كاذبين
معوضين فارتاب اي بهلك وخرس كل مريب فانقطع عن المعارضة
ولم يسعه الا التسليم فمنهم من اسلم ومنهم من مات كافرا وجحد وابها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ولزمهم من انقطاعهم عن معارضته اتضاح
امره وانه لم يبق فيه شك ولا ريب ومن ثم قال منكرا على بقي عنده من
ذلك شك يتضح ذلك الامر او يبقي معه ريب لا بل اتضح وما بقي منه

شك اصلا وكيف يبقي مع السيول حال من قوله الغثا وهو بضم المعجمة
وثا مثلثة ما يحمله السيل مما نحى من النبات فكما ان الغثا لا يبقي مع السيل بل
يذهب به ويهلكه في اسرع وقت فكذلك ما جا به صلي الله عليه وسلم من الايات البينات
والبراهين الواضحات لا يبقي معه لولا الخذلان الالهي شك بل يذهب ويضمحل
في اسرع وقت فعلم انه استعار السيول لما اتي به صلي الله عليه وسلم لان بها الحياة
الحسية وجعلنا من الما كل شي حي كما ان ما جا به الحياة المعنوية والغثا لما يخلوه
لا نداره حقير لا يبالي به كما ان الغثا كذلك وفي ارتاب ومريب جناس
الاشتقاق وفي الختم بالجملة الاستفهامية التذييل نحو وهل يجازي
الا الكفور تنبيه ما قدرته بعد همزة الاستفهام
هو راي الزمخشري ومن تبعه وهو التحقيق وان كان خلاف ما عليه سيبويه والجمهور
فيقدر في نحو اولم يسيروا في الارض امكثوا ولم يسيروا ونحو افلا تعقلون اتجهلون
فلا تعقلون ونحو اثم اذا ما وقع امنتم به اتكفرون ثم اذا ما وقع امنتم به فالهمزة في
الكل في محلها الاصلي والعطف علي جملة مقدرة بينها وبين العاطف محافظة علي اقرار
حرف العطف علي حاله من غير تقديم ولا تاخير ورد ابو حيان لذلك بانه تقدير
بلا دليل عليه وابن هشام بان فيه تكلفا اذ غير مطرد فيه نظر بل اليه حاجة وهي
ان المعني معه اقوي واوضح مع رعاية قاعدة الهمزة وحرف العطف ودعوي
عدم اطراده ممنوعة لان المدار حيث وجد فيه ذلك يكون قاضيا بذلك
المحذوف واعلم ان الهمزة اصل ادوات الاستفهام ومن ثم اختصت بجواز حذفها
نحو هذا ربي في المواضع الثلاثة اي اهذا ربي وقيل وتلك نعمة تمنها علي اي اوتلك
وبانها ترد لطلب التصور تارة والتصديق اخري وهل تختص بالثاني والبقية
بالاول وبانها تتقدم علي العاطف كما هنا تنبيها علي اصالتها والبقية

وهو يدعوا الى الاله وان شق عليه كفر به وازدراه

تنازعه ونانها تدخل على الشرط نحو ان مات او قتل وعلى الاثبات والنفي **وهو يدعوا** حال من فاعل تحدى اي تحدي الناس والحال انه مع انكارهم وارتيابهم لا يفتر عما امر به من التبليغ والدعاء **الى المعبود** اي المعبود بالحق الذي لا يعبد غيره وهو الله ثم دي اله والاله الجناس الناقص ولم ينظر الناظم الى كون الاله اسم جنس في الاصل لكل معبود لان الايمة اعرضوا عن هذا الاصل واستعملوه في حق فقط فصار علما بالغلبة ولم يزل صلى الله عليه وسلم يجدد دعاه الى الله تعالى **وان شق عليه كفر به** اي الاله او النبي **وازدراه** اي احتقاره وانتقاصه له فهو يديم لذلك الدعا متحمل لمشقة انكارهم وتقبيح كفرهم وازدرايهم له وما حابه اخرج اهل السير انه صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في منازلهم يقول لهم يا ايها الناس ان الله يامركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا وابو لهب عمه وراه يقول يا ايها الناس ان هذا يامركم ان تتركوا دين ابايكم ورماه الوليد ابن المغيرة لعنه الله بالسحر وتبعه قومه على ذلك واذنه قريش ورموه بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من كان يحثوا التراب على راسه ويجعل الرم على بابه ووطى عقبة ابن ابي معيط على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا راسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر دونه قايلا اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وصاح عقبة ابن ابي معيط لف ... بعنق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا وهو بفناء الكعبة فخنقه خنقا شديدا فجا ابو بكر ودفعه عنه ... احدى ... اول من اظهر الا ظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمار وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه الله بقومه واما سايرهم فاخذهم

الالهي صح

ثوبا

المشركون

ويدل الورى على الله بالتوحيد وهو المحجة البيضاء

المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم في الشمس وان بلالا لاهانت عليه نفسه في الله عز وجل وهان على قومه فاخذوه واعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول احد احد اي ننزهه بمرارة العذاب الايمان ومر اللعين ابو جهل بسمية ام عمار بن ياسر وهي تعذب فطعنها بحربة في فرجها فقتلها واخرج البيهقي عن عروة ان ابا بكر رضي الله عنه اعتق ممن كان يعذب في الله سبعة منهم الزنيرة بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة فعميت فقالوا اما اعماها الا اللات فقالت كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها **و** هو مع ذلك ايضا **يدل الورى** اي الخلق وكان الناظم اخذ هذا من الحديث الصحيح وارسلت الى الخلق كافة فاما الانس والجن فبالاجماع المعلوم من الدين بالضرورة فيكفر منكره كما مر واما الملايكة فعلى الاصح عند جمع محققين كما يصرح به الحديث وقوله تع ليكون للعالمين نذيرا وقول الرازي اجمعنا على ان المراد الانس والجن موول بل مردود واما بقية الجمادات فعلى ما ذهب اليه بعض محققي المتاخرين ومعنى ارساله للملايكة وهم معصومون انهم كلفوا بتعظيمه والايمان به واشاعة ذكره وللجمادات ان ركب فيها ادراكات لتومن به وان من شي الا يسبح بحمده اي حقيقة لا بلسان الحال فقط خلافا لمن زعمه **على الله** اي على العلم بذاته واسمايه وصفاته وافعاله وما يجب له من اثبات كل صفة كمال وسلب كل صفة نقص بل وكل ما لم يتصل الى اعلى غايات الكمال وما يجوز له من ايجاد الخلق واعدامهم وما يمتنع عليه من المحالات التي لا تتعلق بها القدرة كما هو مقرر في محله **بالتوحيد** اي بطلبه منهم توحيده على الله تعالى بان يقروا بانه تعالى واحد في ذاته فلا تعدد له بوجه وصفاته فلا نظير له بوجه وافعاله فلا معين ولا شريك له فيها بوجه ولاهو

على الله صح

المتن ان بالتوحيد بالاله كتبت بالقلم ويوجد بان العلم بالتوحيد كما ذكر
ينشا عنه العلم بما يليق بذات الله واسمائه وصفاته وافعاله كما تقرر وهو
اي العلم بكل ذلك والدلالة عليه المحجة اي الطريقة اي رضا الله تعالى التي امر بها
ويثبت عليها البيضا اي النيرة المضيئة الواضحة التي لا يضل سالكها ولا
ينقطع ولا يختلي فيها من اتبعه وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم تركتكم على
الواضحة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يزيغ عنها الا هالك ولما صبر
صلى الله عليه وسلم على تبليغهم مع ما حصل له منهم مما اشار الناظم اليه بقوله
وان شق عليه الى اخره اطاع الله له اكثرهم وصار من اكابر اتباعه كما قال فبما
رحمة واصلة اليه من الله وهي في الاصل ميل وعطف نفساني
هي زيادة غاية التفضيل والانعام اذا اردتها والمراد هنا هذه الغاية لاستحالة
العطف والميل على الله تعالى وكذا كل صفة وردت في القران او السنة لله تعالى واستحال
على معناها يراد بها غايتها اي فبسبب رحمة لهم وعطفه عليهم ببركة لين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصبره عليهم كما يشير لذلك قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الذي
اقتبس الناظم منه هذا ايقظ قلوبهم وازال ما فيها من كبر وغي فحينئذ
لانت صخرة هي الحجر العظيم من بيانية وجعل الشارح ذلك صفة
لصخرة مع كون من بيانية بعيد ابايهم اي استناعهم صما اي صلبة
لا يوثر فيها معول على خلاف العادة وبه يظهر حسن التقابل بين لانت وصما
وهو من الطباق ويسمى المطابقة والتضاد ايضا وهو ان يجمع بين معنيين
متقابلين في الجملة تتضاد او نفي واثبات او عدم وملكة او نحو ذلك اي
زال امتناعهم عن طاعته فيما يامرهم به فاطاعوه واتبعوه فعلم انه استعار
الصخرة التي هي غاية الصلابة لابايهم منه اولا اذ كانوا في غاية النفرة عنه

والبغض

والبغض والايذا له وللمومنين وزال ما بها لاتباعهم له وانقيادهم لجميع اوامره
ونواهيه اخروبين ان ذلك كله انما هو بواسطة رحمة الله وهدايته لهم لا بحوله
صلى الله عليه وسلم ولا بقوته انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبعد
ان تلا نواله بين له لينه لهم لم يزل لينهم يتزايد حتى استجابت له اي اجابت
دعوته وامتثلت اشارته بنصر وفتح اي مع او بسبب ما اعطاه الله من
النصر على الاعدا بكثرة الاتباع والقا الرعب في القلوب والفتح لبلادهم باخماد شوكتهم
واستيصال شافتهم بعد ذلك اي الضعف الذي كان به صلى الله عليه وسلم وباتباعه
لقلتهم وتجريد قتال الاعدا وتصميمهم على منا واته ومعاداته لقوة شوكتهم
وكثرة عددهم وعددهم الخضرا اي السما سميت بذلك لانها ترى كذلك فقد
قال القاسم بن ابي بزه ليست السما مربعة لكنها مقبوة يراها الناس خضرا وبين
النوري سبب ذلك فقال بلغنا ان صخرة تحت الارض اي خضرا كما في حديث البزار
وغيره منها خضرة السما وليست في الحقيقة كذلك للحديث انهم قالوا يا رسول الله
ما هذه السما قال هذا موج مكفوف عنكم ومن ثم سيل ابن عباس رضي الله عنهما
السما اي شي قال انها من موج مكفوف ويوافقه قول علي كرم الله وجهه في
حلفه والذي خلق السما من ماء ودخان وقال كعب السما اشد بياضا من اللبن
وقال الربيع بن انس السما الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضا والثالثة
حديد والرابعة نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة
ياقوتة حمرا وجا عن سلمان الفارسي رضي الله عنه لكن بسند واه السما الدنيا من زمردة
خضرا والثانية من فضة والثالثة من ياقوتة حمرا والرابعة من درة بيضا والخامسة
من ذهبة حمرا والسادسة من ياقوتة خضرا والسابعة من نور والغبراء
اي الارض سميت بذلك لان جميع طبقاتها من طين كما جا عن ابي عمر رضي الله عنهما

والغبرا اي الارض

٨

واطاعت لامره العرب العربا والجاهلية الجهلاء

قال لما اراد الله ان يخلق الاشيا اذ كان عرشه على الما واذ لا ارض ولا سما خلق
الريح فسلطها على الما حتى اضطربت امواجه واثار ركامه فاخرج من الما دخانا وطينا وزبدا
فامر الدخان فعلا وسما فخلق منه السموات وخلق من الطين الارضين وخلق من الزبد
الجبال ومن الخضرا والغبرا ما في لانت ومما لكون هذا يسمى التدبيج لذكر الالوان
فيه ومعنى استجابة الارض والسما له صلى الله عليه وسلم استجابة اهلها ويحتمل انه
استعار السما للرفيع من الناس والارض للوضيع اي اجابة الرفيع والوضيع حتى لم
يتخلف من اهل مكة وغيرهم احد عنه اذ لم يبق مسلم او مسالم وعلى الاول فتقييد
الناظم استجابة اهل الارض بالنصر والفتح بتلك التعدية ظاهر واما تقييد
استجابة اهل السما بها فهو بمعنى انه لم يزل لنصرته الملايكة الا ببدر وما بعدها
وذلك انما هو بعد قوته والقا رعبته في القلوب والاذن له في الجهاد والفتح عليه
بعد ذلك اطاعت لامره وهو القول الدال على الطلب بلفظ افعل
ونحوه ولنهيه وحذفه لفهمه مما ذكره العرب بضم فسكون او بفتحتين
كما هنا وهم ولد اسماعيل صلى الله عليه وسلم العربا ويقال العاربة وهم الخلص من
العرب ويقال لغير الخلص العرب المستعربة وفي القاموس والعرب بالضم
وبالتحريك خلاف العجم اي بالضم والتحريك ايضا كما ذكر في مادته وهم سكان
الامصار او عام والاعراب منهم سكان البادية لا واحد له ويجمع على اعاريب
وعرب عاربة وعرباء وعربات وعربا صرحا ومتعربة ومستعربة دخلا فيهم
قال ويعرب بن قحطان ابو اليمن كلهم اول من تكلم بالعربية وفي النهاية الاعراب
من العرب ساكنوا البادية الذين لا يقيمون في الامصار ولا يدخلونها الا لحاجة
والعرب اسم لهذا الجيل من الناس اقام بالبادية او المدن وفي الصحاح ليس
الاعراب جمع عرب اي لان الجمع لا يكون اخص من واحده وانما العرب

اسم

وتوالت للمصطفى الاية الكبرى عليهم والغارة الشعواء * واذا ما تلا كتابا من الله تلته كتيبة خضراء

اسم جنس وذكر ابن قتيبة ان الاعرابي هو البدوي والعربي المنسوب الى العرب
وان لم يكن بدويا والاعجمي الذي لا يفصح وان كان عربيا والعجمي المنسوب
للعجم انتهى وبين المبرد في كتاب نسب عدنان وقحطان ان جميع العرب
ترجع اليهما وعدنان هو الجد الاعلى للنبي صلى الله عليه وسلم وساير العرب العربا وبينه
وبين اسماعيل ثمانية ابا وقحطان قال الكلبي هو المجتشع بن نبت
اسماعيل صلى الله عليه وسلم والجاهلية الجهلاء هو كالعربا فيه تجنيس
الاشتقاق وشبه التاكيد اللفظي كليل اليل وخص هذين لان تصميمهما على
الكفر بلغ من القوة والشدة ما لم يبلغه تصميم غيرهما وتوالت اي
تتابعت للمصطفى صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله الاية مفرد محلى
بال فيكون في معنى الايات وايضا فالتوالي انما يكون في متعدد اي العلامات
الدالة على ثبوته والرخصة لما تقولوه وافتروه عليه وعلق الشارح بتوالت
وهو وان كان هو الظاهر صناعة لان الثاني فيه افادة انما هو اياته الخاصة به
لا لمن تقدمه الكبرى عليهم كالقرآن وانشقاق القمر و توالت له
عليهم ايضا الغارة على بلادهم واموالهم ونفوسهم وذراريهم وهي اسم مصدر لاغار
الشعوا اي الغاشية المتفرقة المحيطة بهم من ساير الجوانب التي لم تطع لهم
بغنى او مال الا اهلكته و بجران استجاب له اهل السما والارض ودخل
الناس في دين الله افواجا وكثرت اتباعه جدا حتى صار اذا ما زايدة تلى
اي قرا كتابا انزل عليه من الله وهو القرآن تلته اي تبعه لاجل
القراة معه او استماع قراءة الكتاب مزدحمين عليه لا سيما كتيبة بالفوقية
اي جيش خضرا اي يعلوها سواد السلاح والحديد ومن عكسه سواد العراق
لانه لكثرة شجره يرى من بعيد يرى اسود وهو كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكفاه المستهزئين وكم سا نبيا من قومه استهزاءُ ورماهم بدعوة في فنا البيت فيها للظالمين فناءُ

التي دخل صلى الله عليه وسلم مكة وهو فيها على ناقته القصوى بين ابي بكر واسيد بن خضير
ولما راه ابو سفيان راكبا بالابل له به فقال للعباس لقد اصبح ملك
ابن اخيك عظيما فقال العباس ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة وروى
البخاري عن عبد الله بن معقل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على
ناقته وهو يقرا سورة الفتح وقال لولا ان يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجع
وبين تملي وتلته وكتاب وكتيبه تجنيس الاشتقاق او شبهه وكفاه صلى الله
عليه وسلم ربه تفضلا منه وكرما النفر الاشقيا الذين زادوا في ايذائه والتوا عليه
المستهزئين به كما قال تع انا كفيناك المستهزئين وهم جماعة من قومه
كانوا يسخرون منه ويبالغون في ايذائه والسخرية به اي تولى اهلاكهم من
كفيت فلانا المونة اذا توليتها له فلم تحوجه اليها وفي توليه تع لهلاك المستهزئين
به سلاه فاعلمه بان هذا ليس خاصا به بل الانبيا قبله كانوا كذلك بقوله عز قايلا
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ومن ثم اقتبس المصنف من هذا بقوله
تع ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية قوله وكم مرات كثيرة سا اي
احزن نبيا بينهما الجناس المصحف من قومه متعلق بقوله
استهزاء اي بسخرية وايذا ففيه اقتباس وتلميح وهو الاشارة الى قصة او شعر
او مثل ساير من غير ذكره التلميح هذا شايع كثيرة في كلامهم كانه هنا الملهم باعتبار ظهور قصة
المستهزئين وشدة الاعتنا به وفيه ايضا التذييل والمثل الساير في الجملة الاستئنافية
ورماهم اي اصابهم بدعوة منه عليهم وصلت اليهم فاهلكتهم كما يصل السهم
القاتل الى من رمي به فيهلكه من اي بدعوة كاينة في فنا البيت اي
حوالي الكعبة وقيل انه شكاهم لجبريل فقال امرت ان اكفيكهم ثم اشار الى
كل منهم باصابه وذلك لا ينافي دعاه عليهم لان دعاه كان سببا لاشارة جبريل عليه

الملام

خمسة كلهم اصيبوا بدعاء والردا من جنوده الادواءُ فدهي الاسود بن مطلب اي عمي ميت به الاحياءُ

السلام اليهم بالهلاك وتخويف تعلق من برمي فانها لا تبلغ الغاية بعيد لكن فيه دقة
تشبيه وبلاغة ولعل الناظم قصد ذلك لاستقامة الوزن مع كل فايتا رها مع
كونها خلاف المتبادر انما هو عن قصد ثم وصف الدعوة ايهم بقوله فيها اي
تلك الدعوة للظالمين متعلق بما بعده والاصل لهم وعدل عنه ليبين ان
سبب هلاكهم ظلمهم وبغيهم عليه صلى الله عليه وسلم والظلم وضع الشي في غير محله
فنا اي استيصال لهم حتى لم يبق منهم احد وبين فنا وفنا جناس محرف ثم ابدل
لهم قوله خمسة بدل من المستهزئين والظالمين ويصح رفعه ونصبه مع ان المستهزئين
ابا لهب وغيره وعقبة بن ابي معيط والحكم بن العاص لانهم اشدهم ولذا عجلت
عقوبتهم كلهم اصيبوا بدعاء عظيم والردا اي الهلاك من
جملة جنوده المعينة عليه الادوا جمع دا وهو المرض وهذا ساقه مساق
الحكم لمناسبة لما قبله فانه كالتعليل له اي انما اصيبوا بذلك الدا لانهم سعوا في تحصيل
اسباب الردى له حتى تعوا انه ولم يجدوا فيه مخلصا وبين دا وادوا جناس ناقص
كما مر ثم فصل ذلك الدا الذي اهلكهم الله به فقال فدهي من الداهية
وهي الامر العظيم المهلك الاسود بن مطلب بن اسد بن العزى فهو اسدي
اي عمي عما اعطيها لانه كما طمس بصره طمس بصيرته حتى لم يبق له تمييز بين الحق
والقبيح وليس العمي الا عمى البصيرة ميت به اي بسبب ذلك العمى
الاحيا في حكم الاموات الذي لا ينظر اليهم ولا يعول عليهم ويحتمل ان المراد ان
عماه كان سببا لموته على خلاف العادة مبالغة في هلاك ذلك اللعين وانه
قتل بما لا يقتل عادة لانه حقت عليه الكلمة فمات فورا من غير سبب ظاهر ولذلك
ربما تعود على ان ميت مبتدا وما بعده سد مسد الخبر اي ان من بيان هذا
العمى انه وقع للاحيا صاروا به في حكم الموتى لا بصر لهم ولا بصيرة والجملة موكدة لما افاده

ودهي الاسود بن بغوث ان سقاه كاس الردا استسقا واصاب الوليد خدشة سهم قصرت عنها الحية الرقطاء

تنوين عمي انه بن عمي بصر وبصيرة ولم ينظر الناظم اي عدم اعتاد هذا المبتدا جريا على مذهب الكوفيين فانه قوي ومن ثم تبعهم الاخفش مع تقدمه وتحقيقه وقال ابن مالك الاعتماد حسن لا واجب وكانه يريد ان يجمع به بين راي البصريين والكوفيين لكنه خلاف ما صرحوا به فيكون رايا ثالثا لا يقال مبتدا خبر مقدم لانا نقول لو كان خبر الغال ميتون لوجوب المطابقة ولا حجة في قوله خبير بنو لهب ان خبير خبر مقدم لان فعيل لا تلزم فيه المطابقة وبين ميت والاحيا الطباق ودهي ابتم الاسود بن عبد بغوث بن وهب بن مناف بن زهرة الزهري وبغوث في الاصل اسم صنم ان سقاه كاس الردا الموت استسقا حصل له في جوفه واستمر به حتى اهلكه وهو داء خبيث على انواع منها المراد هنا الزقي وهو امتلا الامعا بالما الفاسد المبطل للحار الغريزي المفضي الى الهلاك عن قرب وبين سقاه واستسقا جناس الاشتقاق وتشبيه الردي بالمشروب حتى اثبت له ما هو من لوازم المشبه به من الكاس والسقي استعارة بالكناية تتبعها الاستعارة التخييلية واصاب الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فهو مخزومي خدشة سهم اي اثر جرحة با سفل رجل من شخص في يده نبل وقيل اصابت ذيله شوكة فمنعه الكبر من ان يهوي ليقلعها فضربها بالسوط فاصاب رجله فتاكلت ومات منها قبل وقعة بدر فكان سم ذلك الجرح اسرع اي هلاكه واشنع من سم الافاعي فلذلك قصرت عنها اي عن تلك الخدشة الحية الرقطا اي التي تخالط سوادها نقط بيض وهي اعظم الحيات اذا وجه قصورها عنها في الافنا اي القتل ان الحية لم قد يقع البرء من لسعتها بخلاف تلك الخدشة فانها كانت قاتلة له حتما لانها اثر تلك الدعوة عليه المقبولة ثم رايت

بعضهم

قضت شوكة على مهجة العاص فلله النقعة الشوكاء وعلى الحارث القيوح وقد سال بها راسه وساء الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الارض فكف الاذى بهم شلاء

بعضهم قال وانما كان ما اصاب الوليد اعظم لان الحية انما تهلك بواسطة السم وهذا بلا واسطة انتهى وما ذكرته اوضح واحسن كما لا يخفى وقضت شوكة دخلت في اخمص رجل العاص على مهجة العاص بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم فهو سهمي اي قتلته قتلا عجيبا ومن ثم عقبه بما يفيد التعجب فقال فلله هذه النقعة من قولهم الناس نقايع الموت اي انه يجزرهم كما يجزر الجزار النقيعة الشوكاء من قولهم بردة شوكاء اي خشنة الملبس اي ما اعجب هذه القتلة الشديدة التي حصلت له من تلك الشوكة العليلة التاثير عادة فلله دره من شوكة تحرته في اسرع وقت وقضت على الحارث بن الطلاطلة بالموت القطيع القيوح جمع قيح وهي المدة البيضا التي لا تخالطها دم والحال انه قد سالت بها راسه وساء اي قبح ذلك الراس الذي هو الوعاء لتلك القيوح العائلة لصاحبه وبين سال وسا الجناس الناقص وفي الختم بسا الوعا التذييل وهولا الملاعين خمسة طهرت بقطعهم اي هلاكهم الارض اي مكة ونواحيها او مطلقا لان ضررهم يسري الى جميع البلاد فكف الاذى الذي كان يصل للناس لا سيما نبينا صلى الله عليه وسلم منهم بهم اي بسبب فقدهم او مع فقدهم شلاء فاقدة الحركة فعلم انه شبه الاذى بالانسان من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لافادة ان الاذى لو تجسم لكان انسانا يقدر على ايصال ما يريده باي وجه كان ثم اثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو الكف الذي يتناول بها ساير المضار التي يريدها ووصفها بالشلل لبيان ان الاذى بفقدهم صار استعارة تخييلية وذكر الشلل الملايم للمشبه به ترشيح قد يمت بالبنا للمفعول يقال

فدية خمسة الصحيفة بالخمسة ان كان للكرام فداءُ

فداك بفتح اوله فيقصر وبكسره فيقصر ويمد وهو دعا ستضمن للتعظيم
فهو من حيز الانشا اي لو امكن ان احدا يكون فدا احد من الموت
لسالت ان يكون هولا فدا لهم والمراد اللهم اجعلني فدا ابهم من الموذيات
وقوله اذ كان للكرام فدا الدال على انه لا فدا لهم بذلك على ان المعنى
الاول خمسة الصحيفة الاتي بيانهم بالخمسة الملاعين السابق
ذكرهم اي جعلت هولا جميعهم فدا لكل واحد من اوليك من كل مكروه والمقابل
هنا من باب ركب القوم دوابهم ان جزاوها محذوف لدلالة ما قبله عليه
كان للكرام فدا واوليك الخمسة الذين سعوا في نقض الصحيفة من
جملة الكرام الذين يتعين فداوهم عند الحاجات والشدايد ان يقع
الفدا لانهم بذلوا نفوسهم في امر عظيم جدا كما يعلم من ذكر قصتها وهي ان
قريشا لما رات عزة النبي صلى الله عليه وسلم بامره في سنة خمس من النبوة بضعة عشر
من اصحابه منهم عثمان وزوجته رقيه بنت النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى
الحبشة واستقرارهم فيها وباسلام حمزة ثم عمر بعده بثلاثة ايام وبفشوا
الاسلام في القبايل اجمعوا على ان يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك ابا طالب
فاتوا اليه بعمارة بن الوليد اعز فتى فيهم لياخذه بدل ابن اخيه فابى وجمع بني هاشم
وبني المطلب فادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن ارادوا قتله
واجابوه لذلك حتى كفارهم حمية على عادة الجاهلية فلما رات قريش ذلك
اجتمعوا وايتمروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب
ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيا ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم
صلحا ابدا حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا ذلك في صحيفة
بخط بعضهم فشلت يده وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة تاكيدا في

حفظها

حفظها وبقايها وكان ذلك هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم
وبنو المطلب الى ابي طالب فدخلوا معه في شعبه الا ابو لهب فكان مع قريش لعنه الله
فاقاموا على ذلك سنتين او ثلاثا حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شي الا سرا حتى ان حكيم
ابن حزام حمل غلامه يريد به عمته خديجة رضي الله عنها فلقيه ابو جهل اللعين فتعلق
به واراد ان يفضحه فانتصر له ابو البختري بن هشام بن الحارث بن اسد وقال
خل سبيله فابى فاخذ له لحي جمل فضربه فشجه ووطيه وطيا شديدا فلما مضت
تلك المدة قام اوليك الخمسة في نقض تلك الصحيفة وكان راسهم هشام بن الحارث
لقربه منهم لانه الذي اخو عبد المطلب ومن ثم كان واصلا لبني هاشم فكان ياتيهم
ليلا بالبعير وعليه الطعام الى فم الغار فيخلع خطامه ويضربه حتى يدخل ولعزة هشام
بهم هذا مشى الى زهير بن عاتكة بنت عبد المطلب فقال ارضيت انا ناكل الطعام
ونلبس الثياب وننكح النسا واخوالك حيث علمت وشدد عليه حتى قال لو وجدت
رجلا معي لنقضتها فقال انا معك فقال ابغنا ثالثا فذهب الى المطعم واستنجاه
حتى قال لو وجدت رجلا قال ابغنا ثالثا قال وجدت زهير بن ابي امية قال ابغنا
رابعا فذهب الى ابي البختري واستنجاه ايضا فقال هل من معين فذكر له
اوليك قال ابغنا خامسا فذهب الى ابي امية واستنجاه فقال هل من احد فذكر له
القوم فاجتمعوا بالحجون واجمعوا على نقضها فقال لهم زهير وانا اول من يتكلم
فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا زهير بحلة فطاف سبعا ثم اقبل على الناس فقال
يا اهل مكة انا ناكل الطعام ونلبس الثياب وبنوا هاشم فيما يرون والله لا اقعد
حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فقال له ابو جهل كذبت والله لا تشق
فقال زمعة انت والله اكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت وقال ابو البختري صدق
زمعة ما نرضى ما كتب فيها ولا نقر به وقال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك

فتية بيتوا علي فعل خير حمد الصبح امره والمساءُ

نبز الي الله منها وعما كتب فيها فقال ابو جهل هذا امر قضي بليل التشور فيه بغير هذا
المكان وابو طالب جالس فقام المطعم الي الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد اكلتها
الا باسمك اللهم ولابيا رض فلك ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قبل ذلك قال لابي
طالب يا عم ان ربي سلط الارضة علي صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما لهو لله الا
اثبتته ومحت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال اربك اخبرك بهذا قال
نعم فاخبرهم ابو طالب بذلك وقال اقروها فان صدق فانتهوا عن قطيعتنا
والا دفعته اليكم فنظروها فاذا هي كما قال صلي الله عليه وسلم فازداد شرا وذلك
لانه لا مانع انهم لما نظروا ذلك وازدادوا شرا قام اوليك الخمسة في ادابها من
اصابت فسعوا وبذلوا جهدهم فيه فقال الشارح ويحتمل ان ابا طالب انما اخبر
بعد سعيهم في نقضها انتهي ويبعده ان الاخبار بذلك حينئذ لا يبقي له كبير جدوي
فالاولي بل المتعين ما قدمته اذا تقرر ذلك علم انهم **فتية** اي كرام جمع فتي
وهو السخي الكريم وفيه تصريح بما اومي اليه من وصفهم بمكارم الاخلاق **بيتوا**
اي دبروا واتشوروا بالجحون ليلا **علي فعل خير** هو نقضها والمخاطرة
دونه بالنفوس لشدة نزلتي في بقائها مع كثرتهم وقوتهم **حمد الصبح**
اي الفجر او الصباح وهو من الفجر الي الزوال ويدل علي هذا مقابلته بالمسا الذي هو
من الزوال الي الغروب **امره** اي شانه وعاقبته **والمسا** واسناد الحمد
لهذين الزمانين مجاز دال علي شدة المبالغة في وقوع الحمد وطلبه علي فعل الخير
لان الزمان اذا حمد علي ذلك فسائر العقلا اولي واحق بذلك وبين الصبح والمسا
الطباق كالشدة والرخاء والنقض والابرام فيما ياتي وجعل الشارح غير الاخيرين
من المقابلة وهما من الطباق لا يتاتي علي تفسيرهم الطباق بانه الجمع بين معنيين
متقابلين في الجملة كما مر مبسوطه **بالامر** بفتح اللام وهو نقضها وناداه علي

طريق

ادهاهما

اتاه بعد هشام زمعة انه الفتي الاباءُ وزهير والمطعم بن عدي وابو البختري من حيث ساؤا

٧٣

طريق الاستغاثة تنزيلا له منزلة العاقل مبالغة في تعظيمه ولذا كان ذلك
مفيدا للتعجب من وقوعه كقولهم يا لله اي اذا تعجبوا من كثرتها **اتاه
بعد هشام** بن الحارث بن حبيب بن خزيمة ابن مالك بن حفيل بن عامر
ابن لوي فهو عامري وقدمه لما مر انه اول الخمسة والسبب في اجتماعهم
زمعة بن الاسود بن المطلب بن اسد **انه** بالكسر استيناف فيه
معني التعليل لكونه اول من كذب ابا جهل وردع هشام كما مر **الفتي**
اي الكريم في قومه **الاباء** صيغة مبالغة من ابي ففيه مع اتاه جناس
الاشتقاق كما في فديت وفدا **وزهير** بن ابي امية بن المغيرة وامه عاتكة
ابنة عبد المطلب عمة رسول الله صلي الله عليه وسلم **والمطعم بن عدي
وابو البختري** واتي هولا الخمسة النقض لا عن غير اتفاق ومواطاة
بل انما اتوه اتيانا كائنا **من حيث** ظرف مكان حقيقيا ومجازا وجوز الاخفش
كونها ظرف زمان ويجوز فتحه وجره وحاث وحوث واعرابها لغة
قليلة وتلزم الاضافة لجملة وندرت لمفرد خلافا للكسائي وعدم اضافتها بالكلية
اندر فتعويض ما وتصرفها نادر بل انكره ابو حيان والغالب كونها في محل
نصب علي الظرفية او خفض بمن ولا يقع اسم ان ولا مفعولا به علي خلاف
فيهما ورغم الفارسي انها في الله اعلم حيث يجعل رسالاته مفعولا
به اذ المعني انه سبحانه يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة فيه لا شيا
في المكان وناصبها يعلم المدلول عليه باعلم لا هو لان افعل التفضيل
لا ينصب المفعول به الا ان اول بعالم **ساؤا** اي في المكان الذي
قصدوه لتدبيرهم امورهم وتشاورهم عليه فلذلك وقع فعلهم الموقع
الذي قصدوه ونتج الانتاج الذي دبروه **نقضوا** بدل من فعل خير

فنقضوا مبرم الصحيفة اذ شدت عليه من العدا الانداء اذكرتنا باكلها اكل منساه سليمان الارضة الخرساء

من نقض العهد اي ابطاله مبرم اي محكم واصله كالبرم الحبل الذي جمع من مفتولين
ففتلا حبلا واحدا الصحيفة التي توافقت قريش على ابقائها على الدوام الا
ان يسلم بنو هاشم والمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم اذ اي وقت
اولاجل ان شدت اي صممت عليه اي على ذلك الامر المبرم وهو عدم
نقض تلك الصحيفة من العدا بيان لقوله الاندا جمع ناد وهو
العشيرة ومنه فليدع نادية واصله المكان الذي يجلس فيه للتحدث
والسمر سمي من فيه باسمه اي نقضوا هذا الامر المبرم الذي قوا عشايرهم
وصمموا عليه اذكرتنا ه بعد نسيانا جملة استينافية لبيان ان لاكل الارضة
للصحيفة نظيرا وهو اكلها لعصاة سليمان باكلها لتلك الصحيفة والضمير
للارضة الاتية التي هي الفاعل فهي عايد على متقدم رتبة وهو سايغ اكل مفعول
اذكرتنا الثاني منساه اي عصا سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم
لما مات وهو متكي عليها فصار لذلك سنة والجن يعتقدون حياته فيدابون
فيما سخرهم فيه من الاعمال الشاقة وما علموا موته الا باكل الارضة لمنساته فخر
ساقطا وعلموا حينئذ ان لهم سنة مسخرين في العمل وانهم كاذبون في ادعايهم علم
الغيب ولذا قال تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته
الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب
ما لبثوا في العذاب المهين الارضة بفتح الرا وقد تسكن كما هنا وهي
دويبة تاكل حتى الخشب الحلاذ ريدا الخرسا فيه تعجب من شانها اذ ليس
من شان الاخرس التذكير واثبات الخرس لها مجاز اذ حقيقته فقد النطق
عما من شانه النطق وبها اي وباكلها للصحيفة اخبر النبي صلى الله عليه
وسلم عمه اباطالب وهو اخبر قريشا كما مر مبسوطا وكم مرات كثيرة

اخرج

وبها اخبر النبي وكم اخرج خبا له الغيوب خباء

اخرج صلى الله عليه وسلم اي اظهر خبا اي شيا مخبا للدمن له الغيوب خبا
اي ساتره وبين خبا وخبا الجناس المحرف وفي كم اي اخرة التذييل تنبيهان
احدهما يجب على كل احد ان يعتقد ان الله تعالى هو المختص بعلم الغيب
وانما حصل لرسله واوليايه منه وهو اما بوحي او الهام والاستثنا في قوله تعالى
فلا يظهر على غيبه احدا الا اي امره منفصل كما هو الاصل وذكر الرسول لا لاختصاصه
به لان كرامة اوليا اتباعه من جملة كراماته ومعجزاته وفي الحديث اني لا اعلم
الا ما علمني ربي ثانيهما في بيان ما اشار اليه الناظم من كثرة ما اخبر به صلى الله
عليه وسلم من الغيوب ما في القران منها مما لا يحيط به حد وخبر الطبراني ان الله قد
رفع لي الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو كاين فيها الى يوم القيمة كانما انظر الى كفي هذه
وخبر ابي داود قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيئا الى قيام
الساعة الا حدثنا به وفي الحديث الصحيح فعلمت علم الاولين والاخرين وصح
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بموت النجاشي يوم موته بالحبشة وصلى عليه
باصحابه وانه وابا بكر وعمر وعثمان صعد واحدا فتحرك فضربه برجله وقال
له اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيدان فاستشهدوا وان ملك كسرى وقيصر
ينقطع بعده من العراق والشام فكان لذلك في زمن عمر وانه قال لسراقة كيف
بك اذا لبست سواري كسرى فالبسهما عمر له لما زال ملك كسرى في زمنه تحقيقا
لذلك واخبر عمه العباس ببدر بما تركه بمكة من المال عند زوجته ولم يطلع عليه احد
غيرها واخبر بكتاب حاطب الى اهل مكة وبموضع ناقته حين ضلت وتعلقت
بخطامها في الشجرة وبان قريشا بعد الاحزاب لا يغزونه وباستشهاد امرا الجيش
الذي ارسله لموته بلد بارض الشام يوم قتلهم زيد بن حارثة فجعفر بن ابي طالب
فعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم وبان بنت فاطمة رضي عنها اول الناس

لحوقا به فعاشت بعده ثمانية اشهر او سنة وبان اشقى الاولين والاخرين قاتل علي كرم الله
وجهه بضربة في يافوخه تبتل منها لحيته فضربه الشقي ابن ملجم ضربة كذلك فمات
فيها وبان سعا وبتولي امر امته وبانه لم يغلب رواها ابن عساكر ومن ثم قال
علي كرم الله وجهه يوم صفين لو ذكرت هذا الحديث ما قاتلته وبان عثمان
يقتل مظلوما وفي رواية يقتل وانت تقرا البقرة فتقع قطرة من دمه على فسيكفيكهم
الله موضوعة وبوقعة الحرة من عسكر يزيد عامله الله بعدله بالمدينة ما استبيحت
نفوس اهلها وابضاعهم واموالهم وقتل سبعماية يحفظون القران منهم ثلاثماية صحابي
وافتض فيها الف عذرا وبوقعة الجمل وصفين وقتال عايشة والزبير لعلي رضي
الله عنهم ولذلك قال علي للزبير لما برز له يومئذ انشدك الله هل سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول تقاتله وانت له ظالم فانحرف وقال بلى ولكني انسيت
وبقوله في الحسن كرم الله وجهه ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين
من المسلمين فكان كذلك فانه بويع بعد ابيه فمكث خليفة ستة اشهر ثم سار لمعاوية
باربعين الفا فلما تراءا الجمعان علم كثرة الزهقين وانه لا يغلب احدهما حتى يقتل
الفريق الاخر فرق على المسلمين ورحمهم ورفض الملك من جنب ذلك ابتغاء
لوجه الله تعالى كما جاء عنه كرم الله وجهه ثم ارسل لمعاوية يشترط عليه شروطا وينزل
له عن الخلافة فارسل له قرطاسا ابيض وقال له اشترط ما شئت فاشترط
ونزل له عن الملك فصار معاوية يومئذ خليفة حقيقة وبقتل الحسين كرم الله
وجهه بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وصح من اسانيد
الفطر ونه ان يزور النبي صلى الله عليه وسلم فاذن له وكان في يوم ام سلمة فامرها صلى الله
عليه وسلم ان تحفظ الباب فجا الحسين فاقتحم فقبله صلى الله عليه وسلم فقال
له الملك اتحبه قال نعم قال ان امتك ستقتله وان شئت اريتك

المكان

المكان الذي يقتل به فاراه فجا بسهله بالكسر من حصى او تراب احمر
فاخذته ام سلمة فجعلته في ثوبها وقال الراوي كنا نقول انها كربلا وفي رواية
انه قال لها اذا صار دما فاعلمي انه قد قتل واخبر ابن عمر بانه سيعمى لما
راى جبريل معه في صورة رجل واخبر ام عبد الله بن عباس رضي الله عنهم
بانها ستلده وبانه ابو الخلفا وبان منهم السفاح والمهدي واخبر بان الترك
ستغلب على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم وبقوله
يوشك الناس ان يضربوا اكباد الابل فلا يجدون عالما اعلم من عالم
المدينة قال ابن عيينة وغيره هو مالك بن انس ومن ثم كان
يزدحمون على بابه لاخذ العلم حتى يقتتلون وممن روى عنه من الاكابر
الزهري والسفيانان والشافعي والاوزاعي امام اهل الشام والليث امام
اهل مصر وابو حنيفة وصاحباه ابو يوسف ومحمد وذو النون المصري والفضيل
وابن المبارك وابن ادهم وبعالم قريش رحمه الله وانه يملا طباق الارض
علما قال احمد وغيره نراه الشافعي لانه لم ينتشر في طباق لقرشي صحابي
او غيره ما انتشر للشافعي اي والذي انتشر لعلي وابن عباس ونحوهما مسايل قليلة
جدا كما يعلم ذلك من سبر كلامهم واطلع عليه وزعم الصغاني ان الحديث موضوع
وهم منه وانما فيه نوع ضعف ذكروا له شواهد تجبره وقد جمع الحافظ العسقلاني
طرقه في كتاب مستقل واخبر بالخوارج الذين خرجوا على علي كرم الله وجهه
وان فيهم رجلا اسود احدى عضديه مثل ثدي المراة فقاتلهم علي كرم الله وجهه
واخرج ذلك الرجل حتى راه الناس بالوصف الذي وصفه صلى الله عليه وسلم واخبر
بالرافضة وانهم يرفضون الاسلام وبالقدرية والمرجية وبان امته ستفترق
على ثلاثة وسبعين فرقة وبانها كلها في النار الا الفرقة التي على ما كان عليه هو

والفضيل

لا تخل جانب النبي مضاما حين مسته مفهم الاسواء

واصحابه وهم الطايفة الذين اخبر عنهم بانهم لا يزالون على الحق لا يضرهم من خالفهم الى قيام
الساعة اي قربه بقليل وبامارات الساعة الكبيرة جدا فوقع كثير منهم وينتظر
وقوع الباقي ومما وقع منها النار التي قال عنها صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان لا تقوم
الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضي لها اعناق الابل ببصرى فخرجت نار
عظيم على نحو مرحلة من المدينة المشرفة وتقدمها زلزلة عظيمة بعد
عشا الاربعا ثالث جمادى الاخرة سنة اربع وخمسين وستماة ولم تزل تشتد وتعلو كغليان
البحر الى ان ارتجت منها الارض ومن عليها حتى ايقن اهل المدينة بالهلاك وكثرة
الزلازل حتى وقع منها في يوم واحد ثمانية عشر مرة لكن ببركته صلى الله عليه وسلم كان
يغشى المدينة نسيم بارد ورويت من مكة وجبال بصرى وانطفت ليلة الاثنين سابع
عشر رجب وقد اوسع المورخون في اخبارها بما يطول استقصاوه واذا تاملت
ما اطلعه الله تعالى عليه من الغيوب لا سيما ما يتعلق بامر الصحيفة علمت ان
ذلك من تمام عناية ربه تعالى به وانه لا يضره قط ومن ثم عقب الناظم ذلك
بقوله **لا تخل** بفتح الفوقية والمعجمة من خلت الشي خيلا ومخيلة ظننته
جانب هو في الاصل شق الانسان واريد به هنا كله تعبيرا بالبعض عن الكل
النبي مضاما اي مضيما **حين** وفي نسخة حيث والاولى
فالاضافة بيانية
اظهر اذ هو ظرف لتخيلنا ما **مسته** صلى الله عليه وسلم **مفهم** متعلق بقوله **الاسوا** اي
الاذيات الكثيرة حال كونها صادرة منهم كضربه وخنقه واغراء سفهائهم
به فرموه حتى سال الدم على نعليه وكشج وجهه وكسر رباعيته وغير ذلك مما لو
حل بجبل لم يتحمله بل اخبا به مع ذلك لم يزل يترقى في مراتب النصر والفتح الى ان
بلغ العزة والجلالة وجبابرتهم لم يزل يتقهقر ويضمحل حتى وصل الى حضيض الذل
والهوان قال تعالى اذا جا نصر الله الايات ليظهره على الدين كله والله يعصمك

كل امر ناب النبيين فالشدة فيه محمودة الرخاء
لو يمس النضار هون من النار لما اختير النضار الصلاء
كم يد عن نبيه كفها الله وفي الخلق كثرة واجتراء
اذ دعا العباد وحده وامست منه في كل مقلة اقذاء

من الناس ثم ما اصابه صلى الله عليه وسلم من اذاياتهم له فيه اسوة بالانبيا
قبله اذا اصابهم من اذايات اممهم مثل ذلك او اكثر منه لكن **كل امر** من
الامور العظيمة **ناب** اي اصاب **النبيين فالشدة فيه** التي تحصل لهم منه
محموده لانها ترفع درجاتهم العلية **الرخا** اي السعة فيه محمودة ايضا لانه
لتكثر اتباعهم وتفني اعداءهم ومما يبين لك ذلك ويوضحه ان من المقرر في العقول
انه **لو يمس النضار** اي الذهب **هون** بالضد اي هوان **من** ادخاله
اي **النار** لاختيار خلوصه من الغش والنقص **لما اختير النضار الصلا**
اي العرض على النار لعزته على النفوس وشحها به من ادنى نقص يصيبه فالانبيا
كالذهب والشدايد التي تنوبهم كاصابة النار للذهب فكما ان النار لا تزيد الذهب
الا حسنا فكذلك الشدايد لا تزيد الانبيا الا رفعة وفي لا تخل الى هنا الكلام الجامع
البالغ من الحكمة والبلاغة ما لا يخفى عظيم وقعه ولما ذكر ما يناسب قوله لا تخل جانب
النبي مضاما برهن عليه بقوله **كم يد** اي جارحة **عن نبيه كفها الله** اي
منعها وخذلها فلم تصل اليه قصد بسوء به صلى الله عليه وسلم **و** الحال انه قد وجد
في الخلق اي المخلوقين الذين هم اعداوه المريدون لاهلاكه **كثرة واجترا**
اي شجاعة وتهور واقدام على فعل ما خطر بالنفس من غير نظر في عاقبته **اذ**
ظرف لتلك اي وقت ان **دعا** اي طلب حال كونه **وحده العباد** الى عبادة الله
وترك ما هم عليه من الجهالات والاباطيل والضلالات **و** اذا **امست** اي حصلت
اذ امسى يستعمل كثيرا في ذلك **منه** في كل الازمنة **في كل مقلة** منهم وهي شحمة
العين التي تجمع السواد والبياض **اقذاء** جمع قذا وهو ما يسقط من العين مما
يولمها ويكدرها وذلك لانه صلى الله عليه وسلم في ابتدا امره مع وحدته وقلة عشيرته
وناصره كان يدعوهم الى الايمان بالله وحده وينادي عليهم في انديتهم بتسفيه

بتسفيه احلامهم وسب الهتهم ورميها بكل عيب وسوقيبا الغرور حتى
اقرب اقاربه كعمه ابي لهب في ايذايه والتجري عليه لكثرتهم ووحدته وهو
مع ذلك محروس بحراسة الله مكلوء بكلاءته محفوظ بحفظه متماد على ما هو
فيه غير ملتفت لاذاهم بل صابرا عليه الصبر الجميل وامره لا يزداد الا ظهورا
وعلوا واصحابه واعوانه يكثرون ويقفوه على اعدايهم شيا فشيا الى ان امكنه الله
من نواصي اعدايه فاذاق من بقي منهم على كفره الهوان واحل من خضع منهم
لعزته مامن البقا والامان ومما ينبيك بعظيم اذايهم له وتجريهم عليهم
ماذكره اهل السير ان عمرو بن العاص قال للزبير ما اكثر ما رايت قريشا
اصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ان اشرافهم اجتمعوا في الحجر فذكروا
ما يفعله بهم من سبهم وسب الهتهم فطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستلم
الركن وطاف فلما مر بهم صلى الله عليه وسلم انتقصوه فساه ذلك ثم مر بهم فاساوه
فوقف صلى الله عليه وسلم ثم قال اتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفسي بيده
لقد جيتكم بالذبح فاخذتهم كلمته وارتعدت منها فرايصهم فالانوا له القول
وقالوا انصرف يا ابا القاسم فوالله ما كنت جهولا فاجتمعوا اليه في الغد في الحجر
وفعلوا معه مثل ما ذكر منهم ووثبوا عليه وثبة رجل واحد يلوونه بسبب
الهتهم فاخذ بعضهم بمجمع رداه صلى الله عليه وسلم فقال اليه ابو بكر رضي الله تعالى
عنه وحال بينهم وبينه كما مر تنبيه قرينة سياق النظم مصرحة
بان القذى في العين مستعار لما حصل لهم في عيون بصايرهم من اذاه صلى
الله عليه وسلم بما مر انفا واما قول بعضهم يحتمل انه يريد القذى ما على اعينهم
من الغشاوة المانعة من النظر في امره الحاجبة لهم عن اتباعه او يريد ما على
قلوبهم من الران والصد الحاجب عن الايمان تبلون غيرها المقلة عن غير

البصيرة

هم قوم بقتله فابى السيف وفا وفات الصفواء

البصيرة عما يعلوها من الران والصدا انتهى فهو غفلة عن سياق المتن
وعدم تامل له بالكلية لانه انما حكم بانه صلى الله عليه وسلم اسكن القذى لكل مقلة
منهم وحينئذ فلا يصح تفسير القذى بشي مما ذكره وانما يصح تفسيره بما ذكرته
فتامله والدليل على تلك الحراسة الباهرة انه **هم قوم** فيما انسانيعا
بقتله بالسيف **فابى السيف** اي امتنع من الوصول اليه والتاثير
فيه **وفا** اي لاجل وفايه بما اخذ عليه كبقية الخلق من الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم واجلاله وتوقيره وتعظيمه وذلك الامتناع وقع غير ما مرة فقد
جاء انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة تظله فبينما هو
تحتها اذ جاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال له من يمنعك مني فقال الله عز
وجل فرعدت يده وسقط السيف وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه
كما روي وصح ان غورث بن الحارث اخترط سيفه صلى الله عليه وسلم وهو نايم
فاستيقظ فوجده في يده سلطا فقال جيتكم من عند خير الناس وروي
انه صلى الله عليه وسلم وقع له نظير ذلك مع رجل سيد لقومه شجاعة وغيرها اغروه
على قتله فجاه ثم رجع اليهم مسلما فانكروا عليه فقال نظرت الى رجل ابيض
طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف من يدي فعلمت انه ملك
واسلمت **وفات** اي رجعت على راسها وبينه وبين وفا الجناس اللاحق
الصفوا اي رجعت الحجارة عن اصابته بل جمدت في يد راميها الذي هم
ابعد بقتله **وهو ابو جهل** بن هشام بن المغيرة المخزومي وكان من
اشد الاعدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه اجتمع هو وقريش يوما
مجاهرهم صلى الله عليه وسلم وبالغ في انذارهم وتسفيه احلامهم وسب الهتهم
فاظهروا له شدة الابل والتعنت فانصرف عنهم حزينا عليهم فقال

راسها

وابو جهل ان راي عنق الفحل اليه كانه العنقاءُ

لهم ابو جهل اللعين يا معشر قريش ان محمدا قد ابي الا ما ترون واني اعاهد الله
تعالى لاجلس له غدا بحجر ما لا يطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت
راسه فاسلموني عند ذلك او امنعوني فليصنع بي بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا
والله ما نسلمك ابدا فلما اصبح اخذ حجرا كما وصف فلما سجد صلى الله عليه وسلم
كعادته وقريش ينظرون احتمل اللعين الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا منه
رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره حتى قذفه
من يده فقاموا اليه فقالوا له ما لك يا ابا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت
لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الابل والله ما رايت مثل
هامته ولا مثل قصرته ولا انيابه لفحل قط فهم بي ان ياكلني ذكر انه صلى الله
عليه وسلم قال ذلك جبريل لو دنا مني لاخذه ان ظرف لهم المقدر
قبل ابو جهل لانه معطوف على قوم بقتله اي وهم ابو جهل بقتله بالحجر
الذي حمله وقت ان راي عنق بسكون النون وضمها الفحل وقد
برز اليه كانه العنقاء اي الداهية العظيمة او الطائر العظيم المعروف
وبين عنق وعنقا جناس الاشتقاق او شبهه وما ذكرته من ان ابو جهل
معطوف على قوم وان اذ ظرف لهم هو ما جزم به الشارح وهو بعيد لانه
يلزم عليه انه وقت رؤيته الفحل هم بقتله وذلك غير واقع بل حصل له ح
من الهيبة والخوف والذلة ما جاوز حده والحق معطوف على الصفوا اي
رجعت الصفوا عن الوصول اليه صلى الله عليه وسلم ورجع ابو جهل الذي
راى الفحل فاذ ظرف لغات مع فاعلها او ما عطف عليه واقتضاه
معطوف على هم قال الشارح وكانه نزع الخافض اي اقتضى منه وقول
القاموس واستقضى فلانا طلب اليه ان يقضيه وتقاضاه الدين قبضه
انه متعد بنفسه اي طلب النبي صلى الله عليه وسلم من ابي جهل ان

يودي

واقتضاه النبي دين الاراشي وقد ساء بيعه والشراءُ وراى المصطفى اتاه بما لم ينج منه دون الوفا النجاءُ

يودي دين كهله بن عصام بن كهله بن اراش بن الغوث بن العمرو
ابن الغوث الاراشي بكسر الهمزة لكونه قدم مكة بابل له ليبيعها اشتراها
منه ابو جهل ثم مطله باثمانها فوقف الاراشي على نادي من قريش فقال
من رجل يخلصني من ابي الحكم فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقي
فقالوا الا يخلصك منه الا ذلك الرجل اي محمد صلى الله عليه وسلم فقال له يا عبد
الله ان ابا الحكم قد غلبني على حقي وقد سالت اولئك القوم فاشاروا
اليك يخلصني منه رحمك فقام معه ليخلصه منه كيف وقد ساء بيعه
ذكر مع ان الكلام لبيع الجمل والشراء الا انه يظهر له فهو من مراعاة النظير
والشرا اي وشراؤه مع هذا الرجل وغيره ولما ذهب اليه امروا احدا
منهم ان يتبعه لينظر ماذا يصنع فضرب صلى الله عليه وسلم الباب فقال من ذا
قال محمد فاخرج الي فخرج اليه وقد انتقع لونه فقال اعط هذا الرجل
حقه قال نعم لا تبرح حتى يأخذه فدخل فاخرجه اليه فجاء اولئك
واخبرهم وقع فجا ابو جهل فقالوا ويلك والله ما راينا مثل هذا الذي صنعت
قط قال ويحكم والله ما هو الا ان ضرب علي بابي فسمعت صوته فمليت رعبا ثم
خرجت اليه وان فوق راسي لفحلا من الابل ما رايت مثل هامته ولا قصرته
ولا انيابه لفحل قط والله لو ابيت لاكلني وهو من ثم راى ابو جهل
المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد اتاه بما اي بفحل ابل لم ينج
بفتح ثم ضم او بفتح ثم كسر مع تخفيف الجيم ويجوز كما هنا لاجل الوزن تشديدها
من نجا ينجو والحاء ينجو وينجي منه ناج ومنج منه دون الوفا لذلك
الدين للاراشي النجاء بورث القراب مبالغة في ناج قال الوفا مقصور ويجوز
تخفيف الجيم مصدرا ثالو فاء ممدود وفي القاموس نجا ينجو نجاة خلص

نعوماقد راه من قبل لكن ماعلي مثله بعد الخطاءُ

كنجي واستنجي والنجاه وعلى هذا الوفا مقصور على كل هو قاعل ينجو او نظيره في المصدر قول الحاجري ملا الوجد فوادي وبرح التبريح اي ذلك النحل لا ينجي او لا ينجو امنه النجا المبالغة اي من تكرر نجاته من الامور الصعبة الان بعد ذلك الوفا هو اي النحل المرعي هذه الواقعة ما اي النحل الذي قد راه من قبل اي الواقعة السابقة في قوله وفات الصفوا لكن لا استغراب في ذلك لان هذا اللعين ما على مثله في العتو والتهور السالبين لادراكه والموجبين لهلاكه وهو ابلغ من عليه لانه لحصر اثبات الحكم عليه بينه على مثلك لا ينجل بعد الخطا لان خطاءه لا ينجح فلا بعد ومد الخطا لغة شهرة تنبيه في يسيل على الحكم في كون ابي جهل منع من صاحبي الواقعتين من ان ينال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء مطلقا اشد المنع ولم يمنع من الفاسلا الجزور على ظهره صلى الله عليه وسلم وهو يصلي قلت لان سر ذلك امهاله حتى تنفذ دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وفي امثاله ممن كانوا اشد الناس عليه صلى الله عليه وسلم فيظهر عزه صلى الله عليه وسلم ونصره عليهم المتاسي باهلاكهم بدعوته والقايهم في القليب على احسن حالة واقبحها ولو منع اللعين من ذلك لم يحصل من هذه الكرامات فكان تمكينه من ذلك الفعل هو عين اهلاكه واهلاك نظرايه ومختصر تلك القصة انه صلى الله عليه وسلم كما في البخاري كان يصلي الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم اذ قال قايل منهم الا تنظرون الى هذا المرائي ايكم يقوم الى جزور ال فلان فيعمد اي دمها وفرثها وسلاها فيجي به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث اشقاهم فلما سجد وضعه بين كتفيه وثبت صلى الله عليه وسلم ساجدا اي لانه لم يعلم خصوص ما وقع له وانما لم يقل انه اعاد لاحتمال انه كان في نافلة بل هو الواقع لان هذه

واعدت حمالة الحطب الفهر وجات كانها الورقاءُ

الواقعة قبل فرض الخمس ولم يكن فرض من الصلاة يومئذ الا ما في سورة المزمل وهو صلاة الليل فلما راه ذلك ضحكوا حتى مال بعضهم على بعض فانطلق الى فاطمة وهي جويرية رضي الله تعالى عنها فاقبلت تسعى وثبت صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى القته عنه واقبلت عليهم تسبهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وهو ابو جهل وقدمه لانه اشقاهم واشدهم اذية له صلى الله عليه وسلم وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمارة بن الوليد قال عبد الله فوالله لقد رايتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال صلى الله عليه وسلم واتبع القليب لعنة وظاهر السياق انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك عقب الاول فيكون من تمامه وفيه علم من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ويحمل على بعد انه انما قال ذلك القايهم في القليب وقول عبد الله بن مسعود رايتهم صرعى بالقليب مراده اكثرهم فان عمارة انما مات بارض الحبشة لكن على اثر قتله فانه تعرض لزوجة النجاشي فامر ساحرا فنفخ في احليله عقوبة له فتوحش وصار مع البهايم الى ان مات في خلافة عمر وايضا عقبة بن ابي معيط انما قتل صبرا بالصفرا بعد بدر فما القي مع اصحابه ابن خلف وان قتل ببدر لم يطرح في القليب واعدت عطف على بهم اي هيات ام جميل بنت حرب بن امية حمالة الحطب لنبت به لانها كانت تحمل الشوك وتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضاء لزوجها لعنهما الله تعالى الفهر اي الحجر الذي يملا الكف لما انزل الله مبادي بروجها تبت يدا ابي لهب السورة و الحال انها قد جات اليه وهو في السجود وابو بكر رضي الله تعالى عنه عنده لذلك الحجر لترميه به وهي في غاية السرعة والعجلة كانها الحامة الورقا اي الشديدة الاسراع اي حال كونها

عند
صح

يوم جات عضبي تقول افي مثلي من احمد يقال الهجاءُ وتولت وما راته ومن اين تري الشمس مقلة عمياءُ

شبيهة بها في ذلك فهي حال مقدرة اخلة **يوم** ظرف لاعدت **جات** في حال كونها
عضبي من شدة ما سمعت من ذمها في تلك السورة وفي نسخة غيظا وهو تمييز
والغضب نار كامنة في طي الفؤاد يوججها طرد السبب المحرك بها فان لم يقدر
على انفاذها في المغضوب عليه سمي غيظا كذا قيل وفي القاموس الغيظ الغضب
او اشده او سورته او اوله وحال كونها **تقول امي مثلي** وانا بنت سيد
بني مخزوم متعلق بيقال **من احمد** حال من الهجا **يقال الهجا** اي السب
والذم ونسبة القول اليه اما حقيقة وهو الظاهر لانهم لا يعتقدون الالوهية
وان اصنامهم تقربهم اليه فان كانت من قوله فمن تعليلية اي يقول الهجا ذلك
لاجله **وتولت** عطف على اعدت **و** الحال انها **ما راته** ولكيف تراه وهو
في ظهوره للقلوب السليمة والعقول المستقيمة كالشمس وهي اعمي تلك
المراة في غباوتها بعمي البصيرة وفساد السريرة **ومن اين تري الشمس مقلة**
اي عين **عميا** ولما راها ابو بكر رضي الله تعالى عنه قال يا رسول الله انها
امراة بذية فلو قمت قال صلى الله عليه وسلم انها لن تراني فجاءت فلم تره
فقالت يا ابا بكر اين صاحبك كيف هجاني فوالله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه
والله اني لشاعرة وذكرت هجوا قبيحا فقلت لا وهو لا يقول الشعر فقالت
انت عندي مصدق وانصرفت فقلت يا رسول الله لم لم تروك فقال صلى الله عليه
وسلم لم يزل ملك يسترني منها بجناحه وفي رواية قد اخذ الله ببصرها عني وكان
صلى الله عليه وسلم يقول اما تعجبون لما يصرف الله عني من اذي قريش يسبون
ويهجون مذمما وانا محمد صلى الله تتمة قرا صلى الله عليه وسلم سورة والنجم حتى
اذا بلغ افرايتم اللات والعزي ومناة الثالثة الاخري فجرى القي الشيطان
في امنيته اي في تلاوته تلك الغرانيق العلي وان شفاعتهن لترتجي وفي

رواية

رواية القي الشيطان على لسانه تلك الغرانيق الخ فعند سجوده اخر السورة سجد
المشركون معه لتوهمهم انه مدح الهتهم وفي رواية ما ذكر الهتنا بخير قبل اليوم
فسجد وسجدوا فنزلت هذه الاية وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمني القي الشيطان في امنيته الاية ففشي ذلك في الناس واظهره الشيطان
حتي بلغ المسلمين بالحبشة فاقبلوا اسراعا فلما تبين للمشركين خلاف ذلك
رجعوا الي اشد ما كانوا عليه والغرانيق جمع غرنوق او غرنيق وهو طير الماء شبهت
الاصنام لاعتقادهم انها تقربهم من الله تعالى بطيور الما لكونها تعلوا في السما
وترتفع تنبيه كثر كلام العلماء في هذه القصة فمن منكر لوقوعها ومبالغ
في بطلانها وانه لا يجوز لاحد القول بها كعياض والفخر الرازي وسبقهما النحو ذلك
البيهقي وابن وابان البخاري وغيره ورد انه صلى الله عليه وسلم قرا سورة النجم وسجد معه
المسلمون والمشركون والانس والجن ولم يذكر فيها قصة الغرانيق وبان من جوز
على نبي تعظيم وثن فقد كفر وبانها من وضع الزنادقة والحق خلاف ذلك كله بل لها
اصل اصيل فقد خرجها من طرق كثيرة جدا ابن ابي حاتم والطبري وابن المنذر وابن
مردويه وابن اسحاق في السيرة وموسي بن عقبة في المغازي وابو معشر كما نبه على
ذلك الحافظ ابن كثير وغيره لكنه قال ان طرقها كلها مرسلة وانه لم يرها مسندة
من وجه صحيح انتهى ورد عليه وعلى عياض الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر
بان طرقها كثيرة جدا ثلاثة رجالها الصحيح وباقيها اما ضعيف واما منقطع وبعضها
تفرد به وصله امية بن خالد وهو ثقة مشهورة فزعم ابن العربي وعياض ان روايتها
كلها لا اصل لها ليس في محله اذ لا ينبني على القواعد فان الطرق اذا كثرت وتباينت
مخارجها دل ذلك على ان لها اصلا قال وقد ذكرنا ان ثلاثة اسانيد منها على
شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد



بعضها ببعض وحينئذ يتعين تاويل ما وقع فيها مما يستنكر كقول القى
الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى الخ فلا يجوز حمله على ظاهره لانه صلى الله
عليه وسلم يستحيل عليه ان يزيد في القران عمدا او سهوا واختلفوا في تاويله فاخرج
الطبراني عن قتادة انه اصابته سنة يجري على لسانه ولم يشعر فلما علم اظهر
بطلانه واحكم ربه اياته واعترض بانه لا ولاية للشيطان عليه في النوم
ويجاب بان هذا لا يثبت للشيطان عليه ولاية وانما غاية الامر ان الشيطان
لما راه اصابته تلك السنة حاكى قراته بصوت يشبه صوته ثم بين الله للناس
على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلان ما وقع من الشيطان حتى لا يغتر به
احد ثم رايت من اجاب بما يويد ما ذكرته وهو انه صلى الله عليه وسلم كان
يرتل قراته فارتصد الشيطان سكتة ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمته
صلى الله عليه وسلم بحيث سمعه من دنا اليه فظنها من قوله واشاعها واستحسن
هذا الجواب غير واحد من المحققين كعياض وابن العربي وايده
بما جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه من تفسير تمنى بتلا ومعنى في امنيته
اي في تلاوته وفي ذلك اخبار منه تعالى بان سنته في رسله عليهم الصلاة والسلام انهم اذا قالوا
قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه محاكيا ثم بين الله تعالى بطلانه فعلم
ان هذا نص في ان الشيطان زاد في قول النبي صلى الله عليه وسلم لا ان النبي صلى الله
عليه وسلم قاله وقد سبق الى هذا المعنى الامام المجتهد ابن جرير الطبري مع جلالة
قدره وسعة علمه وشدة ساعده في العلوم فصوبه وارتضاه واما الجواب
بان الشيطان الجاه الى التلفظ بذلك من غير اختياره فمردود بان الشيطان
لو قدر على ذلك لم يبق احد من طاعة او بانه علق بحفظه ما كان يسمعه
من مدح الهتهم فجرى ذلك على لسانه سهوا فهو افسد مما قبله لانه

بانه

بانه قاله توبيخا للكفار فهو بعيد وان ارتضاه عياض كالباقلاني فقال
هذا جائز مع قرينة تدل على المراد لا سيما والكلام في الصلاة اذ ذاك
كان جائزا او بانه لما وصل الى قوله الثالثة الاخرى خشوا ان يذم الهتهم فبادروا
بذلك الكلام وخلطوه بتلاوته صلى الله عليه وسلم على عادتهم في قولهم لا تسمعوا
لهذا القران والغوا فيه ونسب للشيطان لانه الحامل لهم عليه وفيه نوع بعد
بعد او بان المراد بالغرانيق الملائكة وكان منهم من يعبدهم زاعمين انهم
بنات الله تعالى فسيق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله الكم الذكر وله الانثى فلما
سمعوه حملوه على الجميع وقالوا قد عظم الهتنا فنسخ الله تلك الكلمة واحكم
اياته فهو ابعد مما قبله **ثم** بعد ما وقع من هذه الكرامات وقع له كرامة
اخرى في غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة هي انه **سمت له** زينب بنت الحارث
امراة سلام بن مشكم **اليهودية الشاة** اي جعلت فيها سما قاتلا لوقته
لانها بادرت يهود الى سموم فاجمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت به الشاة
جميعها لكنها اكثرت منه في الذراع والكتف لما قيل لها انه صلى الله عليه وسلم يحب
الذراع **وكم** مرات كثيرة **سام** من السوم الذي مقدمة الشراء والذي
هو الرعي وبين سام وسمت تجنيس شبه الاشتقاق **الشقوة** اي بامر
عليها وتخلى بها **الاشقياء** الذين صاروا كالانعام بل هم اضل سبيلا ومنهم
تلك المراة وبينها تجنيس الاشتقاق وقول الشارح ان سام وسمت من هذا
تساهل وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم لما علم ان فيها سما قال اجمعوا الي من
هنا من اليهود فجمعوا له صلى الله عليه وسلم فسالهم عن اشيا منها من ابوكم
قالوا فلان قال كذبتم ابوكم فلان قالوا صدقت وبررت ثم سالهم
عن اهل النار قالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال صلى الله عليه وسلم

فاذاع الذراع ما فيه من سم بنطق اخفاوه ابداء

احسوا فيها والله لا نخلفك ابدا ثم قال لهم هل جعلتم في هذه الشاة سما
قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم ما حملكم على ذلك قالوا ان كنت كذابا استرحنا منك
او نبيا لم يضرك وروى ابو داود انها سمت شاة مصلية ثم اهدتها اليه صلى الله
عليه وسلم فاكل منها واكل رهط من اصحابه فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم
وارسل الى اليهودية فقال صلى الله عليه وسلم سممت هذه الشاة فقالت من
اخبرك قال اخبرتني هذه الذراع ومن ثم قال **فاذاع** اي اظهر له صلى الله عليه
وسلم **الذراع ما فيه من سم** اي سم **بنطق** معجزة له صلى الله عليه وسلم كما
يصرح بذلك اعني انه اخبره بالنطق قوله صلى الله عليه وسلم اخبرتني هذه الذراع
اخفاه من الحاضرين **ابدا** له صلى الله عليه وسلم اي بعد ان خفي عليهم ظهر له
صلى الله عليه وسلم وفيه طباق ولما قال صلى الله عليه وسلم لها ذلك صدقته
ثم قلت ان كان نبيا فلن يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها صلى الله
عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفي اصحابه الذين اكلوا من الشاة واحتجم صلى الله عليه
وسلم على كاهله من اجل الذي اكل منها وفي رواية غير ابي داود انها جعلت تسال
اي الشاة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فعمدت
الى عنز لها فذبحتها وصلتها ثم عمدت الى سم موح اي مقتل لوقته فسمتها
به واكثرت في الذراع والكتف ثم وضعتها بين يديه ومن حضر من اصحابه
وفيهم بشر بن البراء فتناول صلى الله عليه وسلم الذراع فتناول منها وتناول
بشر عظما اخر فازدرد لقمتيهما واكل القوم فقال صلى الله عليه وسلم
ارفعوا ايديكم فان هذه الذراع تخبرني انها مسمومة وفيه ان بشرا مات
وانه صلى الله عليه وسلم دفعها الى اولياءه فقتلوها رواه الحافظ الدمياطي ورواية
انه قتلها تعارضها رواية البيهقي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وجابر

انه

ويخلق من النبي كريم لمن يقاصص بجرحها العجما

وجابر انه صلى الله عليه وسلم لم يعاقبها ومن ثم قال **ويخلق من النبي كريم** بل
لا اكرم منه قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم اي بسبب ما تخلق به من كمال الحلم
والعفو والصفح **لمن يقاصص بجرحها** مواطنهم بذلك السم اذ هو يجرح الباطن
كما يجرح الحديد الظاهر **العجما** اي المراة ويقال ايضا للبهيمة وقال
الزهري اسلمت فتركها وفي مغازي سليمان التيمي نحوه وانها قالت
استبان لي الان انك صادق واني اشهدك ومن حضر اني على دينك وان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله وجمع البيهقي بانه يحتمل ان يكون تركها اولا ولما
مات بشر قتلها به وبذلك اجاب السهيلي وزاد انه تركها لانه كان لا ينتقم
لنفسه صلى الله عليه وسلم ثم قتلها ببشر قصاصا ويحتمل انه تركها لاسلامها فلما
مات بشر تحقق بموته وجوب القصاص عليها فقتلت وقوله انه قتلها
قصاصا فيه نظر اذ لم نر في احد روى من اصحابه انه قتلها قصاصا وانما الوارد
انه قتلها وهو محتمل لكونه قتلها لنقضها العهد بما فعلته ويدل عليه ما جا
في رواية انه صلبها اذ لو قتلت قصاصا لم تصلب بل لو فرض انه لم يصلبها
لم يكن قتلها بالسيف دليلا للقصاص لان المماثلة فيه معتبرة فقياسه
ان يقتلها بمسموم كما ان اليهودي الذي رض راس الجارية بحجر امر به
صلى الله عليه وسلم فرض بمثل ذلك الحجر ايثارا للمماثلة المقصودة من شرعية
القصاص لا يقال الصلب لا يدل على انتفا القصاص لان للامام ان يصلب
من يريد قتله اذا راى ذلك زجرا وتنكيلا لانا نقول ليس للامام الصلب
في قتل القصاص كما يصرح به كلام ايمتنا لما تقرر ان المراد فيه على المماثلة
ما امكن فلا يجوز للامام الزيادة عليها ولا النقص عنها ولم نر احدا من ايمتنا
ولا من غيرهم جوز الصلب في غير قاطع الطريق فمن ادعاه فعليه البيان

بغير محل النزاع الذي نحن فيه فان قلت هو بعد على هذا الحصر لان هذه غير
قاطعة طريق وصلبت قلت الذي اذا نقض العهد ملحق بقاطع الطريق
في احكام لا يبعد ان هذا منها على ان ذاك صار حربيا واحكام الحربيين لا يقاس
عليها احكام المعصومين فان قلت قولكم لان المماثلة الخ انما يتاتى على القول
بتعينها في القود اما المخير بينها اما العين بحجر او المخير بينها وبين السيف
في القتل بحجر فلا يتاتى عليه ذلك البحث قلت بل يتاتى على التخيير ايضا
لان القتل بالسيف لا يعين القود لانه يحتمله ويحتمل انه لنقض العهد والذي
انما هو ان قتلها بالسيف لا يدل على خصوص كونه قودا وتاخير قتلها الى موت
بشر لا يدل على القود ايضا لاحتمال انه لتحقق عظيم جنايتها وبهذا يعلم ان ما في
هذه القصة من قتلها بتقدير صحته لا يرد قول ايمتنا من اضاف انسانا
فقدم اليه طعاما فيه سما فاكل منه فمات لا قود عليه لان تناوله باختياره والمضيف
لم يلجيه الى اكله وذلك لانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم قتلها بقيد كونه
قودا وبهذا الذي قررته يعلم تحقيق الناظر حيث نفي القصاص مع الملا[illegible]
على الروايات المتخالفة في ذلك فان قلت لا نسلم ان نفيه لذلك بل
لان ثبوته بقيد كونه قصاصا لم يصح والاصل عدمه قلت هذا
يحصل منه مدعانا ايضا لان ثبوته اذا لم يصح من اصله او بذلك القيد
فلا دلالة فيه للخصم بوجه وتخلق من النبي كريم منّ فهو معطوف
بحذف حرف العطف على لم تقاصص حالا فالما يوهمه كلام الشارح انه استيناف
اي انعم نعمة عظيمة فضلا مفعول مطلق كفرحت جذلا او مفعول
لاجله وهو الاولى لان المراد بالمن هنا ما ذكره الله تعالى بقوله عز قايلا فاما منا
بعد واما فداء من بتخليه سبيلهم بعد ان ملكهم المسلمون اي برفع الرق

عنهم

عنهم لاجل فضله اي احسانه العام عليهم وعلى غيرهم بلا عوض وعلى هذا
فمعنى هذه العلة والعلة التي تليها المستفادة من اذ ان منه معلل بالشيئين
عموم احسانه صلى الله عليه وسلم عليهم وعلى غيرهم وخصوص كونه برا فيهم وعليه
فحرف العطف مقدر الثبوت ويصح ان تكون الثانية علة للاولى وابهامه
تصر فضلا عليهم غير موثر لانه لم يرد مطلق الفضل بل فضلا متعلق بهم
سوا اعلق على هوازن من او بفضلا اكتفا بقرينة السياق على هوازن
قبيلة حليمة السعدية رضي الله تعالى عنها وهم اهل حنين المذكور في القران وهو
واد قريب من ذي المجاز السوق المشهور من اسواق الجاهلية بناحية عرفة
وبين ذلك الوادي وبين مكة نحو ثلاث ليال غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عقب فتح مكة لما اتفقت اشراف هوازن وثقيف على حربه صلى الله عليه وسلم
فخرج اليهم سادس شوال سنة ثمان في اثني عشر الفا عشرة جاوا بهم والفان من
طلقا مكة ولما هزمهم صلى الله عليه وسلم قصد الطايف وامر ان يجعل بني
هوازن وغنايمهم بالجعرانة حتى ياتي اليهم وكان السبي من النسا والذراري
ستة الاف راس والابل اربعة وعشرين الفا والغنم فوق اربعين الفا واربعة الاف
اوقية فضة ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطايف انتظر هوازن بضع
عشرة يوما ليقدموا عليه مسلمين [illegible] فبدا في قسمة الغنايم فجاوا مسلمين فقالوا
يا رسول الله انا اهل وعشيرة وقد اصابنا من البلا ما لا يخفى عليك فامنن علينا
من الله عليك وقام رجل من فخذ حليمة فقال يا رسول الله انما في الحظاير عماتك
وخالاتك اي من الرضاع لانهن قرابات حليمة وحواضنك اللاتي كن يكفلنك
ولو انا ارضعنا الحارث بن ابي شمر او النعمان بن المنذر ثم نزل بنا بمثل
الذي نزل رجونا عطفه وانت خير المكفولين فقال صلى الله عليه وسلم ان

من فضلا علي هوزان اذ كان قبل ذاك فيهم رباءُ

احق الحديث اصدقه ابنا وكم ونسا وكم احب اليكم ام اموالكم فقالوا ابناونا ونساونا فقال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لي ولعبد المطلب فهو لكم واذا صليت الظهر بالمسلمين فقوموا وقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابنائنا ونسائنا فاني اعطيكم عند ذلك واسال لكم ففعلوا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الانصار مثل ذلك وامتنع بنو تميم وبنو فزارة وعباس بن مرداس من بني سليم فوعدهم صلى الله عليه وسلم من اول شي يصيبه بما طابت نفوسهم فردوا من نفي عندهم من صلى الله عليه وسلم كذلك **اذ** اي لاجل انه صلى الله عليه وسلم **كان قبل ذلك** اي وهو طفل **فيهم ربا** بفتح الرا والمد اي تربية من ربوت في بني فلان وربيت فيهم اذا انشات فيهم او طول باعتبار ما وصل اليه صلى الله عليه وسلم من لبن حليمة وتربيتها ابنيه جعل الناظم اذ تعليلية خلاف ما عليه الجمهور قالوا ولا دليل في ولا ينفعكم اليوم اذ ظلمتم لان التقدير بعد اذ ظلمتم وعلى الاول هل هي حرف بمنزلة لام العلة او ظرف بمعنى وقت والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ قولان المنسوب الى س الاول والثاني في الاية اشكالات ليس هذا محل بسطها وترا اسما للزمن الماضي وهو الغالب ثم قال الجمهور لا تكون الا ظرفا او مضافا اليها الظرف نحو يومئذ تحدث اخبارها وقال الاقلون تكون مفعولا بها نحو واذكروا اذ كنتم قليلا وكذا المذكورة اوايل القصص كلها بتقدير اذكروا وبدلا منه بدل اشتمال او بدل كل من كل ورده الجمهور بان المفعول او المضاف اليه محذوف وزعم الزمخشري انها تكون في محل ابتدا مما تقول به وجوز كثيرون ورودها للمستقبل نحو فسوف

يعلمون

ا اي للسبي فيه اخت رضاع وضع الكفر قدرها والسباءُ يحباها برا توهمت الناس به انما السباءُ

يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم لاستقبال يعلمون لفظا ومعنى واجيب بانه من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة الواقع **واتى** ذلك السبي **للسبي** اصله الاسر والمراد هنا السبي اي المأسور الى الجعرانة بامره صلى الله عليه وسلم كما مر ليقسمه فيها على المسلمين وكان ذلك السبي فيه **فيه اخت** النبي صلى الله عليه وسلم **رضاع** واسمها الشيما كما مر ولما شقوا عليها عند سبيها قالت والله اني اخت صاحبكم فاتوا بها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني اختك قال وما علامة ذلك قالت عضة منك في ظهري فعرفها صلى الله عليه وسلم لكن **وضع** اي اخفض **الكفر** القايم بها **قدرها و** كذلك وضع قدرها **السبا** اي الاسر القايم بها ايضا فاضمحل في جنب ذلك هذين ما فيها من اخوته صلى الله عليه وسلم كما اضمحل في جنب الكفر ما في نحو ابي طالب من العمومة والتربية ومنع الا على كل طريق امكن ثم من الله عليها بالاسلام ومعرفته صلى الله عليه وسلم لها **يحباها** اي اعطاها ما لم يكن في حسابها وجاد عليها صلى الله عليه وسلم وعلى قومها لاجلها **برا** اي لاجل بره لها اذ رحم الرضاع كرحم النسب ويجوز ان يكون هو المفعول ويليه انه بدل منه قوله بسط الخ كما ياتي ولما اتته بسط لها رداه واجلسها عليه ثم خيرها وقال اذا احببت فعندي محببة مكرمة واذا احببت ان امتعك ترجعي الى قومك فعلت فاختارت قومها واعطاها صلى الله عليه وسلم غلاما يقال له مكحول وجارية فزوجه بها فلم يزل فيهم من نسلها بقية **توهمت الناس** الابن برا وذلك البراي وقع في وهمهم اي ذهنهم واسناد ذلك اليهم باعتبار ما من شانه **به** اي بسبب ذلك البر الذي وصل اليها منه **انما** بفتح الهمزة اداة حصر كمكسورتها **السبا** اي المسبيات او النسا لانهن يسبين سبيا ففي القاموس والسبي ما يسبى جمعه سبا والنسا لانهن يسبين القلوب

هذا بسط المصطفي لها من رداءٍ اي فضل حواه ذاك الرداءُ

او ليسبين وح يصح قراة النظم ليسبين ليسبين تشريا ونون ثم سبين والمعني صحيح
علي كل منهما كما يعلم من تقرير الاتي فتامله اللواتي معها بينه وبين الناس الجناس
المقلوب هدا بالكسر بمصدر هديت المراه الي زوجها اي مهديات كرجل عدل
والجملة في محل مفعول توهمت الناس اي توهموا ان النسوة اللواتي معها
في السبي لم يسبين لعظيم ما نالهن به من الاكرام وانهن جين لاهدا عروس
وجلابها عليه صلي الله عليه وسلم لا لكونهن مسبيات لان ذلك الاكرام انما يفعل
مثله لمثاهدين عروسا لا المسبيات تنبيه استعمال الناظم
لانما هذه في الحصر تبع فيه الزمخشري والبيضاوي وغيرهما وجعل الاولان
منه قوله تعالي قل انما يوحي اي انما الهكم اله واحد فقالا لانما لقصر الحكم علي او لقصر
الشي علي حكم انما زيد قايم وانما يقوم زيد وقد اجتمعا في هذه الاية لان انما
يوحي اي انما الهكم اله واحد لان انما يوحي اي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد
وانما الهكم بمنزلة انما زيد قايم وفايدة اجتماعهما الدلالة علي الوحي اليه صلي الله
عليه وسلم مقصور علي استيثار الله بالوحدانية وقول ابي حيان يلزم الزمخشري انحصار
الوحي في الوحدانية مردود بانه حصر مجازي باعتبار المقام ومن جملة ذلك البر انه
بسط فهو بدل من بر اكامر ويصح كونه بدلا من جا **المصطفي** صلي الله
عليه وسلم **لها من** الظاهر انها زايدة علي مذهب الاخفش وجماعة **ردا** كان
عليه صلي الله عليه وسلم اي نشره وجعله لها فراشا لتجلس عليه ويصح جعل من
للتبعيض فيكون صلي الله عليه وسلم بسط لها بعضه لتجلس عليه والاول
اقرب وعلي كل فهذا لها ذلك الاكرام كيف وهو ردا **اي فضل** اي شرف
عظيم لا غاية له **حواه** اي جمعه **ذاك الردا**ء بمماسته لجسده الشريف
صلي الله عليه وسلم وما افهمه هذا التقدير من ان اي الي جملة نعت لردا ومن

زايدة

فغدت فيه هي سيدة النسوة والسيدات فيه اماءُ فتنزه في ذاته ومعانيه استماعا ان عــراءُ

زايدة او تبعيضية هو المتبادر كما لا يخفي ويصح ان يكون اي مفعول
بسط وان فصل تفصله من تبعيضيه وانه علي حاله فمن تعليلية داخلة علي
مضاف اي نشر لها من اجل قربها رداه لها فضلا عظيما حواه ذلك الردا
اي تعبيرا ظاهرا علي بقية نساهوازن وفي الردا رد العجز الصدر **فغدت**
اي صارت مندرجة **فيه** اي ذلك الفضل والحال انها **هي سيدة**
اوليك **النسوة** اللواتي معها من سبي هوازن لما حصل لها من التميز الظاهر
عليهن **و**ان اوليك النسوة اللواتي هن **السيدات** قبل اسرهن
فيه اي ذلك الفضل **اما** اي صارت كانها سيدتهن وكانهن مع كونهن
سيدات اما لها وبين السيدات والاما طباق وهذه موكدة للجملة الاولي التي هي
حال من فاعل غدت كما علم مما قررته ولما ذكر ما اختص به صلي الله عليه وسلم من الرفعة
والترقي الي ما لم يصله مخلوق وما يتعلق بذلك من صفات تنقطع اعناق
الاطماع ان تمتد اليها وخصال لم تعول امال الكل الا عليها طلب من كل سامع
فاته مشاهدة رويته صلي الله عليه وسلم ان ينزه سمعه بالاصغا الي صفات ذاته
ومعانيه صلي الله عليه وسلم فقال **فتنزه** قال الشارح هو من قولهم خرجنا
نتنزه في الرياض وكانه جري في ذلك علي العرف اذ التنزه كما في القاموس التباعد
ثم قال وارض نزهة بعيدة من الريف اي الخصب والزرع وغمق المياه
وذباب القري ومد البحار وفساد الهوي ثم قال واستعمال التنزه في الخروج
الي البساتين والخضر والرياض غلط قبيح **في** اوصاف **ذاته** من الكلام عليها
في تلك ذات العلوم **ومعانيه** اي صفاته الخارجة عن اوصاف ذاته صلي
الله عليه وسلم **استماعا** اي من جهة اصغايك اي استماع اوصاف ذاته
وجميل صفاته الاتية في هذا النظم الجامع البديع وبين ذاته ومعانيه جناس

منها منك اجتلا واملا السمع من محاسن تمليها عليك الانشاد والانشاء

المقابلة كالاستماع والاجتلا الاتي ان عدوا اي فقد منها منك متعلق بقوله اجتلا من جلوت العروس جلا وجلوة واجتلوتها اذا نظرت اليها مجلية اي مكشوفة مزينة اي ان فاتك روية ذاته الكريمة ومشاهدة صفاته العلية فلا يفتك تفريغ سمعك لكل ما يتلي عليك من اوصاف ذاته صلي الله عليه وسلم وعلو صفاته بتطهر ان من زايدة في الايجاب وهو ما اجازه جماعة وخرجوا عليه قوله تعالي ولقد جاءك من نبا المرسلين يحلون فيها من اساور من ذهب من جبال فيها من برد يغضوا من ابصارهم وفيه نظر لامكان نحو التبعيض بلا زيادة فتامله ولا تقتصر علي سماعك لقليل من ذلك بل املا السمع بان تكثر من سماع ذلك حتي تفرض ان ما تسمعه شي محسوس وان سمعك انا واسع لتملاه ذلك المسموع من محاسن اشتمل عليها صلي الله عليه وسلم لا يلحق احد اثارها ولا يشق كامل غبارها وهو جمع علي غير قياس لان مفرده حسن لا محسن الا بتقدير تمليها من امليته الكتاب ويجوز امللته عليك من هذه القصيدة وغيرها الانشاد لها من شجي الصوت قايم الاعراب فقد قالوا من اقوي الاسباب الباعثة علي محبته صلي الله عليه وسلم سماع الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المعربة اذا صادفت محلا قابلا فانها تحدث للسامع سكرا وازكية وطربا وذلك تحدث عندها بشيين احدهما اضاة في نفسها توجب لذة وقوة يتعدي فيها العقل الثاني انها تحول النفس الي جهة محبوبها فيحصل بذلك الحركة والشوق بتخيل المحبوب واحضاره في الذهن وقرب صورته من القلب واستيلاها علي الفكر في هذا فيه من اللذة ما يغمر العقل لاجتماع لذة الالحان وكثرة الاشجان فيحصل للروح ما هو اعجب من سكر الشراب واقوي في اللذة من عناق الشراب وقد ذكر الامام احمد رضي الله تعالي

عنه

وكل وصف له ابتدئت به استوعب اخبار الفضل منه ابتداء

عنه وغيره ان الله تعالي يقول لداود مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في الدنيا فيقول كيف وقد اذهبته فيقول اردده عليك فيقوم عند ساق العرش ويمجده فاسمع اهل الجنة استفرغ نعيم اهل الجنة واعظم من ذلك اذا اسمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم لاسيما ان انضم الي ذلك رويته ووجهه الكريم فان لذة ذلك تغني عن الجنة ونعيمها بما لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة والانشا من ناظمها اسناد الاملا اليها مجاز وبما يحملك علي استفراغ سمعك في ذلك المنوه واملا السمع من تلك المحاسن انه يجب عليك ان تعتقد ان محاسن ذاته وكمال صفاته لا يمكن ان تحيط بها كيف وكل وصف له من صفاته الذاتيه والمعنوية ابتدات وانا به في الذكر وابتدات بذكره لتحيط بغايته استوعب اخبار الفضل مفعول مقدم اي جميع اخبار الفضايل والكمال منه متعلق بقوله ابتدا اي كلما ابتدات بوصف له صلي الله عليه وسلم وتاملت ما اشتمل عليه صريحا وايما وجدت ذلك الوصف المبتدا به جمع انواع الفضل وغايات الكمال ولا يستبعد ذلك فان كل وصف من اوصافه كالعلم والكرم والشجاعة والخلق الحسن وغيرها وح فكل من صفاته صلي الله عليه وسلم تدل علي ما وضع له مطابقة وعلي ما عداه منها ايما واستلزاما كما لا يخفي علي من سبر ذلك وتامله وبهذا التحقيق الذي تنبه له الناظم يعلم انه سقي الله عهده ثاقب النظر كامل المعرفة متضلع من العلوم والمعارف وليس ذلك بكثير علي من حل عليه نظر القطب الكبير والعلم الشهير سيدي ابي العباس المرسي وارث ابي الحسن الشاذلي قدس الله روحهما ونور ضريحهما وبما قررته في الشرح لهذا البيت يعلم انه من غرر ابيات هذه القصيدة وانه لا تعقيد فيه خلافا للشارح وانه يجب عليك ان تعتقد ايضا ان تمام الايمان به صلي الله عليه وسلم الايمان بان الله تعالي اوجد خلق بدنه الشريف علي وجه لم يظهر قبله ولا بعده في ادمي مثله صلي الله

عليه وسلم وسر ذلك ان محاسن الذوات دليل على ما بطن فيها من بدايع الاخلاق
وجلايل الصفات ونبينا صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية التي لم يصل اليها غيره في كل من ذينك
ومن ثم قال الناظم في بردة المديح فهو الذي تم معناه وصورته البيتين فتبين
ان حقيقة الحسن الكامل كملت فيه وحده ولم تنقسم بينه وبين غيره لانه الذي
تم معناه دون غيره ولو شورك لم يتم معناه وما احسن قول بعضهم لم يظهر لنا
تمام حسنه صلى الله عليه وسلم والا لما طاقت اعيننا النظر اليه وبين ابتداءات وابتدا
جناس الاشتقاق تنبيه شرح الناظم بيان تمام معناه بما مر وياتي ولم
يشرح تمام حسن ذاته كذلك وانما اشار لذلك بقوله بروية وجه اي ضحكه التبسم
الخ او بتقبيل راحة الخ فتعين علينا ان نشير الى شي من ذلك فنقول اما وجهه
الشريف فصح عن البرا انه صلى الله عليه وسلم كان احسن الناس وجها واحسنهم خلقا
وعن ابي هريرة رضي الله تع عنه ما رايت شيا احسن منه صلى الله عليه وسلم كان الشمس
تجري في وجهه صلى الله عليه وسلم وعن البرا انه قيل له اكان وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم كالسيف قال لا بل القمر اي لم يكن كالسيف في الطول ولا في اللمعان بل كالقمر
في التدوير وفوق لمعان السيف وصح عن جابر بن سمرة لم يكن كالسيف بل كالشمس
والقمر وكان مستديرا فنبه بهذا انه جمع بين الحسن والاشراق والملاحة
والاستدارة وجا عن علي رضي الله تع عنه لم يكن بالمكلثم اي شديد استدارة الوجه
بل فيه تدوير قليل وهو احلى عند العرب وهو معنى قول ابي هريرة كان اسيل الخدين
اي فيهما طول وسلامة من ارتفاع الوجنة ومر وتشبيه غير واحد لوجهه بشقة
القمر اي عند التمام وقيل احترازا عما في القمر من السواد ويرده تشبيه ابي بكر
رضي الله تع عنه وغيره له بدارة القمر وفي النهاية انه صلى الله عليه وسلم كان اذا سر
صار وجهه كالمراة فيرى حيال الجدر فيه وفي رواية يتلالا وجهه تلالؤ القمر

ليلة

ليلة البدر وانما كان الاكثر تشبيهه بالقمر دون الشمس لان من شاهده يتمكن من
كمال النظر ويانس به ولا يتاذى منه بخلاف الشمس في الكل ولذا كان من اسمايه
صلى الله عليه وسلم البدر ومن ثم قال الخارجون لملاقاته من تبوك طلع البدر علينا
ثنيات الوداع ثم هذه التشبيهات جرت على عادة العرب والا فلا يحد شي
ويعادل صفاته صلى الله عليه وسلم الخلقية والخلقية واما بصره صلى الله عليه وسلم فيكفيك
فيه ما زاغ البصر وما طغى وصح عن ابن عباس رضي الله تع عنهما كان يرى بالليل في
الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء وصح انه كان يرى في الصلاة من خلفه كما يرى من امامه
اي روية ادراك هي بالبصر اذ الروية الواقعة على جهة الكرامة لا يتوقف عليه ولا على غيره
كشعاع ولا على مقابلة عند اهل السنة وما قيل كان له عينان بين كتفيه كسم الخياط
يرى بهما ولا تحجبهما الثياب لم يثبت ما يدل عليه والاصل عدمه كزعم ان صورهم
كانت تنطبع في قبلته او انها روية قلب او ان المراد بها العلم بوحي او الهام وحديث
اني لا اعلم ما وراء جداري لم يعرف له سند وانما ذكر ابن الجوزي في بعض كتبه بلا اسناد
ويفرض وروده فهذا غير ما نحن فيه لان المنفي علم الغيب بما وراء جداره حيث لم يعلم
به بوحي او الهام ومن ثم قال لما ضلت ناقته وقال بعض المنافقين هو يزعم
علم الغيب والله اني لا اعلم الا ما علمني ربي وقد دلني عليها وهي في موضع كذا احتبستها
شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوها كما اخبر صلى الله عليه وسلم ويفرض التعارض فما
مر في حالة الصلاة وهذا خارجها وجا انه كان اذا التفت التفت جميعا اي لا يسارق
النظر ولا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة كالطايش الخفيف وان جل نظره الملاحظة
صلى الله عليه وسلم وهو جانب العين الذي يلي الصدغ وانه صلى الله عليه وسلم كان عظيم العينين
اهدب الاشفار مشرب العين بحمرة وروى مسلم اشكل العينين والشكلة الحمرة
في بياض العين وهي محمودة والشهلة حمرة في سوادها وفي رواية ادعج العينين

اي شديد سواد حما اهدب الاشفار اي طويلها واما سمعه صلى الله عليه وسلم فحسبك
فيه خبر الترمذي اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السما وحق لها ان
تئط ليس فيها اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى وفي رواية لابي نعيم
او قائم واما شعره صلى الله عليه وسلم فصح انه كان بين شعرين لا رجل اي بفتح فكسر
وهو ما ينكسر الا قليلا ولا سبط ولا جعد ولا قطط كان بين اذنيه وعاتقه وانه
رجل ليس بالسبط ولا الجعد ولا تخالف لان فيه رجوله قليلة فالاول لنفي كثرتها
وانه الى شحمة اذنيه وانه اي اسفلها وانه اي الكتفين ولا تخالف ايضا لانه ربما
ترك تقصيره فيطول وربما تداركه فيقص وكان ان انفرق بنفسه فرقه والا تركه
معقوصا ولعل هذا الان اولا والا فالذي صح انه صلى الله عليه وسلم كان يسدله اي يرسله
ثم فرقه ثم رايت ان العلما قالوا ان الفرق سنة لانه رجع اليه صلى الله عليه وسلم وكان في
عنفقته صلى الله عليه وسلم وصدغيه شعرات بيض دون العشرين وانما لم يكرم فيه مع انه
نور ووقار لرواية ما شانه الله بالشيب اي لان النسا يكرهنه غالبا ومن كره منه
صلى الله عليه وسلم شيئا كفر واختلفت الروايات في تغييره صلى الله عليه وسلم لشيبه بنحو
الحنا ولا تخالف لانه صلى الله عليه وسلم كان فعله كثيرا وتركه اكثر ومن ثم كان سنة عندنا
وصح انه صلى الله عليه وسلم كان كثير شعر اللحية وجا انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر دهن راسه
وتسريح لحيته وكان صلى الله عليه وسلم اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر
ولم يرد فيه صلى الله عليه وسلم حلق راسه الا في حج او عمرة وورد انه كان ياخذ من
عرض لحيته وطولها لم يثبت وهي غريبة بخلاف رواية اعفوا اللحا فمن ثم اخذ بها الشافعي
رضي الله تعالى عنه وورد انه صلى الله عليه وسلم كان له مكحلة يكتحل منها بالاثمد في كل عين
ثلاثة قبل النوم واما جبينه صلى الله عليه وسلم وحاجباه وانفه وراسه فقد جا انه
صلى الله عليه وسلم واضح الجبينين ومقرون الحاجبين اي شعرهما متصل وانه غير

متصلها

متصلهما ورجح اي الاثنى وقد يجمع بانهما كانا كثيرين كما في الرواية السابقة كما في اخرى
دقيقين كما في اخرى فهما مع كثرة شعرهما فيهما سبوغ الى اخر العينين ودقة في طرفيهما فلكثرة
شعرهما يريان من بعيد كانهما متصلان وليسا في الحقيقة كذلك وصح انه ضخم الراس
ضخم الكراديس اي رؤس العظام وجا انه صلى الله عليه وسلم اقنى الانف اي طويله مع دقة
ارنبته وحدب في وسطه وعبر بعضهم بانه سايل يرتفع وسطه وانه صلى الله عليه وسلم دقيق
العرنين اي اعلا الانف وان من لم يتامله يحسبه اشم اي طويل قصبة الانف واما فمه
صلى الله عليه وسلم فقد صح انه واسع يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة فمه والعرب
تمدحه وتذم ضده وانه صلى الله عليه وسلم اشنب اي لاسنانه غاية البريق واللمعان وانه صلى
الله عليه وسلم مفلج الاسنان اي متفرقها وفي رواية مفلج الثنيتين اي اكثر من البقية واما
ريقه صلى الله عليه وسلم فقد صح انه يوم خيبر تفل في عيني علي رضي الله عنه وكرم وجهه
وكان به رمد فبري منه لوقته واعطاه الراية ففتح الله على يديه وجا انه صلى الله عليه
وسلم مج في بير ففاح منها رائحة المسك وانه صلى الله عليه وسلم بصق في اخرى فلم يكن
بالمدينة اطيب منها ما وانه صلى الله عليه وسلم كان في يوم عاشورا يبصق في فم
رضعانه ورضعا فاطمة وينهى عن رضاعهم فيجزيهم ريقه الى الليل وانه صلى الله
عليه وسلم مضغ قطعة لحم واعطاها لخمس نسوة فمضغنها كل فمتي ولم يوجد
لافواههن ريح خلوف واما فصاحة لسانه صلى الله عليه وسلم وجوامع كلمه
وبديع بيانه وحكمه فامر اظهر من ان يذكر واشهر من ان يشهر كيف وقد
ارتقى في كل ذلك الغاية القصوى التي لم يدركها مخلوق حتى قال بعض العلما
ان كلامه معجز كالقران واما صوته فروى ابن عساكر خبر ما بعث الله نبيا قط
الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت والبيهقي خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى اسمع العواتق في خدورهن وابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم قال للناس

سيد ضحكه التبسم والمشي الهوينا ونومه الاغفاء

يوم الجمعة على المنبر اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة وهو في بني تميم
فجلس مكانه رواه ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم خطب بمنى ففتح الله اسماعهم فسمعوه
وهم بمنازلهم واما ضحكه صلى الله عليه وسلم فهو انه سيد للعالمين الاولين
والاخرين كما مر مبسوطا اول الكتاب ضحكه اي الذي يظهر سروره وهو
التبسم كما رواه البخاري عن عايشة رضي الله تعالى عنها ما رايته مستجمعا
قط ضاحكا اي مقبلا على الضحك بكليته وانما كان يتبسم ولا ينافيه خبر البخاري
الواقع اهله في رمضان فضحك حتى بدت نواجذه وهي بالجيم والزال المعجمة الاضراس
وهي لا تكاد تظهر الا عند المبالغة في الضحك لان عايشة رضي الله تعالى عنها انما نفت رؤيتها
وذلك لا ينافي وقوع غير التبسم منه نعم الذي دل عليه مجموع الاحاديث ان اكثر
اوقاته صلى الله عليه وسلم هو التبسم وربما ضحك والمكروه انما هو الاكثار والافراط
من الضحك سوا كان معه قهقهة ام لا ومن ثم روى البخاري في ادبه وابن
ماجة النهي عن كثرته وانه يميت القلب والفرق ان التبسم مبادي الضحك من
غير صوت والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان من السرور مع صوت
خفي فان كان معه صوت يسمع من بعيد فهو القهقهة واما بكاوه صلى الله عليه وسلم
فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ولا برفع صوت ولكن تدمع عيناه حتى
تهملان ويسمع لصدره ازيز اي غليان يبكي رحمة لميت وخوفا على امته وشفقة
من خشية الله تعالى وعند سماع القران واحيانا عند صلاة الليل وجا انه صلى الله
عليه وسلم حفظ من التثاوب بل جا ان كل نبي كذلك واما يده صلى الله عليه وسلم
فقد وصفها غير واحد كما في علة طرق بانه شثن الكفين اي غليظ اصابعهما
وبانه عبل الذراعين رحب الكفين ووصف ايضا بان يده صلى الله عليه
وسلم الين من الحرير والديباج وابرد من الثلج واطيب ريحا من المسك ولا ينافي هذا

اللين

اللين ما مر انفا لانه جمع مع لين الجلد غلظ العظام وقوتها وتفسير الاصمعي
الشثن بغلظ في خشونة مردود بل نقل ابن خالويه عنه انه قيل له ورد في صفته
صلى الله عليه وسلم انه كان لين الكفين فاقسم ان لا يفسر شيئا في الحديث
وبتسليمه فهو صلى الله عليه وسلم انه كان ربما حصلت له خشونة في كفيه من جهاد او عمل
في مهنة اهله وتفسير ابي عبيد له بغلظ الاصابع مع قصرها يرده ما جا انه كان
سايل الاطراف فالتحقيق ان الشثن الغلظ من غير خشونة ولا قصر وروى الحاكم
وغيره انه صلى الله عليه وسلم مسح بيده الشريفة الدم عن وجه وصدر من خرج في وجهه فكان
اثر يده الشريفة غرة له سايلة كغرة الفرس وصح انه صلى الله عليه وسلم مسح راس ولحية
ابي زيد الانصاري ثم قال اللهم جمله فبلغ بضعا وماية سنة وما في لحيته بياض ولا في
وجهه انقباض وروى احمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم مسح راس حنظلة بيده وقال بورك
فيك فكان يمسح بمحل يده صلى الله عليه وسلم الورم فيذهب واما ابطاه صلى الله عليه وسلم فكانا
ابيضين كما جا عن علة من الصحابة رضوان الله عليهم لكن تعارضه الرواية الصحيحة
كنت انظر الى عفرة ابطيه والعفرة بياض ليس بالناصع وقد يجمع بحمل البياض
في الاول على البياض غير الناصع وذكر بعضهم انه لا شعر بابطيه ورد بانه لم يثبت بوجه
وكان يسيل منها مثل ريح المسك وكانت له مسربة وهي خط الشعر الذي بين
الصدر والسرة بل في رواية له شعرات من لبته الى سرته تجري كالقضيب ليس
على صدره ولا على بطنه غيره واما بطنه وظهره فجاء انه صلى الله عليه وسلم مفاض البطن اي
واسعه وقيل مستوي الظهر مع الصدر وان بطنه صلى الله عليه وسلم كالقراطيس المثنى
بعضها على بعض وانه بعيد ما بين المنكبين اي عريض الصدر واما قلبه صلى الله
عليه وسلم فهو اول قلب اودع الاسرار الالهية والمعارف الربانية لانه صلى الله عليه وسلم
اول الخلق كما مر وصورته صلى الله عليه وسلم اصل صور الانبيا عليهم الصلاة والسلام فهو صلى الله

احد

عليه وسلم اوله اولهم واخرهم في جبارة اعلا الكمال الخلقية والخلقية ومما يبينك
ان قلبه صلى الله عليه وسلم اودع مالم يودعه غيره تكرر شقه وملاه ايمانا وحكمة واخرج
حظ الشيطان منه كما مر ذلك مبسوطا في بحث رضاعه صلى الله عليه وسلم ومحاسنه
الظاهرة التي هي اعلام على الاخلاق الباطنة فكمال ذلك لم يساوه فيها مخلوق فلذا لم
هنه واما جماعه فقد صح عن انس كنا نتحدث انه صلى الله عليه وسلم اعطي قوة ثلاثين
رجلا في الجماع وروى الاسماعيلي قوة اربعين زاد ابو نعيم عن مجاهد كلهم من رجال
الجنة والرجل في الجنة يعطي قوة مائة كما صححه الترمذي وقال غريب والاربعون
في مائة باربعة الاف ومع ذلك كان صلى الله عليه وسلم على غاية من تقليل الغذا الخارق العادة
العادة في الامرين ولم يحتلم قط وكذا الانبيا عليهم الصلاة والسلام لانه من الشيطان
لكن الظاهر قول عائشة رضي الله تعالى عنها يصبح صائما جنبا من جماع غير احتلام
انه يحتلم ويتسليمه فالاول محمول على ما اذا كان عن رؤية وقاع لان هذا
هو من الشيطان بخلاف نزول مجرد المني في النوم واما قدمه صلى الله عليه وسلم فجاء في
نعم واجدانه شثن القدمين اي غليظ اصابعهما وكانت سبابة قدميه صلى الله عليه وسلم
اطول من بقية اصابعهما ومن روى ذلك في اليد فقد غلط كما بينه غير واحد وكانت
خنصرهما متظاهرة وكانتا لا اخمص لهما اي ليس في باطنهما كبير انخفاض بحيث
يطؤ به كله فهو معتدل الخمص ومعنى رواية مسيح القدمين ان فيهما مع ذلك
لينا وملاسة دون تكسر وتشقق واما طوله صلى الله عليه وسلم فكان ربعة لكنه
الى الطول اقرب كما جاءت به الاحاديث الكثيرة وفي حديث وفي حديث ما يفيد
ان هذا ان مشى وحده او مع قصير والا طال كل من ماشاه وهو صلى الله عليه
وسلم ينسب الى الطول بل لو اكتنفه طويلان طالهما فاذا فارقاه نسب الى الربعة
واما مشيه صلى الله عليه وسلم فقد صح عن علي كرم الله وجهه انه كان اذا مشى تكفأ تكفؤا

كانما

كانما ينحط من صبب وفي رواية عنه كان اذا مشى تقلع والتقلع والانحدار
من الصبب قريب او اوانه يستعمل التقلع ولا يتبين منه في هذه الحالة استعجال
ومبادرة بالتثني وهذا هو مراد الناظم بقوله والمشي الهوينا الا ان منه
تصغير الهون وهو السكينة والوقار للمتعظم نحو وكلا انا نتحدث بينهم ورية
تصغيرها الانامل وقد مدح تعالى من يمشون كذلك فقال عز قائلا وعباد الرحمن
الذين يمشون على الارض هونا ولا ينافي ذلك رواية الترمذي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
ما رايت اسرع من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا
وهو غير مكترث لان عجزهم عن لحوقه ليس لانه كان يجهد نفسه في المشي كما يدل عليه قوله
كان الارض تطوى له فهو صلى الله عليه وسلم مع هونه مشيه لا يلحق ومعنى رواية رزيع المشي
اي واسع الخطوة وقال ابن القيم في رواية كان اذا مشى تقلع والتقلع الارتفاع
من الارض بجملته كحال المنحط في الصبب وهي مشية اولي العزم والهمة وهي اعدل
المشيات واروحها للاعضا فكثير من الناس يمشي قطعة واحدة كانه خشبة محمول فهي مذمومة
كالمشي بالانزعاج كالجمل الاهوج وهذه تدل على قلة عقل صاحبها لا سيما ان اكثر فيها التفاتا
وكان صلى الله عليه وسلم اذا مشى مع اصحابه قدمهم امامه وقال خلوا ظهري للملائكة وكان
صلى الله عليه وسلم اذا مشى في شمس او قمر لا يظهر له ظل ونسوه قوله في دعائه واجعلني نورا
واما لونه صلى الله عليه وسلم فقد وصفه جمهور اصحابه بالبياض كما صح من طرق متعددة ولا
ينافيه رواية مشرب بحمرة لانه مع ذلك يسمى ابيضا نعم قد بان فيها رواية ابيض شديد
البياض الا ان تحمل المشرب بحمرة على الوجه فقط وما عداه شديد البياض كما تدل عليه
رواية فنظرت الى ظهره صلى الله عليه وسلم كانه سبيكة فضة وعلى الوجه تحمل رواية ابهق اي احمر
ليس بابيض وقول عياض رحمه الله تعالى انها وهم غير صحيح وكذا رواية ليس بالابيض ولا بالادم
وقول عياض ان هذه ليست بصواب مردود بان المراد ليس شديد البياض ولا شديد

الادمة وانما يخالط بياضه حمرة والعرب تطلق على من هو كذلك انه اسمر الوارد في رواية وتوافقها رواية ابيض بياض اي السمرة ورواية احمر اي البياض او المراد انه صلى الله عليه وسلم كان تحصل له السمرة اذا سافر لتاثره من الشمس وتظليل الغمام وغيره له انما كان ارهاصا كما مر وقد انقضى وقته وذهب بعض المالكية الى ان من زعم انه صلى الله عليه وسلم اسود يقتل لان السو يشعر بالنقص واما طيب ريحه صلى الله عليه وسلم وعرقه وفضلاته فكان في ذلك الغاية العليا وان لم يمس طيبا كما صح عن انس وغيره وروى ابو يعلى والطبراني ان رجلا استعان به صلى الله عليه وسلم في تجهيز ابنته فاستدعى صلى الله عليه وسلم بقارورة وسلت فيها من عرقه وقال مرها فالتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم اهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين ومر انه صلى الله عليه وسلم كان اذا مر بطريق فمر الناس منه وجد رائحته وعرفوا بذلك انه مر منه وحديث خلق الورد من عرقه او من عرق جبريل او من عرق البراق موضوع وما من غريب انما كان يخرج منه صلى الله عليه وسلم فتبلعه الارض وايده الحافظ عبد الغني بان احدا من الصحابة لم يذكر انه راه بخلاف البول فانهم كانوا يستشفون به ومن ثم اختار جماعة من ايمتنا رضي الله تعالى عنهم طهارة جميع فضلاته صلى الله عليه وسلم **اما نومه** فهو **الاغفا** اي اخف النوم بحيث لا يستغرق لان الاستغراق انما يتولد عند نوم القلب وغفلته المؤكدة عند الشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم كسائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام كان ينام عيناه ولا ينام قلبه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ومن ثم كان ينام لم ينتقض وضوءه بالنوم ومر ذلك كالحياة قلبه صلى الله عليه وسلم وتيقظه ودوام شهوده لربه عز وجل انه كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا يوقظ لانه لا يدري ما هو فيه ولا ينافيه نومه

عليه وسلم

ما سرى خلقة النسيم ولا غير محياه الروضة الغناء

عليه وسلم بالوادي عن صلاة الصبح حتى حميت الشمس لان رؤيتها من وظيفة العين والقلب انما يدرك نحو الحدث والالم مما يتعلق به دون العين فهي نايمة والقلب يقظان وكانه انما يدرك مرور الوقت الطويل فانه صلى الله عليه وسلم نام قبل الفجر الى ان حميت الشمس لانه صلى الله عليه وسلم مستغرق في شهود ربه وما يفيضه عليه من معارفه وانما تنبه على ذلك ليقع التشريع بتلك الاحكام الكثيرة جدا التي استفيدت من تلك الواقعة كسهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة وقيل كان له نوم ينام فيه قلبه ايضا وهو الذي كان حينئذ ورده بانه لم يثبت انه مر مود على قابله كما رد بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم لا ينام قلبي بما يخرجه عن ظاهره من غير دليل واذ قد انتهى الكلام على شيء من محاسن ذاته صلى الله عليه وسلم التي لم يخلق الله تعالى اشرف منها ايضا فنقول **ما سرى** اي لا غير **خلقة النسيم** اي الريح التي في غاية اللطافة واللين والطيب يعني لا يشبهها خلق احد الا خلقه الكريم وهذا مقتبس من قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود بالخير من الريح المرسلة فان قلت صريح هذا ان خلقه صلى الله عليه وسلم افضل النسيم مع ان لا نسبة بينهما قلت هذا الايراد انما هو باعتبار الغالب والا فقد يشبه الافضل بالمفضول لنكتة كما في صليت على ابراهيم الخ فكذا هنا تشبيهه بها البليغ انما هو باعتبار ما فيها مما يحيي القلب ويجلو اصدا النفس وغير ذلك مما لا قيام لحقيقة الحيوان الا به وانما قلت يعني لا يشبهها الخ لا بين ان هذا المراد من العبارة لا نفي هي به وذلك لان نفي مشابهة غير خلقه صلى الله عليه وسلم لان هذا الحصر لا دليل عليه في الكلام بل صريح كلام الراغب انه لا مفهوم للنفي بغير وعبارته بغير تقال على

لب

به

الوجه الاول ان يكون المنفي المجرد من غير اثبات معنى نحو مررت برجل غير
قائم وقال تعالى ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وقال
وهو في الخصام غير مبين انتهى المقصود منه وسياتي في شرح قوله وما سواه هو
العاصي بالله بما هنا تعلق فاستحضره والخلق بضم نضم او سكون قال الراغب
وهو والمفتوح في الاصل بمعنى واحد لكن خص المفتوح بالهيات والصور المبصرة
والمضموم بالسجايا او القوة المدركة بالبصيرة ثم قيل المضموم غريزي لخبر
البخاري ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم والحق ان اصله غريزي
وتمامه مكتسب لما صح انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين يحبهما
الله الحلم والاناه قال يا رسول الله كانا قديما في او حديثا قال قديما
قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله فترديده السوال وتقرير
النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك يدل على ان بعضه غريزي وبعضه مكتسب
ويدل له ايضا الحديث الصحيح اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي لا يهدي
لاحسنها الا انت فهو حيلة في نوع من الانواع وهو متفاوتون فيه فمن قدم
حسنه او كماله امره بالمجاهدة والرياضة حتى يقوى ويصير محمودا وبه عرف
الخلق بانه ملكة يسهل على ربها فعل الجميل وتجنب القبيح ولما اجتمع فيه
صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال وصفات الجلال والجمال ما لا يحصره حد ولا يحيط
به عد اثنى الله تعالى عليه في كتابه الكريم فقال عز قايلا وانك لعلى خلق
عظيم فوصفه بالعظم وزاد في المدحة باتيانه بعلى المشعرة بانه صلى الله عليه وسلم
استعلا على معالي الاخلاق واستولى عليها فلم يصل اليها مخلوق غيره ووصفه
بالعظم دون الكرم الغالب وصفه به لان كرمه صلى الله عليه وسلم يراد به السماحة
والربانه وخلقه صلى الله عليه وسلم غير مقصور على ذلك بل كما كان عمله غاية

الرحمة للمؤمنين عنده غاية الغلظة والشدة على غيرهم فاعتدل فيه الانعام والانتقام
ولم يكن له همة سوى الله تعالى فعاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه ومن ثم ورد
بسند فيه ضعف ان الله بعثني بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الاعمال وفي
رواية الموطا بلاغا بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فكل خلق حميد اندرج تحت
خلقه صلى الله عليه وسلم ومن ثم قالت عايشة رضي الله تعالى عنها كان خلقه
القران قال السهروردي رحمه الله تعالى ونفع به في عوارفه في قولها ذلك
رمز غامض وايماء خفي اي الاخلاق الربانية فاحتشمت من الحضرة الالهية
ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه
القران استحيا من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من
وفور عقلها وكمال ادبها انتهى بعض العارفين لما كان خلقه صلى الله عليه وسلم
اعظم خلق بعثه الله اي جميع العالمين وعلم من كلام عايشة رضي الله تعالى عنها
ان كمالات خلقه صلى الله عليه وسلم لا تتناهى كما ان معاني القران لا تتناهى وان التعرض
لبعض جزوياتها غير مقدور للبشر ثم ما انطوى عليه صلى الله عليه وسلم من كريم الاخلاق
لم يكن باكتساب ورياضة وانما كان في اصل خلقته بالجود الالهي والامداد الرحماني الذي
لم تزل تشرق انوارها في قلبه صلى الله عليه وسلم الى ان وصل لاعظم الاخلاق واعلم
ان كمال الخلق انما ينشا عن كمال العقل لانه الذي به تقتبس الفضايل وتجتنب
الرذايل والعقل لسان الروح وترجمان البصيرة فهو جوهر الانسان ولكن جوهر البصر
وفي القاموس بعد الاشارة اي الاخلاق في تعاريفه والحق انه روحاني به تدرك
النفوس العلوم الضرورية والنظرية وابتدا وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال
ينمو الى ان يكمل عند البلوغ انتهى والحديث المشهور اول ما خلق الله العقل
قال له اقبل الخ موضوع وعقل نبينا صلى الله عليه وسلم وصل في الكمال اي غاية لم يصل

رحمة كله وحزم وعزم ووقار وعصمة وحياء

البهاء واعقل ومن ثم روى ابو نعيم وبن عساكر عن وهب انه وجد في واحد
وسبعين كتابا ان الله يعط الناس من بدء الدنيا الى انقضايها من العقل في جنب
عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رملة بين ما بجميع الدنيا ومما يقطع بصحة ذلك
سياسته صلى الله عليه وسلم للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة وصبره صلى الله عليه وسلم
على طبايعهم المتنافرة المتباعدة حتى قاتلوا دونه اهاليهم وهجروا في رضاه صلى الله
عليه وسلم اوطانهم واحبابهم مع انه صلى الله عليه وسلم لم يطلع على سير الماضين ولا تعلم من
العقلا المحدثين وفي هذا ما في الذي قبله مما مر انفا **ولا غير محياه** اي وجهه
صلى الله عليه وسلم **الروضة الغناء** اي الكثيرة النبات والازهار والثمار اي
لعبت الروضة الغنا الا وجهه صلى الله عليه وسلم لانه احسن الخلق وجها كما مر مبسوطا هو
رحمة وهي عطف وميل نفساني غايتها التفضيل والانعام اي عينها مبالغة او وردها
هو خبر مقدم واخبر بعده ومما بعدها بلفظ المصدر اشارة اي انها امتزجت بذاته صلى الله
عليه وسلم واستحال انفصالها عنه حتى كانه هو وكانه هي اي ركب منها وطبع عليها
وخلق منها **كله** كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ويجوز نصب
رحمة على الحال بمعنى انها اسم فاعل ومفعولا لاجله وعلى حذف مضاف اي ذا رحمة
والعالمون قيل الجن والانس وعليه الجمهور وقيل الملايكة وعليه غير واحد من
المحققين ويدل له ايضا ليكون للعالمين نذيرا ونقل الرازي وغيره الاجماع على انه
لم يرسل للملايكة مرة ورد اخذ بعض متاخري ائمتنا المحققين بظاهره كخبر مسلم ارسلت
الى الخلق كافة كما مر وعلى كل فهو رحمة للمومنين بالهداية بالايمان من القتال والكافر
بتاخير العذاب ولساير الحيوانات لامن بوجهه صلى الله عليه وسلم يستسقى الغمام
وبه بما به ينزل القطر فينبت النبات فيكون لها سقيا ورعيا وللمنافق وقال
ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبي اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم

اخر

اخر من كذبه الى الموت او الى يوم القيامة واما من صدقه فرحمة في الدنيا والاخرة
فعلم ان ذاته الشريفة رحمة للمومنين والكافر كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وروى الدارمي والبيهقي حديث اني انا رحمة مهداة قال
بعضهم زينه ربه بزينة الرحمة فكان وجوده وجميع شمايله صلى الله عليه وسلم رحمة على
الخلق وقال سائر الانبيا خلقوا من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة
لا يقال كيف هو رحمة وقد جانا بالسيف واستباحة الاموال لانا نقول انما
ذلك لمن ادبر واستكبر ولم ينفع فيه وعظ ولا ارشاد ومن اوصافه تعالى الرحمن
الرحيم والجبار والمنتقم وفي الشفا انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من
هذه الرحمة شي قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت ولما شج وجهه صلى الله عليه
وسلم وكسرت رباعيته يوم احد قالوا له لو دعوت عليهم فقال صلى الله عليه وسلم
اني لم ابعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
اي اغفر لهم هذا الشي المخصوص لا مطلقا والا لاسلموا كلهم ذكره ابن حبان وانما
دعا عليهم يوم الخندق بان يملا بطونهم نارا لانهم شغلوه عن الصلاة الوسطى
فكان الدعا لله تعالى لا لحظ نفسه صلى الله عليه وسلم **وحزم** كله اي جميع احواله
صلى الله عليه وسلم التي تصدر منه انما تصدر على غاية من الضبط والقوة والشدة
الباطنة والظاهرة لان منشا ذلك العقل الكامل وقد مر انه صلى الله عليه وسلم
لا اكمل عقلا صلى الله عليه وسلم بل لا مساوي له من نبي ولا ملك **وعزم** كله من
عزم على الشي قطع به اي جميع ما يفعله بوحي او اجتهاد انما يفعله مع امضايه
والقطع به من غير اعراض عنه ومن ثم كان مرخصا بحجة صلى الله عليه وسلم انه اذا
فعل خيرا لزمه ادامته كما وقع له صلى الله عليه وسلم ان ناسا شغلوه عن سنة
الظهر البعدية حتى دخل وقت العصر فصلاها فصلى ركعتين بعد العصر اي

وما قد صلى الله عليه وسلم **ووقار** كله لان الله تعالى القي عليه من المهابة ما لا غاية له ومن
ثم قال خارجة بن زيد كما رواه ابو داود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقر
الناس في مجلسه وعن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه كان اذا جلس في المسجد
احتبى بيديه وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكلامه
فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم مجلسه مجلس
علم وحيا وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم اذا تكلم
صلى الله عليه وسلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير جاء اليه رجل فقام بين يديه
فاخذته رعدة شديدة ومهابة فقال هون عليك فاني لست بملك ولا جبار
انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه
وسلم فقال يا ايها الناس اني اوحي الي تواضعوا الا فتواضعوا حتى لا يبغي احد
على احد ولا يفخر احد على احد وكونوا عباد الله اخوانا وراته قيلة بنت مخرمة في
المسجد قاعدا القرفصا فارتعدت من الفرق رواه ابو داود وروى مسلم عن
عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما مليت عيني منه قط حيا منه وتعظيما له صلى الله عليه وسلم ولو قيل لي صفه لما قدرت
وان كان هذا وهو من اجلا الصحابة رضي الله تعالى عنهم كذلك فما بالك بغيره فلعلم
انه صلى الله عليه وسلم ولو قيل لولا كان يباسطهم ويمزح معهم ومع ذلك لا يقول
الا حقا ويتواضع لهم ويونسهم لما قدر احد منهم ان يجالسه ولا يحادثه لما القى
الله عليه من المهابة والجلالة وقد خير الله النبي صلى الله عليه وسلم بين ان يكون
نبيا ملكا او نبيا عبدا فاشار الى جبريل عليه السلام يستشيره فاشار اليه
ان تواضع فاختار العبودية ~~كله اي حفظ~~ **وعصمة** كله اي حفظ يستحيل
شرعا وقوع خلافه من سائر الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل

النبوة

النبوة وبعدها في سائر حركاته وسكناته في باطنه وظاهره سره وعلانيته جده ومزحه
رضاه وغضبه والخلاف في بعض ذلك لا يعول عليه كيف وقد اجمع الصحابة رضي الله
عنهم اجمعين على اتباعه صلى الله عليه وسلم والتاسي به في كل ما يفعله من قليل وكثير وصغير وكبير
لم يكن عندهم في توقف حتى اعماله في السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم
بها صلى الله عليه وسلم او لم يعلم ومن تامل احوالهم معه استحيى من الله كما قاله الامام المجتهد
التقي السبكي ان يخطر له تشكك في انه معصوم في كل ما ذكرناه حكي ولذلك الانبيا عليهم
الصلاة والسلام معصومون كما ذكر وحكي في عصمتهم قبل النبوة خلاف ومحله في غير الجهل
بالله وصفاته اما هذا فهم معصومون منه اجماعا بل لم ينشا الانبيا الا على اكمل الاحوال من
الايمان بالله تعالى ومعرفته كما ينبغي في عصمتهم من الصغاير بعد النبوة خلاف ايضا
وهو في غاية الضعف بل الزم قائلوه بخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم ومحله في غير
صغاير الخسة كسرقة لقمة وفي غير ما يتعلق بطرق التبليغ اما هذان فهم معصومون
منهما اجماعا واما قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فللمفسرين فيه اقوال
كثيرة واحسنها ما جا عن ترجمان القران ابن عباس رضي الله تعالى عنه واخرين من الصحابة
والتابعين ان معناه ووجدك ضالا عما اتاك من معالم النبوة فهداك اليها
ويؤيده قوله تعالى ما كنت تدري اي قبل الوحي ما الكتاب اي القران ولا الايمان
اي الدعا اليه ولا الفرايض ولا الاحكام اذ الايمان يطلق عليها حقيقة نحو وما كان الله
ليضيع ايمانكم اي صلاتكم اي بيت المقدس كما يصرح به سبب النزول وما جا مرفوعا
اي وجدك ضالا من عمك عبد المطلب حتى كاد الجوع يقتلك فردك اليه وهو من ضل
الما في اللبن اذا انغمر فيه اي وجدك مغمورا بين كفار مكة فنصرك عليهم واما
قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فاختلف المفسرون
فيه على اقوال كثيرة بها يبطل الاحتجاج بالقول الساقط السابق انفا من

احسنها خفضنا عنك اعبا النبوة التي اثقلت حقوقها في القيام بموجباتها ظهرك
حتى يكاد ان يكون له نقيض اي صوت او المراد عصمنا من الوزر الذي لو
تحملته صوت ظهرك من ثقله فسمي العصمة وضعا مجازا او رفعنا عنك اوزار امتك
التي اثقلت ظهرك خوف عاقبتها حتى امنك الله ذلك في العاجل والاجل بقوله
عز قايلا وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وباعطا الشفاعة فيهم في الاجل
واما قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فاختلفوا فيه لذلك
واحسن ما فيه انه قول ابن عباس رضي الله عنهما انك مغفور لك غير مواخذ
بذنب ان لو كان او المراد بالذنب ذنوب امتك على وزن ما مر او ترك الاولى
والاخرى كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين وعليه قوله تعالى عفا الله
عنك لم اذنت لهم اي محى عنك ما ارتكبته من خلاف الاولى ووقع لبعض مشاهير
المفسرين في هذه الايات ما لا ينبغي من التساهل وسو الادب فاحذره وحفظ
صلى الله عليه وسلم ايضا من اعدايه الحريصين على قتله فكان اصحابه يحرسونه حتى نزل
عليه والله يعصمك من الناس فاخرج صلى الله عليه وسلم راسه من القبة وقال
يا ايها الناس انصرفوا عني فقد عصمني ربي وتواعد جماعة على قتله فلما هموا به
سمعوا صوتا مهولا فغشي عليهم ثم تواعدوا مرة اخرى فلما راوه جاء
الصفا والمروة فحالت بينه وبينهم وواعد ابو جهل قريشا ان راه ليطان
على عنقه فاعلموه بذلك فذهب اليه فولى هاربا فقيل له فقال لما دنوت منه
اشرفت على خندق مملوء نارا فكدت اهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق
اجنحة فقال صلى الله عليه وسلم تلك الملايكة لو دنا لاختطفته عضوا
عضوا ووفد عليه عامر بن الطفيل واربد بن قيس ليقتلاه فشغله عامر
فاراد زيد قتله فلم ير الا عامرا **وحيا** كله كما يصرح به خبر البخاري عن



عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشد حياء من العذرا اي البكر في خدرها قيل ذكره
من باب التتميم لان البكر في خدرها يشتد حياؤها اكثر مما يكون خارجة
عنه لان الخلوة مظنة الوقوع بها وقيل ان المراد الظاهر تقييده
بما اذا دخل عليها في خدرها لا حيث تكون وحدها فيه والحيا بالمد لغة
تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به وشرعا خلق
يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق من
الحياة وكذا الحيا المقصور وهو المطر وقوته وضعفه وهو
اقسام ثمانية يطول استقصاؤها منها حيا الكرم كحيائه صلى الله
عليه وسلم ممن دعاهم الى وليمة زينب فطولوا عنده المقام ان يقول لهم
انصرفوا ومن ثم كان لا يواجه احدا بمكروه بل اذا بلغه عن احد شيا
قال ما بال اقوام ولم يقل ما بال فلان قالت عايشة ما رايت منه
ولا راى مني ومنها حيا المحبة وهو ما يلحظ بغلب الحب في غيبة محبوبه
فيهجم اليه ومنها حيا العبودية وهو ممتزج بين محبة وخوف وغايته
شهود عدم صلاح عبوديته لمعبوده فيستحي منه لا محالة ومنها حيا
المومن نفسه ان رضيت بالنقص او قنعت بالدون حتى كان له نفسين
يستحي باحديهما من الاخرى وهذا الكمال ما يكون من الحيا وهو حيا
النفوس الشريفة الرفيعة وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم
الحيا لا ياتي الا بخير الحيا من الايمان رواهما البخاري وجعل من
الايمان مع انه غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد
واكتساب وعلم فالحيا المكتسب هو الذي جعله الشارع من الايمان وهو المكلف

به دون الغريزي غير ان من كان فيه غريزي.. منه فانها تعينه على المكتسب حتى
يكاد يكون غريزيا وهو صلى الله عليه وسلم جمع الله له النوعين فكان من الغريزي اشد
حيا من العذرا في خدرها ومن ان عقله صلى الله عليه وسلم اوسع العقول ولذلك
اتسعت اخلاقه الكريمة اتساعا لا يحد فمن ذلك اتساع خلقه العظيم في الحلم
والعفو مع القدرة وصبره على ما يكرهه لا سيما في الحروب وقد استعرت نيرانها
واصطلمت عقول شجعانها **منه** متعلق بما بعده من المضاف او
المضاف اليه **عرى الصبر** وهو حبس النفوس على ما يكره اي اسبابه
من الحلم والصفح والشجاعة المشبهة في اشتمالها على من قامت به حتى منعته
من وقوع مادرة منه عند ثوران الغضب بحبال ربطت على شي واحكمت
في عرى فاستمسك عليه ولم يكن حلها ولا نقضها فذكر العرى استعارة تخييلية
وتشبيه الصبر بالثوب السابغ ذي الازرار والعرى المحكمة استعارة بالكناية
لا تحل ترشيح وحسبك صبره صلى الله عليه وسلم على من حاربوه يوم احد في اشد ما نالوه
به من كسر رباعيته وشج وجهه فسال الدم على وجهه الشريف وشق ذلك على
اصحابه فقالوا يا رسول الله لو دعوت عليهم فقال اللهم اغفر لقومي او اهد قومي فانهم
لا يعلمون اي لا تعاجلهم بالعقوبة من اجل انهم لا يعلمون تفاصيل ما يترتب عليهم
في ذلك من انواع العذاب واصناف العقاب وروي عن عمر رضي الله تعالى عنه
انه قال بابي وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على
الارض من الكافرين الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد
وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وانما قال صلى الله عليه وسلم يوم الخندق حين منعوه
عن صلاة العصر اللهم املا قلوبهم نارا لان الحق لله تعالى وهو صلى الله عليه وسلم لم

يكن يغضب لنفسه وانما يغضب ان انتهكت حرمات الله تعالى امتثالا لقوله الله
سبحانه وتعالى له جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومن ثم غضب
صلى الله عليه وسلم في اماكن معدودة لاسباب مختلفة لكن مرجعها اي انه يغضب
لنفسه بل لربه عز وجل وقد صح عن زيد بن سعنة بمهملتين ونون مفتوحة وهو
من اجل احبار اليهود الذين سلموا انه قال لم يبق من علامات النبوة شي الا
وقد عرفته في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنين لم اخبرهما منه يسبق
حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت اتلطف به لان اخالطه فاعرف
حلمه فابتعت منه تمرا الى اجل فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين او
ثلاثة اتيته فاخذت بمجامع ردايه وقميصه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت
الا تقضيني يا محمد حقي فوالله انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال عمر اي
عدو الله اتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما احاذر فوته لضربت
بسيفي راسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر في سكون وتودة وتبسم صلى الله
عليه وسلم انا وهو كنا احوج الى غير هذا منك يا عمر تامرني بحسن الادا وتامره
بحسن الصبر اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان
ما دعته ففعل فقال يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنين وذكر له ما مر وقد عرفتهما فاشهدك
اني اسلمت وروى ابو داود ان اعرابيا جا اليه فجذبه بردايه وكان خشنا
حتى اثر في عنقه الشريف وقال له احملني على بعيري هذين فانك
لا تحملني من مالك ولا من مال ابيك فقال صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله
وكررها ثلاثا حتى تقيدني في جذبتك التي جذبتني كل ذلك والاعرابي
يقول له لا اقيدك ابدا ثم امر له بحمل بعير تمرا وبعير شعيرا وروي

البخاري ان اعرابيا جذبه حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عنقه الشريف
من شدة جذبته وقال مر لي يا محمد من مال الله الذي عندك فضحك ثم امر
له بعطا وروى الترمذي عن عايشة رضي الله تعالى عنها لم يكن النبي صلى الله
عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح اي لم
يكن له الفحش خلقا ولا تكسبا وروى البخاري ان رجلا استاذن عليه
فلما راه قال بيس اخو العشيرة وبيس ابن العشيرة فلما جلس
اليه الان له القول وانبسط اليه فلما مضى سالته عايشة عما قال وعما
فعل فقال صلى الله عليه وسلم متى عهدتني فحاشا والعبوة والقليلة
وانبساطه اليه تالف لانه رييس قومه وتعليم الامة وفيه جواز المداراة
اتقا للشر وهي بذل الدنيا لصلاح الدين او الدنيا او هما بخلاف المداهنة
فانها بذل الدين لصلاح الدنيا وهو صلى الله عليه وسلم انما بذل له من دنياه حسن
عشيرته ولم يمدحه فكان قوله فيه حقا وفعله مع حسن عشيرته والحكم
وهذا الرجل بين بعضهم انه عيينة بن حصين الفزاري وقد كانت منه
امور في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد موته تدل على ضعف ايمانه
بل ارتد في زمن الصديق وحارب ثم اسلم في زمن عمر رضي الله عنه
فما قال صلى الله عليه وسلم من علامات النبوة ولا ينافي ما مر انه لم ينتقم
لنفسه امره بقتل عقبة بن ابي معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن
كان يوذيه صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله
تعالى فايسين من ايمانهم ومن ثم لما طمع في ايمان المنافقين اهملهم مع
شدة ايذايهم له بما لا يصبر عليه بشر وصبره على من اجلهم بعدم ايمانه
للمصلحة العامة كما اشار لذلك صلى الله عليه وسلم بقوله لمن قال له



اقتلهم لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وصح عن انس
كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس
وان اهل المدينة فزعوا ليلة فخرجوا فرآه راجعا من جهة الصوت
متقلدا سيفه على فرس لابي طلحة فقال لهم صلى الله عليه وسلم
لن تراعوا ما رايت من باس وصارع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطالا
معروفين بانهم لا يصرعون فصرعهم صلى الله عليه وسلم وفي البخاري عن
البراء بن عازب انه قيل له افررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كان هوازن
رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنايم فاستقبلونا بالسهام
ولقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان
ابا سفيان بن الحارث اخذ بزمامها وهو صلى الله عليه وسلم يقول
انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وثباته نهاية الشجاعة كيف وقد
فر جيشه عنه ولم يبق معه الا بضعة عشر رجلا فوقف صلى الله عليه وسلم
في نحو الوف موقفه على بغلة لا تصلح لكر ولا لفر وهو صلى الله عليه وسلم مع ذلك
يبين يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من جهله ومن ثم
الصحابة رضي الله تعالى عنهم كنا اذا احمر الباس اتقينا برسول الله صلى الله
عليه وسلم اي جعلناه بيننا وبين العدو وقدمناه لجعله مجتمعين به ولما قال
اللعين ابي بن خلف يوم احد اين محمد لا نجوت ان نجا فتناوله صلى الله
عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة وقال لاصحابه بعد ان ارادوا
التعرض له خلوا سبيله فطعنه في عنقه طعنة كان فيها اتلاف نفسه
الخبيثة اللعينة ولا تستخفه اي لا تخرجه عن ثباته وتواضعه

كرمت نفسه فما يخطر السو علي قلبه ولا الفحشاءُ

ومقاله **العسر** أي الرخا والسعة في الجيوش والفتوح التي فتحها في اواخر
حياته صلي الله عليه وسلم بل هو معها كهو قبلها لم يزد الا تواضعا وحلما وعفوا
وصبرا ومن ثم لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح في تلك الجيوش الهائلة
التي [illegible] ابو سفيان قال للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما
فقال له ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم وهو صلى الله عليه وسلم
على ناقته القصوي في لبنيته الخضرا بين ابي بكر واسيد بن حضير جاء انه
وضع راسه ليكاد يمس رجله شكرا وخضوعا للعظمة ان احل له بلده ولم
يحله لاحد قبله وانما اتصف صلى الله عليه وسلم بهذه الكمالات التي لم توجد
في غيره صلى الله عليه وسلم لانه **كرمت نفسه** لانه تعالى لما اراد ايجاد
الخلق ابرز الحقيقة المحمدية من انوار الصمدية في حضرته الاحدية
ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على ما اقتضاه كمال حكمه وسبق
في ارادته وعلمه ثم اعلمه تعالى بكمال نبوته وبشره بعموم دعوته ورسالته وبانه
نبي الانبيا وواسطة جميع الاصفيا وابوه ادم بين الروح والجسد بل ولا
روح ولا جسد ثم انبجست منه عيون الارواح فظهر مددا لها في عالمها المتقدم
على عالم الاشباح وكان هو الجنس العالي على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع
الموجودات والناس فهو صلى الله عليه وسلم وان تاخر وجود جسمه فتميز على جميع
العوالم كلها برفعه وتقدمه اذ هو خزانة السر الصمداني ومحل تنفذ
الامداد الرحماني **ف**بسبب كرامة نفسه صلي الله عليه وسلم وتشريفها من كل
رذيلة ونقيصة **ما يخطر السو علي قلبه ولا الفحشا** كيف وقد
طهره الله تعالى بشق الملائكة المرات المتعددة عند تنقله في الاطوار
المختلفة كما مر بيانه واخرج ما فيه مما جبل عليه النوع الانساني بما يقتضي

جبناد

عظمت نعمة الاله عليه واستقلت لذكره العظماءُ

ذينك ثم طهر وغسل وحشي من الحكم والعلوم ما لا يحيط به الا المنان
به عليه صلى الله عليه وسلم وذكر الفحشا مع العلم بانتفايها بالاولى من انتفا السو
لانها السو الذي جاوز حده لان المقام مقام الاطناب واذا تاملت ما اتاه الله
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بما مر من ذلك الكمالات التي لا تحد ولا تعد علمت انه قد
عظمت نعمة الاله عليه عظمت قطعت ساير الخلق عن ان يصل
احد منهم الي مبادي غاياتها ومقاصد نهاياتها بسبب هذه العظيمة
المذكورة **استقلت لذكره** اي عند او وقت ذكر ما انعم الله به عليهم
لانه صلي الله عليه وسلم اوتي غايات الكمالات الباهرة التي لم يدرك شاوها مخلوق
ولو عوض معها علي جميع ذوي العقول الكاملة جميع النعم والفضايل التي
اوتيها غيره من المخلوقات لاستقلوها وعدوها دون كمالاته وقطعوا بان
ما عنده اعظم واجل وافخم واعاد ضمير ذكره وجملة العظما على ما ذكرته
لان المتن صريح في ذلك باعتبار انه فرع الاستقلال على عظم النعمة وحذرا
من اني لو لم افعل ذلك كا اوهم ذكر الاستقلال على ما هو المتبادر منه عرفا
للاحتقار للعظما الشامل لبقية الانبيا والمرسلين والملايكة المقربين لا سيما
وقد استعمله الناظم فيه بعد بيتين حيث قال مستقل دنياك ولا نظير
مع ذلك الي قبول ذلك الايهام للمنع بان يقال استقلال الشي عده قليلا
شهرة في العرف ولا شك ان ما عداه صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه كنسبة القليل
الي الكثير فان قلت يلزم على تسليم ذلك الايهام ان الاحتقار [illegible] متبادر مما ذكرته
لان اضافته الاستقلال الي النعم يوهم احتقارها وهو محذور ايضا قلت
ممنوع لان النعم الواصلة للعظيم وغيره توصف بالقلة تارة والكثرة اخرى
فلم يوهم ذكر الاستقلال فيها احتقارا اصلا بخلاف الذوات فان وصفها

اقتصر العلاقة ونظيره [illegible] عليه يتذكر العظما ما انعم الله به صح صح صح

حملت قومه عليه فاعضي واخو الحلم دأبه الاغضاء

بانها استقلت بوهم احتقارها اذ لا يستعمل ~~اذ لا يستعمل~~ الاستقلال فيما الابهة المعني غالبا نعم قرينة المقام لا سيما مع مراعاة وصفهم بالعظمة تدفع ذلك الايهام كما هو جلي وبين عظمت والعظما تجنيس الاشتقاق وكان صلى الله عليه وسلم من الحلم عليهم والاغضاعنهم بالغاية التي لم يصل اليها غيره ومن ثم قال حملت قومه عليه اي قريش وغيرهم عليه اي اذوه اذى لا يطاق فضربوه ورموه بالحجارة الى ان ~~ادميته~~ ادموا رجليه فسال منها الدم على نعليه وشجوا وجهه وكسروا رباعيته ورموه بالسحر والكهانة والجنون وتوعدوا اهله فتلك مرات وحصروا الاجله بني هاشم وبني المطلب في شعب سنين حتى كادوا ان يهلكوا من الجوع كما من جميع ذلك في روايات البخاري ومسلم من حديث عائشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد من احد قال صلى الله عليه وسلم لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة وذكر ما مر من ذهابه الى ثقيف فاغروا به سفاهم وصبيانهم فضربوه ورجموه فاعضي عنهم حلما وتكرما لا سيما وقد جاءه لما ان اشتد ايذاوهم له ملك الجبال كما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة السابق انفا انه قال بعد ان ذكر ما اذاه به ثقيف لما خرج اليهم بعد موت ابي طالب يدعوهم الى الله سبحانه وتعالى ويستنصرهم على قريش فانطلقت وانا مغموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب ميقات اهل الحجاز فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتامره بما شيت فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وانا ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتامرني بامرك

ان شيت ان اطبق عليهم الاخشبين فقال صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيا فكان الامر كما رجا صلى الله عليه وسلم واخو الحلم اي الاناة في الامور وعدم الانتقام ممن اتى بمكروه وان عظم اي الذي طبع عليه حتى صار غريزة له مختلطا بلحمه ودمه دابه اي شانه وعادته المستمر هو عليه الاغضا اي التغافل من ان يلتفت الى انه اوذي فضلا عن ان ينتقم ممن اذاه وفي كلامه المقابلة لما قدرته ان المراد بالجهل لازمه من ايذايه بل الايذا ومن ثم لما اذوه يوم احد فشجوا وجهه وكسروا رباعيته قيل له ادع عليهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون اي علما ينتفعون به لما جهلهم اي اعتقادهم الذي على خلاف ما هو عليه وكثير منهم كانوا كذلك فكانوا يعتقدون حل ايذايه صلى الله عليه وسلم وسعا تلته فما لوا التقنت فلو بهم اليه اذي النفانه من معجزاته صلى الله عليه وسلم ليعلموا الحق واتبعوه من فورهم واما العناد هم وهم الاكثرون قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فترك عليهم منزلة الجهال بل هو اضر منه كما لا يخفى وهذا يعلم ان في تعبير الناظم بالجهل تضمنا لجمل قوله لا يعلمون وان المراد بالحلم لازمه من عدم الانتقام بين الاسال والاعطا والتحقيق والظن الاتيان وفيه ايضا جناس الاشتقاق ورتبة المقابلة ايضا بين اغضي والاغضا والتذييل بالمثل السائر واصل الاغضا اطباق العين عن روية المكروه فاستعير لما ذكر بجامع الاعراض عن المكروه فيهما واذا كان اخو الحلم دابه ذلك فكيف نبينا صلى الله عليه وسلم وهو الذي وصل في الحلم الى غاية لم يصل اليها مخلوق لان الله تعالى هو الذي تولى تاديبه لنفسه وافاض عليه من حقايق حلمه رتبة مدحت قال له خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وفسرها جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم حين ساله فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل

اذ نبي

من قطعك وتعطي من حرمك وتعفوا عمن ظلمك وكل من اثر له حلم واحتمال عرفت
له زلة او هفوة الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيد على كثرة الاذى الا صبرا وعلى
جهل الجاهلين وان بلغ الغاية الا حلما ولقد قالت عائشة رضي الله تعالى عنها
ما رايته منتصرا من ظلمة ظلمها قط الا ان تكون حرمة من محارم الله تعالى اي المتعلقة
به تعالى كما مر ذلك مبسوطا في شرح قوله لا تحل الباسا منه عرى المصبر ومنه
قصة الاعرابي الذي جذبه بردايه حتى اثر في عنقه الشريف وقال له اعطني من
مال الله لا من مالك ولا من مال ابيك فقال صلى الله عليه وسلم المال مال الله
وانا عبده ثم طلب منه القود فقال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة
السيئة فضحك وامر له بحمل بعيرية ومر في قصة اليهودي الذي اسلم ان من علامات
نبوته صلى الله عليه وسلم ان حلمه يسبق غضبه وانه لا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما
ولما دخل في غزوة فتح مكة على قريش وقد جلسوا في المسجد الحرام واصحابه
ينتظرون امره فيهم من قتل او غيره قال لهم ما تظنون اني فاعل بكم قالوا
خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال صلى الله عليه وسلم اقول لكم كما قال اخي يوسف
لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء **وسع** بالكسر **العالمين** جمع
عالم وللمحققين في الاية متسع لا باس بتلخيصه وتحريره هنا وهو اشتقاقه
من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم اسم لما يختم به مع كونه مستعارا الخ ثم غلب فيما
يعلم به الخالق تعالى فصار اسما لكل ما سواه تعالى من الجواهر والاعراض فانها لامكانها
وافتقارها الى موثر واجب لذاته تدل على وجوده وجمع ليشمل ما تحته من الاجناس
المختلفة ولا يعارضه ان المفرد وهو العالم دال على الشمول والاستغراق اذ
الجمع قد يحتمل غير الشمول لان الغرض هنا افادة ان له اجناسا مختلفة كالجن
والانس والملائكة والافلاك والدواب والجماد وغير ذلك واستغراق

جميعها

جميعها بطريق المطابقة ولو قيل العالم لاوهم الاستغراق بعض افراد تلك
الاجناس فقط ولاصحاب حواشي الكشاف هنا كلام متباين هذا احسنه وغلب
من جمع بالواو والياء والنون العقلا لشرفهم وجمع جمع قلة مع ان الظاهر مستدع
للاتيان بجمع الكثرة تنبيها على ان العوالم وان كثرت قليلة في جنب عظمة الله
تعالى وكبريائه وقيل اسم وضع لذوي العلم وهم الانس والملائكة والجن وتناوله
لغيرهم على سبيل الاستتباع وهو مشتق وقيل عني به الناس فان كل واحد منهم
عالم من حيث انه يشتمل على نظير ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض التي
يعلم بها الصانع ولذلك سوى بين النظر فيهما فقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
وقد بين حجة الاسلام في كتابه الانتصار لما في الاحيا من الاسرار وجه اشتمال
الانسان على نظير ما في العالم حتى فيه الانسان فراجعه فانه بديع ومنه ان العالم
انقسم الى عالم الملك وهو الظاهر للحواس والى عالم الملكوت وهو المدرك
بالعقل وعالم الجبروت وهو المتوسط الذي اخذ بطرف كل عالم منهما والانسان
كذلك فالمشابهة للاول اجزاء بدنه وللثاني نحو روحه وعقله وارادته وللثالث
الادراكات الموجودة في الحواس والقوة الموجودة باجزاء البدن **علما** تمييز اي
وسع علمه صلى الله عليه وسلم علوم العالمين الانس والملائكة والجن لان الله تعالى اطلعه
على العالم فعلم علم الاولين والاخرين ما كان وما يكون كما مر وحسبك في ذلك
القران الذي اوتيه صلى الله عليه وسلم ومثله معه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم وقد قال
تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء ويلزم من احاطته صلى الله عليه وسلم بالعلوم القرانية
ومثلها الذي اوتيه صلى الله عليه وسلم احاط بعلوم الاولين والاخرين وان علومهم
مندرجة ومنغمرة في علومه صلى الله عليه وسلم **وحلما** تمييز اي وسع حلمه العالم باسرهم
كما عرف مما سبق انه ما من حليم قط الا وقد عرفت له زلة او هفوة تخدش في كماله

مستقل دنيا ل ان ينسب الامساك منها اليه والاعطاء

حلمه الانبيا صلي الله عليه وسلم فانه لا تزيده شدة الايذا والجهل
عليه الا حلما وعفوا وصفحا وبين حلما وما قبله الجناس المضارع فهو
بسبب جمعه لتلك المعاني التي لم تجتمع لغيره **بحر** اي واسع
العلم والحلم وغيرهما من اخلاق نفسه الزكية وصفاتها العلية فهو تشبيه
بليغ او استعارة علي قول مر دود اي كالبحر الذي هو خلاف البر والبحر سمي
بحرا لاتساعه وعمقه **لم يعيه** من اعيي فلان في مشيه اي تعب
او وقف **الاعبا** جمع عبء بكسر اوله وبالموحدة والهمزة وهو الحمل
والثقل من شيء كان اي لم يكن يحصل عنده شك ولا شبهة ولا يحرجه ايذا
ولا جهالة فاستعار الاعبا لكدورة المشرب والاعبا للشبهة والجهالات
واذا تاملت ما تقدم من اوصاف كماله الباهر وعصمته ونزاهته الظاهرة
وانه البحر الذي اندرجت البحار كلها في يمه والحكيم والكريم الذي دخل كل
كريم وحكيم تحت حيطة كرمه وحلمه علمت انه صلي الله عليه وسلم لعصمته
عن التلفت لما سوي الله تعالي **مستقل** اي محتقر **دنيا ل** اي الاموال
التي هي من جملتها اذ هي في الاصل اسم لما بين السما والارض **ان ينسب
الامساك منها اليه و** ان ينسب اليه ايضا **الاعطا** منها
لانها لعنايها وكثرة الاستغال بها عن المعالي حقيقة بريد الاعراض
عنها وعدم الالتفات اي امساكها واخراجها ولو لم يستحقها احتقارا
لشانها وتعليما للامة عدم الاعتداد بها ودليل اعراضه صلي الله عليه وسلم
عنها اشد الاعراض خبر الترمذي انه صلي الله عليه وسلم قال عرض علي ربي
ان يجعل لي بطحا مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكني اشبع يوما واجوع
يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك

وحكمة

وحكمة هذا التفضيل الاستلذاذ بخطابه تعالي والا فهو عالم بالاشيا
جملة وتفصيلا وروي الطبراني باسناد حسن انه صلي الله عليه وسلم
كان هو وجبريل علي الصفا فقال يا جبريل والذي بعثك بالحق ما امسي
لال محمد شبعة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع
من اسمع هدة من السما افزعته فقال صلي الله عليه وسلم امر الله القيمة
ان تقوم قال لا ولكن امر اسرافيل ان ينزل اليك حين سمع كلامك
فاه اسرافيل فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزاين الارض
وامرني ان اعرض عليك اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة
فقلت فان شيت نبيا ملكا وان شيت نبيا عبدا فاوما اليه جبريل ان
تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلاثا فانظر اي همته العلية كيف عرضت
عليه خزاين الارض فنأي عنها واباها مع انه لو اخذها لم ينفقها
الا في طاعة الله تعالي فاختار العبودية المحضة فيا لها من همة شريفة
رفيعة ما اسناها ونفس زكية كريمة ما اعلاها وقد اشار الناظم اي ماهنا
بقوله في بردة المديح وراودته الجبال الشم من ذهب الابيات الثلاثة
ومعني البيت الثالث كيف تدعو الضرورة سيد المعصومين الي زخرف
الدنيا وزينتها وهي وما فيها انما خلقت لاجله كما صرح به الخبر السابق تنبيه
قوله هنا مستقل الخ احسن من قوله ثم واكدت زهده فيها ضرورته
لان بعض العلما انكر وصفه صلي الله عليه وسلم بالزهد ويؤيده قول محمد
ابن واسع وقد قيل له فلان زاهد فقال وما قدر الدنيا حتي يزهد فيها
واذا انكر وصفه بالزهد فالضرورة من باب اولي وفي السيف المسلول
للتقي السبكي عن الشفا واقره ان فقها الاندلس افتوا باراقة دم من

وصفه صلى الله عليه وسلم في اثنا مناظرته باليتم ثم زعم ان زهده لم يكن قصدا
ولو قدر على الطيبات اكلها وذكر البدر الزركشي عن بعض المتاخرين انه كان
يقول لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا حاله حال فقير بل كان
اغنى الناس بالله تعالى قد كفي امر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول في قوله
صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا ان المراد استكانة القلب لا المسكنة
التي هي ان لا يجد ما يقع موقعا من كفايته وكان يشدد التكبير على من يعتقد
خلاف ذلك انتهى واما خبر الفقر فخري وبه افتخر فموضوع وقد صح انه صلى
الله عليه وسلم استعاذ من فتنة الفقر كما استعاذ من فتنة الغنى فايدة
اكثر القران يشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعواهم الى الاخرة بل هذا
هو المقصود بالذات من سائر الشرائع كيف وهي عدوة لله تعالى لقطعها طريق
الوصلة اليه ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها وعدوة لاوليايه لانها تزينت
لهم بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وعدوة لاعدايه
لانها استدرجتهم بمكرها واقتنصتهم بشبكها حتى وثقوا بها فخذلتهم احوج
ما كانوا اليها وروى جماعة في قصة ثعلبة بن ابي حاطب الذي انزل الله فيه
ومنهم من عاهد الله لين اتانا من فضله لنصدقن الايات انه سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يدعو له بان الله يرزقه مالا فقال له صلى الله عليه وسلم قليل تودي
شكره خير من كثير لا تطيقه فاعاد السوال فقال له صلى الله عليه وسلم اما لك
في اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبي الله اما والذي نفسي بيده لو شيت ان تسير
معي الجبال ذهبا وفضة لسارت الحديث بطوله وصح انه صلى الله عليه وسلم راى
شاة ميتة فقال والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله عز وجل من هذه
الشاة على اهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا

منها

منها شربة ماء وفي الخبر الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم
او متعلم وصح ان ابا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه دعا بشراب فاتي بماء وعسل فبكى حتى
ابكى اصحابه ثم مسح عينيه فسالوه فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرايته يدفع عن نفسه شيا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع
عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي فقلت اليك عني ثم رجعت فقالت
ان افلت مني لم يفلت مني بعدك وصح من جملة الحديث المشهور فوالله
ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان تسلط عليكم الدنيا كما سلطت على من كان
قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم تنبيهان اولهما
المراد بالدنيا المذمومة في الاحاديث وغيرها ما في قوله تعالى زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين الاية ويجمع ذلك كل ما لك فيه عاجل حظ او شهوة من غير ان يعين
على عمل اخروي ولا يقصد به ثانيهما تعارضت الاحاديث في ذم الدنيا وسمي المال
خيرا وفي الحديث نعم المال الصالح للمرء الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والضيافة
والاحسان والزكاة والحج ونحوها فهو ثنا على المال لانه يتوصل به اليه وفي حديث البيهقي
وغيره كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثنا على المال وصح على نزاع فيه ولذلك قال بعض
الحفاظ انه حسن وزعم بطلانه غلط صريح خبر اللهم من امن بي وصدقني
وعلم ان ما جيت به هو الحق من عندك فاقلل ماله وولده وحبب اليه لقاءك وعجل له
القضا ومن لم يومن بي ولم يصدقني ولم يعلم ان ما جيت به الحق من عندك
فاكثر ماله وولده واطل عمره وطرقه كثيرة مختلفة سندا وهي صحيحة على شرط الشيخين
ووجه الجمع ان المدعو به في الاول من قلة المال والولد المراد منه قلة فتنتهما
لان الغالب فيهما الفتن كما هو واضح من الايات والاحاديث وفي الثاني من كثرتهما
والمراد به فوايدهما وثمراتهما الاخروية فالمال ليس خيرا محضا من كل وجه ولا شرا محضا

شمس فضل يحقق الظن فيه انه الشمس رفعة والضياء

من كل وجه وانما هو كالسيف في يد القاتل يقتل به معصوما تارة ومهدورا اخرى
او كحية في يد انسان فيها سم وترياق لكن سمها اكثر واغلب واوحى للنفس واذهب
واذا تاملت ايضا ما تقرر من كمالاته العلمية علمت انه صلى الله عليه وسلم شمس سما
العلوم والكمالات باسرها كيف وكل فضل تحلى به كل كامل فانما هو بواسطة
استمداده من فضله واذا كان الامر كذلك تحقق من حق بمعنى ثبت
الظن يعني الاعتقاد الجازم المطابق للواقع الظن اي في ذاته وصفاته انه
بالنسبة الى بقية الكمل في اشراقه ورفعته عليهم الشمس المشرقة على هذا العالم
البائنة عنه رفعة فلا يصل اليها احد منهم وانه الضيا المفيض عليهم
اضوا الكمالات وخوارق الامدادات وبين الشمس والضيا تجنيس مراعاة النظير
وفيها التشبيه البالغ والاستعارة الاصلية المطلقة على القول الذي مر رده ومر
اوايل الكتاب ما للبلغا في التشبيه بالشمس فراجعه لكن ليس كون المشبه به
اعلى من المشبه امرا مطردا الا بل قد ينعكس الحال كما في صلاة التشهد كما صليت
على ابراهيم على احد الاجوبة فيه وما هنا من ذلك كما نبه الناظم رحمه الله تعالى لذلك
حيث بين انه صلى الله عليه وسلم املا شانا في الضيا من الشمس فقال عاطفا بفا
السببية اشعارا بالنكتة التي ذكرنا انه تنبه لها بسبب ان المشبه قد يكون
اعلا من المشبه به كان شانه صلى الله عليه وسلم انه اذا ما لم يتكلم الجمال بن هشام على
هذه في المغني مع اتيانها في القران في غير موضع وتكلم على اذ ما مع كونها ليست فيه
وتكلم على تلك ابنها السبكي في عروس الافراح في ادوات الشرط لكنه لم يتعرض اي
ان زيادة ما هل لها اي الحرفية او لا قال الجلال السيوطي يحتمل ان يجري فيه قولا
اذ ما فقول من انها حرف والمبرد وغيره انها باقية على الظرفية ويحتمل انه يجزم
ببقايها على الظرفية لانها ابعد عن التركيب بخلاف اذ ما انتهى وفيما علل به

فاذا ما ضحي محي نوره الظل وقد اثبت الظلال الضحاء

الجزم نظر لانه قابل للمنع فالذي يتجه جريان الخلاف وان الاصح بقاوها على الظرفية
لان ما تواردت في نحو ذلك كثيرا ويجري فيها احكام اذا غير الفجائية من ان الغالب
انها ظرف للمستقبل مضمنة معنى الشرط وتختص بالجمل الفعلية ولو مقدرة كاذا
السما انفطرت وتحتاج لجواب وتقع في الابتدا عكس الفجائية نحو اذا هم يستبشرون
او فعلية طلبية كذلك وقد يقدر الجواب لدلالة السياق والمقام عليه عند المحققون
على ان ناصبها شرطها والاكثرون على انه ما في جوابها من فعل او شبهه ولا تخرج عن الظرفية
عند الجمهور وزعم الاخفش فمن حتى اذا جاوها انها مجرورة بحتى وابن جني في اذا وقعت
الواقعت بناء على نصب خافضة رافعة ان اذا الاولى مبتدا والثانية خبر والمنصوبان
حالا وكذا اليس ومعمولها نعم قد تخرج عن الاستقبال فترد للحال نحو والليل اذا
يغشى وللماضي نحو واذا راوا تجارة الاية فانها نزلت بعد الروية والانفضاض
وعن الشرطية نحو واذا ما غضبوا هم يغفرون فهي ظرف لخبر المبتدا او زعم
ان جوابها انتقد يرفهم غفلة عن ان حذف الفا ضرورة وقد يستعمل الاستمرار
الازمنة نحو واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وقد ينظر فيه بان الاستمرار
هنا وفي نظاير التي استدلوا بها انما اخذ من قرينة السياق دون موضع اذا
وتفارق ان اذا في احكام كثيرة منها ان اذا للمتيقن والمظنون الكثير الوقوع
كما هنا في اذا ما وان الموهوم النادر ولا يرد ولين متن لان الموت لكثرة الغفلة
عنه وللجهل بوقته نزل منزلة الموهوم ولا نحو واذا مس الانسان الضر لانه
لتخويفهم واخبارهم بانه لابد ان يمسهم شي من العذاب ضحى اذا امسى
عقب طلوع الشمس وهذا ليس لتقييد الجزا به اذ محو نور الظل يكون في هذا
الوقت وغيره لكنه في هذا الوقت اظهر لقوة ضيا الشمس ومحو نورها حينئذ
محي نوره وبين محي وضحي التجنيس اللاحق وهذا والضحي تجنيس

الاشتقاق **الظل** مفعول اي ظل ذاته الكريمة او مطلق الظل مبالغة بل
حقيقة لان نوره صلى الله عليه وسلم اصل كل نور وهو لا يبقى معه ظلمة ومنها الظل
او المراد بالظل كل ضلالة ونقص ونبوره ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الكتاب
والسنة والعلوم والاداب والحال انه **قد اثبت الظلال** جمع ظل وهو
ما تنسخه او ينسخها وهو اخص من الفي لانه اسم لما بعد الزوال من الظل
فهو ما نسخ الشمس وقيل كلما نسخته فهو ظل وكلما لم تنسخه فهو ظل الا في **الضحى**
اي ارتفاع الشمس ومدّه لضرورة النظم فنبينا صلى الله عليه وسلم الكامل الشمس رفعة
وضوا لان نورها يثبت الظل ونور نبينا يمحوه ويدل على المعنى الاول
ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم انه اذا مشى لا يظهر له ظل لطهارة ذاته عن
كل نقص ولان الله تعالى استجاب له دعاه المشهور انه يجعله كله نورا فكان
كذلك وكان بدنه في غاية الاضاة التي لا تحجب ما يقابلها قيل مد الضحى لضرورة
النظم انتهى وفيه نظر بل الذي في القاموس ان الممدود بفتح اوله ما قرب من انتصاف
النهار كما هو مشهور ذكران المقصور الشمس وح اريد بالضحى المشمس كان به مرزوره
او قرب انتصاف النهار كان ملك صحيحا لا ضرورة فيه لكن المراد بضحى على هذا
مطلق ظهوره في هذا الكون باضافة الكاملة تنبيه لك ان تستشكل
قوله شمس فضل الخ بان حكمه عليه بانه شمس الفضل الذي هو اسم لكل كمال علم
انه الشمس في الرفعة وانه الضيا فقوله تحقق الخ لا حاجة اليه وجوابه ما اشرت
اليه في حله من ان جملة تحقق الظن فيه الخ حال موكدة لما قبلها وصاحب
الحال الضمير العايد عليه صلى الله عليه وسلم اذ مستقل وشمس فضل معطوف
على خبر بحذف حرف العطف او بقدر لكل مبتدا استينافا لتعدد شمايله صلى الله
عليه وسلم اشار الي ان كل مستقل كامل في ذاته لتضمنه للبقية كما هو في شرح

قوله

كان الغمامة استودعته من اظلت من ظله الدفاء

قوله كل وصف له ابتدات الي اخره ولما يرد على ظاهره ما قرره نظرا فلا احتمال
الثاني من ان نوره صلى الله عليه وسلم يمحو الظل الا ما سبق له صلى الله عليه وسلم ان الغمامة
كانت تظله بان يقال كيف يمحو انوار الظل والغمامة الظلة فلم لم يمح نوره ظل
الغمامة ولم احتاج اليه مع انه الضيا الاعظم من ضيا الشمس فلا يوثر فيه اشارة الي
جواب ذلك مما تقصر عنه عبارته بادي الراي فقال بسبب محو نوره الظل
الحسي على ما مر صلى الله عليه وسلم هو الظل المعنوي الاعظم على جميع اتباعه حتى **كان**
الغمامة لما اظلته قبل النبوة ارهاصا وتاسيسا لما سيصير اليه امره اعلمته
بانها **استودعته** الامة باسرها لكن اصحابه بلا واسطة وهم الذين من
بعدهم بواسطه استمد الاولين والاخرين من ظله صلى الله عليه وامدادهم بل الذي
بعدهم من ذلك الظل فبالذين بواسطتهم **من** اي الذين **اظلتهم من**
بعض **ظله** الاعظم **الدفا** جمع داف كعلما جمع عالم وهم جيوشه سمي
الجيوش بذلك لانهم يدفون نحو العدو اي يسيرون اليه لدفعه واستيصاله وخاطر
الجواب ان ذلك التظليل الذي كان قبل النبوة كان لحكمتين احداها الارهاص كما تقرر
وثانيهما اعلامه صلى الله عليه وسلم بما سيؤول اليه امره من الله سيجعل له امة اكثر الامم
وهم قرون متفاوتون وان كل قرن يستمد من القرن الذي قبله وان الكل مستمدون
ومملون من ظله صلى الله عليه وسلم بما سيؤول سيجعل فلا تنافي بين محو نوره الظل وبقا
الظل مع نوره عند تظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم لان المحو هو الاصل المستمر والبقا انما
كان على خلاف الاصل للحكمتين المذكورتين احداها الارهاص والثانية الاعلام لعموم
ظله المعنوي على الامم او لهم الي اخرهم فتامل ذلك فانه مهم بل اتعلق معنى هذا
البيت في نسخة فاغبر مفهوم المعنى وبسبب انغلاقه عليه جعل الضمير المفعول
في استودعته للظل لا يقال بل ما قاله من رجوعه للظل يتضح به المعنى لكون

حاصلنا الدفا الطيور يلوف في البيت التلميح الي قصة هي ان الطيور كانت تظل الانبيا قبله كداود وسليمان بل بني اسرايل وظللنا عليهم الغمام فكانه يقول الغمامة لما اظلته استوعبت الظل للانبيا الذين اظلتهم الطيور من ظله لانا نقول هذا المعني لا يطابق اللفظ سلمناه مع ما فيه من البعد والتكلف فرق بين وفقا فعلا وهو انما يكون هذا العقيلا اذا كان وصف ذكرعاقل بشروط اخر لما دل علي سجية حدا وذم بشروط اخري كشجاع وصالح وصلحا وشاعر وشعرا وجاهل وجهلا فعلم انه لا يصلح جمعا علي الطيور اصلا لانه انما جمعا لصفة عاقل مذكرا وسجية حدا وذم ببشر لم يكن علي ان الذي سمع في الطيور دفوف في العقاب وفعلا لا يجمع اصلا وداف فيما يطير بجناحيه ولا يصف وهو وصف لغير العاقل ودفيف وهو ليس وصفا للطاير بل بحركته بتسليم انه وصف له وهو غير عاقل فان قلت المعني الصحيح ان الغمامة لما اظلته استوعبت الظل الطيور التي اظلت الانبيا عليهم الصلاه والسلام من ظله عليه الصلاه والسلام فهلا يحمل النظم عليه قلت يعارضه ما تقرر في قاعدة جمع فعلا وبتسليمه بجواز اتي الجمع فالتكلم يبني علي هذا المعني بكل وجه كما هو واضح فان قلت ظاهر كلام الناظم في البردة انه احتاج لتظليل الغمامة لتقيه حر الشمس فينافي ما مر ان تظليلها للحكمتين السابقتين قلت ما فهمه كلامه لم يعارضه ان تظليلها لم يكن الا قبل النبوة ارهاصا كامر ولو كان ما ذكره لكان بعد النبوة ايضا فان قلت قد ظلل عليه صلي الله وسلم عليه عند رميه للجمرة بثوب وهو يشعر بالاحتياج قلت هذا من ضرورة الجبلة البشرية وما نحن فيه من حيث الحقيقة والامور الاصلية فتامله وايضا فهو صلي الله عليه وسلم برز للشمس في عرفة ولم يظلل اشارة الي انه السنة للمحرم ان يبرز للشمس وظلل عند الرمي اي انه لا يسن البروز للشمس هنا كذا ذكروه وعليه فلا اشكال اصلا

خفيت عنده الفضايل وانجابت به عن عقولنا الاهواء امع الصبح للنجوم تجل او مع الشمس للظلام بقاء

وبرت قصة تظليل الغمام ورواياتها في شرح قوله و اتاها ان الغمامة والسرح اظلته منهما افيا واذا تقرر ان كل فضل مستمد من فضله صلي الله عليه وسلم وان نوره يمحوا الظل علي ما سبق معناه وعلم انه **خفيت عنده** اي في جنب ما ودنيه **الفضايل** التي اوتيها غيره من الانس والملايكة والجن **و** انه قد **انجابت** اي انكشفت **به** اي بسبب ما فيه فينا من علومه واداته واخلاقه **عن عقولنا** جمع امة الاجابة والعقل لغة المنع واصطلاحا غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الالات وفيه خلاف طويل اشار اليه في القاموس وعبارته العقل العلم بصفات الاشيا حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها او العلم بخير الخيرين وشر الشرين او مطلق الامور او القوة بها يكون التمييز بين الحسن والقبيح ولمعان مجتمعة في الذهن يكون بمقدمات تثبت بها الاغراض والمصالح او هيئة محمودة للانسان في حركاته وسكناته وكلامه والحق انه نور روحاني به تدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية وابتدا وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينموا الي ان يكمل عند البلوغ انتهي **الاهوا** اي الضلالات والنقايص فلم تقع في ورطة شي منها وقع فيهما من الاعراض عن الهدي وسلك سبيل الردي ثم استدل علي ذلك الخفا وكشف الهوي بما افاده الاستفهام الانكاري فقال علي طريق اللف والنشر المرتب **ا** يوجد **مع الصبح للنجوم تجل او** يوجد **مع الشمس للظلام بقا** اي انما خفيت الفضايل عنده لانه الفجر الصادق وغيره من سائر الكمل كالنجوم لا يبقي لها نور مع الفجر فلذلك ساير الكمل وانما كشف عن عقولنا الاهوا لانه الشمس كما مر والاهوية والنقايص كالظلام فكما ان الظلام لا يبقي مع الشمس فكذلك الاهوية والضلالات لا تبقي مع اشراق الشمس من غير حايل بينهما وبين ما اشرقت عليه وبين الصبح والنجوم والشمس والظلام تجنيس التقابل وفي البيت الكلام الجامع ولما قرر ما يتعلق بقوله شمس فضل بما بعده اي هنا لانه مناسب له عطف بحذف

معجز القول والفعال كريم الخلق والخلق مقسط معطاء

حرفه او استانف نظير ما من فعاله **معجز القول** لان الله تعالى امتن عليه بجوامع الكلم التي اوتيها دون غيره من ثم قال بعض العلما ان كلامه معجز كالقران ولان الناظم رحمه الله اعتمد هذا القول حيث عبر بما يوافقه وان احتمل ان يريد ما يوافق مذهب الاكثرين ان كلامه صلى الله عليه وسلم غير معجز **ومعجز الفعال** فلا يقدر مخلوق ان يوجد فعلا مطابقا لساير المصالح الظاهرة والباطنة في ذلك الوقت الذي اوجد فيه ذلك الفعل عنه صلى الله عليه وسلم وهذه هي مرتبة وارث الحضرة الالهية التي لا يدخل اليها احد الا باذنه **كريم الخلق** كما يعلم مما قدمته مبسوطا في شرح قوله فتنزه في ذاته الخ **وكريم الخلق** بضم اوله كما مر مبسوطا في شرح قوله ما سوى خلقه النسيم وبين القول والفعل والخلق والخلق تجنيس التغاير مع تجنيس التحريف في الثاني **مقسط** اي عادل في احكامه واقواله وافعاله صلى الله عليه وسلم فلا يجد ربك منه قط الا على غاية العدل باطنا وظاهرا باتفاق كل من يراه ويعلم احواله حتى اعدايه وحساده الاترى ان قريشا لما بنوا الكعبة والنبي صلى الله عليه وسلم معهم قبل النبوة فوصلوا الى موضع الحجر الاسود اختلفوا في من يضعه في محله ثم اجمعوا ان يحكموا اول داخل المسجد فكان النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا الامين نحكمه فامر صلى الله عليه وسلم بوضعه بثوب وامر كل رئيس قبيلة ان يمسك بطرف الثوب ثم يرفعوه ففعلوا الى ان بلغ به محله فاخذه صلى الله عليه وسلم ووضعه في محله وصح ان رجلا قال له وهو صلى الله عليه وسلم يقسم اعدل فقال صلى الله عليه وسلم ويلك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل وكان صلى الله عليه وسلم ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر وكان صلى الله عليه وسلم لا يواخذ احدا بقول احد ولا يجد احدا في احد **معطا** اي كثير العطا

بقول

الذي

الذي يعجز عن امثاله الملوك فقد صح عن انس كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس واجود الناس واقتصاره على هذه الثلاثة من جوامع الكلم التي منحها من امداده صلى الله عليه وسلم لانها امهات الاخلاق اذ في كل انسان ثلاث قوى الغضبية وكمالها الشجاعة والشهوانية وكمالها الجود والعقلية وكمالها اكتساب الفضايل واجتناب الرذايل وصح عنه صلى الله عليه وسلم شيا الا اعطاه فجاءه رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطي عطا من لا يخاف الفقر واعطى صفوان بن امية يوم حنين حتى اسلم اعطاه ماية من الغنم ثم ماية ثم ماية وصح عن جابر ما سيل صلى الله عليه وسلم عن شي قط فقال لا اي لا ينطق بالرد بل ان كان عنده المسول وساغ الاعطا ان لم يرما عنده لما هو اهم اعطاه والا سكت كما في حديث مرسل فيح لاينافي الحديث الاية قلت لا اجد ما احملكم عليه فهو صلى الله عليه وسلم لا يقولها منعا للعطا بل اعتذارا حيث لا ينفع السكوت لنحو جهل السايل وفي حديث الترمذي انه حمل اليه تسعون الف درهم فقام اليها فما رد سايلا حتى فرغ منها وقال لسايل ما عندي شي ولكن ابتع علي فاذا جاءني شي قضيناه فقال له عمر رضي الله تعالى عنه ما كلفك الله ما لا تقدر فكره منه ذلك فقال انصاري اتفق يا رسول الله ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم وعرف البشر في وجهه صلى الله عليه وسلم وقال وبهذا امرت وقوم ما اعطاه يوم حنين فكان خمسماية الف الف قيل هذا نهاية الجود الذي ما سمع لاحد مثله وصح انه صلى الله عليه وسلم اتي بمال من البحرين فامر صلى الله عليه وسلم بصبه في المسجد وكان اكثر مال اتي به صلى الله عليه وسلم وفي رواية مرسلة كان ماية الف فخرج للصلاة فلم يلتفت اليه ثم بعدها جلس اليه ففرقه صلى الله عليه وسلم ومع هذا الجود الواسع الزايد كان صلى الله عليه وسلم يعيش عيش الفقرا ويأتي عليه الشهران لا يوقد في بيته نار

ايه ماشيل
صح

لا تقس بالنبي في الفضل خلقا فهو البحر والانام اضاء
كل فضل في العالمين ومن فضل النبي استعاره الفضلاء

وربما ربط الحجر على بطنه الشريف من شدة الجوع وجاءه سبي فسالته فاطمة رضي
الله تعالى عنها خادما يكفيها مؤنة بيتها فامرها صلى الله عليه وسلم ان تستعين بالتسبيح والتكبير
والحمد وقال صلى الله عليه وسلم لا اعطيك وادع اهل الصفة تطوي بطونهم من الجوع
واذا علمت اتصافه صلى الله عليه وسلم بهذه الاوصاف الجليلة التي لم يوجد مثلها ولا
يقاربها في مخلوق غيره علمت ان من الواجب على كل من عرف ذلك ان يقول
لمن لم يعرفه حق معرفته **لا تقس** من قست الشي بغيره قدرته على مثاله
اي لا تشبه **بالنبي** الموصوف بما ذكر وهو نبينا صلى الله عليه وسلم **في الفضل**
الجامع لتلك الاوصاف بل ولا في كل وصف منها على حدته لان كل وصف من
اوصافه صلى الله عليه وسلم وصل فيه الى غاية لم يلحقه مخلوق فيها **خلقا** نبيا
او ملكا او غيرهما اي لا تعتقد ان مخلوقا يساويه او يقاربه في وصف من اوصاف
كماله صلى الله عليه وسلم لما مر اول الكتاب في شرح قوله لم يساووك في علاك الخ **فهو**
لا غيره **البحر** الجامع لكل وصف من اوصاف الكمال البالغ النهاية فيه **والانام**
هو كما في القاموس كسحاب والانام بالمد والانيم كامير الخلق او الجن والانس
او جميع ما على وجه الارض انتهى والمراد هنا الاول بدليل قوله الاتي في العالمين
اضا بالكسر والمد جمع اضاة كقناة وهي الغدير وتجمع ايضا على اضا كقنى وشتان
ما بين البحر والغدير ففيه مراعاة النظير وكيف لا و**كل فضل** وجد **في
العالمين** الانس والجن والملائكة **و**هو كائن **من فضل** ذلك **النبي**
الاكرم على ربه من سائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين وبين فضل والفضلا
تجنيس الاشتقاق **استعاره** حال من ضمير الظرف المستقر **الفضلا** لانه
المدد اذ هو وارث الحضرة الالهية والمستمد منها بلا واسطة دون غيره
فانه لا يستمد منها الا بواسطة فلا يصل الكامل منها شي الا وهو من بعض مدده

وعلى يديه فايات كل نبي انما هي مقتبسة من نوره صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله
عليه وسلم كالشمس وهم عليهم الصلاة والسلام كالكواكب فهي غير مضيئة بذاتها وانما هي
مستمدة من نور الشمس فاذا غابت اظهرت انوارها انهم قبل وجوده صلى الله عليه وسلم
انما كانوا نوابا يظهرون فضله وانوارهم مستمدة من نوره الفائض ومدده الواسع
الا ترى ان ظهور خلافة ادم واحاطته بالاسماء كلها انما هو مستمد من جوامع الكلم
المخصوص به نبينا صلى الله عليه وسلم ثم توالت الخلائق الى زمن بروز جسمه الشريف
فلما برز كان كالشمس اندرج في نوره كل نور وانطوى تحت منشور اياته كل اية
لغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام فلم يعط احد منهم كرامة او فضيلة الا وقد اعطي
مثلها او اعظم منها كما سبره الايمة ووضحوه ومنه ان ادم لما اعطي خلق الله تعالى بيده
اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم انه شق عن صدره وملاه ذلك الخلق النبوي فتولي من ادم
الخلق الجسمي ومن نبينا صلى الله عليه وسلم الخلق النبوي ولذا كان هو المقصود من
خلق ادم ومن ثم لم يكن سجود الملائكة الا لنور محمد صلى الله عليه وسلم الذي في جبهة
ادم كما قاله الفخر الرازي وادريس لما اعطي المكان العلي اعطي لنبينا صلى الله عليه وسلم
المعراج الاخ ونوح لما ان نجاه وقومه اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله لم يهلك
امته بعذاب عام ووقع في تفسير الرازي انه صلى الله عليه وسلم اعطي مكان السفينة
انه صلى الله عليه وسلم دعا حجرا وهو على شط ما فانقلع وسبح الى ان جا اليه وشهد
له بالرسالة وابراهيم عليه الصلاة والسلام لما نجا من النار نجا نبينا صلى الله عليه وسلم من
نار الحرب قال تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وروى النسائي انه
احترق جلد طفل كله فمسحه صلى الله عليه وسلم فصار صحيحا ولما اعطي ابراهيم
مقام الخلة اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك وزاد عليه بمقام المحبة الارفع
من كل مقام ومن ثم يقول ابراهيم في الموقف لما يسال في الشفاعة العظمى

انما كنت خليلا من ورا ورا ولما اعطي بنا الكعبة اعطي نبينا صلي الله عليه وسلم
وضع الحجر الذي هو روحها في محل لما اشتد قريش ولما اعطي موسي عليه الصلاة
والسلام قلب العصي حية اعطي نبينا عليه الصلاة والسلام حنين الجذع الذي
هو ابهر واعزب وذكر الرازي وغيره ان اباجهل اراد ان يرمية بحجر فراي
علي كتفه ثعبانين فانصرف مرعوبا واليد البيضا التي بياضها يغشي البصر
اعطي نبينا عليه الصلاة والسلام انه كان عنده عباد بن بشر واسيد بن خضير
ليلا فخرجا وبيد كل عصي فاضا لهما عصي احدهما فمشيا في ضوءها فلما افترقا
اضات عصي الاخر صححه الحاكم واخرج البخاري في تاريخه والبيهقي وابو
نعيم عن حمزة الاسلمي قال كنا مع النبي صلي الله عليه وسلم في سفر فتفرقنا في ليلة
ظلما فاضات اصابعي حتي جمعوا ظهرهم وما هلك منهم وان اصابعي لتنير
وانفلاق البحر اعطي نبينا انشقاق القمر الذي هو ابهر لانه تصرف في العالم
العلوي علي انه نقل ان بين السما والارض بحرا بيسمي المكفوف بحر
الارض بالنسبة اليه لقطره من المحيط فعليه يكون انفلق لنبينا
صلي الله عليه وسلم ليلة الاسرا وزيادة الدنو والروية بعين البصر وشتان
جبل الطور الذي نوجي موسي عليه مافوق العرش الذي نوجي نبينا عليه
وهرون الفصاحه اعطي نبينا ابلغ منها وابهر علي ان ما في العبرانية
والعربية افصح منها ومن ثم لم تكن فصاحته معجزة بل فصاحة نبينا
معجزة عند بعضهم وكذا عند الكل بالنسبة لما اشتملت عليه من الاخبار
بالمغيبات ولم يتحدي بها الانبيا عليه الصلاة والسلام ولقد قال له بعض
اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك فقال صلي الله عليه وسلم وما يمنعني
وانما انزل القران بلساني لسان عربي ويوسف شطر الحسن وتاويل الرويا

اعطي

اعطي نبينا صلي الله عليه وسلم الحسن كله كما في الحديث وعبر عن المراي فوقعت
كما عبر مالا يدخله الحصر وتعبير يوسف عليه الصلاة والسلام انما كان
في ثلاث مراي كما في سورته وداود تليين الحديد اعطي نبينا ان العود
اليابس اخضر بين يديه وان شاة ام معبد درت ببركة يده ولم
تلد قط كما نو وسليمان كلام الطير اعطي نبينا صلي الله عليه وسلم انه كلمه
الحجر وسبح الحصا في كفه وكلمه ذراع الشاة المسمومة والظبي وشكا
اليه البعير والريح التي غدوها شهر ورواحها شهر اعطي نبينا صلي الله
عليه وسلم البراق وهو اسرع من الريح بل من البرق الخاطف فحمله
من الفرش الي العرش في لحظة واحلة واقل مسافة في ذلك سبعة
الاف سنة وما فوق العرش الي المستوي والرفرف لا يعلمه الا الله تع
وايضا الريح سخرت لسليمان عليه الصلاة والسلام لتحمله الي نواحي الارض
ونبينا صلي الله عليه وسلم زويت له الارض اي جمعت حتي راي مشارقها
ومغاربها وفرق بين من يسعي الي الارض وبين من تسعي له الارض وتسخير
الجن اعطي نبينا صلي الله عليه وسلم ان الله ملكه من شيطان تفلت عليه
في صلاته فاراد ان يربطه بسارية وسخر له الجن حتي اسلموا ولم يسخروا
لسليمان الا في العمل وعد الطير من جملة جنوده فعاونه حمامة
الغار وعنكبوته بل هذا اعجب لان فيه الحماية من العدد الكثير
بالشي القليل وعيسي عليه الصلاة والسلام ابرا الاكمه والابرص واحيي
الموتي اعطي نبينا صلي الله عليه وسلم رد العين الي محلها بعد ما سقطت
فعادت احسن ما كانت وذكر الرازي انه صلي الله عليه وسلم مسح برصا
فشفيت والبيهقي ان رجلا قال لا اومن بك حتي تحيي لي ابنتي

شق عن صدره وشق له البدر ومن شرط كل شرط جزاء

فاتي قبرها فخاطبها فاجابته وتسبيح الحصا وحنين الجذع ابلغ من تكليم الموتي لان هذا من جنس من يتكلم وبالجملة فقد اوتي صلي الله عليه وسلم مثلهم وزاد عليهم بخصايص لا تحصي اعلاما بانه الممد لهم دايما ومنه تجنيس الاشتقاق وعدل عن استعاره ليصغرهم بالفضل اي هم مع كونهم فضلا كاملين علي بقية العالم انما يستمدون من محمد صلي الله عليه وسلم لا علي وجه الاصالة والاستقلال بل علي وجه الاستعارة المستحقة الرد اذا اراده المعير ولم لا يكون كذلك وقد **شق عن صدره** وفي نسخة عن قلبه وكل منهما صحيح لانه صلي الله عليه وسلم شق عن صدره اولا ثم قلبه ثانية بعد المرة الاولي ان تكرر ذلك الشق اربع مرات او خمسا مبالغة في التطهير والتخلص من الاغيار ولم يحصل لاحد من الكمل نظير ذلك ولا ما يقاربه وقد مر الكلام علي ذلك مستوفيا في بحث رضاعه صلي الله عليه وسلم فراجعه فانه نفيس **وشق له** اي لاجله صلي الله عليه وسلم **البدر** اي القمر بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين لما كذبه كفار مكة وبالغوا في عناده فطلبوا منه اية فربما لم تدل علي صدقه صلي الله عليه وسلم وهي ان يشق لهم القمر نصفين فسال ربه فانشق له كذلك كما نص عليه القران وتواترت الاحاديث به كما حققه التاج السبكي وغيره واجمع عليه المفسرون واهل السنة اعلاما بصدقه في دعواه الرسالة والوحدانية لله تعالي وان ما يعبدونه باطل لا يضر ولا ينفع ولم يقع انشقاقه لغيره صلي الله عليه وسلم وهو من معجزاته الباهرات لا يكاد يعدلها شي من ايات الانبيا عليهم الصلاة والسلام لظهوره في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبايع فلم يطمع احد في الوصول اليه بحيلة وفي رواية ما يوهم تعدد الانشقاق مرتين وظاهر كلام بعضهم حكاية الاجماع عليه

لكن

١٠٦

لكن رد بان احدا من ايمة الحديث لم يجزم بذلك وبان من قال مرتين اراد فرقتين كما في روايات او فلقتين كما في اخري وفي روايات ان فرقة كانت فوق جبل حري واخري كانت اسفله وفي رواية انه كان بمكة المراد منها ان ذلك كان وهم بمكة قبل الهجرة فلا دليل فيه علي انه صلي الله عليه وسلم كان بمكة ليلتيذ وفي رواية لاحمد فصار فرقتين فرقة علي هذا الجبل وفرقة علي هذا الجبل وفي رواية انه صلي الله عليه وسلم قال لهم اشهدوا فقالوا سحرنا محمد ثم اتفقوا علي ان يسالوا السفار فجاوا من جانب واخبروا به فقال بعضهم لبعض لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم وانكار جمهور الفلاسفة ومن وافقهم من المبتدعة ذلك مبني علي انكارهم خرق الاجرام العلوية والتياسها وذلك من جملة كفرهم وتقولهم بمقتضي عقولهم معاندين للشرايع فيما وردت به واما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا النقل متواترا واشترك اهل الارض كلهم في معرفته ولم يختص بها اهل مكة لتوافر الدواعي علي نقل العجايب فهو من تهوراته لان ما قاله انما يتوجه لو كان نهارا او اول الليل والناس مستيقظون اما اذا وقع لحظة والناس الغد قد ناموا ومن لم ينم لم ينظر للسما فلا يلزم ما ذكره بوجه علي ان الاجماع الموافق للقران والسنة لا تجد شيا يسنده مثل هذه التخيلات الفاسدة وكان هذا الرديء بما هو الواقع البديهي ان الكسوف قد يدركه اهل قطر دون اهل قطر اخر وما قيل ان القمر دخل جيبه صلي الله عليه وسلم وخرج من كمه باطل لا اصل له تنبيه البدر القمر ليلة اربعة عشر فظاهر تعبير الناظم به دون القمر ان الشق كان ليلة اربعة عشر ولم ار له في ذلك سلفا ولعله اراد بالبدر مطلق القمر سمي بذلك لانه يبادر الشمس بالطلوع كانه يعجلها المغيب قبل اتمامه ويناسب هذه المعجزة رد الشمس له صلي الله عليه وسلم بعد ما غابت

حقيقة لما قام صلى الله عليه وسلم ورأسه في حجر علي بالصهباء مكان قريب خيبر
ولم يمكنه ايقاظه لاحتمال انه يوحى اليه فلما استيقظ سأله اصلى العصر قال
لا فدعى الله ان يردها عليه لانه كان في طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
فردت ليصلي العصر اداء كرامة له صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث ضعفه
جماعة بل زعم بعضهم بوضعه وصححه اخرون وهو الحق وقول اسماء
في الرواية الصحيحة فرايت الشمس طلعت بعد ما غربت حتى وقعت على الجبال
وعلى الارض وقام علي رضي الله تعالى عنه وصلى العصر يدل لزعم انها وقفت لم ترد
ولزعم ان حركتها انما ابطات فقط ونحو رواية مسند فاحسن انه صلى الله عليه
وسلم فتاخرت ساعة وجمع انها ردت عليه بعد الاسرا لما اخبرهم بعيرهم
ولا يعارض ذلك كله الحديث الصحيح لم تحبس الشمس على احد الا ليوشع
ابن نون قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ان ادبرت الشمس خاف ان
تغيب قبل ان يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله
سبحانه وتعالى فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم وذلك لان المراد على
احد غيري على ان كثيرين او الاكثرين الاصوليين ان المتكلم لا يدخل في عموم
كلامه وروي حبسها يوم الخندق حين شغل عن صلاة العصر وذكر البغوي
في تفسيره ردها على انها حبست لسليمان صلى الله عليه وسلم ورد بان
المراد الصافنات لانها المذكورة دون الشمس وبين شق وشق التجنيس
التام وهو ان يتفق اللفظان حروفا وعددا وهيئة ومنه قوله تعالى ويوم تقوم
الساعة يومئذ يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة واعترض بان الساعة
في الموضعين بمعنى واحد وشرطه اختلاف المعنى وان لا يكون احدهما حقيقة
والاخر مجازا بل حقيقيين وزمان الساعة وان طال لكنه ممتد عرفا في حكم

الساعة

الساعة الواحدة فاطلاق الساعة مجاز وعلى الاخر حقيقة وذلك يخرج الكلام
عن التجنيس كما لو قلت ركبت حمارا ولقيت حمارا يعني بليدا انتهى فان
قلت هذا ياتي هنا لان الشق في الموضعين بمعنى واحد وتسليم
الاختلاف فهو في احدهما حقيقة وفي الاخر مجازا قلت يمكن ان يقال
ان فيهما مختلف وحقيقي اذ شق الاجرام الجمادية غير شق الاجرام الحيوانية
من حيث الصورة والالة اذ شق القمر شق جرمه كله وشق الصدر ازالة الغشا
لا غير وكفى بهذا اختلافا فانه المتبادر من كل منهما انه حقيقي كما لا يخفى قيل
ليس في القران من الجناس التام غير هذه الاية واستدرك عليه شيخ الاسلام
ابن حجر باية يكاد سنا برقه يذهب بالابصار اي لا بمعنى العيون وثانيا بمعنى
البصاير وقد تقرر انه لا يكفي وقد يجاب بادعاء انه حقيقة عرفية وعلى كل فاقول
في القران اية اخرى اظهر من تينك وهي يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من
الكتاب وما هو من الكتاب فالاول ما كتبوه بايديهم المذكور في ويل للذين
يكتبون الكتاب بايديهم والثاني التورية والانجيل والثالث الجنسي اي امر
لكتب الله تعالى كلها اي وما هو من شيء من كتب الله تعالى فان قلت هذا اعم
من الثاني فليس مغايرا له من كل وجه قلت لا يسمى مغايرا له حقيقة
كما هو جوابه وعلى التنزل فان هذا التغاير لا يكفي هنا فيكفي التغاير بين اللفظين
الاولين فيتحقق الجناس التام فيهما فان قلت لم لم يعد واسئلة النفي
بالنفس الخ قلت لانه يكون هنا غير ايمنع تمام التجنيس وهو ان الدلالة
على المقابلة مقابلة فان قلت لم لم يتعرضوا في التورية بكون احدهما مجازا الا هنا
قلت لوضوح الفرق اذ مبنى التورية على قصد المعنى البعيد البعيد والمجاز
قد يكون كذلك ولا كذلك الجناس التام فلم يكن فيه كون احدهما مجازا ومن ثم

اقر بعض المحققين بشرط كونهما حقيقيين وعليه يحتمل ان يقال
لابد ان تكون كل حقيقة في الشرع او في اللغة فلا يكفي كون احدهما حقيقة
شرعية والاخر حقيقة لغوية مثلا لان هذين كالحقيقة والمجاز وقد تقرر انهما
لا يكفيان ويحتمل ان يقال يكفي لذلك ويؤيده اطباقهم على ان الاية في الجناس
التام مع ان حقيقة الساعة لغة او عرفا او شرعا شي واحد وانما الاختلاف من حيث
ان ما في مطلق الزمن حقيقة لغوية وفي القيامة حقيقة شرعية وهذا الثاني اقرب
ومما يؤيد اشتراط كونهما حقيقيين انه ما من لفظ غالبا و دايما الا وله حقيقة
ومجاز فلو قلنا بانه يكفي كون احدهما مجازا لزم وجود التجنيس في غالب
الالفاظ او ظهرها وهو بعيد جدا وذلك ان ناخذ من قولهم ليس في القران جناس
تام الا ما مر مع ما فيه من نحو النفس بالنفس الذين قال لهم الناس ان الناس
الحر بالحر ونحو ذلك ان شرط الجناس التام ان لا يكون في اللفظ قرينة ظاهرة
تدل على تغاير معني اللفظ المتحد وهو متحد لانه مع فهم التغاير ليس فيه
تعمية اصلا ومبنى الجناس التام انما هو التعمية على السامع ما امكن نظير التورية
ولم ار احدا من اهل البديع في هذا المبحث ما يشفي فتامله فان قلت ما ذكر في
شق من الاختلاف انما هو بالنظر لمتعلق الشقين دون موضوعهما وذلك
لا يكفي قلت هذا وان كان ظاهر كلامهم الا انه لا يمنع من ان يلحق به اختلافهما
من حيث المتعلق اذ انباينت به صورتهما وانما شق له القمر لانه شق عن
صدره حتى اخرج قلبه صلى الله عليه وسلم شق وطهر فجوزي على ذلك اذ من شرطه
كل شرط وقع في البدن لغرض مقصود ان يكون له جزا اي من شق من مرض
او غيره فكذا هنا لما روع صلى الله عليه وسلم بشق قلبه المرة بعد المرة وما حصل
له من الخوف والثالث جوزي بخير اعظم على ذلك مشابهة له في الصورة وهو شق

القمر

ورمى بالحصى فاقصد جيشا ما العمى عنده وما الالقاء

القمر الذي هو اعظم معجزاته وابهرها بعد القران وفي كلامه الجناس التام بين
شرط وشرط اذ هما حقيقتان معنى وحقيقة ولا يقدح في كون الاول حقيقة
نحوية والثانية حقيقة عرفية على ان الاول يحتمل ان يكون بمعنى العلامة
فيكون مع كون الثاني بمعنى الجرح كل منهما حقيقة لغوية فجا التجنيس التام اتفاقا
وبفرض ان احدهما مجاز يكون فيهما التورية او حقيقة ايضا ولكنه ابعد فيهما
من اللفظ يكون فيه الجناس التام والتورية ومر الكلام فيهما مستوفي اذ الشرط المراد به
في الاول ما علق بحصوله حصول شي اخر يسمى جزاءه وفي الثاني شق الجلد واللحم والجزا
فيه تورية ايضا اذ هو يطلق النحوي والجزا العرفي وهو المجازاة على صنيع وقع منه
ومنه ايضا جروا بنيه وجاريته بما صنع جزاءا ومجازاة ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انه
في غزوة بدر وغزوة حنين رمى اعداه بالحصى فاقصد اي اصاب فاهلك
في القاموس اقصد السهم اصاب فقتل مكانه جيشا عظيما كانوا اجمعوا عليه
حتى ظن ظان انهم لا يبقون احدا من المسلمين وبيان ذلك انه لما التقى الجمعان
يوم بدر تناول صلى الله عليه وسلم كفا من الحصى فرمى به في وجوههم وقال شاهت
الوجوه اي قبحت وانهزمت فلم يبق مشرك مع كثرتهم وقلة ذلك الحصى الا دخل في
عينيه ومنخريه منها شي فانهزموا فقتل الله تعالى من صناديد قريش واسر من اسر
من اشرافهم قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله تعالى وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر اخذ ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم
وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا
وكذلك روى غير واحد انها نزلت في رمية بدر وان كان رمى في غيره ولاهل الخبر في
هذه الاية غلطا لا باس بذكره عند رده فعل النبي صلى الله عليه وسلم عند اضافته
الى ربه وهو عين الخبر وابطال نسبة افعال العباد اليهم وليس كما زعموا

والالزمهم ان لا تكليف ولا عقاب وسر ما في الاية ان تلك الرمية من البشر لما
تبلغ هذا المبلغ كان منه صلى الله عليه وسلم مبدؤها وهو الحذف ومن الرب تعالى نهايته
وهو الايصال فاضاف اليه رمي الحذف الذي هو مبدؤه ونفى عنه رمي الايصال
فاضاف اليه رمي الحذف هو مبدؤه ونفى عنه رمي الايصال الذي هو نهايته ونظير هذا
ما في الاية نفسها فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاخبر تعالى انه المنفرد بالتاثير وان
غيره ليس منه الا اسباب تظهر للناس قيل ورماهم بالحصى يوم الاحزاب وفيه
نظر وانما الذي نقل انه صلى الله عليه وسلم لما بلغت القلوب الحناجر دعا عليهم فقال
اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم فارسل الله
عليهم الريح فرمتهم بالحصا وسفتهم عليهم بالتراب وقلعت اوتاد خيامهم فسقطت
عليهم وكفات قدورهم وسمعوا في ارجا معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا
خائبين ايسين ومن ثم اخبر صلى الله عليه وسلم انهم لا يغزونهم بعد اليوم فكان كذلك
ولما التقى الجمعان يوم حنين استقبل المسلمين من هوازن ما لم يروا مثله في السواد
والكثرة فحملوا حملة واحدة فانهزم المسلمون ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم من الناس
قليلون من اهل بيته العباس وابي سفيان بن الحارث وعلي والفضل واصحابه
ابي بكر وعمر واخرين رضي الله تعالى عنهم فامره صلى الله عليه وسلم ان ينادي في الناس ليرجعوا
فلما سمعوا نداءه اقبلوا كانهم الابل اذا حنت على اولادها يقولون يا لبيك فاقتتلوا
مع الكفار واشتد القتال حتى قال صلى الله عليه وسلم حمي الوطيس وهو التنور يخبر فيه
انه اشتد حر الحرب حتى اشبهت التنور وتناول صلى الله عليه وسلم حصيات من
الارض ثم قال شاهت الوجوه ورمى بها في وجوه المشركين فما خلق الله منهم
انسانا الا ملا عينيه من تلك القبضة وفي رواية لمسلم قبضة من تراب والجمع
بينهما انه يحتمل انه رمى بكل مرة او انها قبضة واحدة لكنها مختلطة وفي رواية

الوطيس

عند

عند احمد وغيره ان المسلمين لما ولوا قال صلى الله عليه وسلم انا عبد الله انا عبد الله
ورسوله ثم اقتحم عن فرسه واخذ كفا من تراب فضرب وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق
احد الا امتلات عيناه وفمه ترابا ولاحمد والحاكم عن ابن مسعود فحادت به بغلته فقلت
ارتفع رفعك الله فقال صلى الله عليه وسلم ناولني كفا من تراب فضرب وجوههم وامتلات
اعينهم ترابا وجاء المهاجرون والانصار سيوفهم بايمانهم كانها الشهب فولى المشركون
الادبار واذ قد علمت ما ترتب على رميه صلى الله عليه وسلم بالحصى من تشتت جمعهم وافتراق
شملهم وهزيمتهم اذ لك ان تقول لمن قال لك لن القى موسى العصاة والسحرة حبالهم
وعصيهم يعادل الرمي بالحصا لا تقل ذلك **ما** استفهام انكاري **العصي** التي
القاها موسى صلى الله عليه وسلم على حبال سحرة فرعون وعصيهم حتى ابتلعت ذلك
عنده اي عند الحصى المرمي **وما الا كفا** لتلك الحصى على تلك الحبال والعصي الذي
فعله سحرة فرعون اي لا تقاس معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم في القا ذلك الحصى بمعجزة
موسى صلى الله عليه وسلم في القا عصاه على ما ذكر لان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر
وابهر منه اذ القا موسى لعصاه حاكى القا السحرة بحبالهم وعصيهم ومعجزة
نبينا صلى الله عليه وسلم لم تحاك شيئا قط ووصول تلك الحصيات القليلة الى جميع
ذلك الجيش الذي هو الوف مولفة حتى هزمهم عن اخرهم وشتت شملهم ابهر من
قلب العصاة ثعبانا وابتلاعها لتلك الحبال من حيث انها مع ذلك لم يتغير العدو
ولا تشتت شمله بل زاد بعدها طغيانه وعتوه على موسى عليه الصلاة والسلام وقومه وجانس
بين الحصى والعصي وتفنن بين رمي والالقا تنبيه اكثر معجزات بني اسرايل
كانت حسية لبلادتهم وعمي بصرهم واكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكايهم
وكمال افهامهم ولان هذه لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة
خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو الابصار كما قال صلى الله عليه وسلم

ودعا للانام اذ دهيتهم سنة من محولها شهباء
فاستهلت بالغيث سبعة ايام عليهم سحابة وطفاء

في حديث البخاري ما من الانبياء نبي الا اعطي ما مثله امن عليه البشر وانما كان
الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي وانا ارجو ان اكون اكثرهم تابعا وفي معناه قولان
غير متنافيين اذ يرجع حاصلهما الى ان المراد ان معجزات الانبيا عليهم الصلاة والسلام
انقرضت بانقراض اعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصى موسى وناقة
صالح عليهما الصلاة والسلام فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة القران تشاهد بالبصيرة
وتستمر الى القيامة لا يمر عصر الا وفيه يظهر شي اخبر بانه سيكون فكان من
هو يتبعه لاجلها اكثر اذ ما يدرك بالعقل يشاهده كل من جا بعد الاول ومن
معجزاته صلى الله عليه وسلم ايضا انه دعا للانام من تفسيره لكن المراد به هنا غيره ثم
اذ هم هنا اهل المدينة ومن ضاهاهم اذ اي وقت او لاجل ان دهيتهم
اي غشيتهم سنة من اجل محولها متعلق بما بعده اي شدة جذبها
وقحطها شهباء اي لا خضرة فيها ولا مطر والسنة زمن الجذب والمحل ومطلق
الزمن المخصوص فعلى الاول شهباء تاكيد وعلى الثاني تاسيس وسبب دعائه
صلى الله عليه وسلم ما في الصحيحين ان الناس اصابتهم سنة على عهده صلى الله عليه وسلم
فقام اعرابي وهو صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقال يا رسول الله هلكت المال
وجاع العيال فادع الله لنا فرفع صلى الله عليه وسلم يديه وليس في السما قطعة سحاب
فما وضعها حتى صار السحاب مثل الجبال فلم ينزل صلى الله عليه وسلم حتى اصابه المطر واستمر
الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابي او غيره فقال يا رسول الله تهدم البنا وغرق المال
فادع الله لنا فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانقطعت السحاب
وخرجوا يمشون في الشمس وسال واد قناة شهرا ولم يجي احد من ناحية الا حدث
بالجود وهو بفتح الجيم المطر الواسع الغزير فبسبب دعائه صلى الله عليه وسلم استهلت
بالغيث اي صبت المطر بشدة سبعة ايام كوامل لما علمت انه

تتحرى مواضع الرعي والسقي وحيث العطاش توهم السقاء
واتى الناس يشتكون اذاها ورخاء يؤذي الانام غلاء

من خطبة الجمعة اي خطبة الجمعة الاخرى والفى للكسر عليهم سحابة فاعل
استهلت وطفا اي مسترخية الجوانب لكثرة مائها حال كونها تتحرى اي
تقصد تلك السحابة بمائها واسناد ذلك اليها مجاز نظير ما اتى في جدارا يريد ان
ينقض الان براد الملائكة الموكلون بها مواضع الرعي اي الكلا التي ترعى
و مواضع السقي التي يجتمع فيها الما لتشرب منه البهايم وفي الرعي والسقي
مراعاة النظير والسقي والسقا تجنيس شبه الاشتقاق و تتحرى ايضا حيث
العطاش اي مواضعهم التي توهم بالبنا للمفعول اي تحرق السقا منهم فيها
اي ان تلك السحابة عمت جميع الاماكن بمائها حتى انها تتحرى الامكنة العطشة
التي تحرق اسقية العطاش فيما يحتاجون الى الغدران للشرب منها وهذا اظهر
واولى مما سلكه الشارح كما يعرف بتاملها لا يقال مواضع السقي يشمل مواضع الشرب
فلا يحتاج لقوله وحيث الى اخره لانا نقول قرينة قرن السقي بالرعي تصرفه لسقي
البهايم فاحتاج في افادة عمومها الى التصريح بمواضع شرب العطاش ايضا قال
الشارح ايضا وفي قوله وحيث العطاش الخ اقتباس المثل وهو قولهم خل سبيل
من وهى سقاوه ومن هريق في الفلاة ماوه يضرب لمن لا يستقيم امره فضرب به
الناظم هنا في المحل والجذب انتهى ملخصا وفيه نظر لبعد معنى المثل مما نحن فيه
الا بتكلف لما تقرر من ان مراد الناظم ما دلت عليه عبارته من ذلك النص
على عموم ذلك الغيث لجميع الاماكن ولما استمرت عليهم سبعة ايام وكادت
ان تهلكهم اتى الناس اليه صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر كما اتاه يوم سالوه ان يدعو لهم
يشتكون اذاها اي تلك السحابة اي الما النازل منها كقطعه السبل وتعطيله
المعاش وتخريبه البيوت وذكر الناس ان الشاكي واحد لان ما به بهم فكان الكل شاكين
بلسان الحال فلذا اسنده الى كلهم ونظيره قوله تع الذين قال لهم الناس اي

ودعا فانجلا الغمام فقل في وصف غيث اقلاعه استسقا
ثم اثرالثري فقرت عيون فقراها و احييت احيا

الناس قد جمعوا الكمران المراد بالناس الاول واحد كما هنا ورخا اي سعة من المطر
يودي الانام غلا اي شلة عظيمة واصله لارتفاع السعر المودي الي الشدة ويبين
اذاها ويودي جناس الاشتقاق والرخا والغلا جناس التضاد فبسبب ان هذا
الرخا الذي المقصود منه حياة النفوس انتقل الي ضده وهو اهلاكها دعا النبي صلي الله
عليه وسلم ان ربه يكشف عنهم فانجلا الغمام اي السحاب عقب دعاية صلي الله عليه
وسلم وخرجوا يمشون في الشمس كما مر اذا تقرر هذا فقل ايها العالم بهذه
الواقعة ما ثبت من الكلام الدال علي التعجب اي نتعجب لي وصف غيث
اقلاعه اي انكشافه استسقا اي ذو استسقا علي خلاف المتعارف اذ الاستسقا
الاستسقا غالبا انما يكون لطلب وجوده لا للطلب رفعه وبهذا يندفع قول
هذه
الشارح الاحسن ان الاستسقا بمعني السقي لانه يلزمه فوات النكتة التي هي سبب
التعجب ثم بعد ذلك الغيث الواسع النافع ببركة دعايه صلي الله عليه وسلم اثري
الثري اي كثر المطر الواقع عليه حتي كثرت فوايد التراب لكثرة انباته الزرع والثمار
المودية الي كثرة الاموال من اثري الرجل كثر ماله فبسبب هذه الكثرة قرعت
اي فرحت واطمانت من اقر الله عينه اي اعطاه حتي لا تطمح عينه الي من هو
فوقه عيون لاهل المدينة بسبب ما زال عنهم من الكرب وحصل لهم من الخصب
فبسبب عبارة قراها اي العيون او المدينة وبلادها بتلك الفوايد
الكثيرة بعد جزايها واحييت بعد ما حصل لها من الجذب والشدة ما صيرها
كالموت لمن احياه الله فحيي بالفك وحي بالادغام وهو الاكثر احيا جمع حي اي
قبايل العرب بواسطة احيا نفوسها وسواشيها وفيه تجنيس الاشتقاق في اثري
الثري وفي قراها واحييت احيا فتري انت لو شاهدت تلك الواقعة
الارض عنده اي عقب ذلك الغيث المتولد عنه ما يدهش الابصار من

فتري الارض عنده كسيما اشرقت من نجومها الظلماء
تخجل الدر واليواقيت من نور رباها البيضاء والحمراء
ليتني خصني برؤية وجه زال عن كل من راه الشقاء

النبات والزهور كسيما حال ان جعلت راي بصرية وهو الظاهر او مفعول
ثان ان جعلت علمية اشرقت اي زالت عنها من اجل نجومها الظلما
ففيه تجوان الاشراق انما يستعمل للنور ووجه الشبه ما حصل للارض باجابة
الغيث والسما من النجوم من زوال ظلمتها الحقيقية في السما والمجازية في الارض
وبين الارض والسما والاشراق والظلما الطباق وتولها تخجل اي تحير وتدهش
الدر اي اللولو واليواقيت وهي فارسي معرب واسناد الخجل اليها مجاز وهو
علي حذف مضاف اي اهلها بمعني ان من بايديهم تلك الجواهر يشاهدونها ليلا ونهارا
لا يملكون نفوسهم عن روية تلك الازهار الغريبة والاعشاب العجيبة من نور
بفتح النون اي زهر وهو بيان الفاعل تخجل الاتي رباها بضم الرا اي المحال
المرتفعة منها وخصت لان ما بها اتصر وابهي من بقيتها البيضا راجع
للدر والحمرا راجع لليواقيت اي تخجل نورها الابيض الدر ونورها الاحمر
اليواقيت ففيه اللف والنشر المرتب ومراعاة النظير بذكر المعدنين والتقابل
بذكر الضدين ويسمي التدبيج لانه الوان وما تقرر ان الناظم انما اراد القصة
المذكورة التي كانت بالمدينة وصحت بها الاحاديث هو الظاهر ويجوز ان يريد
ايضا ما وقع بمكة علي ما ورد ان قريشا لما ابطاوا عن الاسلام ودعا عليهم صلي الله
عليه وسلم بالقحط فاخذتهم سنة حتي هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام جا ابو
سفيان فقال يا محمد جيت تامر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله فدعا
فسقوا الغيث فاطبق عليهم سبعا فشكي الناس كثرة المطر فقال الله وفعه
ولما ذكر من صفاته صلي الله عليه وسلم الباهرة ما يشوق كل سامع لشي منها الي روية
وجهه الكريم تمني ذلك فقال ليتنه هي ليتني ما لا طمع في حصوله او ما فيه
عسر خصني برؤية وجه اي ليتني ادركت زمنه صلي الله عليه وسلم لاكون

من اصحابه اذ هو افضل من جميع من جا بعدهم عند الاكثرين وذهب ابن
عبد البر الى انه يمكن ان يكون فيمن بعدهم من هو افضل من بعضهم للخبر الحسن
بل قيل انه يرتقي الى درجة الصحة مثل امتي مثل المطر لا يدرى اخره خير ام اوله
وللخبر الحسن ايضا ليدركن المسيح اقوام انهم لمثلكم او خير ثلاثا وفي حديث
ابي داود والترمذي فان ايام للعامل فيهن اجر خمسين قيل منهم او منا قال
منكم ويجاب عن الاول باحتمال انه قيل ان يعلم افضلية اصحابه فلما علمها صرح
بها بقوله صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم ملا الارض ذهبا لم يبلغ مد احدهم
ولا نصيفه وبقوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني وعن الثاني بان او فيه
يحتمل ذلك ايضا وعن الثالث بانهم صرحوا بان مجرد زيادة الثواب
لا يقتضي الافضلية على ان افضلية الصحبة لا يعادلها عمل ومن ثم لما سيل
ابن المبارك عن عمر بن عبد العزيز ومعاوية رضي الله تعالى عنهما ايهما افضل
قال لا الغبار الذي دخل في انف فرس معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
خير من مائة مثل ابن عبد العزيز اشار بعضهم الى ان محل الخلاف في صحابي لم يحصل
له الا مجرد الرؤية واما من زاد على ذلك بنحو رواية او غزو فلا نزاع فيه
او ليلقى اراه في الموقف وعلى الحوض في الجنة شافعا وليعتبر اراه في النوم
رؤيته تدل على امتثاله لاخباره صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة بان
من راه فيه فقد راه حقا وان الشيطان لا يتمثل بصورته صلى الله عليه وسلم ولا يتشبه
بها وان من راه فقد راه في اليقظة اي كان يراه في اليقظة لما تقرر ان الشيطان
لا يتشبه به صلى الله عليه وسلم ونحوه وان يمكن من التصور باي صورة اراد لم يمكن
من التصور بصورة نبينا صلى الله عليه وسلم مطلقا وقال جمع ان روي بصورته
التي كان عليها وقال بعضهم ان روي بصفته التي قبض عليها حتى عدد شيبه

وصح هذا عن ابن سيرين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما يفهمه وفي حديث
ضعيف اني اري في كل صورة وصحح النووي وغيره انه يرى حقيقة ولو على غير صفته
قال ابن العربي وغيره لكن رؤيته على غير صفته مثال فرؤيته مقبلا او بصورة
حسنة كاملة تدل على خير وعكسه بعكسه وقال عياض في رواية مسلم من راني
في اليقظة يحتمل ان المراد ان رؤيته صلى الله عليه وسلم على صفته موجبة لرؤيته
صلى الله عليه وسلم في الاخرة على نوع مخصوص من قربه منه او شفاعته له وفي هذا
اقوال اخر كثيرة وقال الغزالي في رؤيته على صفته ليس المراد رؤية ذاته حقيقة
بل مثال يحكيها على التحقيق كما في رؤية الله تعالى اذ لا صورة له تري بل معرفة
اما من نور او غيره او يبقي اراه في اليقظة بناء على امكان ذلك وهو ما حكاه ابن ابي جمرة
والبارزي واليافعي وغيرهم عن جماعة من التابعين ومن بعدهم انهم راوه في المنام
فراوه بعد ذلك في اليقظة فسالوه عن اشيا غيبية فاخبرهم بها فكانت كما اخبر
قال ابن ابي جمرة وهذه من جملة كرامات الاوليا فيلزم منكرها الوقوع في ورطة
انكار كراماتهم وفي معتقد الغزالي ان ارباب القلوب في يقظتهم فيشاهدون
الملايكة وارواح الانبيا عليهم الصلاة والسلام ويسمعون منه اصواتا ويقتبسون
منهم فوايد او قال البدر حسن وقوعها للاوليا تواترت عليه اخبارهم لم يبق
فيه شبهة ثم اخذ يبطل ذلك بنفسه ويعظم النكير على مجوزه بالا محجة فيه
ومما يبطل جميع ما دندن به وجاوز فيه الحد ان من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم
حي في قبره وانه لا يراه في اليقظة الرؤية النافعة للاولى وانه لا يبعد ان من اكرم
برؤيته صلى الله عليه وسلم ان يكرم بازالة الحجب بينه وبينه وهو صلى الله عليه وسلم
مع كونه في قبره يراه الاوليا في اليقظة في قبره ويحادثونه وان بعدت ديارهم
واختلفت مراتبهم في الحالة الواحدة ولا يلزم من وقوع ذلك لهم على جهة الكرامة

الباهرة انهم صحابة لان الصحبة انقطعت بموته صلى الله عليه وسلم واذا كان من راه
بعد موته وقبل دفنه غير صحابي فهو لا كذلك بالاولى فانه مع قوله في فتح الباري هذا
مشكل جدا ولو حمل على ظاهره لكانوا اصحابه انتهى ومما يويد ان الناظم يحتمل انه اراد
ذلك انه تلميذ القطب ابي العباس المرسي فهو الذي حلت عليه بركته حتى وصل
الى النظر البالغ الذروة العليا والقطب المذكور وارث القطب الاكبر ابي الحسن
الشاذلي وكل منهما حفظت عنه روية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بل قال ابو الحسن
لو حجب عن النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي مسلما والقطب علي
ابن القطب محمد بن ابي الوفا وهما من جلة المنتسبين الى القطب الشاذلي ومن
ثم قالوا طريقة الوفائية خلاصة طريقة الشاذلية ممن حفظت عنه روية النبي صلى الله
عليه وسلم يقظة مرارا لاسيما عند قبر والده بالقرافة كما هو مسطور في كراماته فكون
الناظم رحمه الله تومنوا بالولا الواقعة لهم رويته يقظة يقرب انه سال في وقوع
ذلك له كما وقع لهم ولقد كان شيخي وشيخ والدي الشمس محمد بن ابي الحمايل يرى النبي صلى
الله عليه وسلم يقظة كثيرا حتى يقع له انه يسال في الشي فيقول حتى اعرضه على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم يدخل راسه في جيب قميصه ثم يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه
كذا فيكون كما اخبر لا يختلف ذلك ابدا فاحذر من انكار ذلك فانه السم الوحي **زال**
اي تحول فزال هنا تامة لا ناقصة **عن كل من راه** مومنا في حياته او بعد
موته فيقظة الراي لان ذلك لا يقع الا لاكابر الاوليا وفي النوم على صفته التي كان عليها
صلى الله عليه وسلم لما سواه ذلك يدل على الخير ورويته المخصوصة في الاخرة **الشقا**
اي جميع انواعه لان الصحابة رضوان الله عليهم كلهم عدول كما شهد لذلك الكتاب
والسنة وخواصهم كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وما وقع لبعضهم مما يخالف ذلك
تداركه الله فيه برحمته فوفقه للتنصل من وصمته وحباه بجعله من احبته بيركته

نظر

١١٦

مستقر يلتقي الكتيبة بساما اذا اسهم الوجوه اللقاءُ

نظر بعينه صلى الله عليه وسلم ولما ذكر ذلك الوجه الكريم وزوال الشقا عن كل من راه اتبعه
بذكر صفات وخصوصيات له صلى الله عليه وسلم ذكرا مع كل ما يناسبه كما هو شان البلغا
فقال **مستقر** ذلك الوجه حسنا فهو صفة ثانية لوجه اي مشرق نوره الذي يكاد
ان يخطف الابصار **يلتقي** ذلك الوجه ايضا **الكتيبة** اي الجيش بالمثلثة
او المثناة من تكتبت بنو فلان اذا اجتمعوا حال كونه **بساما** اي مبتسما يفتر
عن مثل سنا البرق او عن مثل حب الغمام **اذا اسهم** اي غير من سهم بفتح عينه
او ضمها وجهه اذا احمر وتغير **الوجوه اللقا** للعدو فهو صلى الله عليه وسلم في الحالات
كلها التي فيها ينزعج غيره ويضطرب ويتغير وجهه على غاية من الطمانينة والثبات
والتبسم لتعظيم ما اتاه الله سبحانه وتعالى من الشجاعة لم يصل غيره الى ادناها وقد صح كما
عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس وان صياحا وقع بالمدينة ليلا فخرج صلى
الله عليه وسلم الى ان بعد فلم يوشيا فلما رجع راى الناس خارجين فقال صلى الله عليه وسلم
لن تراعوا اي بعدا عن حقيقة تمار ايتمارني وصح انه صلى الله عليه وسلم صرع ركانة مرات
ولم يصرع قط فقال له متعجبا ان شانك لعجيب وصرع اخر يبلغ من شدته انه
كان يقف على جلد البقرة ويتجاذب اطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدمه فيتفرى الجلد
ولم يتزحزح عنه وصح انه صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين لما تفرق عنه اصحابه ولم يبق معه
الا بضعة عشر ثبت على بغلته مع انها لم تصلح لكر ولا لفر وهو صلى الله عليه وسلم يركضها
الى وجه العدو وينوه باسمه ليعرفه من لا يعرفه قايلا انا النبي لا كذب انا ابن عبد
المطلب ولا شجاعة وراء ذلك ومن ثم قال الصحابة رضي الله تعالى عنهم كنا اذا حمي
الوطيس اي الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه اماما واستقبلنا
العدو به صلى الله عليه وسلم وقمنا خلفه وذهب بعض المالكية الى ان من قال
ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه منقصة اذ

انس

جعلت مسجد الله الارض فاهتز بحر للصلاة فيها حراء

لا يجوز ذلك عليه في خاصة نفسه لعلمه بان الله تعالى ناصره وحافظه واعترضه بعض
المالكية بما حاصله انه حيث كان ذلك تنقيصا لم يستتب ولم تقبل له توبة انتهى
وقياس مذهبنا خلافا لمن احتاط به انه ان نوى بذلك تنقيصه صلى الله عليه وسلم كفر
واذا قلنا بكفره فذهب بعض ائمتنا انه لا تقبل له توبة وحكي فيه الاجماع والمعتمد
قبولها منه **جعلت مسجد الله** اي لذلك الوجه الكريم ولاسيما بطريق
التبع له **الارض** كلها كما اخبر بذلك صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة حيث
قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي ونصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي
الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل الحديث والمراد
بقوله مسجدا موضع سجود اي ان السجود لا يختص بموضع منها دون موضع لانه لما
جازت الصلاة في جميعها كانت كالمسجد في ذلك وقيل المراد جعلت لي الارض مسجدا
وطهورا ولغيري مسجدا لا طهورا لان عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم كان يسيح فيها
ويصلي حيث ادركته الصلاة وقيل المراد ان الصلاة لم تبح الا في محل يتيقنون
طهارته بخلاف هذه الامة ابيحت لها في كل الارض الا ما يتيقنون نجاسته
والاصح الاول انها لم تبح لمن قبلها الا في اماكن مخصوصة كالبيع والكنايس
والصوامع للخبر المصرح بذلك وكان من قبلي انما يصلون في كنايسهم
وتوافقه رواية لم يكن من الانبيا احد يصلي حتى يبلغ محرابه وبهذين
يرد الاحتجاج بقصة عيسى المذكورة بمنع ما ذكر فيها الدلالة لهذين على خلافه
وبفرض صحته فهو لا ينافي الخصوصية لانها ثابتة لنبينا صلى الله عليه وسلم وامته
بخلاف عيسى صلى الله عليه وسلم **ف**بسبب هذا الجعل **اهتز** اي تحرك طربا
وفرحا **به** صلى الله عليه وسلم **للصلاة** اي لاجلها **فيها** اي الارض **حرا**
بالكسر والمد وهو الجبل الذي كان صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه قبل النبوة وهو

المشهور

المشهور ودليل ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان على حرا هو وابو بكر وعثمان وعلي وطلحة
والزبير فتحركت الصخرة فقال صلى الله عليه وسلم اسكن حرا فما عليك الا نبي وصديق وشهيد
وفي رواية وسعد بن ابي وقاص ولم يذكر عليا اخرجها مسلم واخرجه الترمذي وذكر انه
كان عليه العشرة الا ابو عبيدة وقال صلى الله عليه وسلم اثبت حرا وفي رواية احد
حرا ورواه البخاري في احد بلفظ انه كان معه ابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم
فضربه صلى الله عليه وسلم برجله وقال اثبت حرا فانما عليك نبي وصديق وشهيدان
ورواه النسائي والترمذي في ثبير وهو جبل مقابل لحرا انه صلى الله عليه وسلم كان عليه
ومعه ابو بكر وعمر وعثمان فتحرك حتى تساقطت حجارته بالحضيض اي التي
في قراره واسفله فركضه صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك
نبي وصديق وشهيدان ومما اشار اليه الناظم بتعبيره باهتز من ان ذلك
التحرك انما كان للطرب والفرح لا للغضب نقله شارح البخاري ابن التين
في احد فقال قيل الحكمة في ذلك انه لما رجف اراد صلى الله عليه وسلم ان يبين
ان هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى عليه الصلاة والسلام
لما حرفوا الكلم وان تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب ولهذا نص
صلى الله عليه وسلم على مقام النبوة والصديقية والشهادة التي توجب سرور ما اتصلت
به لا رجفانه فاقر الجبل بذلك فاستقر انتهى واستشكل ما ذكر بان الهز طربا فرع
العلم بمن فوقه الخ يقتضي ان تحركه لغير السرور ويجاب بانه علم من الاحاديث
الصحيحة التي فيها احد يحبنا ونحبه ان احدا اودع علما به صلى الله عليه وسلم ومحبة
له وميلا اليه فاذا اهتز لاجل ذلك تحرك الجبل دل على نوع طيش وخفة فناسب
ان يركضه صلى الله عليه وسلم برجله الكريمة وان يذكره بان مقام النبوة والصديقية
والشهادة كل منها يقتضي الرزانة وعدم التحرك فلما علم الجبل ذلك سكن وخضع

مظهر شجه الجبين على البر ما لاظهر الهلال البرا

فكان ما منه او لاهزة الطرب واخرا سكون الحياة والامتثال والادب ويحتمل
انه ارتعد هيبة لجلاله صلى الله عليه وسلم فامره صلى الله عليه وسلم بترك ذلك وذكره
بان ما عليه من المقامات الثلاث السابقة يقتضي هزة الحال والملقا المنبيين
عن غاية الفرح والسرور قال الطبري وغيره واختلاف الروايات تحمل على
انها قصص تكررت وهذا اوضح لان كلا منها صحيح فلا وجه الا التعدد
وايد شيخ الاسلام الحافظ العسقلاني بعد ما توقف فيه بان الذي معه نحو الزيد
ممن باحد فان قلت ما وجه التعليل في قول الناظم للصلاة فيها قلت
كانه يشير الى ان الله تع لما اقطع نبيه صلى الله عليه وسلم الارض وجعلها كلها
مسجدا له تذكر الجبل ذلك الجعل وتلك الصلاة اللذين حصل منهما
للجبل كبقية الارض غاية الشرف ثم تحول اعلاما للامة بما حصل له
مما يوجب السرور والطرب ثم رايت بعضهم جعل ضميرفيها للجبل وجعل
المراد بالصلاة صلاته صلى الله عليه وسلم فيه لما كان يختلي فيه قبل البعثة
وهذا الكلام ساقط لانه لم يعرف انه صلى الله عليه وسلم صلى قبل النبوة ولان
الاهتزاز بعد النبوة بكثير الرواية ان العشرة كانوا معه مظهر ذلك
الوجه الكريم شجه الجبين اي جرح جبينه وهو المنحرف عن الجبهة
فوق الصدغ وفي التعبير به سامحة ويجوز لما ياتي ان الذي شج جبهته
وفي رواية وجنته صلى الله عليه وسلم والجبين غيرهما فالتعبير بالجبين من
مجاز المجاورة على البر اي فيه او معه من برى من المرض بالكسر برا بالضم
ويرى برا بالفتح فيهما وهذه الشجة كانت يوم احد اخرج ابن هشام عن
ابي سعيد الخدري ان عتبة بن ابي وقاص اخا سعد بن ابي وقاص اول
من رمي بسهم في سبيل الله تع وكان صلى الله عليه وسلم ينا وله السهام يوم احد

ويقول

ستر الحسن منه بالحسن فاعجب لجمال له الكمال وقاء

ويقول له ارم فداك ابي وامي قال فلم يجمع ابويه لغيري وكان يفتخر به
ويقول هذا اسعد خالي اي لانه زهري فاليرني امرؤ خاله فشتان ما بين هذين
الاخوين ورمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد كسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح
شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته وان ابن قمئة جرح
وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فيها ووقع صلى الله عليه وسلم في حفرة وفي رواية
وهشموا البيضة على راسه صلى الله عليه وسلم ورموه بالحجارة حتى رموه صلى الله عليه
وسلم لشقه في حفرة الحديث وروى الطبراني وغيره ان عبد الله بن قمئة رمى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم احد فشج وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وانا ابن قمئة فقال
صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه اقماك الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم
يزل ينطحه حتى قطعه قطعة وروى احمد والترمذي والنسائي عن احد كسرت
رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم احد وشج وجهه فجعل الدم يسيل عن وجهه صلى الله عليه
وسلم وجعل يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى
ربهم فانزل الله ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم
ظالمون وفي مرسل قوي ان وجهه صلى الله عليه وسلم ضرب يومئذ بالسيف سبعين
ضربة وقاه الله شرها كلها ما مصدرية لاظهر الهلال البرا بفتح الموحدة
وهو اول ليلة من الشهر اي ان وجهه الكريم اظهر اثار تلك الشجة مع برئها ظهورا
واضحا ليس فيه شين بل فيه غاية الجمال كظهور الهلال ليلة استهلاله
لحكمة ليتذكر الراوون لذلك والراوون عنهم ما وقع له صلى الله عليه وسلم من المحنة
وعظيم الصبر عليها حتى يقتدى به في ذلك وليعلموا ان تلك الشجة لم تشنه حاشاه
من ذلك بل زادته جمالا على جماله صلى الله عليه وسلم لانها صارت بعد البر كالهلال
في وجهه الاحسن من الهلال كما قال ستر ذلك الوجه الحسن الاصلي

فهو كالزهر لاح من سحب الاكمام والعود قشر عنه اللحاء

منه بالحسن العارض من الشجة فاعجب لجمال اصلي له الكمال
العارض وفي هذا الذي قبله فيه الجناس التام المتماثل بناء على ما مر في شرح شق عن
قلبه وشق له البدر وما جزم الشارح بانه من ذلك مع اختلاف موضعه باعتبار
الاصل والعارض كما تقرر لان حيث الوضع غير صحيح ولو حصل تمام التجنيس
من اللفظي مع اتفاق الوضع واختلاف المراد لعدوا منه الذين قال لهم الناس
ان الناس النفي بالنفي الخ نعم يمكن ان يقال قد يقاس اختلاف المراد باختلاف
الموضع حيث لا قرينة غيره كما هنا بخلاف ما في الايات فان قرينة التغاير فيها
ظاهرة مع التجنيس فلو عبر الشارح بيحتمل او نحوه لسلم من الجزم بان كلامهم كالصريح
في رده وفي البر والبر الجناس المطرف وفا وسبب ذلك ان الله تع اعطى نبيه صلى
الله عليه وسلم غاية الجمال التي لم يعطها المخلوق كما مر بدليل في باطنه وظاهره ويكفيك
شاهدا على ذلك ما مر ان الله تع جعله نورا كله حتى لم يظهر له ظل فكان جلده
ساتر الجمال الباطن فاذا ازالته الشجة ظهر من انوار الباطنة ما صيرها كالهلال
في وجهه وصار حسن ظاهره مستورا بما ظهر من حسن باطنه فهما جمالان
عظيمان صار باطنهما وقاية لظاهرها وهذا انما يستغرب ويتعجب منه ولهذا
شبهه بتشابيه توضح ذلك فقال فهو اي ما ظهر بالشجة من باطن بدنه
صلى الله عليه وسلم كالزهر اي نور النبات اذا لاح اي ظهر من سحب بفتح
اوله وكسره اي ستر الاكمام هو كالاكمام جمع كم بالكسر وهو غطا النور المشبه
به هنا ظاهر الجلد و هو ابض مثل العود الذي يتطيب به اذا قشر عنه اللحا
وهو قشر الشجر من كونه اخوه قشرته بالحافظ ظاهر الجلد كاللحا وباطنه كالعود
وفي هذين التشبيهين ما يعلمك ان جمال باطنه ربما فاق جمال ظاهره
ومن ثم قال كاد ما ظهر بالشجة ان وهي وما بعدها سدت مسد كاد

اخبرها

كاد ان يغشي العيون سنا منه يسر فيه حكته ذكاء صانه الحسن والسكينة ان تظهر فيه اثارها البلساء
وتخال الوجوه ان قابلته البستها الوانها الحرباء فاذا شمت بشره ونداه اذهلتك الانوار والانواء

وخبرها يغشي بالغين المعجمة اظهر من المهملة العيون اي يغطي عليها
سنا بالقصر اي ضوء عظيم له خارج منه يسر عظيم وفي نسخ بسر فيه اي
في ذلك الباطن الذي ظهر هو مصيره كله ضيا اعظم من ضيا الشمس ومن ثم كان
اصل ذلك السر لاكما له حكته اي شابهته ذكا بضم المعجمة وعدم الصرف
وامتناع دخول ال عليها اي الشمس وذكرها بعد سنا من مراعاة النظير وبما
تقرر علم ان من اسباب عدم شينه بتلك الشجة مالا وبته صلى الله عليه وسلم من الحق
الذي لم يوته غيره ومن ثم صانه ذلك الحسن لو انفرد فكيف وقد انضم اليه
السكينة اي وقار الظاهر مع طمانينة القلب وعدم تحركه بما يمتحن به من المؤذيات
التي لا يكسي عندها غيره ان تظهر فيه اثارها هو ضمير الفاعل المتقدم
رتبة وهو البلسا اي الشدايد فلذلك لم يظهر عليه من تلك الشجة الا غاية
الطمانينة ونهاية الجمال كما مر فعلم انه صلى الله عليه وسلم لما ودعه الله فيه من الكمال
والجمال وتمام الحسن والبها في حالة السراء كهو في حالة الباسا البلسا اي تظن وتخال
انت الوجوه ان قابلته اي عاينت وجهه وجواب ان محذوف لدلالة ما قبله عليه
خجلت من فرط جماله وتلونت بالالوان المختلفة كما يشاهد ممن قوي خجله حتى كانت
تلك الوجوه عند التلون البستها الوانها هو ضمير الفاعل المتقدم رتبة
وهو الحربا المشهورة ومن شانها انها تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت
وتتلون بالالوان العجيبة المختلفة فبسبب هذا الجمال الباهر المستلزم
لبانوا الافضال والاحسان فاذا شمت بالمعجمة من شمت البرق نظرت
الى سحابه بشره اي طلاقة وجهه صلى الله عليه وسلم ونداه اي جوده اي اذا
تطلعت الى مخايلة ببصرك منتظرا اليه اذهلتك اي انستك ما انت بصدده
الانوار الباهرة التي تحصل لك من بشره عند رويته وجهه صلى الله عليه وسلم

أو بتقبيل راحة كان لله وبالله أخذها والعطاء ... تتقي بلمسها الملوك وتحظى بالغنى من نوالها الفقراء

والانوا جمع نوء وهو ما تضيف العرب الامطار اليه من النجم او وقته نحو
مطرنا بنوء الثريا وهو هنا كناية عن الخيرات الواصلة منه صلى الله عليه وسلم لمن
يراه او امله ففيه لف ونشر مرتب لرجوع الانوار للابصار للعيش والانوا للندا وفيه
الجناس اللاحق ونوع من مراعاة النظير يسمى تشابه الاطراف وهو ان يختم الكلام
بما يناسب ابتداه في المعنى نحو لا تدركه الابصار الاية فاللطيف يناسب لا تدركه
الابصار والخبير يناسب وهو يدرك الابصار ولما تمنى روية الوجه الكريم واستتبعه
باوصافه العلية اخذ في تمني تقبيل راحته الكريمة ووصفها باوصاف العلية
فقال او لينه خصني بتقبيل راحة اي يلتثم في اليقظة او النوم
نظير ما في التي كان لله اي لاجله ابتغا لوجهه تعالى دون غرض اخر وبالله اي
بسبب شهود اعانته وحوله اخذها والعطا اسم مصدر بمعناه اي
واعطاوها البراتها من كل غرض ينافي الكمال الاعظم فلم يقع تصرف منها
في شي منذ افاض الله عليها خوارق جوده الا مع شهود سلب كل حول وقوة
عما سواه تع ولهذا الشهود الاعظم في تصرفها كانت تتقي بفتح التاني
اي تخاف وتحذر بلمسها اي شدتها في الحرب الملوك كقيصر وكسرى
والمقوقس الى ان ظفر الله بجميعهم وكانت تحظى اي تفوز بالغنى
الحسي والمعنوي من بعض نوالها اي عطايها الفقرا لانه صلى الله عليه
وسلم كان اجود الناس فيعطي عطا يعجز عنه الملوك ومع ذلك يعيش عيش
الفقر لايثاره على نفسه وعياله وكان جوده كله لله تع وفي ابتغا مرضاته ببذل
المال تارة للفقير والمحتاج وتارة ينفقه في سبيل الله تع وتارة يتالف به من
يقوي اسلامه او من يسلم باسلامه نظراوه وبين الاخذ والعطا والملوك والفقرا
وتتقي وتحظى تجنيس التقابل لا تسل اصله بالهمزة ثم خفف بحذفه كما قرئ في

لا تسل سيل جودها إنما يكفيك من وكف سحبها الانداء ... درت الشاة حين مرت عليها فلها ثروة بها ونماء

سال سايل سيل هو الما الكثير الجاري وبينهما جناس التحريف والتصحيف
جودها بفتح الجيم وهو المطر الغزير اي لا تسال هذا الامر المكني به عن سعة
عطايه وجوده فان هذا شي لا يقدر احد من البشر قدره بل انما الذي يليق بك
ان تسال ما يكفيك وهو ان يصل اليك من وكف اي قطر سحبها
جمع سحاب الانداء جمع ندا وهو البلل علما ان بلل هذا القطر فيه الغنى الكلي
فمن وصلت اليه بلة من قطرة منه كانت سببا لغناه في الدنيا والاخرة ومن
ومن اوصاف تلك الراحة العلية ايضا انها درت الشاة اي ارسلت لبنها
الغزير حين مرت عليها ان بسبب ذلك صار لها بعد فقد اللبن منها
بالكلية اذ لم يبق طرقها لفحل قط ثروة اي كثرة اللبن بها اي بسبب
تلك الراحة الكريمة ونما اي زيادة في تلك الكثرة وهذه القصة وقعت
له صلى الله عليه وسلم لما خرج من غار ثور مهاجرا الى المدينة ومعه ابو بكر ومولاه
عامر بن فهيرة فاخذ بهم الدليل طريق الساحل فمروا بقديد قريب رابغ على ام
معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة تسقي وتطعم وكانوا في غاية
القحط والجهد فطلبوا منها لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوا عندها شيا فنظر
صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة تخلفت عن الغنم فسالها هل بها
من لبن فقالت هي اجهد من ذلك والله ما ضربها فحل قط فقال صلى الله عليه
وسلم اتاذنين لي ان احلبها قالت نعم ان رايت بها حلبا فاحلبها فدعا
بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا باناء يشبع
الجماعة فملاه من حلبها وسقى القوم حتى رووا ثم شرب اخرهم ثم حلب
فيه مرة اخرى عللا بعد نهل ثم تركه عندها وذهبوا ذكر ذلك اصحاب
السير وغيرهم ومن اوصاف تلك الراحة الجليلة ايضا انه نبع الما بها

اي نبع بسببها وعدل اليها عن منها المتبادر ليفيد انه نبع تارة منها وتارة
ببركتها من غيرها اما الاول فقال القرطبي قصة نبع الما من بين اصابعه
صلي الله عليه وسلم قد تكررت منه صلي الله عليه وسلم في عدة مواطن من مشاهد
عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من
التواتر المعنوي ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا صلي الله عليه وسلم
حيث نبع الما من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه وذكر المزني صاحب
الشافعي رضي الله تعالى عنهما ان هذا ابلغ من نبع الما من الحجر بضرب موسي
صلي الله عليه وسلم وعلي نبينا وعلي ساير الانبيا والمرسلين لان الحجر يولف منه
خروج الما ولا كذلك البدن ثم من جملة تلك المواطن ما في الصحيحين عن
انس ان الناس احتاجوا الصلاة العصر فلم يجدوا الما فاتي صلى الله عليه
وسلم بوضو فوضع صلي الله عليه وسلم يده الشريفة في ذلك الانا فنبع الما من
بين اصابعه حتى توضوا كلهم زاد البخاري كانوا ثمانين وان الما نبع من
بين اصابعه ومن اطراف اصابعه صلي الله عليه وسلم وفي رواية لابن شاهين
انه وقع نظير ذلك في غزوه تبوك لما شكوا اليه فطلب فضلة ما فاتي
بها فصبها صلي الله عليه وسلم في صحفة ثم وضع صلي الله عليه وسلم راحته فيها
فتخللت عيون بين اصابعه فوردوا هم وابلهم وتزودوا منه وفيهما
عن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يتوضا من ركوة فجاوه يشتكون العطش
فوضع يده في الركوة فجعل الما يفور من بين اصابعه كامثال العيون
فتوضوا كلهم وكانوا الفا وخمسماية قال جابر لو كنا ماة الف لكفانا وفي
رواية لاحمد عنه فوالذي ابتلاني ببصري لقد رايت عيون الما
تخرج من بين اصابعه وظاهر الروايات ان الما نبع من نفس اللحم



نبع الما اثمر النخل في عام بها سحت بها الحصباء

الكاين في الاصابع وهو ما صححه النووي وجزم به غيره وانما استدعي قليل
ما تادبا مع ربه فانه المنفود بايجاد المعدومات من غير اصل نعم في رواية
عند جماعة انه فعل ذلك مرة من غير ما لكن استدعي بشن يابسة ووضع
صلي الله عليه وسلم يده فيها فنبعت عيون الما واما الثاني ففي مسلم انكم ستاتون
غدا ان شا الله تعالى عين تبوك وانكم لن تاتوها حتي يضحي النهار فمن جاها فلا
يمس منها شيا حتي اتي فسبق رجلان وساه قبل ان ياتي صلي الله عليه
وسلم فسبهما ثم اغترفوا له قليلا فغسل به وجهه ويديه ثم صب الغسالة
في العين فجرت العين بما كثير ثم قال يا معاذ يوشك ان طالت
بك حياة ان تري ما هنا قد ملا بساتين وعمرانا وفي رواية الموطا وغيره
فانخرق من الما ما له حس كحس الصواعق وصح علي ما قال في بعض رواية
ان العطش اشتد بهم في غزوة تبوك حتي كادت رقابهم تنقطع وكان الرجل
ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل الباقي علي كبده فساله ابو بكر رضي
الله تعالى عنه ان يدعو لهم فقال صلي الله عليه وسلم اتحبون ذلك قال نعم فرفع
صلي الله عليه وسلم يديه فلم يرجعها حتي سالت السما فانسكبت فملاوا ما معهم
من انية ثم ذهبوا ينظرون فلم يجدوها جاوزت العسكر وفي البخاري في
غزوة الحديبية نحو ذلك مرتين مرة امرهم بوضع سهم من كنانته في محل
الما ففاض ومرة بوضع يده الشريفة في الركوة فجعل الما يفور من بين اصابعه
صلي الله عليه وسلم ومن اوصافها ايضا انه اثمر النخل في عام اي في سنة
غرسها بها اي بسبب مس تلك الراحة الكريمة لذلك النخل في قصة سلمان
الفارسي رضي الله تعالى عنه التي ذكرها اصحاب السير ابن هشام وابن سيد الناس
وغيرهما وحاصلها انه صلي الله عليه وسلم لما قدم المدينة اتاه سلمان وامن به

احبت المرملين من موت جهد اعوز القوم فيه زاد وماءُ

وكان مسترقا فامره صلي الله عليه وسلم ان يكاتب سيده فكاتبه علي غرس ثلاثمائة
ودية وتعدها حتي تثمر واربعين اوقية ذهبا ثم اخبره صلي الله عليه وسلم بذلك
فامر اصحابه ان يعينوه بالودي فاعانوه به ثم وضعه صلي الله عليه وسلم بيده
فما مات منها واحد بل اثمرت في عامها وفي رواية توقفت منها واحدة فقلعها
صلي الله عليه وسلم واعادها فساوت البقية فاداها وبقي عليه الذهب فجا
للنبي صلي الله عليه وسلم مثل بيضة دجاج من ذهب من بعض المعادن فاعطاها
صلي الله عليه وسلم له فقال واين تقع هذه مما علي قال صلي الله عليه وسلم خذها
فان الله سيودي بها عنك فوزن لهم منها اربعين اوقية ومن اوصافها
ايضا انه سبحت بها اي براحته صلي الله عليه وسلم الحصا اي كما رواه
البزار والطبراني في الاوسط وغيرهما انه صلي الله عليه وسلم كان عنده ابو بكر
وعمر وعثمان فقبض صلي الله عليه وسلم حصيات فسبحن في كفه حتي سمع لهن
حس كحس النحل فتناولهن ابو بكر فسبحن في كفه كذلك ثم علي كذلك ثم
عثمان كذلك ثم اخذها الحاضرون فلم تسبح مع احد منهم قال الحافظ شيخ
الاسلام والحافظ العسقلاني ليس لتسبيح الحصي الا طريق واحدة مع لكنها
مشهورة عند الناس انتهي نعم اخرج البخاري من حديث ابن مسعود كنا
ناكل مع النبي صلي الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفي فتح الباري
عن الشفا انه صلي الله عليه وسلم مرض فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل
منه فسبح تنبيه تسبيح الجماد كالطعام والحصا معناه ان الله خلق
فيه اللفظ الدال علي التنزيه حقيقة خرقا للعادة ومع ذلك اضافة التسبيح
اليه مجاز لان اللفظ انما يضاف حقيقة لمن قام به ومن اوصافها العلية
ايضا انها احبت المرملين اي الذين نفد زادهم من القحط حتي اشرفوا

فتغدي بالصاع الف جياع وتروي بالصاع الف ظماء

علي الموت فتسميتهم موتي حتي وصفوا بالحياة مجاز كما ان اسناد الاحيا الي الراحة
مجاز ايضا فهو استعارة تبعية من موت جهد اي قحط شديد والاضافة
بيانية مبالغة بادعا ان ذلك الجهد لما كان سببا قريبا للموت اطلق عليه اسمه
اعوز القوم عدل اليه عن اعوزهم الذي هو القياسي لازالة ايهام لفظ المرملين
انه خاص بذكورهم وان كان التغليب في مثله شايعا ذايعا فان قلت
شمول القوم للاناث انما هو بطريق التبع فساوي المرملين قلت الفرق
بينهما واضح لان شمول القوم للاناث لفظي وان قلنا بالتبعية وهي ثم لا تحتاج
لقرينة بخلاف المرملين فافاد القوم ما لم يفده المرملين فيه اي ذلك الجهد
زاد وما من اعوزه الشي اذا احتاج اليه وعبر بزاد مع انه انما يقال في طعام
المسافر اشعارا بانهم لما حصلت تلك الشدة التي ادت بهم الي الاشراف علي الموت
صاروا كالمسافرين المشرفين علي الهلاك وبين الموت والاحيا والزاد والما
الطباق كالعري والشبع المفهومين مما ياتي فسبب احيايه لهم كثر الله لهم
كرامة ومعجزة له صلي الله عليه وسلم الطعام والما القليل جدا حتي تغدي
بالدال المهملة اي اكل وقت الغدا وهو ما قبل الزوال بالصاع الواحد وهو
قدحان بالكيل المصري تقريبا الف جياع وتروي بالصاع الف ظما
جمع ظامي اي عاطش اما تروي الالف الظما بالما القليل النابع من بين اصابعه
صلي الله عليه وسلم تارة وببركة دعايه تارة اخري فقد مر الكلام عليه مستوفيا والمراد
بالصاع فيه المراد به الما القليل جدا كما يعلم مما مر وانما ذكره علي جهة مجاز
المشاكلة لما قبله نحو وجزا سيية سيية مثلها ومكروا ومكر الله تعلم ما في نفسي
ولا اعلم ما في نفسك وبالالف المراد به العدد الكثير ففي بعض المواطن كالخندق ببيه
كانوا الفا واربعماية احسمايه وفي بعض المواضع كانوا ثلاثمائة وفي بعضها كانوا

اهل ومن غزوة تبوك كانوا الوفا مولفة واما تغدي الالف الجياع بالصاع فهو
ما في الصحيحين عن جابر رضي الله تعالى عنه انه راي بالنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة
الخندق جوعا شديدا فذهب لامراته واخبرها فاخرجت صاعا من شعير وشاة
داجنا اي سمينة فذبحتها وطحنت الشعير فلما وضعت اللحم في البرمة ذهب للنبي
صلى الله عليه وسلم واخبره وطلب ان ياتي بنفر معه فصاح النبي صلى الله عليه وسلم يا اهل
الخندق ان جابرا صنع سورا لحم فهلا بكم ثم امره ان لا ينزل البرمة ولا يخبز العجين
فلما جا صلى الله عليه وسلم بصق في العجين وبارك ثم بارك في البرمة ثم امرها ان تدعوا
خابزة تخبز معها وان تغرف من برمتها ولا تنزلها فاكلوا وهم الف حتى تركوه
وان عجينهم وبرمتهم كما هما وفيهما ايضا بعض زيادات وفي مسلم عن انس رضي الله
تعالى عنه في غزوة الخندق ايضا ان عمه زوج امه ابا طلحة عرف جوع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في صوته فذكر ذلك لام سليم زوجته فاخرجت اقراصا من شعير ولفتها بخمار
واعطتها لانس ولفت طرف الخمار على راسه مرتين كالعمامة وارسلته الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوجده في المسجد اي الموضع الذي اعده لمحاربة الاحزاب ومعه
الناس فقال له ارسلك ابو طلحة قلت نعم قال لطعام قلت نعم فقال لمن معه
قوموا فتقدمهم انس فاخبر عمه فقال يا ام سليم قد جا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالناس وليس عندنا طعام نطعمهم فقالت الله ورسوله اعلم فتلقى ابو طلحة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم هلمي يا ام سليم ما عندك فاتت بذلك الخبز فامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم به ففت وعصرت عكة فادمته ثم قال فيه صلى الله عليه وسلم
ما شا الله ان يقول ثم قال ايذن لعشرة وهكذا فاكلوا وشبعوا وهم ثمانون
ثم اكل صلى الله عليه وسلم واهل البيت وذكر ابقية وفي طرق هذه القصة
ما يقتضي تعددها وادخالهم عشرة عشرة لاتحاد القصعة وصغرها وقوله

انس

وقد د بيضة من نضار دبن سلمان حين حان الوفاء

انس نعم اما لا ستحيا به من كثرة الناس فقال ذلك لمشبعه النبي صلى الله
عليه وسلم واما الان من ارسله فذكر له انه اذا راي كثرة الناس دعاه وحده وفي رواية
ان ابا طلحة قال انما ارسلت انسا يدعوك وحدك ولم يكن ما يشبع من اري فقال
ادخل فان الله سيبارك فيما عندك وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم مسح القرص
فجعل ينتفخ ويتسع في الجفنة وفي اخرى ان ابا طلحة راي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقري اصحاب الصفة سورة النسا وقد ربط على بطنه حجرا وروى مسلم انهم
في غزوة تبوك جاعوا فسال عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعوا بفضل ازوادهم
ثم يدعو الله لهم عليها بالبركة ففعل فاجتمع شي يسير فدعا صلى الله عليه وسلم بالبركة
ثم قال خذوا في اوعيتكم فما تركوا في العسكر وعا الا ملاوه فاكلوا حتى شبعوا
وفضلت فضله فقال صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحديث وفيهما عن انس ايضا ان امه ام سليم ارسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحيسة في تور وهو عروس بزينب فامره ان يدعو من لقي فدعا من لقي فكانوا زهاء
ثلاثمائة فوضع صلى الله عليه وسلم يده في تلك الحيسة وتكلم بما شا الله ثم دعا عشرة
عشرة فاكلوا حتى شبعوا فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت وصح
عن سمرة بن جندب انهم تداولوا قصعة من غدوة الى الليل يقوم عشرة ويقعد
عشرة قيل له فما كانت تمد قال كانت تمد من هاهنا واشار الى السما ومنها انه
وفى قدر بيضة اي بيضة دجاج من نضار اي ذهب دين سلمان
الفارسي رضي الله تعالى عنه الذي كان من جملة ما كاتب عليه سيده وهو اربعون اوقية
من الذهب كاملا مع صغر تلك البيضة ~~براحته الكريمة~~ وعظم ذلك الدين
لكن ببركة مسه صلى الله عليه وسلم لتلك البيضة براحته الكريمة حين حان اي قرب
الوفا اي حلول الاجل وبين وفا والوفا الجناس الناقص ورد العجز على الصدر

كان يدعي فاعتق لمال يبغت من نخيله الاقناء

وبين حين ودين وحين وحان الجناس اللاحق وسبب هذا الدين على سلمان
انه **كان يدعي قنا** اي ارق بالباطل وملخص قصته كما حكاه هو عن نفسه
انه من اصبهان واجتهد في المجوسية حتى صار بيا فمر بكنيسة النصارى
فاعجبوه فذكر لابيه فقيده وقال له دينك ودين ابايك خير من دينهم فارسل
يسال من النصارى عن علما دينهم فقالوا بالشام فارسل اليهم فسال عن اعلمهم
فنزل عليه فخدمه الى ان مات ثم خدم من اقيم مقامه فلما احتضر قال له بمن
توصيني قال بفلان بنصيبين فجاه واخبره وخدمه فلما احتضر ذكر كذلك له
قال بفلان بعمورية من ارض الروم فلما احتضر قال له يا بني ما اعلم احدا على
ما كنا عليه امرك ان تاتيه وانه اظل زمان نبي مبعوث بدين ابراهيم يخرج من
ارض العرب مهاجرا الى ارض بين حرتين به علامات لا تخفى ياكل الهدية ولا ياكل
الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بارضه فافعل ثم
مات فمر بي نفر من كلب فقلت لهم احملوني الى ارض العرب واعطيكم ما عندي
فحملوني فلما بلغوا وادي القرى ظلموه فباعوه من يهودي فباعوه من ابن عم له من
بني قريظة بالمدينة قال فحملوني اليها فعرفتها فبعث صلى الله عليه وسلم بمكة فلم اسمع
له ذكرا ثم هاجر الى المدينة فبينما انا اجني لسيدي ثمرا جاءه ابن عمه فقال له قاتل
الله بني قيلة وهي ام الاوس والخزرج انهم الان لمجتمعون بقبا على رجل قدم اليهم
من مكة اليوم يزعمون انه نبي فاخذتني رعدة وشدة حتى ظننت اني ساقط
فنزلت فقلت لسيدي ماذا قال لك هذا فغضب ولطمني لطمة شديدة
وقال ما لك ولهذا اقبل على عملك فلما امسى اخذ شيا جمعه وذهب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو بقبا فقال هذا صدقة فامر اصحابه باكله ولم ياكل فجمع
شيا اخر واتى به فقال له هذا هدية فاكل هو واصحابه ثم جاه بالبقيع وقد تبع

جنازة

افلا تعذون سلمان لما ان عرته من ذكره العرواء

جنازة فجعل ينظر الى ظهره صلى الله عليه وسلم فعرف النبي صلى الله عليه وسلم
انه يتامل في شي وصف له فالقى له رداه عن ظهره فراى خاتم النبوة فقص عليه
حديثه واسلم فامره صلى الله عليه وسلم ان يكاتب فكاتب الراهبة
والاثه وهي جملة الاحرار الذين هم اتباع حواري عيسى عليه الصلاة والسلام
على غرس ثلاثماه نخلة وتعهدها حتى تثمر واربعين اوقيه من ذهب
فغرس له النخل فاثمرت من عامها واعطاه مثل بيضة من ذهب
فوفت الاربعين **فاعتق** باد النجوم **لمال يبعت** اي تصحت
من نخيله حال من قوله **الاقنا** جمع قنو وهو العرق اي العرجون
ولاجل ما ذكر عن سلمان انه بمجرد سماعه لذكر النبي صلى الله عليه وسلم اخذته
الرعدة والشدة وهو على راس نخلة يجنيها لسيده وشاهده سيده منه
ومع ذلك دال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه بلغ امره ونعته الاباعد
والاقارب لما فيه ان له تلفتا الى سماع خبر النبي صلى الله عليه وسلم الطمه بخريرة
لانه كان من جملة اليهود الذين كانوا يفتخرون على الانصار بانه قرب زمن نبي
عربي كريم فنكون اول من يتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم
المدينة كفروا به اكثرهم كما قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به عرض الناظم
رحمه الله تعالى لمولى سلمان منكرا عليهم اذ لم يؤمنوا بنبينا صلى الله عليه وسلم
مع ما شاهدوه من حال سلمان بل ازدادوا في الطغيان بضربه فقال اتظلمون
سلمان وتمنعونه من الاجتماع بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يؤمن به **افلا
تعذون سلمان** اي تبرون له عذرا يمنعكم من ايذايه ومنعه وقد
وضح الدليل عندكم على نبوته صلى الله عليه وسلم **لما** اي حين **ان عرته** اي
غشيته **من** اجل **ذكره** اي ذكر اليهودي لقربه النبي صلى الله عليه

وازالت بلمسها كل دا اكبرته طبه واساء وعيون مرت بها وهي رمد فارتها ما لم تره الزرقاء

واجتماع

وسلم واجتماع الناس بدمي قبا العروا اي قوة الحمي وسلها في اول اخذها
للانسان بالشدة والرعدة وما ذكرته في تقرير هذا البيت المطابق لما في قصة
سلمان والذي فيه غاية المناسبة للمقام وغاية الانكار على اليهود ورميهم بالعار
والبهتان اولى مما وقع للشارح في تقريره علي ما فيه من النظر كما يعلم بتامله وبين
عمرته والعروا التجنيس شبه الاشتقاق ومن اوصاف تلك الراحة ايضا انها
ازالت بلمسها لمن به امراض اعيت الاطبا كل دا به اكبرته اي
استعظمته وعجزت عن بريه اطبه جمع طبيب وهو العالم بعلم الطب
الذي هو حفظ صحة الانسان بمنع الواصل ودفع الحاصل واسا بكسر الهمزة
اي مرضي جمع اسي كرام ورعا وروى الدارمي ان امراة جاءت الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون وانه لياخذه عند غدائنا
وعشائنا فمسح صلى الله عليه وسلم صدره فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود
فشفي فائدة روى البخاري ان سلمة اصيب يوم خيبر بضربة في ساقه
فنفث فيها صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكى قط ومن اوصافها
ايضا انه برى بها عيون باصرة مرت بها تلك الراحة وهي رمد
اي معطلة الابصار فارتها اي تلك الراحة تلك العيون ما اي الشي
البعيد الذي لم تره وفيه مع ارتها جناس الاشتقاق الزرقا المشهورة
بزرقا اليمامة التي كانت ترى من مسيرة ثلاثة ايام روى البخاري في غزوة
خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال ابن علي اي ليعطيه الراية ويكون الفتح علي
يديه فكان في رواية ابن الاثير قالوا يشتكي عينيه قال ارسلوا اليه فاتي به فبصق
صلى الله عليه وسلم ودعا له فبري حتى كان لم يكن به وجع وعند الطبراني عن علي فما
رمدت ولا صدعت منذ دفع الي صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم

عنه

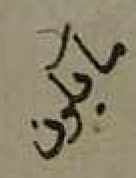
واعادة علي قتادة عينا فهي حتى مماته النجلاء

عنه فوضع صلى الله عليه وسلم راسي في حجره ثم بزق في راحته فدلك بها عيني وعند
الطبراني فما اشتكيتها حتى الساعة قال ودعا لي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم
اذهب عنه الحر والقر فما اشتكيتهما حتى يومي هذا فائدة روى ابن
ابي شيبة والبغوي والبيهقي والطبراني وابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم نفث
في عيني فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيا وكان وقع على بيض حية
فكان يدخل الخيط في الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان ومنها
ايضا انها اعادت علي قتاده بن النعمان عينا له ذهبت
فهي حتى اي الى مماته النجلا اي الواسعة والمراد واسعة النظر
وقصته ان عينه اصيبت يوم احد فوقعت على وجنته فاتي بها الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي امراة احبها واخشى ان راتني تقذرني فاخذها
صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكسها
جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى
وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه رجل من ذريته فقال عمر من انت
فقال ابونا الذي سالت على الخد عينه فردت بكف المصطفى ايما رد فعادت
كما كانت لاول امرها فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد فوصله عمر رضي الله تعالى
عنه واحسن جائزته قال السهيلي في رواية اصيبت عيناي يوم احد فسقطتا
على وجنتي فاتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا
تبرقان قال الدارقطني هذا حديث غريب تفرد به عمار بن نصر عن مالك
وهو ثقة واخرج الطبراني وابو نعيم عنه كنت يوم احد اتقي السهام بوجهي
دون وجهه صلى الله عليه وسلم فكان اخرها سهما ندرت منه حدقتي فاخذتها
بيدي وسعيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآها في كفي دمعت عيناه فقال

دتا

او بلثم التراب من قدم لانت حيا من مسها الصفراء

صلى الله عليه وسلم السمهرف قتادة كما وقي وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا وتجمع بين رواية الواحدة ورواية الثنتين على تقدير صحتها بان احد الرواة ظن ان الساقط واحدة وبعضهم علم انه ثنتان فاخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم ان زيادة الثقة مقبولة وربما يترجح رواية الثنتين **او** لينه خصني في اليقظة او النوم نظير ما مر **بلثم** اي تقبيل **التراب** المنفصل **من قدم** له صلى الله عليه وسلم موصوفة باوصاف جليلة كثيرة منها انها كانت اذا مشت على حجر **لانت حيا** اي لاجل ومن جهة استحيائها منها او اجلالا لها **من** اجل **مسها** اي تلك القدم الكريمة لها **الصفرا** اي الحجارة الصلدة فاعل لانت واعيد الضمير مسها وما بعده عليها لتقدمها رتبة ونبه بذلك على انه ينبغي لك ايها العاقل ان تستحي من مخالفتك ما جاء به نبيك صلى الله عليه وسلم لانك اذا علمت ان الحجر الاصم استحي منه ان يبقى على صلابته مع مشيه صلى الله عليه وسلم فتشق عليه صلابته فلان له حتى تسهل مشيه عليه فانت اولى بالاستحيا منه ان تبقى على مخالفتك مع علمك بجليل اوصافه وعلى اخلاقه صلى الله عليه وسلم ثم هذا الذي ذكره الناظم ذكره غيره ممن تكلم على الخصايص لكن بلا سند **موطي** بدل من التراب **الاخمص** بضد الميم المراد به الجنس اي الاخمصين وهو من التعبير بالبعض عن الكل اذ الاخمص من القدم الموضع الذي لا يلتصق بالارض منها عند الوطي والخمصان البالغ فيه ولا يرد على كلامه ما رواه البيهقي عن ابي هريرة كان صلى الله عليه وسلم اذا وطي بقدمه وطي بكلها وليس له اخمص وابن عساكر عن ابي امامة كان صلى الله عليه وسلم لا اخمص له يطا على قدمه كلها لان المراد ان اخمصه معتدل الخمص ومن ثم قال ابن الاعرابي اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستوا اسفل القدم جدا فهو احسن



موطي الاخمص الذي منه للقلب اذا مضجعي اقضي وطاء
خطي المسجد الحرام بممشاها ولم ينس حظه ايلياء

ما يكون وان استوى او ارتفع جدا فهو مذموم **الذي** نعت للمضاف ولا يصح كونه نعتا للمضاف اليه الا بالتكلف **منه** صفة للمبتدا الذي هو وطا قدمت عليه فصارت حالا **للقلب** خبر المبتدا وهو الفواد وقد يعبر به عن العقل وهو المراد بالقلب والحلال في العقل وذكر القلب بعد الاخمص فيه تجنيس مراعاة النظير **اذا مضجعي** اي جنبي الذي اضطجع اليه **اقضي** بالقاف والمعجمة اي اصابه القضض وهو التراب الذي يعلو الفراش كما في القاموس **وطا** اي فراش وصف ذلك التراب الذي هو موطي القدمين الشريفين لانه لو فرض ان مضجعه اصابه تراب فراشه الذي هو من جملة ذلك التراب سرى سر ذلك التراب الاكرم الى قلبه فاناره واراحه من الاغيار وصيره على اكمل الاحوال وصانه من قبايح الخطرات والاهوال فكان الفراش يصون من فرش له من ذلك وهذا اولى واظهر مما حل به الشارح هذا البيت فتاملها ومن اوصافها ايضا انه **خطى المسجد الحرام** يعني جميع حرم مكة اذ المسجد الحرام يراد به ذلك مكة الا في نحو قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام **بممشاها** اي بمشي تلك القدم فيه اي فضل حرم مكة سائر البقاع ما عدا موضع قبره المكرم كما عليه اكثر العلماء بواسطة ولادة النبي صلى الله عليه وسلم وتربيته ونشاته فيه ومن ثم صح من غير نزاع فيه لاحد انه صلى الله عليه وسلم قال لمكة والله انك لاحب ارض الله الي ولولا اني اخرجت منك كرها ما خرجت والحديث المعارض لذلك الذي يرويه مفضل المدينة المنورة موضوع كما اعترف به امام المالكية ابو عمر ابن عبد البر وصرح بان افضلية مكة هو الحق عنده من العلماء شده وبريء من التعصب **ولم ينس حظه** منه **ايليا** اي بيت المقدس بل شرفه بمشيه صلى الله عليه وسلم فيه اخيرا وصلاته فيه بالانبيا عليهم الصلاة والسلام ليلة الاسرا كما جاء ذلك في الاحاديث الصحيحة اللهم ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة الحديث

معقود صلى الله عليه وسلم حرمت المدينة اي نزل تحريمها على لساني ولم يسبق من مثل خلاف
مكة فان تحريمها من يوم خلق الله السموات والارض كما في حديث البخاري وغيره
ثم حديث البخاري وغيره ان ابرهيم حرم مكة معناه اظهر حرمتها الا غير جمعا
بين الحديثين فانه متعين ما امكن وليس الكلام فيما انشا حرمته وانما
هو فيما عرفت حرمته من قبل على لسان غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام لكن
ازدادت حرمته ببركة حلوله به وبسببه فيه ففضل غيره ح ففضل مكة وبيت
المقدس ليس لتقدم حرمتهما قبله صلى الله عليه وسلم بل لاجل حلوله ومشيه فيهما
وبين خطى وخطه كورمت وري تجنيس شبه الاشتقاق ومن اوصافه ايضا انها
ورمت كما في الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت قدماه
فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال
افلا اكون عبدا شكورا وفي رواية لهما عن عايشة رضي الله تع عنها قام نبي الله صلى الله
عليه وسلم حتى تورمت قدماه وفي رواية حتى تفطرت قدماه فقلت له لم تصنع
هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا
فلما بدن وكثر لحمه صلى جالسا فاذا اراد ان يركع قام فقرا ثم ركع والفا للسببية
والتقدير ااترك تهجدي فلا اكون عبدا شكورا والمعنى ان المغفرة سبب لكون
التهجد لمحض الشكر فكيف اتركه قال ابن بطال شارح البخاري في هذا
الحديث اخذ الانسان على نفسه بالشدة في العبادة وان اضر ذلك ببدنه لانه
صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له صلى الله عليه وسلم فكيف بمن لم يعلم
بذلك فضلا عمن لم يامن استحقاق النار انتهى قال بعض المغربي
قام صلى الله عليه وسلم طول ليلة على قدميه الا قليلا فلما تورمت قدماه كان
يقف على اطراف اصابعه فانزل الله عليه طه اي طا الارض بكل قدميك

ورمت اذ ري بها ظلم الليل الي الله خوفه والرجاء

واستمر بما انت فيه من التعب فانا ما انزلنا عليك القران لتشقى اذ اي وقت
او لاجل انه رمي بها ظلم الليل فيه استعارة بالكناية شبه القدم الشريف
بسهم صايب من حيث ان قيام القدم في طاعة الله تعالى اوجب زوال ظلمة الليل
ووحشته كما ان رمي السهم في طاعة الله تعالى يزيل سورة هولة عدوه وطافه
فتشبيه القدم بالسهم في ذلك استعارة بالكناية لبنايها على هذا التشبيه المكنى
بها عن في النفس واثبات الرمي لها استعارة تخييلية وبهذا التقرير البديع المبقي
للبا على حالها يندفع زعم الشارح انها بمعنى من او عن وانه لا يصح بقاوها على حالها
ولما كان قيام الليل لذلك ناشيا اما عن مزيد خوف او سعة رجا بين الناظم رحمه الله
تعالى ان قيامه الليل صلى الله عليه وسلم لم يكن لاجل ذلك وانما كان لمحض الشكر كما افاده قوله
صلى الله عليه وسلم افلا اكون عبدا شكورا مع التلذذ بمناجاة الله تع والقيام بين يديه
فان خوفه ورجاه صلى الله عليه وسلم الذين وصل فيهما الى غاية لم يصل اليها غيره انما كان
لمحض التقرب بهما الى الله تع فقال الى الله خبر مقدم خوفه منه قال
صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم بالله تعالى واخوفكم منه والرجا اي وسعة امله فيما
عنده لا الى غرض اخر لان الله تع عصمه عن ان ينظر او يميل الى غيره طرفة عين
بل هو دايم المثول في حضرات الشهود الاقدس والتملي بمعالي القرب الانفس
ووقع للشارح رحمه الله تع حل هذا البيت على خلاف ما ذكرته وما ذكرته اولى وانسب
بمقامه صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى على متامل فتدبر ابن القرطبي اشار لما ذكرته حيث
قال لمن ساله في حديث الصحيحين المذكور عن سبب تحمله المشقة في العبادة
انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج
الى ذلك فافاد ان هنا طريقا اخر للعبادة وهو الشكر اذ هو الاعتراف بالنعمة والقيام
بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمي شكورا لكنه قليل كما قال تعالى وقليل من عبادي

دميت في الوغى لتكسب طيبا ما اراقته من الدم الشهداءُ

الشكور وفي الحديث بيان ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد في العبادة والخشية
من ربه قال العلماء رضي الله تعالى عنهم انما الزم الانبياء انفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم
نعمة الله تعالى عليهم وانه تعالى ابتدأهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم في عبادته
عز وجل ليؤدوا بعض شكره مع ان حقوق الله تعالى اعظم من ان يقوم بها العباد انتهى
وقيام الليل كان في اول الاسلام واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى امته كما ذكره الله
تعالى في اول سورة المزمل ثم نسخ بما في اخرها ثم نسخ عن الامة بالصلوات
الخمس وكذا نسخ عنه على الاصح كما نص عليه الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه ولكن اكثر
اصحابه على انه صلى الله عليه وسلم لم ينسخ عنه لقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة
لك اي عبادة زائدة في فرائضك لان المراد للوجوب وقيل معناه زيادة خالصة
لك لان تطوع غيره يكفر ذنبه وتطوعه خالص له لكونه صلى الله عليه وسلم لا ذنب عليه
فسائر تطوعه صلى الله عليه وسلم لمحض زيادة الدرجات والقرب واما حديث اللهم اني اسالك
الجنة وما قرب اليها من قول او عمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول او عمل
فهو تعليم لامته صلى الله عليه وسلم وبين الخوف والرجا المقابل بد من اوصافها ايضا
انها دميت اي جرح دمها في الوغى قال الشارح هو الصوت والجلبة
ويقال للحرب فيها من الصوت والجلبة وكثرة اختلاط وهو المراد هنا
انتهى لتكسب هي طيبا ما اي الذي اراقته من الدم
بيان لما الشهداء جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل لانه يشهد الجنة
وما اعد الله له فيها عند طلوع روحه او مفعول لان ملائكة الرحمة تشهده
عند ذلك وهو فاعل اراقت اي من حكى خروج الدم من رجله الشريفة ان يعود
طيب ذلك الدم وبركته على جميع دم الشهداء حتى تكون رائحة دمهم كريح
المسك كما اخبر صلى الله عليه وسلم عن دمهم بانه كذلك ولكن ينبغي للناظم ان

يذكر هذا من اوصاف يده الكريمة لان الذي في البخاري انه صلى الله عليه وسلم دميت اصبعه
فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت وقد يحمل كلام الناظم على
ما سبق انه صلى الله عليه وسلم خرج الى ثقيف يدعوهم الى الله تعالى واغروا به سفهاءهم
فرموه بالحجارة الى ان ادموا رجليه فجلس من شدة الالم وزيد مولاه يحميه
منهم فان قلت ليس هنا حرب والناظم قيد ذلك بالوغى قلت قد
علمت ان اصل الوغى الصوت والجلبة وهذا موجود هنا على ان لنا ان نمنع
قولك ليس هنا حرب وسبب المنع انه قام عندهم يدعوهم وهم لا يجيبونه
بل يغرون به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورجموا عراقيبه
بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة
قعد الى الارض فيأخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون
وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في راسه شجاجا وهذا حرب اي حرب
لان من قام بين ظهران العدو يواجههم بما يكرهون من غير ان يزجرهم ولا
ينكف عنهم بزجرهم محارب لهم اي محارب ويدل لذلك ان ايمتنا عدوا من
المتحاربين الصفين اذا تقابلا بحيث يصل سلاح كل الى الاخر وان لم يقع
قتال بل ولا سل سيف ولا رمي سهم تنزيلا لما بالقوة منزلة ما بالفعل فكذلك
هنا بل اولى لانه وجد من جانبهم ضرب وجرح وغيرهما ومن جانبه غلظة عليهم
وسب لهم ولالهتهم وبما قررته يعلم عذر الشارح في صرفه الوغى عن معناه الحقيقي
الى معناه المجازي وقال انه المراد هنا اي كما يقضي به سياق النظم لكن عليه ان يبين
ما يشهد لذلك المراد من كتب السير وغيرها واذا تقرر انه صلى الله عليه وسلم
قام على قدميه حتى تورمت وانها دميت في الحرب لتكسب طيب دمها دم الشهداء
طيبا فهي قطب المحراب وقطب الحرب اي انتهى اليها الثبات

نهي قطب المحراب والحرب كم دارت عليها في طاعة ارحاء

في الصلاة والحرب اي حالة لم توجد في غيرها كما كان صلى الله عليه وسلم الا اتقى و اعلا اخشع لله تعالى منه ولا اشجع منه كما مر فهي قطب العبادات والجهاد في سبيل الله تعالى لا تتحرك ولا تنتقل عن مكانها فلذا دارت عليها قبايل العرب الذين اكرمهم الله تعالى بطاعته للانقياد بها والمجاهدة معها كما قال **كم** اي مرات كثيرة **دارت عليها في طاعة** الله تعالى حال من قولها **ارحا** اي قبايل وهذا تذييل وقطب الرحا ما تدور عليه فاستفيد من ذلك انها مركز دايرة الموجود فهو نقطة الكون المخلوق لاجله ابتدا او للتصرف فيه ابنها وبين المحراب والحرب تجنيس الاشتقاق **واداه** اي اعلم انه صلى الله عليه وسلم **لو** هي مع شرطها وجوابها سدت مسد المفعول الثاني ويصح ان ماجت هو المفعول والجواب لو محذوف دل عليه ماجت واعلم ان الكلام على لو كثر اختلاف العلما فيه وقد اوردت هنا ايراد خلاصته لانه مما يضطر الى معرفته فاقول هي شرط للماضي غالبا واختلفت عبارات النحاة في معناها حتى قيل انه لم يفهموه قال س هي حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وقال المعربون حرف امتناع لامتناع واختلف في مرادهم بذلك قال ابن الحاجب مرادهم امتناع الشرط لامتناع الجواب لا عكسه لان انتفا السبب لا يدل على انتفا مسببه لجواز ان يكون للشي اسباب واستدل لذلك بقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا لانها مسوقة لنفي تعدد الالهة بامتناع الفساد لا عكسه اذ لا يلزم من انتفايها انتفاوه اذ المراد فساد نظام العالم عن حالته وذلك ان يفعله الاله الواحد سبحانه انتهى وردوا عليه واطالوا وصوبوا ان المراد امتناع جوابها لامتناع شرطها كما هو المتبادر للافهام واعترض ذلك بان الجواب قد لا يمتنع في اماكن كثيرة نحو ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الاية وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب

واداه لم يسكن بها قبل حرا ماجت به الدماء

لو لم يخف الله لم يعصه لان عدم النفود محكوم به وجد الشرط ام لا وكذلك عدم العصيان وجد الخوف ام لا فلذلك حول جمع محققون العبارة عن معناها فقالوا لو حرف يقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه من غير تعرض لنفي التالي فقيام زيد من لو قام زيد قام عمرو محكوم بانتفايه ويلزم لعمرو قيام اخر غير اللازم عن قيام زيد اليس لو تعرض لذلك فمن ان ناسبه بان لزم التالي الاول عقلا او شرعا او عادة ولم يخلف المتقدم في ترتيب التالي عليه غيره لزم انتفاوه بانتفايه كلو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ففساد هو اللازم لتعدد الالهة على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشي ولم يخلف التعدد في ترتيب الفساد غيره فينتفي الفساد بانتفا التعدد والمغاد بلو وان خلفه لم يلزم كلو كان انسانا لكان حيوانا فالانسان لازم للحيوان عقلا لانه جزوه ويخلف الانسان في الحيوان غيره كالحمار ويثبت التالي مع انتفا الاول ان لم يناف انتفاوه وناسبه اما بالاولى كالاثر المرتب فيه عدم العصيان على عدم الخوف وهو بالخوف المغاد بلو انسب للترتيب عليه ابلغ في قصده والمعنى انه لا يعصي الله مطلقا لا مع الخوف وهو ظاهر ولا مع انتفايه اجلالا لله تعالى عن ان يعصيه او المساوي لقوله صلى الله عليه وسلم في بنت ام سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة رواه الشيخان اي لا تحل لي اصلا لان لها وصفين متساويين المصاهرة والرضاع لو انفرد كل منهما حرم او الادون كلو انتفت اخوة الرضاع ما حلت للنسب الادون منه الرضاع **لم يسكن** هو **بها** اي بمدينة الشريف **قبل** بالبنا على الضم **حرا** مفعول يسكن بالصرف هنا لا غير ليلا ينزحف البيت وفي غير هذا يجوز لك كل منهما باعتبارين المعروفين **ماجت** اي تحركت واضطربت **به** اي الغنم او النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة بها **الدما** اعلم ان الشارح رحمه الله تعالى تكلم على هذا البيت بما فيه خفا وتطر

وقالوا الزماهي بالمعجمة كأنه اراد بها سرعة الحركة قم م

لانه جعل مفعول اراه الثاني ماجت ولو لم يسكن شرط جوابه محذوف
لدلالة الكلام عليه وظاهر في حله دون اوصافه صلى الله عليه وسلم انه لو لم يسكن بالقدم
المذكورة حرا لما اراد التحدث فيه ماجت سرعة الحركة واستمر اضطرابه به صلى
الله عليه وسلم كما انه صلى الله عليه وسلم لما صعد احدا تحرك به فقال اثبت احد
فذلك تسكين بالقول وهذا بالفعل انتهى ولم يظهر من هذا الحل مع ما قبله
من الاعراب معنى مطابق للنظم وجعل سرعة الحركة فاعل ماجت في غاية
الخفا مع عدم المناسبة لما قبله على انه في القاموس لم يذكر الزماما بالمعجمة
اصلا ولا لذامه بالمعجمة معنى مناسبا لسرعة الحركة ولا مقاربا لها اصلا
وانما ذكر لا ذامه ما قد ناسبه وهو سرعة الحركة وهو الرعب وعبارته في ذامه
بالمعجمة كذمه حقره وذمه وطرده وحراه والاذام الرعب وما سمعت
له ذامة كلمة انتهت وانما ذكر الدما بالمهملة فقال دام الحايط كمنع وتدام
الالني غمره والنحل الناقة تجللها وتدامه الامور تقاعله تراكم عليه وتزاحم
والداما البحر بمد وقال وجيش مدام لنيره كرب كل شي انتهى والذي يتجه في
حله ان ماجت جواب لو وان الدما بالمهملة وانها البحر وان فيها
الاستعارة المصرحة لانه شبه الجبل بالبحر بجامع الكبر وان ماجت استعارة
مرشحة لانها تناسب المشبه به وهو البحر اذ لا يستعمل ماج الا في الماء كما
يصرح به كلام القاموس وح فالمعنى انه لو لم يسكن بقدمه حرا قبل اي عند
ابتدا تحركه بقوله له اثبت حرا الى اخر ما مر في شرح قوله فاهتز به للصلاة
فيها حرا الماج اي استمر اضطرابه وتحركه الى اخر الدهر لما مر انها هزة الطرب
والسرور برقيه صلى الله عليه وسلم وكان القياس لو لو لم يسكن بقدمه الشريف
قبل حرا ماج لكن لما احتاج الى تشبيه الجبل بالبحر من البلاغة المبيدة

الموجه انه شبه الجبل بالبحر لانه يماثله بوصا له صلى الله عليه وسلم اذ شبه تحركه تحرك البحر بالكبر وان ماجت استعارة م م

على الاستعارة المذكورة يعني فان قلت الذي مر في حرا انه انما قال له اثبت
ونحوه ولم يصرح بتقدمه واما الذي مر بتقدمه احد وثبير فمن اين للناظم قوله لو لم
يسكن بها قبل حرا قلت كانه نظر الى بعض الطرق في سند الحارث بن اسامة
اذ فيها احدا وحرا بالشك وصح في رواية حرا وفي رواية احد فاقتضى ذلك ان الضرب
بالقدم الكريمة في حرا كما انه في احد ولك ان تحمل النظم على ان المراد لو لم
يسكن حرا قبل طلوعه عليه هو واصحابه بقدمه اي مشيه عليه واقامته فيه
للتعبد قبل النبوة لاستمر تموجه واضطرابه حتى طلع عليه ثانيا هو واصحابه
وح لا يرد على الناظم شي الان يقال المسكن له كل من قدمه وقوله له اثبت
او اهد حرا فلا وجه لتخصيص القدم بالذكر وقد يجاب بانه لا مانع ان
المسكن له كل من الامرين فنسبته الى القدم لا ينافي انه لا سكن غيرها ولك ايضا
ان تحمل الدما الارض تسمية للمحل باسم الحال وح فالمعنى لو لم يسكن بقدمه الكريم
حرا اي بتعبده فيه قبل النبوة لماجت به الارض بعد النبوة فرحا وطربا اي اخر
الدهر وخص حرا لانه صلى الله عليه وسلم خصه بتعبده فيه دون غيره تنبيه
اشار صلى الله عليه وسلم في احد الى ان سبب تحركه به محبته له فقال احد جبل يحبنا ونحبه
رواه الشيخان قال الخطابي والمراد بحب احد حب اهل المدينة ونحوه اسيل القربة
ورده البغوي وتبعوه بانه لا مانع من حمله على ظاهره ولا ينكر وصف الجمادات بحب
الانبيا والاوليا واهل الطاعة نظير ما مر في حنين الجذع لما فارقه صلى الله عليه وسلم
وحديث ان حجرا كان يسلم علي قبل النبوة وروى البزار وابو نعيم حديث لما اوحي
اليه اي جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وما ذكر جملة
كثيرة من معجزاته صلى الله عليه وسلم التي ربما شاهدها من به من قومه بين ان الكفار
الذين شاهدوها وتم تردهم الا ضلالا لا حقيقون بان يقال في شانهم عجبا

عجبا للكفار زاد اصلابا الذي فيه للعقول اهتداءُ والذين يسلون منه كتاب منزل قد اتاهم وارتقا

بدل من الكفار بفعله وهو الامر المستغرب الخارج عن قياس
العقول **للكفار** اي منهم حال كونهم **زاد اصلابا** المعجزات
القران وغيره **الذي فيه** اي في كل فرد من افراده **للعقول** السليمة
الخلية عن العناد والخذلان والحسد والغل بر الكلام على العقل وما فيه
من الخلاف **اهتدا** الي الدين الحق الذي جا به محمد صلى الله عليه وسلم والي
صحة ما تحدي به ويصح ان يراد العقول لا بالقيدين المذكورين حملا
للاهتدا على ما يشمل ما بالقوة وما بالفعل اذ المعجزة فيها الاهتدا بالقوة
وان قارنها عنادا وخذلان وبين الضلال والاهتدا والجن والانس الايتين
الطباق ووجه التعجب منهم واضح فانهم كانوا مع ما شاهدوه من الايات
والمعجزات التي ترشد العقول الي الحق لا يزدادون لما عندهم من الحسد
والتلبيس على الضعفا منهم الا ابا وكفرا وتمردا كما قال تع وان يروا اية
يعرضوا ويقولوا سحر مستمر **و** عجبا ايضا من **الذين يسلون منه** علي
جهة التعنت والعناد وهو كثير منه **كتاب منزل** معه عليهم من
السما **قد اتاهم** به وهم يشاهدونه **وارتقا** منه اليها وغير
ذلك مما حكاه الله تعالى عنهم بقوله تعالى وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا
من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها
تفجيرا او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله والملايكة
قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقي في السما ولن نومن لرقيك
حتى تنزل علينا كتابا نقروه وقالوا ايضا لقد علمت انه ليس احد من
الناس اضيق بلدا ولا اقل ما ولا اشد عيشا منا فسل ربك في التيسير
عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وليبسط لنا في بلادنا وليخرق

فيها

ولم يكفهم من الله ذكر فيه للناس رحمة وشفاءُ

فيها انهارا كانهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى منا وليكن فيهم قصي
ابن كلاب فانه كان شيخ صدق فان صدقوك صدقناك وما قررته
في هذا البيت اولى مما قرره الشارح فيه من ان الذي مبتدا خبره
كتاب وارتقا معطوف عليه لانه لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده
مع ما فيه من غموض المعنى بخلاف ما ذكرته فان مناسبته لما قبله واضحة
وكذا لما بعده كما يدل عليه الاستفهام التعجبي الانكاري عليهم
في قوله ا يقولون ذلك كله ويتعنتون به **ولم يكفهم** عن ذلك
كله **من الله** حال من فاعل يكف وهو **ذكر** واصل الذكر وتسميته
ذكرا جات في اية مرادا بها الشرف كما في وانه لذكر لك ولقومك وفي
اخرى مرادا به انه مذكر لكل ما ينفع ومحذر عن كل ما يضر **فيه**
للناس والجن والملايكة **رحمة** باهتدا المومنين به وتاخير
عذاب الاستيصال عن الكافرين ببركة كونه بين ظهرانيهم **وشفا**
من كل دا ظاهرا او باطن حسي او معنوي كما قال تع قل هو للذين
امنوا هدى وشفا وتخصيص المومنين لانهم المقصودون بذلك
بالذات وغيرهم بطريق التبع وانما قلت والملايكة لقول بعض الاكابر
اعتنا ان الملايكة لم يعطوا فضيلة حفظ القران لكنهم حريصون
على استماعه من غيرهم قال العلما لم ينزل الله تعالى من السما شفا
قط اعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجع في ازالة الدا من القران
فهو للدا شفا ولصدا القلوب جلا كما قال تعالى وننزل من
القران ما هو شفا ورحمة للمومنين قال الفخر الرازي وغيره
ومن ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا

الجنس الذي هو القران شفا من الامراض الروحانية كالاعتقادات
الفاسدة في الالهية والنبوة والمعاد وفي القران من النصوص القاطعة
بفساد تلك ما يكفي ويشفي وكالاخلاق المذمومة وفيه ادبيان لانواعها
وحض على اجتنابها ومن الامراض الجسمانية بالتبرك بقراته عليها لكن
مع الخلوص وفراغ القلب من الاغيار وقربه واقباله على الله بكليته وعدم
لوكل الحرام وعدم رين الذنوب وعدم استيلا الغفلة على القلب وصح حديث
ان الله لا يقبل الدعا من قلب غافل لاه وقراته ممن هذه حالته على اي
مرض سبب له وان اعيي الاطبا ومن ثم قال بعض الايمة متى تخلف الشفا
فلو اما لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل المنفعل او لمانع قوي فيه
يمنع ان ينجع فيه الدوا كما يكون ذلك في الادوية والاطعمة والادواء الحسية
فقد روي حديث من لم يستشف بالقران لا شفاه الله وروى ابن ماجة
انه صلى الله عليه وسلم قال خير الدوا القران وعن العارف الامام الكبير
ابي القاسم القشيري رحمه الله تعالى ان ولده اشتد به مرض فاتزعج عليه الى
النبي صلى الله عليه وسلم فشكى له ما بولده فقال اين انت عن ايات الشفا
اي وهي ست ايات مشهورة فكتبها ومحاها وسقاها له فكان كانما
نشط من عقال ثم استطرد بذكر شي ما اشتمل عليه القران العزيز
من المعجزات الباهرة والايات الظاهرة فمن ذلك بل ابهره في قمع
المعارض وادحاض المجاهد انه اعجز قيل علم اعجازه ضروري
والاصح ان محله فيمن شاهد النبي صلى الله عليه وسلم او علم اوجه وجوه
الاعجاز ولا يستبعد ذلك لان من كشف عن قلبه الغطا عند المالك
يحصل له قطعا العلم الضروري انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جا به من

عند الم

اعجز الانس اية منه والجن فهلا تاتي بيعضها البلغاء

عند اسم تم وانه معجز للخلق عن محاكاته لان هذا امر يدركه الذوق السليم
وان لم يمكن صاحبه ان يعبر عنه بل لو ادعى مدع ان ذلك قد يحصل لبعض
حذاق العوام لم يبعد لاسيما وكل يدرك فرقا بديهيا بين القران وغيره
عند سماعهما الانس اية عبر بها تبعا للقاضي ولم يبال بان الذي عليه
الجمهور ان اقل ما وقع عليه التحدي اقصر سورة منه وهي ثلاث ايات
ومثلها طلب منهم صلى الله عليه وسلم بان ياتوا بمثله فعجزوا فطلب ان ياتوا بعشر
سور مثله فعجزوا فطلب منهم ان ياتوا بسورة من مثله فعجزوا فكان اقل ما طلب
منهم قدر اقل سورة من سورة وذلك لان لم يحل الجمهور شيا اذ يلزم من كونه
لم يطلب منهم دون السورة انهم قادرون على اقل منها لان المشاهدة قاضية
بانهم يعجزوا حتى عن بعض الاية المفيد كما يفيده قول الناظم الاتي وبعضها
لان في ارتباطها بما قبلها وبعدها انواعا من بدايع الحكم لا يحيط بها غيره
صلى الله عليه وسلم فالحق عاجزون عن محاكاة اية من اياته حتى ثم نظرا وبعضها
المفيد لكن مع النظر لمناسبتها لما قبلها وما بعدها واما التصريح بانه لم يقع العجز
الا عن ثلاث ايات فترده المشاهدة الخارجية اذ لم يسمع عن احد قط انه حاكي
شيا منه واعجز الجن اية منه ايضا وذكرهم كالاية لان التحدي وقع لهم
ايضا لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث اليهم اجماعا وزعم انهم انما ذكروا تعظيما للاعجاز
لانهم ليسوا من اهل اللسان العربي يرد بان الاية تقتضي انهم يحسنون اللسان
العربي فادعا خلافه يحتاج لدليل قيل ولم يذكر الملايكة لانه صلى الله عليه وسلم
ليس رسولا اليهم ويرد بان الاصح خلافه ومن ثم قال بعضهم منوهون
في الاية ايضا انهم لا يقدرون على معارضته اي وكان حكمه عدم ذكرهم عصمتهم
عن المخالفة فلم يحسن تحديهم وعلى كل فلم يستطع احد من الفريقين مثل

الفلانة في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا بعده ان يأتي بمثل سورة او يأتي مثل اية منه
على نظمه البديع ونسقه المنيع وعذوبة منطقه وما فيه من الامثال والاخبار
بالمغيبات ودلايل البعث والنبوة والاخلاق الكريمة وضدها وهذا مقتبس
من قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اه ح فلولا هي في الاصل للتحضيض والمراد
بها هنا التهكم ونظيره من حيث ان لولا بمعنى هلا تبكيت بهذه ما التلك
فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله الاية فهي هنا للتوبيخ والتنديم
فكذلك هلا هنا للتوبيخ من يزعم امكان المعارضة لبعض اهل الضلال
والالحاد تأتي ببعضها اي الاية والمراد بعضها المفيد البلغا
جمع بليغ والفرق بين الفصاحة والبلاغة ان الاولى خلوص اللفظ من
تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي ويوصف بها الكلام والمتكلم
والكلمة والثانية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بان يدل على ما يقتضيه
حال المتكلم او المخاطب او المحكي من تنكير او اطلاق او تقديم او اضمار
او ايجاز او فصل وضد كل ويوصف بها ما عدا الكلمة وبلاغة المتكلم
ملكة يقتدر بها على ايراد الكلام البليغ غير محتاج الى تعقب او استدراك
وافاد الناظم رحمه الله بهذا ان البلغا فضلا عن غيرهم مع انهم من العرب
الفصحا والخطبا والبلغا والشعرا الفهما من قريش وغيرها والمتقدمون
في اللسن والتبيان والرؤسا في قوانين المعاني والبيان والفرسان
في ميادين الفصاحة والشجعان في بهامه البلاغة اظهروا اعوار عجزهم
عن المعارضة وعثار عقلهم عن المناقضة ومن ثم كان عجزهم
عن ذلك اعجب في الاية واوضح في الدلالة من احيا الموتى وابرا الاكمه

والابرص

والابرص لان قوم عيسى عليه الصلاة والسلام لم يكونوا يطمعون في ذلك ولا
يتعاطون علمه وقريش كان اعلا اربهم ومنتهى طلبهم التفنن في افنية الفصاحة
والتنزه في رياض البلاغة والتقدم في اعاجيب الخطابة واساليب البراعة
فدل عجزهم عنه مع ذلك على انه انما هو لكونه من اعلام نبوته صلى الله عليه
وسلم وبراهين رسالته وهذه حجة قاطعة ومحجة ساطعة اذ محال ان
يلبثوا ثلاثا وعشرين سنة على السكوت عن معارضة اية منه المستلزمة
لنقض امره وتفريق اتباعه وزوال شوكته وحيازة مرتبته مع قدرتهم
عليها وطلبها منهم وقتل اكابرهم وسبي ذراريهم وهو لا يزداد الا تقريعا
لهم بعجزهم حتى يكشف من نقصهم ما كان مستورا وقال لهم ان زعمتم
اني افتريته لعلمي باخبار الامم فاتوا بمفترى مثله فلم ير من ذلك خطيب ولا طمع
فيه شاعر ولا تكلفه متصنع والا لظهر ووجد من يستجيده ويحامي عليه ويجدد
الدعوى انه عارض وناقض فاذا لم يوجد ذلك مع ان كثيرا منهم هجاه وعارض
شعرا اصحابه وخطبا امته صلى الله عليه وسلم قطع بعجزهم وتحيرهم وانقطاعهم
ومن ثم قال الخطابي وقد كان صلى الله عليه وسلم اعقل خلق الله تعالى وقد قطع
القول فان ما اتى به من عند ربه وانهم لا ياتون بمثل اقصر سورة منه فلولا
انه على بينة من ربه والا لم يقطع بشي من ذلك على انه لم يزل ينادي عليهم بالعجز
من معارضته وبالتقصير عن بلوغ الغرض في مناقضته فلم يستطع احد منهم
ان يباديه ولم يرفع راسه الى ان يباريه بل صبت هممهم السرية وانفسهم الابية
اذ كانوا انف شي واشد حمية بسفك الدما وهتك الحرم ولذلك قال العلما
رضي الله تعالى عنهم من اعلا وجوه اعجاز القران ان فصاحته وبلاغته خرقت عادة
العرب مع انهم اتوا منها ما لم يوته غيرهم لانهم كانوا ياتون منهما على البداهة

بالامر الاعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها عند شدة الخطب
ويجزرون به من الطعن والضرب ويترسلون في وديها فياتون بالسحر
الحلال ويتطوقون من اجله بسمط الجمال فلا يشك عاقل انها طوع مرادهم
وملك قيادهم فما راعهم الا رسول كريم بكتاب قديم لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بهرت بلاغته العقول فظهرت فصاحته
على كل مقول وهو افصح ما كان في هذا الباب مقالا واشهد ما وجد في الخطابة
والشعر مثالا امارخا فيهم في كل حين مقرعا لهم على رؤوس الملا اجمعين فاتوا
بسورة من مثله والا فاتم المرد ودون الى اسفل سافلين ثم لم يزل يقرعهم
ويوبخهم ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويسب الهتهم ويستبيح نفوسهم
واموالهم وهم لا يزدادون الا تقهقرا عن المعارضة لم ياتوا بمقال صابرون
على البلا والقتل والصغار والاذلال ناكصون عن معارضته محجوبون عن
مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب والتكذيب والاعتراف بالافترا
في قولهم ان هذا الا سحر يوثر وسحر مستمر وافك افتريه واساطير الاولين
والمباهتة والرضي بالدنيا في قولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا
وقر ومن بيننا وبينك حجاب والادعا مع ظهور غاية العجز عليهم بقولهم لو
نشا لقلنا مثل هذا وقد قال لهم تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا وما قدروا
اذ لو طاقوا ادنى معارضته لبادروا اليها واقحموا الخصم الذي كانوا محافظين
على اطفا نوره واخفا اموره مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما
ولد بل ابلسوا فايسوا وقطعوا فانقطعوا هذا كله والاتي اليهم به مكث
بين ظهرانيهم اربعين سنة اميا لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولا
تعلم سحرا ولا انشد شعرا ولا يحفظ خبرا ولا روى اثرا حتى اكرمه الله بالوحي

المنزل

المنزل والكتاب المفصل قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من
كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون روى البيهقي وغيره ان
عتبة بن ربيعة قام من جمع قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس
في المسجد وحده فعرض عليه المال وغيره ليكف عما هو فيه فقال صلى الله
عليه وسلم اسمع مني وقرا بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم
الى ان بلغ السجدة فسمع ما بهره فقال للنبي صلى الله عليه وسلم انت وذاك
فقام الى اصحابه فقال بعضهم لبعض لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به
فقالوا اما وراك قال سمعت قولا ما سمعت مثله قط فوالله ما هو بشعر
ولا سحر ولا كهانة اطيعوني معشر قريش وخلوا بينه وبين ما هو فيه
فالبكونن له نبا ولما بلغ فقد انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
امسكت فمه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم انه اذا قال
شيا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب وروى ابن اسحاق والبيهقي
ان الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة طلب منه ان يقرا
عليه فقرا عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية فاستعاده اياها
فاعادها فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان
اسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى عليه وما يقول هذا بشر وما فيكم
اعلم مني بالشعر واجمعوا فيه رايا قبل حضور وفود العرب في الموسم
لئلا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال ما هو بزمزمته
ولا بسجعه قالوا مجنون قال ما هو بخنقه ولا بوسوسته قالوا شاعر
قال قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه وبسيطه ومقبوضه
ما هو بشاعر قالوا ساحر قال ما هو بنفثه ولا عقده وما انتم قائلون

من هذا شيا الا وانا اعلم انه باطل وروي الحاكم ان هذا الشقي لما رق لقراة
القران جاه ابو جهل فقال يا عمران قومك يرون ان يجمعوا لك مالا لانك
اتيت محمدا للمال فقال قد علموا اني من اكثرهم مالا قال فقل فيه
ما يعلم قومك انك كاره له فقال ماذا اقول وذكر ما مر من مدح القران
قال لا يرضي عليك قومك حتي تقول فيه قال فدعني حتي افكر فلما فكر
قال هذا سحر يوثر اي ينقله عن غيره فتامل قضاهو الا الاشقيا
علي انفسهم بالعناد المحض والسفساف القبيح والتقول الباطل ومع
ذلك لا يزدادوا الا ضلالا وعنادا وطغيانا وفسادا وما احسن
ما قيل لو وجد مصحف بفلاة لشهدت العقول السليمة بانه
من عند الله فكيف وقد جا علي يدي اصدق الخلق وقال انه من
عند الله وتحداهم باقصر سورة من سورة فعجزوا وهذا وقد علم
مما تقرر وجوه اعجازه اجمالا واما تفصيلها فقد بينها الايمة بما
حاصله انه ينحصره مقصود اعجازه في امور اربعة وعدها بعضهم
من ذلك وهي ترجع الي ما قلناه احدها ما فيه من الايجاز والبلاغة والتراكيب
بحيث وصل في كل منها ومن مراتبها ومراتب البلاغة فيها الي المرتبة
العليا لفظا ومعني لصدوره ممن احاط بجميع مراتب الالفاظ ومعانيها
فلا يضع لفظة عقب لفظة الا اذا لم يوجد غيرها ابلغ ولا انسب
منها وغيره ليس كذلك ومن ثم لما سمع اعرابي فاصدع بما تومر سجد
وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام ولما سمع نصراني قوله تعالي
ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية قال جمعت
هذه الاية ما انزل علي عيسي من امر الدنيا والاخرة ولقد رام بعض

محفاة

محفاة العقول بحكاية قصار المفصل فاتي من الهذيان بالعجب العجاب كقول
مسيلمة الكذاب اللعين يا ضفدع كم تنقين اعلاك في الما واسفلك في
الطين لا الما تكدرين ولا التراب تمنعين وقوله محاكاة للنازعات والذاريات
والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا
والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم علي اهل
الوبر وما سبقكم اهل المدر ولقد اخو لم تر كيف فعل ربك بالحبلي اخرج
من بطنها نسمة تسعي من بين شراسيف واحشا وقال الفيل
وما الفيل وما ادريك ما الفيل له ذنب وبيل ومشفر طويل فان ذلك من
خلق ربنا لقليل ثانيها انه مع كونه من جنس كلامهم العرب خارج عن سائر
فنونه من النظم والسجع والخطب والشعر ونحوها مخيم عقولهم حتي لم يهتدوا
الي مثل شي منه اذ لا مثال له يعول عليه ولا امام يرجع عند الاشتباه اليه
ولقد رام قوم من المتاخرين انتهت اليهم فصاحة وقتهم شيا من محاكاته
فاعترتهم هيبة وطمع فطمهم عن ذلك ومنهم من فصل كلاما وجعله سورا
فسمع صبيا يقرا وقيل يا ارض ابلعي ماك ويا سما اقلعي وغيض الما وقضي
الامر فتاب ومحي ما عمل ثالثها تاثيره في النفوس والقلوب بحيث تجد من
اللذة والحلاوة عند سماعه ما لا تجده عند سماع غيره ومن ثم كان لا
قاريه وسامعه لا يمله بل كلما ازداد تكريره زادت حلاوته واتضحت
طلاوته رابعها ما فيه من الاحاطة بعلوم الاولين والاخرين
ما فرطنا في الكتاب من شي ومن الاخبار بالمغيبات مما كان وما يكون
نحو لن تفعلوا ولن تتمنوه ابدا فما فعل مثله مخلوق ولا تمني الموت
يهودي وهذه ايضا من ابهر المعجزات قال بعض المحققين اعجازه

من وجهين اما الذاته من حيث لفظه ومعناه المخصوصان اذ تاليفه
ليس على هيئة ما يتعاطاه البشر اذ لا يصح ان يقال له رساله ولا
خطابه ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب لا تخرج عن ذلك
واما الصرف الناس عن معارضته والاعجاز في هذا ظاهر ايضا اذا
اعتبروا ذلك انه ما من صناعة محمودة او مذمومة الا وبينها وبين
مناسبة خفيفة واتفاق حملي لتوجه ولهذا تجد هذا يوثر حرفه لانشراح
صدره لها وذاك يكرهها ويتشرح لحرفة اخرى وهكذا فلما دعا الله
اهل البطالة الذين يهيمون في كل واد من المعاني بسلاطة لسانهم
الى معارضة القران فعجزوا عن الاتيان بمثله ولم يتصد والمعارضة
لم يخف على اولي الالباب ان صارفا الهيا صرفهم عن ذلك واي اعجاز
ابلغ من ذلك انتهى ملخصا وحاول بذلك توجيه القول بالصرفة مع انه
للنظام من المعتزلة لكن افسدوه بان قوله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن الاية فيه دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو اسلبوا
القدر لم تبق فايدة لاجتماعهم لانه بمنزلة اجتماع الموتى وليس
عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع ان الاجماع منعقد على ان اضافة
الاعجاز الى القران والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله تعالى لا الى
القران و ايضا يلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان التحدي وفيه خرق
لاجماع الامة ان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم العظمى باقية ولا
معجزه له باقية اظهر من القران ويلزم الصرف ايضا لانه لا فضيلة
القران على غيره فان قلت القول بعجزهم مع بقاء قدرتهم فيه
الجمع بين النقيضين وهو محال قلت محال معنى قدرتهم

ان

كل يوم يهدي الى سامعيه الغرا تتحلي به المسامع والافواه فهو الحلي والحلواء

ان ~~اضافة~~ هممهم توجهت الى المحاكاة لظنها القدرة عليها فعجزت
~~الى المحاكاة~~ وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا المعارضة اصلا لقطعهم
من نفوسهم بعجزها وانه لا قدرة لها عليها البتة فان قلت
توجيه الهمم البيان مع العجز عنها في نفس الامر لا يسمى قدرة قلت
ممنوع بل تسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات ولا شك
ان اهل فن البلاغة لا يقطعون بسلب القدرة عن المحاكاة ابدا
بل بعد الاختبار فتامله لتعلم سقوط ما قيل كيف يخاطبون بالتحدي
مع القطع بعجزهم عنه ونظير ذلك خطاب من علم الله منه عدم
الايمان بالايمان كابي جهل وابي لهب نظرا القدرتهما عليه باعتبار الظاهر
واعراضا عن النظر للغايات والعواقب ومن المفاسد ايضا قول
ضلال ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما تاخروا عنه لعدم
العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه به واخرين ان العجز انما وقع
من الموجودين واما من بعدهم ففي قدرتهم الاتيان بمثله ومما يرد عليهم
ان جماعة ممن انتهت اليهم الرياسة في الفصاحة تعرضوا المعارضته
كابن المقفع والمعري والمتنبي ونظرايهم فلم ياتوا الا بما تمجه الاسماع وتنبو
منه الطباع ونادى عليهم بالخزي والانقطاع وصيرهم مثله وسخرية وضحكة
الى ان تاب الزاهد واظهر ندمه ونسكه ولاشتمال القران على ما لا يحصى
من العلوم والمغيبات واحوال العالم الدنيوي والاخروي وغير ذلك
من العجايب كان كل يوم اي وقت يهدي فاعله القران اي توصل
وافاد التعبير به تشبيه المعجزات التحف المهداه فهو استعارة
بالكناية تتبعها استعارة تخييلية الى سامعيه معجزات مرسيات

المعجزات بما يتعين الوقوف عليه ليعلم منه ان المراد بها هنا الامر
الغريب وان لم يصدق عليه حد المعجزه السابق مبتداه من لفظه
لعذوبته وانسجامه وجزالة معناه وغاية ايجازه مع غاية بلاغته
وبيانه مع فصاحته وخروجه عن جنس كلام العرب حتى صار جنسا اخر
متميزا عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح وكثرة اخباره الصادرة تارة
عن الامم الماضية واخرى عن المغيبات وما فيه من العلوم التي لا يمكن
حصرها ونقل الامام بن سراقة من اصحابنا ان كل واحد من هذه راي
قوم انه سبب اعجاز القران ثم اعترضهم بانهم كلهم ما بلغوا في وجوه
اعجازه جزءا واحدا من عشر معشاره وتبعه البدر الزركشي فقال
اهل التحقيق على ان الاعجاز وقع بجميع ما سبق لاشتماله على الكل
فنسبته الى احدها وحده تحكم بل فيه غير ذلك ككونه لا يزال غضا
طريا على الالسنة وفي الاسماع وجمعه صفتي الجزالة والعذوبة وهما
كالمتضادين اذ لا يجتمعان غالبا في كلام البشر وكونه مستدركا على جميع
الكتب قبله فهي مفتقرة اليه وهو غني عنها ومن ثم كان ابهر في الاعجاز
من معجزات الانبيا عليهم الصلاة والسلام معادلا للكل لان سبيلها واحد وهو
مخالف العادة وهو سبيله كثيرة كما تقرر في وجوه اعجازه وسئل بعضهم
ما موضع الاعجاز من القران فقال هذا شبيه بقولك ما موضع الانسان
من الانسان ومعناه انه ليس للانسان موضع من الانسان بل متى اشرت
الى جملته فقد حققته ودللت على ذاته كذلك القران لشرفه لا يشار
لشي منه الا وكان ذلك المعنى هداية في نفسه ومعجزة لمحاوله وهدى
لقائله وليس في قدرة البشر الاحاطة باسرار الله تعالى من كتابه فلذلك

طارت

رق لفظا وراق معنى وجاز في حلاها وحليها الخنساء

طارت العقول وتاهت البصاير عنده واختلف في تفاوته علو مراتب الفصاحه
بعد اتفاقهم على بلوغه الذروة العليا كما مر فاختار القاضي المنع وانها المتوافق
ادراك الناس له واختار ابو نصر القشيري وغيره تفاوته وتبعهم ابن عبد السلام
ولم يا ت كله بالافصح لئلا يخرج عن نمط كلام العرب مجاعلى نمط كلامهم ليتم ظهور
عجز المعجز عن معارضة القرا لان من سمع الفاظ القران وتدبر حق تدبرها
علم من كل لفظ منها باعتبار ما دل عليه امرا معجزا لا يعارض ولا يناقض واذا بلغ
القران في الجلالة التي مرت الاشارة اليها ما لم يبلغه غيره كان حقيقا بانه تحلى به
اي بسماعه المسامع من التحلية بالفاظه وتحلى بالفاظه الافواه من
الحلوى فهو الحلي راجع للاول والحلوا راجع للثاني رق اي حسن
لفظا اي من جهته فلا تجد لفظة منه فيها ما ينافي كمال الرقة الموجبة
للفصاحة من تنافر وتعقيد وراق اي صفي من شوايب النقص
فاعجب كل ناظر فيه معنى اي من جهته فلا تجد معنى من معانيه الا وهو
واصل في الاحكام ووضوح المراد الغاية القصوى وفي رق وراق والحلي والحلوا
الجناس كحلاها وحليها وسور وصور والنظاير والنظر الانبات والمسامع والافواه
واللفظ والمعنى كمراعاة النظير كالرقة والصفا الايات والحروف والحلي الايات
وفيما بعدها اللف والنشر المرتب وبسبب كون سورة رقت وراقت جاز
فاعله الخنسا وما قبله حال منه اي حال كونها في حلاها اي صفاتها الجميلة
وحليها اي زينتها الخنسا بنت عمرو وخصها من بين كثيرات سمين
بذلك لانها كانت شاعرة مطلقة كما ياتي الكلام في ترجمتها شبه سور القران في
صفاتها العلية وترتيبها بما اودعته من الاسرار البهيجة بامراة بلغت من الرتبة
واوصاف الحسن ما لا يمكن التعبير عنه وارتنا اي اوضحت لنا وفاعله رقة

وارتت فيه غوامض فضل رقة من زلالها وصفاءُ
انما تجتلى الوجوه اذا ما جليت عن مراتها الاصداءُ

الاتي **فيه** اي في القران **غوامض** اي خفايا **فضل** كالعلوم والمعارف
المستنبطة منه التي لاحد لها ولا غاية ومن ثم جاء عن علي كرم الله وجهه
لو شئت ان اوقر بعيرا من تفسير سورة الضحى لفعلت
رقة كاينة **من زلالها** الزلال ما جاء في غاية الحلاوة والبرودة
يوجد في اجواف صور توجد في نحو الثلج تشبه الحيوان وليست في
الحقيقة بحيوان كما قال بعض الاكابر ائمتنا **وصفا** من ذلك الزلال
شبه ان القران في محاسن اساليبها وصفا موردها الموجبين لمن حذق
في خفاياها حديد نظره وحقق في غورها دقيق فكره برد اليقين وصفا
القلب عن كل سوى حتى اطلع على ساير الغوامض من العلوم الالهية
والمعارف الاختصاصية والمواهب الرحمانية والمآرب الروحانية بما
في غاية العذوبة والبرودة وصفا الجوهرية في رقتها بحيث لا يمنع
من روية ما تحته بما من شانه ان يخفى وهذا الذي قررته من برد اليقين
وصفا القلب بعلم ذلك انما يحصل لمن انصقلت مراة فكره كما اشار لذلك
بكلام جامع بديع على عادته فقال **انما تجتلى الوجوه** اي تظهر
ظهورا واضحا لا اخفا معه بوجه اذا قوبلت بالمواة **اذا ما** زايدة
جليت اي ازيلت وبين هذا وتجتلي تجنيس الاشتقاق **عن مراتها**
بكسر الميم والمد **الاصدا** فلذلك مراة القلوب لا تجتلى لها العلوم
والمعارف من القران الا اذا جليت عنها اصدا الاغيار وادانت قواها
فيما بصدده انا الليل واطراف النهار **سور** جمع سورة وهي الطايفة
المخصوصة المسماة باسم مخصوص توقيفي **منه** لبيان الجنس لان
ماياتي ليس خاصا ببعض سورة بل يشملها كلها **اشبهت** لاستعمال

كلا

مطلب الزلال

سور منه اشبهت صورا منا ومثل النظاير النظرا والاقاويل عندهم كالتماثيل فلا يوهمنك الخطباءُ

١٢٨

كل منها على مفاد اخص من العلوم وغيرها مستقلة بها لا تتوقف على ما في
الاخرى ومن ثم وقع التحدي بافصر سورة منه **صورا** جمع صورة وصورة
الشي شكله **منا** في استقلال كل منا على عقل وادراك وفهم وخلق لا مشاركة
فيه لغيره ولا يتوقف على ما في غيره وكان الناظم رحمه الله تعالى قصد بهذا
التشبيه الرد على من زعم ان الاعجاز انما هو بمجموع القران لا بكل سورة
لان ما فيه من انواع الاعجاز السابقة انما يستفاد من مجموعه وهذه
مقالة فاسدة لا يعول عليها لمنافاته لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله
كما مر بيانه فالصواب خلاف هذه المقابلة بل تاملوها معتزلة لا يقام لم
وزن **النظاير** جمع نظير **النظرا** جمع نظير ايضا وهو المثل الناظم **ومثل**
ويطلق النظاير على الاماثل والافاضل وكل منهما يصح ان يكون مرادا هنا
خلافا للشارح وهذا ساقه كالمثل لما قبله فيكون من التذييل اي ومثل ذلك
السور التي هي نظاير كما قال ابن مسعود لقد عرفت النظاير التي كان يقرؤها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عشرون سورة الاماثل والافاضل الذين
يتناظرون في التحلي بالفضايل والتخلي عن الرذايل **والاقاويل** جمع قول
والمراد بها هنا اللفظ المقيل **عندهم** اي الكفار ظرف لمبتدا او لخبره وهو
كالتماثيل جمع تمثال وهو المصورة يعني ان تقولهم في القران وافتراهم عليه
بما يقدح في حقه امر من زخرف مموه بالاباطيل كان التصاوير التي تخترعها
المصورون لذلك فكما ان هذه لا وجود لها في الحقيقة ولا اعتبار لها فكذلك
قولهم المذكور واذا تقرر لك ان جميع ما قالوه في القران باطل قطعي البطلان
فلا يوهمنك الخطبا اي فاحذر ان يوقع من حرفوا الكلمات بقصد قدحهم
وتفاصحهم في جهلك ادنى ريب او شك في شي من اوصاف القران التي مر بيان

كم ابانت ايانه من علوم عن حروف ابان عنها الهجاء

بعضها وما ينبه على ما بقي منها **كم** مرات كثيرة **ابانت** اي اوضحت
ايانه جمع اية وهي لغة العلامة واصطلاحا قران مركب من جمل ولو
تقديرا ذا مبدا ومقطع مندرج في سورة قاله الجعبري ويشكل عدهم
ثم نظر في المدثر اية اذ ليس في هذه جمل ولا تقدير فالاولى قول غيره طايفة من
القران منقطعة عما قبلها وما بعدها لكن قوله من القران اولى ان يقول
بدله من السورة وسميت الاية بذلك لانها علامة على صدق الاتي بها
وعلى عجز المتحدين بها ويأتي قريبا عدد اي القران **من** زايدة في الاثبات
كما هو راي جماعة **علوم** لاغاية لها كما قال تع ما فرطنا في الكتاب من شي
وقال ونزلنا عليك القران تبيانا لكل شي وفي حديث الترمذي وغيره
ستكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبا ما قبلكم وخبر
ما بعدكم وحكم ما بينكم واخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال
من اراد العلم فعليه بالقران فان فيه خبر الاولين والاخرين قال
البيهقي يعني اصول العلم واخرج عن الحسن انزل الله مائة واربعة
كتب اودع علومها اربعة منها التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم
اودع علوم الثلاثة الفرقان اي مع زيادات لا تنحصر ومن ثم قال
الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه جميع ما تقوله الامة شرح للسنة وجميع
السنة شرح للقران وقال ايضا جميع ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو
مما فهمه من القران وما ثبت ابتدا بالسنة فهو في الحقيقة ماخوذ منه
لانه اوجب علينا اتباعه صلى الله عليه وسلم ولهذا قال مرة بمكة سلوني
عما شيتم اخبركم به من كتاب الله تعالى فامتحن بدقايق فاستنبطها من القران
حتى منها لو قتل محرم زنبورا هل عليه جزا فاستنبطه لهم منه انه لاجزا

عليه لان عمر رضي الله تع عنه امر بقتله والنبي صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا باللذين
من بعدي ابي بكر وعمر والله تعالى يقول وما اتاكم الرسول فخذوه الاية
وتبعه اعني الشافعي العلما على ذلك فقال واحد ما قال صلى الله عليه وسلم
شيا او قضى او حكم بشي الا وهو او اصله في القران قرب او بعد وقال اخر
ما من شي في العالم الا وهو فيه فقيل له اين ذكر الخانات فيه فقال في قوله
تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فهي الخانات وقال
اخر ما من شي الا يمكن استخراجه من القران لمن فهمه الله تع حتى ان عمر النبي
صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنة استنبطه من اخر سورة المنافقين لانها راس
ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن ظهوره بفقده صلى الله عليه وسلم وقال
اخر لم يحط بالقران الا المتكلم به ثم نبيه صلى الله عليه وسلم فيما عدا ما استاثر الله
تعالى بعلمه ثم ورث عنه معظم ذلك اعلام الصحابة مع تفاوتهم فيه بحسب
تفاوت علومهم كابي بكر فانه اعلمهم بنص ابن عمر وغيره كعلي كرم الله وجوههم
كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الحسن خلافا لمن زعم وضعه انا مدينة العلم
وعلي بابها ومن ثم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما جميع ما اثرته لكم من
التفسير فانما هو عن علي كرم الله وجهه وكابن عباس رضي الله عنه حتى انه
قال لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله تع ثم ورث بعدهم
التابعون معظم ذلك ثم تقاصرت الهمم عن حمل ما حمله اوليك من علومه
وفنونه فنوعوا علومه انواعا ليضبط كل طايفة علما وفنا ويتوسعوا
فيه بحسب مقدرتهم ثم افرد غالب تلك العلوم وتلك الفنون
التي كانت لم تخرج عن الحصر وقد بين هذا القايل وجه استنباطها غالبها
منه بتاليف لا يحصى وقال اخر علومه خمسون علما واربعماية علم وسبعة

قف على عدد كلم القران
٧٧٤٥٠

الاف وسبعون الف علم على عدد كلم القران مضروبة في اربعة اذ لكل كلمة ظهر
وبطن وحد ومقطع ويضم لذلك اعتبار تركيب ما بينها من روابط لكن
هذا لا يحصيه الا المتكلم به تعدا وعلومه ثلاثة توحيد ووعظ وحكم ومن
ثم سميت الفاتحة امه لاشتمالها على هذه الثلاثة والاخلاص ثلثه
لاشتمالها على الاول وقال ابن جرير الثلاثة التوحيد والاخبار والديانات
وقال اخر اشتمل القران على كل شي كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شي
اما العلوم فلا تجد مسيله هي اصل الا وفي القران ما يدل عليها وفيه عجايب
المخلوقات وملكوت السما والارض وما في الافق الاعلى وتحت الثرى وبدا
الخلق واسما مشاهير الانبيا وعيون اخبار الامم السابقة وشانه صلى الله
عليه وسلم وغزواته واخباره الى مماته ثم شان امته من بعده وبدا
خلق الانسان الى موته وامارات الساعة وجميع احوال البرزخ والمحشر
والجنة والنار وزعم الجاحظ انه لا يوجد فيه شي من المذهب الكلامي
الذي هو احتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع الخصم على طريقة
ارباب الكلام ولا من النوع المنطقي الذي تستنتج منه النتايج الصحيحة
من المقدمات الصادقة ورد واغلبه بانه مشحون من ذلك اذ ما من
برهان ودلالة وتقسيم يبنى من كليات العلوم الا وكتاب الله ينطق به وقد
بين الاسلاميون من اهل هذه العلوم كثيرا من ذلك منه ان من
اول سورة الحج الى قوله تعالى ان الله يبعث من في القبور خمس نتايج تستنتج
من عشر مقدمات بل فيه الاشارة حتى لعلم الهندسة بل الاشكال فيه
وهو الشكل الثلاثي بقوله تعالى الى ظل ذي ثلاث شعب الا ومثال الاية
وانما اوردت حجة على عادات العرب دون دقايق المتكلمين بقوله

١٢

وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ولان من استطاع ان يفهم غيره
بالاوضح الذي لا يفهمه الاكثرون لا ينبغي له ان يغلط الى الاغمض الذي لا يفهمه
الا الاقلون والا كان ملغزا ومن ثم اخرج تعالى في مخاطباته محاجات خلقه
في اجلى صورة واوضحها ليفهم العامة ما يقنعهم ويلزمهم الحجة ويفهمه
والخاصة ما يليق بهم من دقايق المعارف التي هي منتهى كلام وبلغ اربه ومن
عجيب تلك الايات ان ابات تلك العلوم التي لا نهاية لها حاك كونها
متولدة عن بينها وبين من الجناس اللاحق حروف قليلة بالنسبة
اليها اخرج ابن الضريس عن ابن عباس قال جميع اي القران ستة الاف اية
وستماية وستة عشر اية وجميع حروف القران ثلاثماية الف حرف وستماية
حرف واحدى وسبعون حرفا وهذه الحروف ليس المراد بها حروف التهجي
بل مسمياتها فحروف التهجي اسما كاشفة عن تلك المسميات كما قال
ابان اي كشف عنها الهجا اي التهجي وهو تعديد الحروف بذكر اسمايها
فانك اذا قلت ضرب مركب من ض ر ب فقد عددت الحروف البسيطة
التي هي مادة الكلمة قبل ان تحصل صيغة والمراد هنا انه يتهجى بالاسما
عن المسميات حتى يتبين موضوع كل وبيانه اي الحروف الذي اول زيد
مثلا له مسمى وهو ز والخلط فيه بحذف ها السكت لا يوثر لانه للتعليم
وله اسم هو الزاي لانه تعتريه علامات الاسم وسن ثم قال س
قال الخليل يوما وقد سال اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا
بالكاف فقال انما جيتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول
كه وبه فحروف القران من الاول وحروف التهجي من المراد بالثاني ودليل
تسميتها حروفا الخبر الصحيح من قرا حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة

في ذلك والباء التميمي [illegible]
التي
فعل تقول بالكاف مه ص

فهي كالحب والنوى انجب الزراع منها سنابل وزكاء

والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فتسمية كل حرفا اما لغة وانما مجازا باعتبار مدلوله وح‍ فهي اي حروف القران وان عزت معانيها وكثرت احكامها لا يستبعد منها ذلك وان كانت قليلة جدا بالنسبة لما يستفاد منها لان لها مثالا لا يقربها نوع قرب كحروف اسما الاعداد والافشان ما بينهما اذ ما ياتي له امد معلوم يغني فيه عن قرب وهذه مستملة النمو والزيادة على مر الاعصار وتوالي الازمان في هذه الدار وفي دار القرار كما يدل عليه الحديث الصحيح انه يقال للقارئ في الجنة اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا وياتي ذلك قريبا بزيادة وذلك المثال هو اما انها كحروف اسما الاعداد فانها مع كونها الفاظا محصورة لا ينتهي الوهم الى المعدود بها واما انها كالحب الذي يلقيه الزارع والنوى الذي يلقيه الغارس بالارض فينشا عن الاول من السنابل والحبوب ما يكاد ان لا يحصى ولا يتناهى ومن الثاني من الثمر ما هو كذلك وفي هذه الحالة انجب فاعله ياتي فقول الشارح ان فيه ضمير الحب والنوى وان فاعله سنابل سهو منه اذ كيف يتصور منه في فعل ان له فاعلين ضميرا وظاهرا في حالة واحدة الزراع والغارس كما يدل عليه ذكر النوى فهو اكتفا كسرابيل تقيكم الحر اي والبرد وفيه ايضا اللف والنشر المرتب لعود الزارع للحب والغارس للنوى وعود السنابل للاول والزكا لهما منها اي تلك الزروع والاشجار سنابل وزكا اي نموا يفوت الحصر بحيث لو اجتمع اهل الارض على استقصا عددها لما اطاقوه فقد علمت ان المتناهي هنا كما يحصل منه ما لا يتناهى فكذلك حروف القران هي متناهية ويحصل منها من العلوم والمعارف

مالا

فطالوا فيه التردد والريب فقالوا سحر وقالوا افتراء
اذ البينات لم تغد علينا فالتماس الهدى بهن عناء

ما لا يتناهى وهذا المثل المراد به التقريب لا غير كما عرف مما مر والافشان ما بين الامرين الاتم ان علم تناهي تلك الحبوب والثمار انما هي في مدة قليلة ثم تفنى عن قرب واما تلك الحروف فان معانيها لا تتناهى في الدنيا ولا في الاخرة ففي الحديث الصحيح ان يقال للقارئ في الجنة اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا وبه يعلم انه يقرا ويتلذذ بالقراة ومن لازم ذلك بمعانيها وما يفتح الله به على القارئ من انواع المعارف اللايقة بتلك الدار وتلك الذات الذي فيها التاهل وذلك امر لا يتناهى ابدا ومن عجيب شان الكفار انهم مع هذه المعجزات والايات البينات كلها استمروا على ما هم عليه من غاية الاعراض والانكار فطالوا فيه التردد والريب اي الشك عطف مرادف فقالوا كما حكاه الله عنهم في كتابه العزيز فهو تلميح مرة انه سحر اي تمويه لا حقيقة له واصل السحر انه كل ما لطف ماخذه ورق وقالوا مرة اخرى انه افترا اي كذب ومرة اساطير الاولين الى غير ذلك من افترايهم واقتراحهم ومباهتهم وتلبيسهم به وضلوا فيما قالوا بل هو والله المنفصل بانزاله قران مجيد في لوح محفوظ لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وكل ذلك ينادي عليهم بالبوار والعناد وانه لا عقل لهم ولا راي ولا استعداد ولكن ليس ذلك بكثير على من عدم التوفيق ولم يبصروا الطريق لما هو مقرر في العقول السليمة من الحكم البديعة الجامعة انه اذا كانت البينات الحجج القطعية البرهان الواضحة البيان لم تعد نفعا اي تفدهم شيا من الهدى فالتماس الهدى بهن اي طلبه منهم بتلك الحجج بعد الياس من ايمانهم عنا اي تعب لا يفيد شيا واذا ضلت عن طرق الحق العقول جمع عقل وسبق

واذا اضلت العقول علي علم فماذا تقوله النصحاءُ

الكلام عليه مستوفي علي اي مع علم منها بتلك الطرق اي اضلها باريها فماذا تقوله اي فاي قول تقوله الانبيا النصحا وقوله ح لا يفيد شيا والبيت الاول مقتبس من قوله تع وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يومنون والثاني من قوله تع افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله علي علم وختم علي سمعه وقلبه وجعل علي بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون وبما قررت به كلامه يعلم ان هذين البيتين من الكلام البديع الجامع تنبيـــه لا يتوهم من النظم انه مخالف لقول الايمة اجمعت الامة علي التكليف بالمحال لغيره كتكليف ابي جهل مثلا بالايمان مع علم الله تع بانه لا يومن وذلك لان التكليف بذلك انما هو بالنظر للحالة الراهنة المنطوي عنا عاقبتها فهو بالنسبة اليها مكلفون بالايمان لقدرتهم عليه ظاهرا وان كانوا عليه عاجزين باطنا لعلم الله بانهم لا يومنون لان هذا لا نظر اليه والا لارتفع الاختيار وثبت القول بالجبر المباين لما جات به الشرايع فاحذر ان تميل اليه فتزل قدمك وحقق نظرك واستحضر قوله تع لا يسيل عما يفعل وهم يسالون فوايـــد منها قيل حكمة تنزيه القران عن الشعر ان الوزن يورث الكلام عذوبة ان قصارى امر الشاعر التخييل بتصوير الباطل في صورة الحق ~~والحق~~ والافراط في الاطراء والمبالغة في الذم والايذا دون اظهار الحق ولهذا نزه الله نبيه صلى الله عليه وسلم عنه ومن ثم قال بعض الحكما لم ير متدين صادق اللهجة في شعره اي غالبا وما وقع فيه علي صورة الشعر لا يسماه لان شرطه القصد ومن ثم ومن ثم نعا رضه العرب ولو اعتقدوه شعرا لعارضوه وقيل دون البيتين ليس شعرا وقيل الرجز كذلك ومنها سيل الغزالي عن قوله تع لوجدوا فيه

اختلافا كثيرا فقال الاختلاف مشترك بين معان وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه بل نفي الاختلاف عن ذات القران فليس نظمه مختلفا ولا بعضه يدعوا للدين وبعضه يدعوا للدنيا بخلاف كلام البشر لاختلاف قواهم واغراضهم واحوالهم ومنها ان ساير كتب الله تع لا اعجاز فيها من حيث النظم والتاليف لان السنتهم لا تفي بذلك بخلاف الاخبار بالغيوب فان الكل جميعا يشترك فيه ولكون السنتهم كذلك كان كل ما في القران ايات حكاية عنهم انما هو حكاية لمعنى الفاظهم ذكره ابن جني وغيره ومنها وقع في القران ايات متشابهات من حيث النظم كايراد القصة الواحدة في سور وفواصل مختلفة كو كلا وفكلا يدعون ويذبحون ويستحيون ويستحيون وذلك كثير وقد افرد حلايق الجواب عن ذلك بتاليف مستقلة ومن ايهام التعرض عند عدم التامل نحو ولا يتسالون واقبل بعضهم علي بعض يتسالون واول من تكلم في الجواب عن ذلك ابن عباس رضي الله تع عنهما ثم تبعه الايمة حتى افرد بعضهم ذلك بتاليف كما الغزالي مختلف الحديث وبيان الجمع بين الاحاديث المتعارضة ومن حديث اتباع المتشابه الذي استاثر الله تع بعلمه او علمه الراسخون في العلم وهو مبحث طويل فلا باس بذكر خلاصته وهي قيل القران كله محكم لخبر في اية وقيل كله متشابه كما في اية والاصح انقسامه اليهما والمراد باحكمت اياته اتقنت في الحق والصدق والاعجاز ثم المحكم ما عرف المراد منه قيل ولو بالتاويل والمتشابه ما استاثر الله بعلمه كالساعة والحروف المقطعة اوايل السور وعيسا اقوال اخرها علم فيه قولان منشاوها اهل الوقف علي في العلم في قوله تع والراسخون في العلم وعليه طايفة قليلة لمجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس رضي الله تع عنه قالـــ

النووي انه الاصح لانه يبعد ان يخاطب الناس بما لا سبيل بوجه من
الخلق اي معرفته وابن الحاجب انه المختار والاكثرون من الصحابة فمن بعدهم
خصوصا اهل السنة ان الوقف علي الا الله من قوله تعا وما يعلم تاويله الا الله
وهو اوضح الروايات عن ابن عباس وعلي ابن السمعاني اختيار الاول
فقط وجمع بعضهم بان من المتشابه ما يمكن الوقوف عليه ومنه ما لا فيصح
الوقفان بهذا الاعتبار ومن المتشابه ذكر ايات الصفات التي ذكر نحو الاستوا
واليد والعين وجمهور اهل السنة منهم اكثر السلف واهل الحديث علي تفويض
معناها المراد منها الي الله تع مع تنزيهه عن ظواهرها وذهب الخلق اي تاويلها
بما يليق بجلاله تع وكان امام الحرمين يميل الي هذا ثم رجع عنه فقال والذي
نرتضيه دينا وندين الله تعا به عقد اتباع سلف الامة فانهم درجوا
علي ترك التعرض لمعانيها وتبعه ابن الصلاح فقال علي ذلك مضي صدر الامة
وسادتها واياها اختار ايمة الفقها وقادتها واليها دعا ايمة الحديث
واعلامه فقال واحسن فيما قال لا يصرف اللفظ عن ظاهره الا بدليل
منفصل وهو اما لفظي وهو لا يتجه هنا لانه مظنون اذ القطع به يتوقف
علي انتفا الاحتمالات العشر وهو مظنون واما عقلي وهو انما يفيد صرف
اللفظ عن ظاهره لاستحالته دون اثبات المعني المراد لان ترجيح مجاز
علي مجاز وتاويل علي تاويل وذلك انما يكون بلفظ وقد تقرر انه لا يفيد الا الظن وهو
لا يعول عليه في المسايل الاصولية القطعية فلهذا اختار الايمة
المحققون من السلف والخلف بعد اقامة الدليل القاطع علي ان حمل اللفظ
علي ظاهره محال تركه الخوض في تعيين التاويل انتهي وتوسط ابن دقيق
العيد رحمه الله تعالي فقال التاويل ان قرب من لسان العرب نحو علي

مافرطت

قوم عيسي عاملتم قوم موسي بالذي عاملتكم الحنفا صدقوا كتبكم وكذبتم كتبهم ان ذا لبيس البراءُ
لو جحدنا جحودكم لاستوينا وللحق بالضلال استواءُ

مافرطت في جنب الله اي في حقه وما يجب له ان يعد كتاويل استوي
باستولي ولما فرغ من الحجاج مع المشركين وبين ما آل اليه امرهم شرع
في الكلام مع اهل الكتابين ليبين ما آل اليه امرهم فقال يا قوم وحذف
حرف الندا جايز الا في الندبة والاستغاثة ومع المضمر وكذا مع اسم الاشارة
واسم الجنس علي قول فيه عيسي المدعوون بالنصاري عاملتم قوم
موسي وهم اليهود ب التصديق بكتابهم وهو التورية الذي
عاملكم بنظيره وهو التصديق بكتابكم الذي هو الانجيل الحنفا
اي المسلمون جمع حنيف وهو المايل عن كل دين الي الدين الحق ثم بين
ما ابهمه في البيت قبله بقوله صدقوا اي قوم عيسي كتبكم وهي
التورية وما بعدها كالزبور وكذبتم كتبهم وهو الانجيل وجمعه للمشاكلة
او لتنزيله منزلة كتب متعددة وفي هذه الالتفات لان قوم عيسي خوطبوا
اولا واعيد عليهم ضمير الغيبة وقوم موسي بالعكس وبين عيسي وموسي
الجناس اللاحق كقابيل وهابيل الاتيين والتصديق والتكذيب الطباق
ان ذا الذي فعلتموه معشر اليهود لبيس البرا اي الصنيع الذي
رجعتم به القهقري وهذا مقتبس من قوله تع وباوا بغضب من الله
لو جحدنا من الجحد وهو الانكار عن علم جحودكم اي مثله بان انكرنا
كتابكم كما انكرتم كتابنا وكتاب عيسي لاستوينا نحن وانتم اي يكون
ذلك منا لا يتصور وذلك كيف و ليس للحق وهو ما نحن عليه من
التصديق بالضلال وهو ما انتم عليه من التصديق بالبعض والكفر
بالبعض استوا اي مساواة بل بينهما غاية التضاد فالحاصل انا لم
نجحد شيا من كتب الله تع وانما وقع الجحد من اليهود لكتاب النصاري

كلمة

مالكم اخوة الكتاب اناسا ليس يرعى للحق منكم اخاء

ومن النصارى لكتاب اليهود خلاف ما يوهمه النظم قال تعالى وقالت
اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود
على شيء وهم يتلون الكتاب المكذب لهم في ذلك وكان الشارح اخذ
من هذا قوله وانما وقع التجاحد بين اهل الكتاب اذ التعبير بالتفاعل
مصرح بما ذكر مما يخالف النظم ويوافق ظاهر الاية انتهى وقد يقال
لا يلزم من ادعا كل فرقة في الاخرى ما ذكر انكار كتابهم اذ لا مانع ان النصارى
قائلون في اليهود ذلك مع قولهم انهم ليسوا على شيء اي باعتبار تبديلهم
وتغييرهم فيصح ما ذكر في النظم ويحتمل ارجاع ضمير صدقوا كتبهم الى الحنفا
وضمير الخطاب في كتبكم وكذبتم للفريقين اليهود والنصارى ويكون
ذلك تفسير المعاملتي الحنفا وفي السياق ما يويد كلا من الاحتمالين لكن
الاول اقرب ولما كان من المعلوم المستقر ان اليهود اشد الناس
حسدا كما قال تعالى ام يحسدون الناس على ما اتيهم الله من فضله وانهم
حسدوا عيسى حتى قتلوه في زعمهم الفاسد واستمر حسدهم للنصارى
من بعده حتى قالوا ليست النصارى على شيء الموجب لقول النصارى في حقهم
ذلك ايضا وان الطائفتين حسدوا محمدا صلى الله عليه وسلم واسته حتى وقع
منهم من العناد ما لا يصدر عن منخفات العقول فضلا عن غيرهم
شرع الناظم في بيان ذلك كله منهم على وجه بديع فقال مالكم اي حال
حصل لكم معشر الفرقتين يا اخوة الكتاب المراد منه الجنس الشامل
لكتابيهما سماهم بذلك لانه لما جمعهم ما فيه من التكاليف والاحكام
صاروا مستوين فيه كاستواء الاخوة في الانتساب الى اصل واحد حال
كونكم اناسا ليس شانكم انه يرعى للحق منكم اخا

بكسر

يحسد الاول الاخير وما زال كذا المحدثون والقدماء قد علمتم بظلم قابيل هابيل ومظلوم الاخوة الاتقياء

بكسر الهمزة نايب فاعل يرعى ويجوز انه اسم ليس ونايب فاعل يرعى
ضميره اي يراعاه اي ليس يصدر منكم مراعاه للدين الحق بالقيام بما يجب
من الحقوق التي منها تصديق محمد صلى الله عليه وسلم عملا بما في كتبكم من التصريحات
الكثيرة بنبوته وعموم رسالته صلى الله عليه وسلم وفيه اي الجامع اخوة رد العجز
على الصدر وبين الاخوة والاخا جناس الاشتقاق كالشهادة والشهدا
الاتي ومن عدم رعايتكم لذلك انه يحسد الاول الاخير كما وقع لليهود
انهم حسدوا عيسى حتى زعموا انهم قتلوه وصلبوه وما دروا الملاعين انه شبه
لهم مثله فقتلوه ونجاه الله تع منهم ثم رفعه الى السما المبقى الى اخر الزمان حاكما
بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا وراء المهدي اول نزوله ليعلم انه نزل تابعا
لهذه الامة عاملا بشريعة نبيهم ومنها انه لا يقبل الجزية بل يقتل كل يهودي
ونصراني في الارض لان نوعا من المشتبهة المجوزة لقبول الجزية منهم ارتفع
بنزوله وتكذيبه لهم وما زال كذا اي كهذا المذكور من حسد الاول
للاخير المحدثون والقدما من لدن ادم الى اليوم قد هي للتحقيق
علمتم يا اهل الكتاب بظلم قابيل من اضافة المصدر الى فاعله
وهو اول اولاد ادم وهم اربعون جاوا [illegible] في عشرين بطنا في
كل بطن ذكر وانثى وبارك الله في نسله في حياته حتى بلغوا اربعين الفا هابيل
بشدخه راسه بين حجرين وهو ثاني اولاد ادم صلى الله عليه وسلم حسدا له على
الدين من اجل كون الله تع تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربانه فقال له
لاقتلنك فاجابه بانه يستسلم لقضا الله ولا يجزي بالسيئة السيئة كما افاد
ذلك ما حكاه الله تع عنه بقوله عز قايلا لئن بسطت الي يدك لتقتلني الاية
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح كن خير ابني ادم

وقد سمعتم تلمه بابنا يعقوب اخاهم كلهم صلحا

كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ورجا ان سبب حسده له انه تزوج اخت هابيل وكانت ليست كجمال اخته التي تزوجها هابيل وكان من شريعة ادم عليه الصلاة والسلام ان اختلاف بطون حوا بمنزلة اختلاف الانسان فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث الاخري وبالعكس وهو مع مخالفته لظاهر الاية تمكن تاويله بانه لا مانع من انه حسده بسببين اخري وهو ما في الاية وذنبي وهو ما ذكر على انه جاء في القصة ان ادم عليه السلام لما امر قابيل ان يزوج اخته لهابيل فامتنع امرهما ان يقربا قربانا لله تعالى وكانت العلامة على قبوله اذ ذاك نزول نار من السما تاكله فقرب كل منهما قربانه فتقبل قربان هابيل فزاد حسده الى ان قتله وبين الاول والاخير والمحدثون والقدما جناس الطباق كونيتم وخانوا واحسنتم واساوا والابا والابنا وعرفوه ونكروه الاثبات **ومظلومي الاخوه** الاضافة فيه كمعنى من ويصح بتكليف كونها بمعنى في واخبر عنه بالجمع لانه للجنس الصادق بالجمع وتسميه **الاتقيا** لانهم الذين يصبرون على تحمل الاذى ولا ينتقمون لانفسهم وهذا فيه تحوا رسال المثل للاستدلال به على ما قبله وكذا ما زال الى اخره وعلم من قولي وهذا فيه الخ انه ليس المراد بالاخوه هنا خصوص قابيل وهابيل حتى يجاب عنه بانه اراد بالاخوة الاخوين بنا على القول بان اقل الجمع اثنان **وقد سمعتم** هو لليقين لان المراد في كل العلم **بلية بابنا يعقوب** المسمى في القران باسرايل اي عبد الله ابن اسحاق الذبيح عند الاكثرين لكن الاشهر انه اخوه اسماعيل بن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم **اخاهم** يوسف صلى الله عليه وسلم كما هو مبسوط في قصته المصدرة بقوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص اي لانها سيقت على اسلوب لم يسبق عليه غيرها

حين القوه في غاية جب ورموه بالافك وهو برا

من بقية القصص **و**لا بنوه من كيدهم له المحكي عنهم في قصتهم ولا من ذكرهم انهم **كلهم صلحا** قابيل الكافر اللعين لان ذلك لا ينافي صلاحهم لاتفاق العلما انهم عدل اليه عن انبيا لانه الامر المتفق عليه كما مر تقريرا ولقوة الخلاف عنده في عدم نبوتهم بخلاف يوسف صلى الله عليه وسلم فانه لا خلاف في نبوته لكن الحق انها ظاهر الاية او صريحها وهي قوله تعالى قالوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط هم اولاد يعقوب وقد ذكرت الاية انه انزل اليهم شي يجب الايمان به غير ما انزل الى ابايهم وذلك الشي هو الوحي كما هو المتبادر بل صرحت بذلك واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ونفي نبوتهم المستلزم لنفي الوحي اليهم مناقض الاية فتامله ولا ينافي نبوتهم ما حكي في تلك القصة لانه انما صدر منهم عن تاويلات قواها شريعتهم وما يقرب ذلك ان العلما رضي الله تعالى عنهم اتفقوا على صلاحهم وان تلك الامور التي هي جرت منهم لم تؤثر في صلاحهم فكذا في نبوتهم على ان في عصمة الانبيا قبل النبوة خلافا محل بسطه كتب الاصول **حين** ظرف للكيد **القوه في غاية جب** هو البير التي لم يطو وغيابته قعره وكادوه بذلك خوفا من تقدمه مع كونه اصغرهم عليهم الذي انبات عنه روياه المذكورة اول السورة اذ الاحد عشر كوكبا مثال لهم لانهم احد عشر والشمس والقمر ابوه وخالته وسجود الكل له دخولهم تحت طاعته وامره وكان الامر كذلك كما في اخر السورة فانهم لما جاوا اليه مع ابيهم وخروا له سجدا قال يا ابت هذا تاويل رءياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجا بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي في التعبير بنزغ الشيطان بينه وبينهم ما يقدح في نبوتهم على القول بها قال تعالى لافضل خلقه صلى الله عليه وسلم

واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله لان معناه واما يستخفنك
غضب يحملك علي ترك الاعراض عن المكذبين لك والنزغ ادنى حركة امره
تعالى انه متى تحرك عليه ادنى غضب على عدوه واراد الشيطان القا ادنى وسوسة
اليه ان يستعيذ بالله ليكفيه امره وهذا من تمام عصمته صلى الله عليه وسلم لانه لم
يسلط عليه بل امر من التعرض له بهذا الامر الذي لا تاثير له من غير قدرة له عليه
ومن كيدهم له ايضا انهم **رموه بالافك** حيث قالوا ان يسرق فقد
سرق اخ له من قبل يريدون يوسف عليه الصلاة والسلام **وهو برا** اي برئ
منه وفي تسمية الناظم هذا افكا نظر ظاهر بل لا يصح كيف وقد اخرج ابن مردويه
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ان يسرق
فقد سرق اخ له من قبل قال سرق يوسف عليه الصلاة والسلام صنما لجده ابي
امه من ذهب وفضة فكسره فالقاه على الطريق فعيره اخوته بذلك واخرج
ابن جرير عن قتادة قال سرقته التي عابوه بها احد صنما كان لابي امه وانما
اراد بذلك الخير وروي نحو ذلك جماعة عن زيد بن اسلم وسعيد بن جبير وابن
جرير وزادا ان امه امرته بذلك لانها كانت مسلمة قال الامام الشافعي
رضي الله تعالى عنه كان زيد هذا من العالمين بالقران فالحاصل انه وقع منه
صورة سرقة فذكروها تعييرا له صلى الله عليه وسلم فهم لم يكذبوا وانما الذي
وقعوا فيه انهم عيروه بما لا عار فيه بل فيه غاية الرفعة والمدحة كما ذكرته في كتابي
سعادة الدارين في صلح الاخوين وذكرت فيه نحو ما سبق وملخصه واعلم
ان واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام مع اخوته واقعة عجيبة تشتمل على
غرايب وعجايب وحكم واحكام وعبر وامثال وذل وانخفاض وعلو وارتفاع
وعلى حسن عاقبة الصبر وخشية عاقبة الحسد وعلى نصر الحق وان لم

بلا بينة

يكن

١٢٦

يكن له اعوان ولا انصار وعلى خذلان الباطل وان كان اعوانه وانصاره
الوزرا والملوك فضلا عن غيرهم وعلى ان التباغض والتحاسد بين الاخوة
امر قديم قل ما يسلم منه حمى وادبم وان تحلوا وحلوا وعلت مراتبهم وذكت
معادنهم ومذاهبهم لما ان اخوة يوسف وقع منهم ما وقع مع كونهم صلحا بل
انبيا بنص قوله تعالى قولوا امنا بالله الاية اتفقوا على ان المراد بالاسباط اولاد
يعقوب فكونه امرنا بالايمان بما انزل اليهم وبما انزل اليه ظاهر او نص
في انه انزل عليهم ما يجب علينا الايمان به اجماعا وهذا صريح في نبوتهم وعليه
فقد يستشكل ما وقع منهم في هذه القصة من الامور الكثيرة التي ظواهرها
يجب تنزيه الانبيا صلى الله عليهم وسلم عنها بناء على الاصح بل الصواب ان الانبيا عليهم
الصلاة والسلام جميعهم الرسل وغيرهم معصومون قبل النبوة وبعدها من صغاير
المعاصي وكبايرها عمدها وسهوها ويجاب بان ذلك يتاتي على مذهب
كثيرين بل نقل عن الاكثرين ان العصمة انما هي بعد النبوة لا قبلها والا دي ان
يجاب بان هذه الامور انما يستشكل على قواعد شرعنا اما على شرعهم فنحن لا نرده
ونفرض انه يوافق شرعنا في ذلك فيحتمل ان لهم تاويلا مسوغا لهم ارتكاب
ما فعلوه وتعبير كثيرين كالناظم ببعضهم وحسدهم ونحو هذا من العبارات
التي ظاهرها لا يليق بهم انما هو بناء على عدم نبوتهم كما هو قول فيهم واخرج ابن جرير
وابن المنذر ان ابا عمرو قيل له كيف يقرا نرتع ونلعب بالنون وهم انبيا
فقال لم يكونوا يومئذ انبيا والحاصل انه يجب علينا الايمان بنزاهتهم
ودرايتهم من كل ما لا يليق بهم انتهت عبارة الكتاب المذكور واذا قلتم معشر
المسلمين ما وقع لمن قبلكم من الشدايد والمحن وصبروا عليها فغاروا ورضي الله
عنهم ومحنتنا **فتاسوا** فتعزوا اذ التاسي التعزي من تاسيت بفلان

فتاسوا بمن مضي اذ ظلمتم فالتاسي للنفس فيه عزاء اتراكم وفيتم حين خانوا ام تركتم احسنتم اذ اساة بل تمادت
علي التجاهل اماء نفقت اثارها الابنا

الحسد

تعزيت به اي حملت حالي علي حاله ففي التاسي تلين النفس علي الامر المشق
وتصبرها عليه والتعزي الحمل علي الصبر بوعد الاجر فمعني التاسي والتعزي
واحد او متفاوت وساغ ذكرهما علي الاول لاختلاف لفظهما **بمن مضي**
قبلكم من الكمل في ذلك **اذ** اي وقت او لاجل ان **ظلمتم** من الكفار
بما مكر بكم من الحسد والبغضا والعداوة والقتال **فالتاسي** في المصاب
لاسيما بالكمل **للنفس فيه عزا** اي تسل وتصبر بحملها علي ان لا يصيبها
منها الاكمال الاخلاق والاعراض عن النظر الي ما يصدر من اهل النفاق
والشقاق وهذا من التذييل **اتراكم** الخطاب لاهل الكتاب والمعرض
للمسلمين اي اذ ظنكم اهل الكتاب **وفيتم** بما عاهد تم الله عليه فاطعتم
الحق ومن علي العمل به **حين** ظرف لوفيتم الواقع المفعول الثاني **خانوا**
ما عاهدوا الله عليه فكتموا الحق وابوا قبوله من غيرهم **ام** متصلة لانها معادلة
للهمزة السابقة **تركتم** اهل الكتاب **احسنتم** في اتباع نبيكم في
جميع ما جا به فلم تغيروا منه شيا قط ولم تبيدلوا في حياته ولا بعد وفاته
اذا ساة الطوية فلم يستمروا على العمل بما جاتهم به رسلهم بل بدلوه
وغيروه ايثار العاجل لو من اتباعهم من الحظوظ الدنيوية **بل** لا تردد
شيا من ذلك وانما الذي حملهم علي عدم اتباع الانبيا عليهم الصلاة والسلام
تمادت اي تتابعت واستمرت **علي التجاهل** الموجب لرفض الحق
واتباع الباطل اي اظهار الجهل في نفوسهم مع علمهم بالحق وانهم علي خلافه
وجحدوا به واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا **اما** بينه وبين الابنا
الطباق **نفقت** اي تبعت **اثارها** الباطلة **الابنا** انا وجدنا اباءنا
علي امة وانا علي اثارهم مقتدون **نبينه** اي الحق الذي من جملته

نبوة

تو راتهم والاناجيل وهم في جحوده شركاء

١٦٧

نبوة محمد صلي الله عليه وسلم وعموم رسالته **توراتهم** المنزلة علي موسي
عليه الصلاة والسلام من اوريت الزند قدحته لتخرج ناره والنار
والنا تستلزم النور **والانجيل** المنزل علي عيسي عليه الصلاة والسلام
من نجل الشي اخرجه التي لهم كما حكاه الله تع عنهما بقوله عز قايلا الذين
يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية
والانجيل ولا ينافي هذا جمع الناظم له لانه باعتبار افراده وهذا من اعظم
الادلة علي نبوته وعموم رسالته وعلي انه صلي الله عليه وسلم علي البينة الواضحة
من امره لانه صرح بذلك علي رؤس اهل الكتابين ولم يخش ان احدا
منهم يقول ليس ذلك في كتابنا فاذا قد صح بذلك ولم يعترضوه كانوا
عالمين به وكان تخلفهم عن اتباعه لمحض العناد والحسد قال تع يكتمون
الحق وهم يعلمون يحرفون الكلم عن مواضعه يعرفونه كما يعرفون ابناهم
ليطفوا نور الله بافواههم ويابي الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون
ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فلما جاهم ما عرفوا كفروا به
واخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق ان ابن سلام لما سمع بمخرج النبي صلي الله عليه
وسلم بمكة ذهب اليه فقال صلي الله عليه وسلم انت ابن سلام عالم يثرب
قال نعم قال انشدك بالذي انزل التورية علي موسي اتجد نعتي في التورية قال
انسب ربك فارتج النبي صلي الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه السلام قل هو الله
احد الي اخرها فقراها فقال ابن سلام اشهد انك رسول الله وان الله
مظهرك ومظهر دينك علي الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله تعالي
اي التورية يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدي ورسولي
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة

ان تقولون ما بينته فازالت بهاعن عيونهم غشواء او تقولوا قد بينته فما للاذن عما تقوله صماء

مثلها ولكن يعفوا ويصفح ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة العوجاء حتى
يقولوا لا اله الا الله يفتح اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا واخرج البيهقي
وابو نعيم عن كعب والبخاري عن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
نقلا عن التورية والانجيل نحو ذلك وزيادة عليه وفي التورية تجلي الله من طور سينا
اي بتكليمه موسى عليه السلام واشرق من ساعير اي تكليمه عيسى عليه واستعلن
من جبال فاران اي جبال بني هاشم المطلة على شعبهم بمكة بارسال محمد
صلى الله عليه وسلم منها اي جميع الخلق كما يشير اليه تعبيره باستعلن وفي الانجيل
كالتورية من ذلك ما يضيق عنه هذا المحل وهم اي اليهود والنصارى
في جحده اي ذلك الحق الذي بينه كتابهما وهو الانكار بعد العلم شركا
اي مشتركون في لعنة الله عليهما ان شرطية تقولون يا اهل الكتاب
ما نافية بينته اي التورية والانجيل الحق المذكور فازالت بهما اي
التوراة والانجيل عن عيونهم غشوا بالمعجمة والمهملة اي عن بصايرهم
ظلمة مانعة لهم عن ابصارهم الحق من قولهم ركب فلان العشوا اذا كان
قد خبط امره على غير بصيره وقولهم ركب متن عميا وخبط خبط عشوا
وهي الناقة التي لا تبصر امامها فهي تخبط بيديها كل شي ففيه الاشارة
للمثل المذكور والاستعارة بالكناية لانه شبه العيون بالبصاير والعشوا
بالظلمة المذكورة والاستعارة التخييلية في اثبات الظلمة للعيون والترشيح
في قوله ما بينته لانه يناسب المشبه به او تقولوا قد بينته كما هو الحق
فما اي فاي شي حصل للاذن اي لاذن سمعكم حتى انها عما تقوله التوراة
والاناجيل واسناد القول اليهما فيه الاستعارتان السابقتان انفا وكذا
في قوله الاتي في كتبهم الخ وقوله كساهم الخ صما اي غير سامعة له سماع

قبول

عرفوه وانكروه وظلما كتمته الشهداء ونور الاله يطفيه الافواه وهو الذي به يستضاء
ولا تنكلون من طمنتهم برحاها عن امره الهيجا

قبول اي فلا موجب للاعراض عن ذلك الا محض العناد والحسد
عرفوه اي الحق السابق معرفة يقينية ببواطنهم وانكروه بظواهرهم
كما قال تعالى عنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وبين عرفوه وانكروه طباق
وذلك نتيجة الالزام السابق وظلما مفعول لاجله كتمته اي الحق
المذكور الشهادة بدل اشتمال من كتمته اي كتمت الشهادة به الشهدا
الذين هم اهل الكتابين لانهم عرفوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم وصفة
دينه معرفة قطعية ثم انكروا ذلك راسا حسدا او عنادا او مباهتة وتلبيسا
على ضعفايهم ليبقى ما ينالوه منهم ونكتة ايقاع الظاهر موقع الضمير
اذ الاصل كتموا الشهادة به التسجيل عليهم بما قررته انهم بلغوا من العلم
به صلى الله عليه وسلم وحقيقة دينه مبلغ روية الشمس ومع ذلك كتموه
ومما يدل لقوة علم الشاهد اشتراط اتيانه بلفظ الشهادة لانها ابلغ من
العلم كما يفيده الحديث الصحيح على مثل هذه اي الشمس فاشهد ومن ثم
لم يكف اعلم ا يكتمون ذلك ويظهرون الضلال ونور الاله الذي
هو النبوة والرسالة والاله المعبود بالحق يطفيه من طفيت النار
اذهبت حرها الافواه اي الالسنة المتقولة بالباطل وهذا من الكلام
البديع الجامع لا يلون ذلك يريدون ليطفوا نور الله بافواههم ويابى الله
الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وكيف ذلك النور الالهي وهو الذي به
يستضا ظاهرا وباطنا اي يميز الحق من الباطل والصادق من الكاذب
ايسمون على ضلالهم وادعا انهم محقون وينكرون نبوته صلى الله عليه
وسلم ولا تنلون من طمنتهم برحاها اي اهلكتهم اي اسلحتها عن
امره الهيجا اي حربه صلى الله عليه وسلم لا ينبغي ذلك بل الذي ينبغي لهم

كساهم ثوب الصغار وقد طلت دماء منهم وصينت دماء كيف يهدي الاله قلوبا ملهم حشوها من حبيبه البغضاء
خبرونا اهل الكتابين من اين اتاكم من تثليثكم والبداء

الرجوع عن الضلال والاعتراف بانهم ان استمروا عليه طحنتهم صلى الله
عليه وسلم بحرب جربه كما طحن اباهم وآباهم واجليهم بجلا بني النضير الى ارض
الشام والزمهم ان لا يحمل كل واحد منهم الاحمل بعير من غير سلاح وقتل
قريظة لشدة باسه وظهور نصرته صلى الله عليه وسلم **وكساهم ثوب**
الصغار اي الذل كضرب الرق على غير المقاتلين من بني قريظة استعارا
للباس للصغار على حد قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ثم قرنه بما
يلايم المشبه به وهو طول دما وطول دما فالاولى ترشيحية والثانية
تجريدية **و**الحال انه **قد طلت** اي دفعت **دما منهم** كبني قريظة
وصينت دما منهم كبني النضير او المراد دما المسلمين لان الله جعل
لهم الغلبة والدايرة على اعدايهم واذا تقرر اتصاف اهل الكتابين بتلك
القبايح الشنيعة حق لهم ان يقال في حقهم **كيف يهدي** اي يوصل
الاله قلوبا حشوها اي ملوها **من** بمعنى اللام المعدية **حبيبه**
صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله **البغضا** اي شدة البغض لحبيبه صلى الله
عليه وسلم ويصح على بعد انها للتعليل اي من اجله او البدل او حشوها
بغضه بدل حبه وفي هذه الاستعارتان السابقتان ايضا **خبرونا** اي
اعلمونا يا **اهل الكتابين** التورية والانجيل **من اين** استفهام انكاري
اتاكم تثليثكم اي ادعاكم معشر النصارى ان الله ثالث ثلاثة الاب
والابن وروح القدس **و**من اين لكم معشر اليهود **البدا** بالموحدة والمهملة
من بدا ظهر وهو كما يأتي ظهور مصلحة بعد خفايها وبنوا على ذلك امتناع النسخ
اي لم يأتكم واحد من هذين عن دليل صحيح بل عن محض سفهكم وعنادكم
تنبيـــــه حكى ابن الصلاح عن بعضهم ان لفظ البدا غير صحيح

ما اتى بالتقييد نص كتاب واعتقاد لا نص فيه ادعاء والدعاوي ما لم يقيموا عليها بينات ابناؤها ادعياء

١٢٦

لغة لانه من بدا بدوا ثم رده بابن دريد ذكره قال التبريزي هو بالمد من
قولهم بدا لي في الامر اي تغير رايي فيه عما كان ونقله الزركشي عن
صاحب المحكم عن سيبويه وقال السهيلي الاسم البدا ولا يقال في المصدر
قال ومن اجل البدو والظهور كان البدا في وصف الباري سبحانه وتعالى محالا
لانه لا يبدو له شي كان غايبا عنه ونحو بدا كما في حديث الاقرع والاعمى
والابرص بدا لله ان يبتليهم اي اراد الله تعالى الظهر لانه كفر كما اتى
ما اتى بالتقييد نص المذكور بين **كتاب** من الله تعالى ابدا **واعتقاد**
وهو جزم الذهن بالحكم ثم ان طابق ذلك الحكم كما في نفس الامر كاعتقادنا
فصحيح وان لا كاعتقادهم فباطل **لا نص فيه** اي في اثباته وعبر بالنص
وهو ما يحتمل لفظه غير معنى واحد ابان خلا عن الاحتمالات الغير المقررة
في محلها دون الدليل الاعم من ذلك لان الاعتقاديات لا يكفي فيها
الدليل الظني **ادعا** اي باطل لانه اختراع في الدين بمجرد التشهي فحيث النص
حكم العقلي القطعي فالاعتقاد المستند اليه صحيح وان لم يرد فيه نص
بل لو ورد النص بخلافه وجب تاويل النص اليه كايات الصفات واحاديثها
اذ ظاهرها محال على الله عقلا وجب صرفها عنه بتاويلها بما يوافق العقل
وانكر جمع المتاخرون من الحنابلة تاويلها فزلتهم باعتقاد ظواهرها
في التجسيم او الجهة وغالوا في ذلك مما كان سببا لمحنهم وتحقيرهم في
الدنيا والاخرة **والدعاوي** التي تقولون بها معشر اليهود والنصارى بفتح
الواو وكسرها كالفتاوي **ما** مصدرية ظرفية **ما لم يقيموا عليها بينات**
اي ادلة قطعية لان الكلام في القطعيات وهو لا يفيد فيها الظني **ابناؤها**
اي نتايجها **ادعيا** اي باطلة والدعا في الاصل من ينتسب الى شخص

ليت شعري ذكر الثلاثة والواحد نقص في عدكم امر نماء
كيف وجدتم الها نفي التوحيد عند الابا والابناء

بالكذب ومن يتبناه الانسان وليس بابن له وان عرف نسبه شبه دعاويهم بوطي الزنا بجامع فساد كل وقبحه وعدم الاعتداد بها لانه ناشي عن اصل فاسد وهو استعارة بالكناية ثم خيل لهم بذكر ما هو من لوازم المشبه به الذي هو وطي الزنا وهم الابنا الذي هم نتيجته ورشح لها بذكر الادعا المناسب للمشبه به وبين الدعاو الدعاوي تجنيس الاشتقاق وشبههم كخلطوها والخلطا والصفات ووصفه الاثبات وفي النظم القياس الاقتراني المركب من مقدمتين حمليتين المنتج انتاج الشكل الاول فالاولي الاعتقاد الذي لا نص فيه باطل تنبيه فرق النصارى ثلاثة فسطورية ويعقوبية وملكية ولكل فرقة اعتقاد معروف وقد اشار الناظم رحمه الله للبحث مع الكل والرد عليهم جميعا واكثر الكلام مع القايلين بالتثليث لانهم اكثر واشد كفرا ومن ثم خصوا بالذكر في قوله عز قايلا لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة الاية ليت حرف تمني شعري اي علمي اي ليتني علمت لما تقولونه انضباطا حتى انكر معكم في رده بابلغ مما هنا وهو ذكر الثلاثة الصادر منكم حيث تارة قلتم ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس وذكر الواحد الواحد الصادر منكم تارة اخرى حيث ادعيتم توحيده نقص في عدكم ام نما اي زيادة فحيث ذكرتم التثليث كان ذكركم الواحد نقصا وحيث ذكرتم الواحد كان ذكركم التثليث زيادة وهذا تناقض عجيب لا يصدر عن عاقل لانكم تارة تثبتون تعدد الالهة وتارة تثبتون عدم تعدده ولذا قال متعجبا منهم كيف وجدتم ايها القايلون بالتثليث الها نفي التوحيد عند الابا والابنا الذين اثبتوها في دعواكم التثليث ا يمكن ان يوجد اله مركب من ثلاثة

اجزا

اله مركب ما سمعنا باله لذاته اجزا الكل منهم نصيب من الملك فهلا تميز الانصباء
اتراهم لحاجة واضطرار خلطوها ما تبغي الخلطاء

اجزا او اقل او اكثر ما سمعنا باله لذاته اجزا او جزان اي يوجد اله كذلك بل ولا تعقلناه لانه مما يحيله العقل بالبديهة كما انها تحيل تعدده كما يدل عليه برهان التمانع المذكور في قوله تع لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وبيان احالة العقل لما ذكر انه لو فرض اله مركب من اجزا متعدد قيل لهم الكل منهم نصيب اي جزء من الملك فان قالوا نعم قيل لهم فهلا وفي نسخة فلم لا وحذفت الف ما الاستفهامية لدخول الجار عليها نحو عم يتساءلون تميز بالبنا للفاعل اي تميز او للمفعول الانصبا اي نصيب كل من الالهة حتى يكون ذلك التميز دليلا على ما زعمتموه ولا تميز فلا تعدد كما هو بديهي وبين الثلاثة والواحد والنقص والنما جناس التقابل كالحاجة والاضطرار والامانة والاحيا الاثبات فان قالوا الكل انصباكثهم خلطوها قيل لهم اتراهم اي اتظنهم لحاجة اي احتياج واضطرار وهو شدة الحاجة الى الشي بحيث لا يجد مندوحة خلطوها خلطا يمنع تميزها فان قالوا نعم قلنا الاله لا يحتاج ولا يضطر لشي مطلقا لانه غني بذاته عن غيره فاحتياجه واضطراره دليل قطعي على عدم الوهيته فان قلنا خلطوها لا لحاجة ولا لاضطرار قلنا لا يتصور وجود شركة دايمة بين شريكين فاكثر والحال انه ما نافية تبغي اي تظلم الخلطا اي الشركا اي بعضهم على بعض لا يتصور ذلك بل متى وجدت شركة وجد التمانع والتنازع المستلزم كل منهما خراب هذا العالم المشاهد لانهما استويا في القوة تمانعا ولم يقع فعل واحدهما وان تفاوتا وقع مراد الغالب فقط وتخلف مراد المغلوب فيلزم ان لا ينتظم نظام هذا العالم لان الغرض وقوع الشركة وعدم التميز واحتمال توافقهما دايما الذي يجوزه العقل لا نظر اليه لانه مما تحيله العادة التي هي مناط الادلة

اهو الراكب الحمار فيا عجزا له يمسه الاعياءُ ام على الحمار لقد حل حمار بجمعهم مشاءُ
ام سواهم هو الاله فما نسبته عيسى اليه والانتماءُ

القرانية والسلايق العربية فليس ذلك دليلا اقناعيا خلافا لمن وهم فيه بل
الزم قايله الكفر بعض المتاخرين والف فيه لكنه الزام باطل كما هو جلي وكون
العادة تحيل ذلك مما لا يحتاج لبيان لان كل من عرفها حكم ان شريكين في الايجا
والامداد لا يتصور دوامهما على الموافقة لان من شان النفس الا تريد بقا
شريك معها وكل ذلك باطل لانا نشاهد هذا العالم باقيا على اكمل وجوه
الاتفاق واحكم قواعد الشروط والاركان ويلزم من ذلك انتفا الشريك مطلقا
وان الاله لا شريك له وبيان بطلان التعدد من وجه اخر وبيانه ان عيسى عليه
الصلاة والسلام كان يركب الحمار كما عرف ذلك بالتواتر عنه وح يقال لهم ا
تقولون في حال ركوب عيسى الحمار هو اي الاله الراكب الحمار فان قلتم
انه هو مركوبه يستدعي حدوثه وتعبه وهو يستدعي عجزه والاله لا يكون
عاجزا ولا حادثا وما زعمتوه يلزمه عجزه وحدوثه وح فيا عجزا له
تعجب من دعواهم المستلزمة ذلك يمسه الاعيا اي التعب ام
متصلة لمعادلتها للهمزة تقولون الثلاثة الذين زعمتوهم الهة جميع
على الحمار فيقال لكم لقد حل في حمار بجمعهم اي الالهة
اي مجموعهم مشا صيغة مبالغة من مشى وفيه انه يحتاج الى ان يمشي به
حار فالجملة الخبرية في النظم تفيد التعجب مما يترتب على ما فيها ام متصلة
لمعادلتها للهمزة تقولون سواهم اي الثلثة الذين على الحمار هو الاله
فبسبب ذلك ما استفهامية نسبته عيسى اليه خبر نسبة
والانتما هو الانتساب فهو عطف مرادف على نسبة اي اخبروني عن انتما
عيسى وانتسابه اي الاله وح هل يوجب التثليث الذي زعمتوه وكل عاقل
يجزم بل لا يرجحه ولا يقتضيه وقوله فيا عجزا له وما بعده تذييل

منكر

ام اتم بها الصفات فلم خصت ثلاثة بوصفه وثناءُ
ام هو ابن الله ما شاركته في معاني النبوة الابناءُ
قتلته اليهود فيما زعمتم ولاموا تكم به احياءُ

منكر ام متصلة لذلك ام بها اي بالثلاثة التي زعمتم انها الهة
الصفات القايمة بذات الاله والصفة ما دل على معنى زايد على الذات فلم
مرانتفا الكلام عليها خصت ثلاثة بالعرف للوزن بوصفه اي الاله
وثنا بضم اوله ما مدح ولين عن ثلاث ثلاث واثنين اثنين والمراد هنا
ليس ذلك التكرير بل الثلاثة فقط عن من ينظر اي مجموع الثلاثة والاثنين
فقط عند من ينظر الى الاله بالحقيقة والاله بالتجوز فان الاول واحد فقط
والثاني اثنان فقط وعلى كل فالصفات لا تنحصر في اثنين ولا في ثلاث فالدعا
التثليث تحكم صرف وهو لا يقول به عاقل ام تقولون هو اي عيسى صلى الله
عليه وسلم ابن الله فيقال لكم لم اختص عيسى عليه الصلاة والسلام بذلك
حتى انه ما نافية شاركته في معاني النبوة الابنا بل عيسى وبقية
الانبيا عليهم الصلاة والسلام في ذلك على حد سوى فادعا النبوة لعيسى عليه الصلاة
والسلام تحكم باطل ايض قتلته اي عيسى عليه الصلاة والسلام اليهود حال
كون قتلهم له انما هو فيما اي القول الذي زعمتم معشر النصارى
والزعم اصله وموضوعه قول كذب ومن ثم قالت العرب زعموا مطية الكذب
وقد يستعمل بمعنى قال مجردا عن التكذيب كقول ام هانئ للنبي صلى الله عليه وسلم
يوم فتح مكة زعم ابن امي انه قاتل من اجرته فقال لها صلى الله عليه وسلم قد
اجرنا من اجرت يا ام هانئ وكيف تزعمون ذلك و الحال انه لاموا تكم به
اي بسبب عيسى عليه الصلاة والسلام احيا هو رد الروح الى الجسد
بعد مفارقتها له لانه كان فيكم يحيي الموتى فكيف يحيي الموتى ويتمكن منه من
يقتله فتصديقكم لليهود في ذلك شاهد صدق على خفة عقولكم وانه
لا مسكة ولا تثبت لانكم تقعون في التناقض الصريح ولا تنتبهون له وعلي

ان قولا اطلقتموه على الله تعالى ذكرا القول هزاء
مثل ما قالت اليهود وكل لزمته مقالة له شفعاء
اذ هم استقروا البدا وكم ساق وبالا اليهم استقراء

كل حالة **ان قولا** مما حكي عنكم كقولكم بالتثليث **اطلقتموه على الله تعالى** عما تقولون انتم وامثالكم علوا كبيرا **ذكرا** اي ثنا وتعظيما له في قولكم الله ثالث ثلاثة **لقول هزاء** بضم الهاء من هذا الكلام اذ اكثر في الخطابي نسخ بالزاي من قولهم هزوا بالمسكين اي مهزوء به ويصح ان ذكرا تمييز عن تعالى اي تعالى ذكره وهذا من القول البديع الجامع **مثل** يجوز نصبه حالا اي كقول هزاء حال كونه مثلا او نعتا لمصدر محذوفا ورفعه خبر مبتدا محذوف اي هو مثل **ما قالت اليهود** اي قولهم بالبدا فالتشبيه من حيث مطلق الكفر وان تباين تفصيل كل من المقالتين **وكل** من الفريقين **لزمته** اي لزمت دعواه **مقالة شفعا** اي قبيحة جدا **اذ هم استقروا البدا** اي تتبعوه حتى قالوا ما عدا العيسوية منهم لا يجوز عقلا ولا سمعا على الله تع نسخ ملة بملة لانه يوهم البدا وهو ظهور مصلحة له بعد خفائها حتى نسخ ما مضى لاجلها ووافقهم بعض غلاة الرافضة ومنهم من جوزه عقلا ومنعه شرعا واما قول بعض المسلمين الحكم الثابت لا يرتفع بل ينتهي فلا يكون نسخا ممنوع بل هو نسخ وح فالخلاف لفظي واعلم ان شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرايع اجماعا واختلفوا في شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام هل هي ناسخة لشريعة موسى صلى الله عليه وسلم او مخصصة والاظهر انها مخصصة لا ناسخة لقوله تع ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم قال الامام في تفسيره روي ان الرسل عليهم الصلاة والسلام تبقى بعد موسى صلى الله عليه وسلم كلهم على شريعة الا شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام تنبيه ذكر الامام ايضا في المطالب العالية في الحكمة في نسخ الشرايع كلاما حسنا فقال الشرايع منها ما يعرف نفعه بالعقل معاشا ومعادا فهذا يمتنع طرو النسخ عليه كمعرفة الله

بعم

تعالى وطاعته ابدا ومجامع هذه الشريعة العقلية امران التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله ومنها سمعية لا يعرف الانتفاع بها الا من السمع وهذا يمكن طرو نسخه وتبديله وحكمة نسخه ان الاعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة وظن انها مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول بها الى ما هو المقصود من معرفة الله تع وتمجيده بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطريق واعلم ان المقصود من الاعمال انما هو رعاية احوال القلب والروح في المعرفة والمحبة فان الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور والظواهر اي تطهير السراير وقال غيره حكمته ان الخلق طبعوا على الملالة من الشي فوضع في كل عصر رسول بشريعة جديدة لينشطوا في ادائها واعظم حكمة اظهار شرف نبينا صلى الله عليه وسلم فانه نسخ بشريعته شرايعهم وشريعته صلى الله عليه وسلم لا ناسخ لها ومن حكم النسخ ايضا ما فيه من حفظ مصالح العباد كطبيب يامر بدوا في يوم وباخر في يوم ثان وهكذا بحسب المصلحة وان كان الثاني اثقل تنبيه اخرما زعمه اليهود ان النسخ يستلزم البدا باطل لما تقرر ان المصالح الداعية للنسخ ترجع اما لاحوال المكلفين او الازمنة وذلك لا يستلزم بل ولا يقتضي ان الله تع ظهر له شي اخر بعد ان لم يكن وزعموا اليهود انه يستلزمه ومنعوا النسخ وزعم كفرة الرافضة انه يجوز البدا عليه كوقوع النسخ منه وهذا اغلظ في الاولين من كفر اليهود فعلم الجواب عن قولهم الفعل اما حسن فيستحيل النهي عنه او قبيح فيستحيل الامر به فالنسخ محال على التقديرين وبيانه ان التحسين والتقبيح العقليين باطلان وبتسليمهما فالعقل العادي قاطع بان الفعل قد يكون مصلحة في وقت مفسدة في وقت اخر وكذا بالنظر للمكلف يكون مصلحة في حق واحد مفسدة في حق اخر ولا مانع ان علمه تعالى يتعلق بان حرمته كذا تنتهي بوقت او فعل

واداهم لم يجعلوا الواحد القهار في الخلق فاعلا لما يشاء جوزوا النسخ مثل ما جوز المسخ عليهم لو انهم فقهاء

كذا قالوا والسمع يمنع النسخ ايضا لان اللفظ الدال على شرع موسى عليه الصلاة والسلام اما ان يدل على الدوام فان ضم اليه ما يقتضي نسخه فهو تناقض وان لم ينضم له ذلك كفي في العمل به مرة فلا يتصور فيه قالوا ومما شنعوه ايضا ما علم بالتواتر من قول التورية تمسكوا بالسبت ابدا وجوابه انهم في زمن بخت نصر قتلوا حتى لم يبق منهم الا دون عدد التواتر بل قيل انه لم يبق منهم الا سته اطفال على ان الابد كثيرا ما يراد به الزمن الطويل كما في التوراة كما في صور كثيره **وكم** اي مرات كثيرة **ساق وبالا** اي عذابا **اليهم استقرا** وفي هذين كمالات وسمالة السابق جناس الاشتقاق كرد العجز على الصدر وفي المسخ والنسخ ونسخ ومسخ الجناس اللاحق وحالفوهم وحالفوهم الجناس المضارع لقرب المخرج والمصحف وقوله وكم الخ من التذييل البديع **وادهم** اي اعلم انهم لقولهم بذلك اعني امتناع النسخ لئلا يلزم البدا **لم يجعلوا** اي لم يعتقدوا **الواحد** في ذاته وصفاته وافعاله فلا شريك له بوجه ما **القهار في الخلق** اي للخلق على نفوذ ما اراده فيهم ويصح تعلقه بفاعلا وفي على الحالها **فاعلا لما يشا** لان امتناع النسخ عليه ما يستلزم قهره وعجزه **جوزوا النسخ** جواب لو الاتيه تجويزا **مثل ما** مصدرية **جوز المسخ عليهم لو انهم فقهاء** اي فهما ولا فهم لهم اذ لا البدا في الفرق منهم والنسخ لغة الازالة والتغيير والنقل كنسخت الشمس الظل والريح والتراب ونسخت الكتاب وشرعا بيان انتها حكم شرعي بخطاب اخر شرعي وزيد فيه متراخ ليخرج نحو الاستثنا ورد بان الكلام لا يعرف حكمه الا بانتهايه فلا يحتاج للاحتراز عن ذلك بهذا القيد اي لو ثبت انهم فقهاء لجوزوا النسخ لانه كما علم من حله لا يلزم عليه محذور البتة وزعمهم البدا باطل لا يعول عليه ومما يدل على جوازه ما علمه اليهود من وقوع المسخ وهو تحويل الصورة الي

اقبح منها في كثيرين منهم في زمن موسى عليه الصلاة والسلام لما خالفوه في السبت فمسخهم الله قردة وخنازير كما قصه الله تعالى علينا في كتابه العزيز وكيف ينعون النسخ وهو ليس فيه **الا ان يرفع الحكم** الشرعي اي استمراره وتعلقه فعلم ان المراد بالحكم تعلقه بالمكلف بعد ان لم يكن او نفسه لكن من حيث دوامه بمعنى تكرره لا ذاته التي هي خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف من حيث هو مكلف اقتضا او تخييرا لانه قديم وما ثبت قدمه استحال عدمه ثم النسخ يكون الي بدل ولا الي بدل فان كان الي بدل زيد في الحد **بالحكم** الشرعي وان كان لا الي بدل لم يزد ذلك **وخلق** اي ايجاد **فيه** اي المسخ للصورة الثانية بعد اذهاب الصورة الاولى **وامر** اي تصرف برفع الحكم الاول وايجاد الثاني **سوا** لما تقرر ان المسخ فيه رفع الصورة الاولى وخلقها الصورة الثانية والنسخ فيه رفع الحكم الاول وخلقه الحكم الثاني فاذا جوزتم الاول لزمكم ان تجوزوا الثاني والا فانتم سفهاء معاندون لا يلتفت اليكم وكيف تستبعدون النسخ وانما غاية ان كان لا بد ان فيه حكمين المنسوخ وهو المراد بقوله **وحكم من الزمان انتها** والناسخ وهو المراد بقوله **وحكم من الزمان ابتدا** ولا ينافي هذا تفسيره النسخ بالرفع لما علمت ان المراد رفع تعلقه بالمكلف او دوامه وهو الانتها المذكور هنا وقول الشارح انه اشارة الي تفسيرين في النسخ غير صحيح لا حقيقة بالرفع مستحيلة فوجب التعبير به بما قلناه كما هو المقرر في محله فتامله وعلى كل فجواز النسخ اولى من جواز المسخ لان ذاك في الاحكام وهذا في الذوات سوا جعلنا النسخ رفعا او بيانا وسوا جعلنا المسخ في صور بالهم حتى صارت اقاربهم من المومنين لا يعرفونهم وهم يعرفونهم اذ يجي القرد الي قريبه ويتمسح به وتدمع عيناه فيقول

والان يرفعوا الحكم بالحكم وخلق فيه وامر سواء وحكم من الزمان انتها وحكم من الزمان ابتداء

ان قولا اطلقة ...

...بلوهم اكان في مسخهم نسخ لايات الله ام انشا وبدا في قولهم ندم الله على خلق ادم ام خطاء

الرنهكم عن المخالفة فيستير براسه ان نعم ام في قوله فقط على ماذكره مجاهد
والنظم مشير الى هذه القصة ففيه تلميح وبين ابتدا وانتها طباق وافاد رسم
انها المسلمون المبالغة في ادحاض حجتهم **تسلوهم** قايلين لهم **اكان**
في مسخهم النفت عن خطابهم مبالغة في تحقيرهم اي جعلهم قردة في الصورة
كما هو المشهور اي قلوبهم وجعلها كقلوب القردة لا تقبل هداية مع بقاء واتم
على ما زعمه مجاهد **نسخ لايات الله** وهي الصورة الاولى مع احكامها والادراك
الاول بناء على قول مجاهد **ام انشا** لايجاد صورة مستقلة وحكم مستقل
يتعلق بها او لادراك كذلك فان قالوا بالاول فقد ناقضوا انفسهم ولزمتهم
الحجة او بالثاني فهو مكابرة للحس والحق ان المسخ متردد بين انشا الخلق
وبين النسخ لانه بالنسبة للصورة الاولى نسخ وبالنسبة الى الصورة الثانية
المتجددة القبيحة انشا لا يقال قد لا يعترفون بطرو التغيير على قلوبهم بناء على
قول مجاهد لانهم اعترفوا به قولهم قلوبنا غلف اي مغطاة باغشية خاصة
لا يصل اليها ما جيت به **وبدا** بالمد وسبق معناه وهو سبقه اخره **في**
قولهم الثابت عنهم ومقولهم **ندم الله على خلق ادم ام خطا** المشهور
فيه القصر ويجوز مده كما جرى عليه الناظم وهو عطف على بدا اي سلوهم عن
قولهم هذا اهو عن قصد منهم او عن خطا منهم فان قالوا عن قصد كان عين
البدا الذي انكروه لانه يستلزم جهل الله تعالى بعواقب الامور وهم تكييف
يمنعون النسخ فرارا من لازمه عندهم وهو البدا انتاقض قبيح وان قالوا
انه خطا منهم فيكفيهم الاعتراف به على نفوسهم وانهم في غاية السفاهة والغباوة
وسبيلهم الاعتراف بالبدا الا انه خطا فاتضح بطلان زعمهم استحالة النسخ
حذرا من البدا وسلوهم ايضا عما لا يمكنهم انكاره لانه امر محسوس ورد القرآن

ام محا اية السرا الليل بعد سهو ليوجد الامساء ام بدا للاله في ذبح اسحق قد كان الامر فيه مضاء

على طبقه فقولوا لهم اعلامة الليل والنهار كل منهما باقية فلا تزول احداهما
بالاخرى **ام محا** اي اذهب **الله اية** اي علامة **الليل** اسم جنس
جمعي واحده ليلة كتمر وتمرة واتى النهار بدله وهكذا الى يوم القيامة **ذكرا**
بضم الذال تمييز اي من جهة الذكر اي العلم والتعد **بعد سهو ليوجد**
الامسا اي الدخول في المسا وهو بعد الزوال والمناسب ان يراد به هنا ما بعد
الغروب اي سلوهم اهل هذا المحو واقع امر لا وبفرض وقوعه فهل هو عن عمد
بعد سهو او عن سهو ابتداء فان قالوا بالاول لزمهم القول بالنسخ لانه بمنزلته
او بالثاني من الترديد الاول فقد كابروا الحس او من الترديد الثاني لزمهم
القول بالبدا لان من يجوز السهو يجوز البدا لانه بمنزلته فلم منعوا النسخ حذرا
منه وقد بين الله تعالى حكمة اختلاف الليل والنهار في غير ما اية فقال تعالى
قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الايات وقال وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفة اي يخلف احدهما الاخر لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وقال
تعالى وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا
فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب والحاصل ان الحكمة كما تقتضي دوام
انشائها بلا تبديل ولا تغيير تقتضي تبدلها وتغييرها وفي ذكر بعد سهو جناس التطا بق
لحرمه والتحليل وجمد وادي الايات **ام بدا للاله في ذبح اسحق** حين
امر به ثم نسخه **و** الحال انه **قد كان الامر فيه** اي بذبحه من الله تعالى
لخليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم في النوم **مضا** اي ماضيا نافذا وفي نسخة قضا
بالقاف اي حتما وذلك لان رويا الانبيا عليهم الصلاة والسلام وحي اي سلوهم فيما
وقع للخليل عليه الصلاة والسلام اذ امر بذبح ولده ثم اجاز ما تم عند ارادته
له لما ضجعه على جنبه لنسخه الله تعالى فامره بتركه وفداه بذبح عظيم وما

او ما حرم الاله نكاح الاخت بعد التحليل فهو الزناء

فقال ان الرقبة كسبت نحاسا واحس بالسكين عليها فلم تؤثر ونحو ذلك مما
يذكره الخطباء والقصاص فكله لم يثبت فيه شي فان قالوا ان الامر بالفدا وترك
الذبح نسخ الامر بالذبح لزمهم القول بالنسخ مطلقا او غير ذلك ولزمهم الجهل المفرط
والغباوة الشنيعة تنبيه ــــــــــ ما جري عليه الناظم ان الذبيح اسحاق
هو ما عليه الاكثرون قيل واجمع عليه اهل الكتابين لكن سياق الاية والمشاهرة
فان اسماعيل هو الذي كان بمكة ولم ينقل قط ان اسحاق جهة دخل ولا اتي تلك
الاماكن قاضيان بانه اسماعيل وهو التحقيق كيف وقد صح ما يصرح بذلك روي
الحاكم في المستدرك ان الصنابحي قال حضرنا بمجلس معاوية رضي الله تعالى عنه فتذاكر
القوم اسماعيل واسحاق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام فقال بعضهم الذبيح
اسماعيل وقال بعضهم الذبيح اسحاق فقال معاوية سقطتم علي الخبير كنا عند
رسول الله صلي الله عليه وسلم فاتاه اعرابي فقال له يا رسول الله خلفت البلاد
يابسة والماء يابسا وضاع العيال فعد علي مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين
فتبسم رسول الله صلي الله عليه وسلم فقلنا يا امير المومنين وما الذبيحان
قال ان عبد المطلب لما امر اي في المنام بحفر زمزم نذر لله ان سهل الله امرها
ان ينحر بعض ولده فاخرجهم فاسهم اي اقرع بينهم فخرج السهم لعبد الله فاراد
ذبحه فمنعه اخواله من بني مخزوم وقال ارض ربك وافد ابنك ففداه بمائة
ناقة فهو الذبيح واسماعيل الثاني وهكذا رواه ابن مردويه والثعلبي في تفسيرها
وسلهم فقولوا لهم اتنكرون النسخ وتقولون ما حرم الاله نكاح الاخت
بعد التحليل في زمن ادم صلي الله عليه وسلم اي وتقولون حرمه بعد ان احله
وعليه فهو اي نكاحها الزنا موجب للرجم وحد الزنا لغة فان قالوا
حرمها بعد ان احلها فهذا صريح في النسخ الذي انكروه وان قالوا لم يحرمها

يكذب ان اليهود وقد زاغوا عن الحق معشر لوماء المصطفي وامن بالطاغوت قوم عندهم شرفاء

اولم يحلها فهو عناد محض وتابيه لا تخاطب ولا يكالم واذ قد بان لك قبيح جهلهم
وتناقضهم وعنادهم فاسك عن حجاجهم ولا يكذب ان اليهود والحال انهم
قد زاغوا اي مالوا عن الحق من وجوه عديدة سفها وحسدا معشر
اي قوم لوما جمع لئيم وهو الدني الاصل الشحيح النفس جحدوا بدل
من زاغوا المصطفي اي المختار من الصفوة او المصفي من كل نقص
اي انكروا نبوته ورسالته صلي الله عليه وسلم بعد علمهم بها علما يقينا قال تعالي وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم والحال انه قد امن بالطاغوت اي الشيطان
وكلما عبد من دون الله او صد عن عبادته فعلوت من الطغيان قوم عندهم
شرفا هذا كالذي بعده بيان لعظيم لومهم وزيغهم عن الحق اذ جحدوا الحق
الاظهر من الشمس واقروا من امن بالباطل ومدحوهم علي ذلك بل عدوه مع ذلك
من شرفائهم ثم ظاهر النظم ان المومن بالطاغوت فرقة من اليهود لا كلهم وليس
لذلك بل كلهم امنوا به كما يصرح به قوله تعالي الم تر الي الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب قال المفسرون هم اليهود يومنون بالجبت والطاغوت ويقولون
للذين كفروا اي عن اشرافهم او كفار العرب هولا اهدي من الذين امنوا سبيلا
وعجيب من الشارح حيث اخذ النظم علي ظاهره واستدل بالاية مع انها انما
تدل علي الكل لا البعض ويصح ان المراد وامن بالطاغوت قوم من قريش هم عندهم
شرفا ومعني الاية ح ويقولون اي اليهود للذين كفروا اي عن كفار العرب
الذين امنوا بالجبت هولا اهدي من الذين امنوا سبيلا ويدل علي هذا
ان حيي بن اخطب لما ذهب لقريش وغيرهم ليحرضهم علي قتاله صلي الله
عليه وسلم ومعه اشراف من اليهود سالوهم الحق خير دينا ام محمد قالوا انتم
فقد حوا وخرجوا لقتاله صلي الله عليه وسلم تنبيه ــــــــــ جعل الواو للحال

قتلوا الانبيا واتخذوا العجل الا انهم هم السفهاء

لا للعطف الدال عليه حذفها من قتلوا الاتي اولى من قول الشارح انها عاطفة
وان المسوغ للعطف وصف قومه بالجملة بعده اي لما قررته فيه انه مدحهم
بالمومنين بالطاغوت مع جحدهم بنبوه نبينا صلى الله عليه وسلم فيه غاية الغباوة
واللوم واخرجه الى ذكر المسوغ قولهم شرط قبول عطف الجملة على الاخرى ان
يكون بينهما مناسبة لجهة جامعة نحو زيد يكتب ويشعر وقد نظر للمناسبة
المعتبرة في ذلك وبيانه ان ايمانهم بالطاغوت مع جحدهم لنبوه نبينا فيه
ما مر وكذلك اتخاذهم العجل مع قتلهم الانبيا عليهم الصلاة والسلام واما قتلوا
وما بعده فلا مناسبة ظاهرة بينهما فلم يعطف عليه قوله **قتلوا** بدل
بعد بدل او عطف بحذف حرفه بناء على انه يمكن مناسبة لما قبله **الانبيا**
كزكريا ويحيى وغيرهما جاانهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا ثم اقاموا سوق
نقلهم ومعاشهم **واتخذوا العجل** الها معبود مع ان السامري هو الذي
صاغه لهم بحضرتهم من الحلي الذي استعاروه من القبط قبل غرقهم والقى فيه
قبضة من تراب اخذه من تحت حافر فرس جبريل الذي جابه لفرعون حتى دخل
دراهم البحر لما انغرق لهم لانه كان احجم عن دخوله فبمجرد ان القى فيه
القبضة خور فقال لهم هذا الهكم واله موسى فراح على عقولهم السخيفة كلامه
فاعتقدوه الها وعبدوا كما قصه الله تعالى علينا مبسوطا في القران ومن ثم
كان كلامه اقتباس كقوله **الا** حرف تنبيه لاستفراغ وسع السامع لما بعدها
انهم هم السفها ولكن لا يشعرون لجهلهم المركب وعلا اسعد ولا اعمى
منهم جمع سفيه وهو من زاد نقص عقله حتى حصلت له خفة وطيش وسخافة
راي وانطماس بصيرة ومن لم ينظروا الى كونه بحد نا بحضرتهم جماد والاله
لا يكون كذلك عند من له ادنى عقل وتمييز فهم بين ادنى انواع سفههم بقوله

وسفيه من ساه المن والسلوي وارضاهم الفوم والقثاء مليت بالجبت منهم بطون فهم نار لطباقها الامعاء

ماكما وقع لهم **وسفيه** خبر مقدم او مبتدا وسوغ الابتدا به وقوعه بيانا لما
قبله كما تقرر **من ساه** اي احزنه **المن** وهو نوع من الحلوى كان ينزل
عليهم وهم في التيه في غاية الاضطرار **والسلوى** وهو السلوانى طير اشهى الطيور
لحما واطيبها غذا كان يانيهم اي يحالهم فرفا فرقا فيمد وا ايديهم اليه ويأخذوا
منه ما شاوا **وارضاهم الفوم** اي الثوم كما قرئ به وقيل الحنطة وهو بعيد
من السياق لان الحنطة ليست من الادنى **والقثا** بل سال فيهما وفي نظايرهما
قال تعالى تبكيتا لهم بعد ما ذكر انه انزل عليهم المن والسلوى واذ قلتم يا موسى
لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من
بقلها وقثايها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي
هو خير وفي كلامه اقتباس وطباق بين ساه وارضاه ومراعاة النظير في المن
والسلوى والفوم والقثا **مليت بالجبت** وهو ما سالوه من الفوم
وما بعده **منهم** صفة تقدمت فصارت حالا **بطون** ليناسب ما انطوت
عليه من الغل والحسد والغباوة والسفاهة او المراد مليت بطونهم بالمراد
الخبيث اي العضال الذي لا دوا له وهو الغل وما بعده والى هذا يرشد ما رتبه
عليه بقوله **فهم نار** اي مشتعله على ما يودي الى النار او سماها نارا باعتبار المال
كما في اراني اعصر خمرا **لطباقها** اي النار **الامعا** اي المصارين اي معا فوقه
نار دثر معاشهم نار وهكذا او الى الاول يرشد قوله مليت بالخبث المشعر
بان بطونهم صارت به كنار ذات طباق بعضها فوق بعض وطباقها امعاوهم
اذ الخبيث الذي مليت به هو نحو الربا والسحت فاذا دخلها جذبته المصارين
اليها وبعضها فوق وان الخبيث بعضه هو اشد عذابا من بعض فبعضه فوق
بعض ليتفاوت عذابهم بالنسبة الى اكلهم واكتسابهم هذا على الاصح عندنا في

لواريد وافي حال سبت بخير كان سبتا لديهم الاربعاء

الاول انهم مخاطبون بفروع الشريعة فيما قبون عليها بخصوصها في الاخرة زيادة على عقابهم على كفرو ان وجوه بعضها اشد من بعض **لو** شرطية **اريد وافي حال سبت** مصدر سبت اليهود اي عظموا سبتهم بالسكون فيه عما عدا العبادة فاصل السبت القطع **بخير** الباز اليه للتاكيد كما هو راي جماعة وكل من الظرفين متعلق باريد او على الثاني مفعول ويصح كون الاول حالا من خير اي لو اراد الله لليهود في حال **كان سبتا لديهم** اي عندهم **الاربعا** سبتهم الذي فرض الله عليهم خيرا بطريق الملازمة المستفاد من تو اي غاية الاشكال هذا من حيث ترتبه على ما قبله بطريق الملازمة المستفاد من تو اي غاية الاشكال ولم ينبه الشارح على ذلك اذ لم يتنبه له وانما تكلم على بعض مفرداته فقط ومنها قوله السبت اخر الاسبوع والارجاء ابعد وقيل السبت اوله والاربعاء خامسه وقد تقال كان الناظم نظر الي ان السبت القطع كما مر والي ان الارجاء محل النور الحسي لما ياتي ان الله تعالى خلق النور فيه فيكون محلا للنور والمعنوي الذي هو الامر فكانه يقول لو اريد بهم الخير لجعل قطعهم وصلا ولا ينافي ذلك قوله هو يوم مبارك لانه باعتبار ما فرض عليهم من تعظيمه وتخصيصه بالعبادة وما نحن فيه باعتبار انه لو اريد بهم تمام الخير جعل محل عباداتهم مرتدنا بوصولهم الذي من شانه انه بنشا من العبادة واما اذا جعل محل عباداتهم مسودنا بقطعهم باعتبار اصل بدلوله فهذا انما يوذن بنقصهم وانه لم يريد بهم كمال الخير ومما يوضح هذا ان الله تعالى ادخر لهذه الامة يوم الجمعة الموذن بغاية الوصل اذ مقام الجمعة هو مقام الوصل الذي هو اكمل المقامات وافضلها وجعل لليهود السبت الموذن بقطعهم وجعل للنصارى الاحد الموذن بوحدتهم وبعدهم عن مواطن الكرامات والسعادات فكان فيما خصت كل امة به من الايام دليل على احوالها وما يوول اليه امرها فنبه الناظم رحمه الله على هذه الحقيقة العرفانية والحكمة الربانية

بادر بغورهم

زياده

زيادة في مدح هذه الامة وذم غيرهم او يقال ان الناظم اراد بذلك انه لو اريد بهم الخير لكانت الايام كلها سبتا عندهم ليحيوها كلها بالعبادة واما تخصيص يوم منها بالعبادة دون بقية الاسبوع فهو من جملة ما اريد بهم من خلاف الخير وعلى هذا مع ما فيه من البعد والتكلف يكون معنى حال سبتهم اكرشانه ويكون ~~ذكر~~ ذكر الاربعا للمثال لا للتقييد ويكون قوله هو يوم الخ رجوعا الى مدح ما شرع لهم ولا ينافي ما قبله لان تركهم لانا في ان تعظيمهم في العبادة بقية الاسبوع غير خير واعلم ان قول الشارح والسبت الخ عجيب منه ان الذي حكاه بقيل هو الذي صح به الخبر وعليه الاكثرون وهو مذهبنا كما في الروضة واصلها ونقله الشارح في شرح المهذب عن الاصحاب بل قال السهيلي في روضة لم يقل بان اول الاحد الا ابن جرير واستدل له في شرح المهذب بخبر مسلم عن ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثا وخلق النور يوم الاربعا وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم يوم الجمعة في اخر النهار فيما بين العصر الى الليل ولهذا الخبر صوب الاسنوي كالسهيلي وغيره ان اوله السبت وجرى النووي في موضع على ما يقتضي ان اوله الاحد فقال في يوم الاثنين سمي به لانه ثاني الايام الا انه يجاب بانه جرى في جهة القسمية الملحق فيه بادني مناسبة على القول الضعيف نعم انتصر لكون اوله الاحد الذي جزم به القفال من اصحابنا بان الخبر السابق تفرد به مسلم وقد تكلم به الحفاظ علي ابن المديني والبخاري وغيرهما وجعلوه من كلام كعب وان ابا هريرة انما سمعه منه ولكن اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعا ويجاب بان من حفظ الرفع حجة على من لم يحفظه والثقة لا يرد حديثه لمجرد الظن وكان لذلك اعترض مسلم عما قاله اولئك واعتمد الرفع وخرجه في صحيحه فوجب

هو يوم مبارك قبل للتصرف فيه من اليهود اعتداء

قبولها ومن ثم انتصر ابن عساكر لكون اوله السبت بما حاصله ان تاييد ابن جرير لكون اوله الاحد بان هذا العالم خلق في ستة ايام وادم خلق يوم الجمعة انما يصح بتقدير ان يوم الجمعة داخل في الستة التي خلق فيها العالم ولم يصح ذلك لانه صلى الله عليه وسلم فسر خلق الاشياء وجعل خلق ادم في اليوم السابع وهو الجمعة ولم يثبت انه خلق اخر الايام وانما اخبر تع انه خلق العالم في ستة ايام فاخرها يوم الخميس وخلق ادم قبل الفراغ من خلقها اشارة لكونها خلقت لمصالحه كيف وسياق خبر مسلم المذكور ظاهر في ذلك ويؤيده ايضا ان الله تع هدانا اليوم الجمعة واضل عنه اليهود والنصارى اي لان اليهود لما اعتقدوا ان اوله الاحد اخذوا السبت والنصارى لما اعتقدوا ان اوله الاثنين اخذوا الاحد واما هذه الامة فاعتقدوا ان اوله السبت فاخذوا السابع وهو الجمعة ولا حجة في الاشتقاق نحو الاحد الواحد وهكذا الان هذه التسمية لم تثبت بامر من الله ولا من رسوله فلعل اليهود وضعوها على مذهبهم فاخذتها العرب عنهم ولم يرد في القران الا الجمعة والسبت وليسا من اسما العدد انتهى على ان هذه التسمية وان ثبتت لم يكن فيها دليل لان العرب تسمي خامس الورد رابعا وهكذا وهذا هو الذي اخذ منه ابن عباس رضي الله عنهما قوله الذي كاد ان يتفرد به ان يوم عاشورا هو تاسع المحرم وتاسوعا هو ثامنه وهكذا **هو** اي يوم السبت **يوم مبارك** لان الله تعالى ابتدا فيه خلق هذا العالم كما مر خلافا لما زعمته اليهود انه ابتداه يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت قالوا ونحن نستريح فيه كما استراح الرب فيه وهذا من جملة عقائدهم وسفاهتهم ومن ثم رد الله تعالى عليهم بقوله عز قايلا وما مسنا لغوب اي تعب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اذ لا يتصور التعب

الا

فبظلم منهم وكفر عد تهم طيبات في تركهن ابتلاء

١٥٨

الا من حادث مفتقر للغير في الاسباب والله تع يتعالى عن ذلك انما امره الذي اذا اراده ان نقول له كن فيكون اي نوجده فورا فلا يتخلف عن الارادة فقول كن كناية عن ذلك **قبل** بناه للمجهول لضيق النظم فلا يتوهم انه قول ضعيف **للتصريف** اي للتصرف **فيه** ببيع ونحوه **من اليهود اعتدا** اي ظلم وعدوان وان كان سبب المسخ كثير من منهم قردة وخنازير وذلك انهم لما امروا ان يجردوه للعبادة اعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه الصلاه والسلام اثنا عشر الفا فاصطادوا فيه وكانوا بايلة قرية على جانب البحر فابتلاهم الله تع بان الهم السمك يوم السبت انه سابق حوت في البحر الا ورفع خرطومه واخرج فاذا مضى تفرق السمك ونحو فاجمع راي جماعة منهم على حيلة يمسكون بها السمك ويمنعهم من الاصطياد يوم السبت ويأخذونه يوم الاحد فشووا واكلوا فخبر انهم فسالوهم ناخبروهم بالحيلة فقالوا ان الله يعذبكم ثم لما لم يعاجلوا بالعقوبة تبعهم جماعة قدماروا اقدروا الثلث وسكت قدر الثلث واعتزلهم الثلث الباقي فبنوا فوقهم حايطا فاصبحوا وقد مسخ الثلث الاول قردة وخنازير وكذا الثاني على خلاف فيه اي لان الاية فيه محتملة ومن ثم قال ابن عباس رضي الله تع عنهما لا ادري ما فعل بالساكت نجاهم ام مسخهم لذلك قال مالك في هذا تحريم الحيلة ووجوب سد الذرايع انتهى ويرد بان المقرر في الاصول ان شرع ما قبلنا ليس بشرع لنا فان ورد في شرعنا ما يوافقه فالدليل هو شرعنا لا غيره **فبظلم** متعلق بعدهم **منهم** وهو وضع الشي في غير محله كخيانتهم في السبت واخذهم الربا واكلهم اموال الناس **وكفر** من عطف الاخص لزيادة الاهتمام به **عد تهم** اي فاتتهم **طيبات** من الرزق حرمها الله عليهم وهذا مقتبس من قوله تع فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية ومن ثم ان الطيبات

خدعوا بالمنافقين وهل ينفق الاعلى السفيه الشقاء واطمانوا بقول الاحزاب اخوانهم اننا لكم اولياء

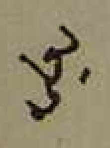
ان يوجد **من تركهن** الذي يختبر الامر به **ابتلاء** اي اختبار ومحنة للعبد تكون
سببا للفلاح لو هلاكه **خدعوا** اي يهود المدينة وما قرب منها بدل من زاغوا
لكن ذاك عام وهذا خاص لتقييده بالظرف بعده **بالمنافقين** من الاوس
والخزرج الذين فيهم الاسلام فاظهروه واتخذوه جنة من القتل مع بقايهم على
كفرهم باطنا وكان هولاء مع اليهود الذين يتعنتون على النبي صلى الله عليه وسلم
فينزل القران مكذبا لهم تارة ومجيبا عن شبههم اخرى ومنبها على احوال
المنافقين الذين معهم باطنا اخرى ومع كونهم خدعوا بهم انهم اريد بهم
المكروه من حيث لا يعلمون بسبب المنافقين الذين كانوا قصدوا نهيهم عن النبي
صلى الله عليه وسلم فيتخدعون لهم لغباوتهم وسفاهتهم كما قال **وهل ينفق
الاعلى السفيه الشقا** اي وما ينفق الشقا الاعلى السفها وهم اليهود
لاغير شبه الشقا الحاصل لهم بدراهم تصرف وتخرج على التشبيه استعارة بالكناية
واثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الانفاق تخييلا وجعل الـ...
من النفاق اي الرواج فعليه شبه الشقا بالسلعة المعروضة للبيع تخييلا و...
بذكر السنة الملايم للمشبه او المشبه به **واطمانوا** في زعمهم بما كانوا يترقبون
من النبي صلى الله عليه وسلم بسبب **قول الاحزاب** اي طوايف اهل مكة ومن كان
معهم من قبايل العرب الذين تجمعوا لحربه صلى الله عليه وسلم بعد وقعة احد
اخوانهم في الكفر لهم **اننا لكم اولياء** اي متولون ومتفقون
على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان جماعة من اليهود منهم اللعين
حيي بن اخطب ازدادت عداوتهم له صلى الله عليه وسلم حتى قدموا على قريش
بمكة فدعوهم لحربه صلى الله عليه وسلم وقالوا انا نكون معكم عليه حتى نستاصله
فوافقوهم ثم ذهبوا لغطفان وذكروا لهم ذلك فوافقوهم فخرجت قريش

وقايدها ابو سفيان رضي الله تعالى عنه وغطفان ومن معهم من اهل نجد وقايدها عيينه
ابن حصن فاجتمعوا في عشرة الاف من اليهود قاطعون بانهم بذلك يستاصلون
المسلمين فلما سمع بهم صلى الله عليه وسلم اشار سلمان الفارسي بحفر الخندق لان العرب
لم تكن تعرفه فاجتهد فيه صلى الله عليه وسلم بنفسه واصحابه فلما وصل العدو اليه خرج
اليهم في ثلاثة الاف فمكثوا نحو خمسة عشر يوما وهو الاشهر لا قتال بينهم الا الرمي بالنبل
والحصى ثم اشتد الحرب فجا نعيم بن مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له اني اسلمت
ولم يعلم بي قومي فمرني بما شيت فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يخادعهم ما استطاع
فان الحرب خدعة فذهب اي بني قريظة وكان نديمهم في الجاهلية فحسن لهم
التخلف عن معونة قريش الا ان اخذوا منهم رهنا وخوفهم على انفسهم واولادهم
فقالوا اشرت بالراي ثم ذهب للعرب وقال لهم عن اليهود مثل ذلك وانهم ندموا
... ذلك وارسلوا لمحمد صلى الله عليه وسلم بذلك فارسلوا ارسلهم لقريظة فذكروا الرهن
... عنقه واصدق نعيم وانخذل بعضهم فخذلهم الله تعالى وارسل عليهم ريحا في ليلة
... البرد ما كفات قدورهم وطرحت خباءهم وبلغه صلى الله عليه وسلم الخبر
وما هم فيه فقال صلى الله عليه وسلم لحذيفة بن اليمان اذهب فانظر ما يفعل القوم
ولا تحدثن شيا حتى تاتينا فدخل بينهم فسمع ابا سفيان يقول لينظر الرجل منكم
من جليسه قال حذيفة فاخذت بيد من يحيني فقلت من انت قال فلان
ابن فلان ثم قال ابو سفيان والله يا معشر قريش ما اصبحتم بدار مقام
لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة ثم امرهم بالرحيل وارتحل ولولا
عهد النبي صلى الله عليه وسلم ان لا احدث شيا لقتلته بينهم ثم سمعت غطفان ما وقع
لقريش فرجعوا ايضا فلما اصبح صلى الله عليه وسلم رجع الى المدينة وقال صلى الله عليه وسلم
لا تغزوكم قريش بعدها ابدا لكن انتم تغزونهم وكان كذلك ولما وضعوا السلاح

خالفوهم وخالفوهم ولم ادر لماذا تخالف الخلفاءُ

جاء جبريل عليه الصلاة والسلام معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج وفي رواية البخاري انه صلى الله عليه وسلم لما وضع السلاح اغتسل فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم اعمد بني قريظة فاني عامد اليهم ومزلزل لهم وفي رواية فهم فشد سلاحك فوالله لادقنهم دق البيض على الصفا فبعث صلى الله عليه وسلم مناديا يا خيل الله اركبي فذهب اليهم في ثلاثة الاف مقاتل وستة وثلاثين فرسا فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة او خمسة عشر وقذف الله في قلوبهم الرعب فعرض عليهم رئيسهم الايمان وحلف لهم انه نبي مرسل وانه الذي يجدونه في كتابهم فابوا فقال الليلة السبت فلعلهم امنوا فانزلوا العلكم تصيبون منهم فقالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من قبلنا الا من علمت فاصابه ما لم يخف عليك من المسخ ثم اشتد عليهم الحصار فنزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فيهم سعد بن معاذ سيد الاوس فحكم فيهم بان تقتل رجالهم وتقسم اموالهم وتسبى ذراريهم فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله الذي حكم به فامر صلى الله عليه وسلم بهم فادخلوا المدينة وحفر لهم اخدود في السوق وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه واخرجوا اليه فضربت اعناقهم وكانوا ما بين ستمائة الى سبعمائة ولا تنافيه الرواية الصحيحة انهم كانوا اربعمائة مقاتل لان الباقين اتباع وبما تقرر علم ان الاحزاب **خالفوهم** اي اليهود اي عاهدوهم مع الايمان المغلظة على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم **وخالفوهم** في ذلك فرحلوا عنهم واسلموهم للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قتل من اخر دعهم **ولم ادر لماذا تخالف الخلفاء** واراد بنفي الدراية على طريقة تجاهل العارف امر المدعو على البحث عن سبب ذلك وان كان ظاهرا وهو ان الله تعالى اراد خذلانهم بتفريق كلمتهم واستيصال ساحتهم تنبيه تجاهل العارف سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره وهو سؤال المتكلم عما

ادر



يعلمه

موهم لاول الحشر لا ميعادهم صادق ولا الايلاءُ سكن الرعب والخراب قلوبا وبيوتا منهم نعاها الجلاءُ

١٦

يعلمه على سبيل التعجب او الانكار او التوبيخ كما هو هنا او التقرير نحو وما تلك بيمينك يا موسى **اسلموهم** اي المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه اليهود المسمين ببني النضير **لاول الحشر** المقتبس من قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين اي في اول حشرهم واجلائهم من جزيرة العرب الى الشام او من بلادهم اي محل اخروا انما كان اولا لانهم لم يصبهم قبل نظير ذلك او في اول حشره الى القتال لما ياتي في قصتهم انهم عزموا على القتال ففشلوا اي القى الله الرعب في قلوبهم واخر حشرهم اجلاء عمر لمن بخيبر من دهوكا ومن اهلها الى الشام او في اول حشر الناس الى الشام لانها الى قيام الساعة لانها ارض المحشر **لا ميعادهم** اي المنافقين لليهود انهم ينصرونهم على النبي صلى الله عليه وسلم **صادق** لانهم سلموهم قتالهم وانهم يعينونهم ثم تخلفوا عنهم **ولا الايلاء** اي الحلف منهم لهم صادق ايضا **سكن الرعب** اي هيبة النبي صلى الله عليه وسلم وخشية انتقامه منهم وظن ظفره عليهم **والخراب** الاتي لديارهم **قلوبا** من اليهود المحصورين وغيرهم من اهل خيبر وغيرها وهذا راجع للاول **وبيوتا منهم** راجع للثاني ففيه لف ونشر مرتب **نعاها** اي اخبر تلك البيوت بموت اهلها المعنوي من نعاه له نعوا ونعيا ونعيانا اخبر بموته **الجلاء** اي خروجهم من ديارهم شبهه في كونه معلما بفقدهم وزوال شوكتهم المشبه بالموت بانسان مخبر بما ينفع ويضر فهي استعارة بالكناية وذكر النعي الملائم للمشبه به استعارة تخييلية وعجيب من الشارح حيث لم يتكلم على هذه الجملة مع ما علمته فيها من الاستعارتين المذكورتين بل فيها استعارة ثالثة كما اشرت اليها بقوله المشبه بالموت وظاهر النظم ان واقعة بني النضير

هذه بعد الخندق المشار اليها بقوله السابق واطمانوا الخ وهو ما اوهمه
كلام بعض اهل السير لكنه يرد بان بني قريظة هم الذين ظاهروا الاحزاب
واما بنو النضير فلم يكن لهم في الاحزاب ذكر بل كان من اعظم الاسباب في
جمع الاحزاب ما وقع من اجلايهم فانه كان من روسهم حيي بن اخطب واضرابه
وهو حسن لبني قريظة الغدر وموافقة الاحزاب حتى كان من هلاكهم ما كان
فكيف يصير السابق لاحقا وخلاصة ما قاله اهل السير في واقعة بني النضير انه صلى
الله عليه وسلم خرج اليهم يستعينهم في دية قتيلين قتلهما بعض حلفايهم فاظهروا
له الاجابة ثم تواعدوا وهو صلى الله عليه وسلم جالس الى جنب دار لبعض بيوتهم
على ان يصعد واحد منهم ويلقي عليه صخرة ليستريحوا منه فنهاهم بعضهم
وقال تخبرون بما هممتم به وانه لنقض العهد الذي بيننا وبينه فلما صعد
الرجل كذلك اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فقام مظهرا انه يقضي حاجة وترك اصحابه في
مجلسهم ورجع مسرعا الى المدينة فطلبه اصحابه فاخبرهم ونزل في ذلك يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية ثم امر
صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم فسار صلى الله عليه وسلم وحاصرهم ستة
ليال فتحصنوا بالحصون فقطع النخل وحرقها وخرب ولما وقع في نفوس
بعض المسلمين شيء نزل ما قطعتم من لينة واللينة اصناف التمر ما عدا العجوة
والبرني ففي الاية انه صلى الله عليه وسلم لم يحرق من نخلهم الا ما ليس بقوت
وكانوا يقتاتون العجوة وفي الحديث العجوة من الجنة وتمرها يغذو احسن غذا
والبرني كذلك ايضا وكان رهط من بني عوف من الخزرج منهم ابن ابي بعثوا
اليهم ان اثبتوا وتمنعوا فانا لم نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم
خرجنا معكم فتربصوا فقذف الله في قلوبهم الرعب فسالوا رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم ان يخليهم عن ارضهم ويكف عن دمايهم وفي رواية ابن سعد انهم
لما هموا بالغدر ارسل اليهم محمد بن مسلمة ان اخرجوا من بلدي وقد اجلتكم
عشرا فمن روي منكم بعدها ضربت عنقه فشرعوا في التجهيز فارسل اليهم
ابن ابي بانهم يمتنعون ويمدهم من ينصرهم فارسلوا الرسول الله صلى الله
عليه وسلم يقولون لا نخرج فاظهر التكبير وكبر المسلمون بتكبيره فسار اليهم وعلي
يحمل رايته فلما راوه قاموا على حصونهم يرمونه بالنبل والحجارة وخذلهم ابن ابي
وغيره فحاصرهم خمسة عشر يوما ثم قال لهم اخرجوا ولكم دماوكم وما حملت
الابل الا الزرع فنزلوا على ذلك وكانوا يخربون بيوتهم بايديهم فلحقوا بخيبر
ثم الى الشام والحيرة على سماة ولكون الفاهو لهم بمجرد الرعب كان ما بقي
من اموالهم له صلى الله عليه وسلم يقسمه بين المهاجرين ليرفع مونتهم عن الانصار
خدعوا ايضا اي بني قريظة منهم **بيوم الاحزاب اذ زاغت الابصار**
منهم **وضلت الاراء** وذلك ان الاحزاب لما اقبلوا ونزلوا حوالي
المدينة وخرج صلى الله عليه وسلم والمسلمون فجعلوا ظهورهم الى سلع والخندق
بينه وبين القوم خرج عدو الله حيي بن اخطب حتى اتى كعبا القرظي صاحب
عقد بني قريظة وعهدهم فاغلق كعب دونه باب حصنه وقال له انك
امرؤ مشوم واني عاهدت محمدا صلى الله عليه وسلم فلست بناقض ما بيني وبينه
فاني لم ار منه الا وفا وصدقا فقال ويلك افتح ولم يزل به حتى فتح فقال
يا كعب جيتك بعز الدهر جيتك بقريش انزلتهم بمجتمع الاسيال ومن دونه
غطفان وقد عاهدوني ان لا يبرحوا حتى يستاصلوا محمدا ومن معه ولم يزل
به حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه
ذلك فعظم البلا واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم

وتعدوا الي النبي حدودا كان فيها عليهم العدوا، ونهيتم وما انتهت عنه قوم فابتدا الامار والنهاء

حتى ظن المومنون كل ظن ونجم بعض النفاق في بعض المنافقين وانزل الله واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض الايات وقال رجال ممن معه يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ثم وقع ما مر من أن الله تعالى خذل الاحزاب وبدد شملهم وجعل الدايرة عليهم والعزة لرسول الله صلي الله عليه وسلم والمسلمين واهلك بني قريظة عن اخرهم كما مر وبما تقرر علم ان في كلام الناظم في هذا البيت والذي قبله تلميحا من وجوه عديدة **وتعدوا** ظاهر سياقه ان الضمير للنصارى واليهود والمنافقين ويجوز عوده لمطلق الكفرة الشامل لكفار العرب وغيرهم اي تجاوزوا حتى وصلوا **الي النبي** صلي الله عليه وسلم **حدودا** احدها وشعتهم من مجاوزتها فلم يقفوا عندها فلذلك **كان فيها** اي في مجاوزتها **عليهم** احد الظرفين حال والاخر خبر **العدوا** اي بعدهم عن النجاة ووقوعهم في الهلاك الابدي وفي هذا تلميح الي قوله تعالي ومن يتعد حدود الله فاوليك هم الظالمون وبين تعدوا والعدوا جناس شبه الاشتقاق وهو اشبه بين نهيتم وانتهيت والبذا والخيل والخيلا والدي وكذا بين عفا وعفو وسواه وسور واحجمت والحجون واحلو الكلبير الاتيات **ونهيتم** اولئك المعتدين قوم منهم عن استمرارهم علي ما هم عليه من مخالفة النبي صلي الله عليه وسلم وايذائه قايلين لهم انه لرسول الله حقا **وما انتهت عنه** اي عن مخالفة النبي صلي الله عليه وسلم **قوم** بل استمروا علي ما هم عليه من ايذائه والامر به **فـ**بسبب ذلك اي اهلك **ابتدا الامار** منهم بايذائه صلي الله عليه وسلم **والنها** عن اتباعه لبقا كل من الفريقين علي ضلاله ومر ان عتبة بن ربيعة لما اشتد اذي قريش له صلي الله عليه وسلم ذهب اليه لينهاه فقرا عليه فصلت فرجع الي قومه ومدح القران

وتعاطفوا في احمد منكر القول ونطق الاذاذل المعوراء

وامرهم ان يخلوا بينه وبين ما هو فيه وبين لهم ان القران ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة وانه صلي الله عليه وسلم ليس به جنون وانه ليكون لقوله نبا فقالوا له سحرك محمد بلسانه فقال افعلوا ما بدا لكم فلم يزدهم ذلك الا طغيانا وايذاء له بالقول والفعل وقتل عتبة يوم بدر مشركا وبين الامار والنها جناس الطباق كنهيتم وما انتهت والغنو والعشا والقطع والوصل والتقريب والاقصا والملام والاطرا والتباين والوفا الاتيات **وتعاطفوا في احمد** نبينا صلي الله عليه وسلم وخصه بالذكر لانه لم يسم به احد قبله كما رواه مسلم واما محمد فتسمي به قبله خمسة عشر نفسا كما بينه الحافظ العسقلاني **منكر القول** اي القول المنكر اي الذي ينكره سامعه بل المتلفظ به لعلمه بقبحه وفساده وان الحامل له عليه انما هو محض عناد وحسد فقالوا مرة ساحر ومرة كاهن ومرة مجنون كما سبق ذلك مبسوطا في بيان اعجاز القران وطاف صلي الله عليه وسلم هو وابو بكر وعثمان رضي الله تعالى عنهما فلما مر بابي جهل وعقبة بن ابي معيط وامية بن خلف اسمعوه بعض ما يكره ثم اراد ابو جهل الاخذ بمجامع ثوبه صلي الله عليه وسلم فدفع عثمان رضي الله تعالى عنه فوقع علي استه ودفع ابو بكر رضي الله امية والنبي صلي الله عليه وسلم عقبة ثم قال صلي الله عليه وسلم والله لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه عاجلا فما منهم الا من اخذته رعدة وجعل صلي الله عليه يقول لهم بيس القوم انتم لنبيكم ثم قال صلي الله عليه وسلم لاصحابه رضي الله تعالى عنهم ابشروا فان الله تعالى مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ان هولا الذين ترون مما يذبح الله تعالى بايديكم عاجلا قال عثمان رضي الله تعالى عنه فوالله لقد رايتهم ذبحهم الله بايدينا ومن ايذا المنافقين في قولهم يوم الخندق محمد يعد اصحابه ان ينفق كنوز

كل رجس يو بيده الخلق السوء سفاها والملة العوجاء فانظروا كيف كان عاقبة القوم وما ساق للبذي البذاء

قيصر ولسري واحدنا اليوم لا يامن علي نفسه ان يذهب الي الغايط
وقد حقق الله تع مقاله نبيه صلي الله عليه وسلم فملك الله المسلمين كنوز كسري
وقيصر في زمن عمر وعثمان رضي الله تع عنهما فهذ يل بجملة مشتملة علي معني
ما قبلها جارية مجري الامثال وليس تتميما خلافا للشارح فانه المالي
به لمجرد المبالغة والتاكيد ولا تكميلا لانه الماتي به لدفع الايهام نعم في ذلك
اضطراب بين اهل البديع فقال ونطق اي سطوق الاراذل
اي الاخسا والاسفال الذين لامروة لهم ولا عقل الكلمة العورا اي
القبيحة الساقطة اي شانهم النطق بالفحش وهو لا لذلك كيف
كل رجس اي قذر يغضب فابيهم يو بيده ما جبلوه عليه
وهو الخلق السوء بفتح السين وضمها اي القبيح سفاها بفتح السين
من سفه بالضم سفاها وسفاهة ومصدر المكسور سفها وهو ضد الحلم
وسببه خفة العقل وطيشه ويريد سفاهة ابهم وبعدهم عن الخير الملة
المشركة سميت بذلك لانها تملي وتكتب العوجا الباطلة شبهها بطريق
حوجا لايهتدي سالكها الي مطلوبه بل يتوه ويضل فيها علي سبيل الاستعارة المكنية
ثم اثبت لها العوج تخييلا واولئك الاراذل اجتمع فيهم الصفات الخلق السوء
والتمسك بالملة الباطلة فتضاعفت سفاهتهم بسبب ازديادهم من
السفاهة والجهل فانظروا ايها العقلا كيف هي وما بعدها سدت
مسد مفعول انظروا واما قول الشارح كيف في موضع المفعول الثاني
وعاقبة القوم الاول فهو انما يصح بفرض زيادة كان ولا محوج لذلك كما عرف
مما قررته كان تامة عاقبة اي مال ومصير القوم المعروفين
بما ذكر وهو خزي الدنيا وعذاب الاخرة فهم كان عاقبة الذين اشاوا السوء

اي الاية

وحد السب فيه سما ولم يرد اذ الميم في مواضع باء كان من فيه قتله بيديه فهو في سوء فعل الزبا

٦٣

اي الاية ففيه اقتباس وانظروا ما هو بصلته سد مسد المفعولين ايضا
وعجبت من الشارح حيث لم يبين اعرابه مع احتمال وجه اخر فيه غير ما ذكر
لكن ما ذكرته اولي كما هو واضح ساق للبذي اللسان كهم لا البذا
بالمعجمة بذاهم اي فحشهم وهو تخلفهم عن عز الدنيا وسعادة الاخرة وفيه تشبيه
البذي بدابة مسروقة والبذا بسايقها وهما استعارتان مكنيتان واثبات
السوق للبذا علي جهة كونه واقعا عليه تخييل وحد البذا السب اي
الشتم فيه اي النبي صلي الله عليه وسلم سما اي مهلكا مهلك وبين
والشتم الجاني المصابيح ولم يرد البذا ان السب عين السم القاتل
لوقته لفظا اذ الميم في مواضع حال من الخبر وهو با كقولهم في بيد
ميد وهي لغة مازن قال المازني دخلت علي الخليفة الواثق فقال لي ممن
الرجل قلت من بني مازن قال با اسمك يريد ما اسمك وهي لغة قومي بيدلون
الميم باء قال في اجلس فاطبين يريد فاطمين وقال ابن جني في سر الصناعة
اخبرنا ابو علي باسناده الي الاصمعي قال كان ابو سوار الغنوي يقول باسمك
يريد ما اسمك فهذا الباء بدل من الميم انتهي والمعني لانه اهلكهم كما يهلك السم بل
هو ابلغ من السم في الدنيا ولداوه بتزيله واهلاك السب لهم في الدنيا والاخرة
ولا دواله كان من اجل ما صدر من فيه اي فم البذي حال من الضمير
المستقر في الخبر وهو بيديه قتله لنفسه بيديه وقتل الانسان لنفسه
اشد من قتل غيره له فبسبب ذلك هو اي البذي القاتل لنفسه المذكور
في الانصاف بما وقع من سوء فعل بنفسه المرات المشهورة بالملكة
القاهرة في العرب التي الزبا بفتح الزاي وتشديد الموحدة اي شبهها فانها
تناولت خاتما سموما فمصته حتي قتلت نفسها وقالت بيدي لا بيدك

يا عمرو فكان قتلها نفسها بسبب ما اتاها ولته بغيرها من يدها لما ظفر بها
عمرو بن اخت جذيمة الابرش لما كان بينهما خوفا من تعذيبه اياها وحاصل
القصة وهي طويلة ذكرها الاخباريون وابن هشام وابن الجوزي وغيرهم
ان جذيمة بن مالك التنوخي وقيل الازدي وهو اول من ساس الحرب واول
من اتخذت له الشموع واوقدت بين يديه واول من اجتمع له الملك
بارض العراق من قبل اردشير وكان ابرص فكنوا عن ذلك بالابرش
والوضاح قيل كان لا يانف من الابرص لان في العرب من يفتخر بذلك
وكان له نديم اسمه عدي بن نصر الايادي فوافقها على ان ينكحها منه اذا غلب
المسكر فساله لمدح في ذلك فانكحه اياها واشهد عليه ودخل بها فلما اصبح وعلم
بذلك تغيب عدي فلم يعرف له اثر فولدت له ولدا اسمي عمرا فاحبه جذيمة
واختطفته الجن ثم ردوه فزاده حظا عند خاله وكان ابو الزبا سميت
بذلك لكثرة شعرها اذ كان يجللها ويسحب من ورائها ملك ما بين الفرس
والروم فغزاه جذيمة وقتله بعد عيسى صلى الله عليه وسلم وطردها فلحقت
بالروم وجمعت الجيوش واستخلصت من جذيمة ملك ابيها وابتنت لها
الفرات قصرا حصينا فحدثت جذيمة نفسه بخطبتها لانها بكر واجمل اهل
عصرها وطمع في ملكها فارسل لها فاظهرت غاية الفرح والسرور وارسلت له
بهدية سنية فاستشار في السير اليها فبالغ قصير بن سعد في منعه ورأى ان
ذلك مكيدة منها فلم يصغ اليه وسار وكانت امرت عسكرها اذا وصل
ان يحيطوا به ويمنعوا من معه ففعلوا وقصير معه فلما راى ذلك ركب
فرس جذيمة التي تسبق الريح وقربها ثم ادخل جذيمة عليها وليس معها الا
جواري وكانت ربت شعر عانتها حولا كاملا فكشفته له وقالت

امتاع

امتاع عروس ترى فقال بل متاع امة بظراء ثم قالت خذوا بيد سيدكم
وبعل مولاتكم فاجلسته على النطع ففعلوا ثم امرتهم بفصد عروق يديه
ففعلوا ووضع له طست فنزف دمه فيه الى ان قضى فامرت فدفن ثم اقبل قصير
على عمرو فاخبره الخبر وامره ان ياخذ بثاره منها فافهمه انه لا قدرة له عليها فقال
له اجدع انفي واذني واضرب ظهري حتى يؤثر ففعل به ذلك وقيل انه فعل قصير
بنفسه ذلك ثم ذهب اليها مستجيرا بها من عمرو فراجت عليها حيلته واكرمت
منزله ثم قال لها ان لي بالعراق مالا كثيرا وذخاير فسيريني لاتي بها ففعلت فرجع اليها
باموال هائلة ثم عاد الى العراق ثانيا ثم اليها باكثر من الاولى فزادت مكانته
عندها ولم يزل يتلطف حتى عرف سردابا جعلته تحت الفرات يصعد منه الى
قصرها وبابه من جانب الفرات الاخر ثم خرج ثالثا فرجع باكثر من ذلك كله فزادت
مكانته وعولت عليه في امورها فاظهرت له انها تريد غزوا وانه يذهب
وياتيها بالعبيد والعدد فقال لها ان لي في بلاد عمرو الف بعير وخزانة
مال وسلاح فاعطته ما اراد من المال وقالت الملك لا يصلح الا بمثلك
فعاد الى عمرو وقال اصبت الفرصة منها فقال له عمرو مر بما شئت
فقال الرجال والاموال فعمد الى الفي رجل من فتاك قومه فحملهم على الفي جمل
على كل بعير اثنان في غرارتين سوداوتين وعمرو منهم وساق الخيل والكراع
والسلاح وكان يكمن النهار ثم دخل عليها فقال انظري الى العير فنظرت
فقالت ما للجمال مشيها وئيدا ... اجندلا يحملن ام حديدا
ام الرجال جثما قعودا ... ام الرجال في الغرار سودا
ولما وصلت العير المدينة طعن بواب جولقا بمخصرة بيده فاراد الصياح
فضربه قصير بسيفه فقتله ثم حلت الجوالق فخرجت الرجال ودخل

جمل

ام صرفانا باردا شديدا
ام الرجال جثما قعودا

اوهو النحل قرصها يجلب الحتف اليها وماله انكاء صرعت قومه حبايل بغي مدها المكر منهم والدهاء

تاهم قيل الى الحرب بخال والخيل في الوغي خيلاء قصدت فيهم القنا فوافي الطعن منها ما شانها الابطاء

عمرو باب السرداب ليصعد الي الزبا فلما راته مصت خاتما في يدها مسموما وقالت بيدي لا بيد عمرو فماتت وقيل ان عمرو اقتلها بسيفه واحتوي علي بلادها **اوهو** في سوا فعل **النحل** اي اشبهه ثم بين وجه الشبه فقال **قرصها** اي لسعها لغيرها **يجلب الحتف** اي الموت **اليها** عقب لسعها **و** الحال ان لسعها **ما** نافيه **له انكا** اي قتل ولا جرح بل ولا ادمي ولا تاثير قوي في الملسوع فكل منهما قتل نفسه بما خرج من فيه مع انه لا مصلحة تعود عليها بما كان سببا لهلاكها **صرعت قومه** صلي الله عليه وسلم الذين ارسله الله اليهم فلم يومنوا به اي القتهم قتلي بين يديه **حبايل** جمع حبل وحبالة وهي التي يصاد بها دنا صبحها يسمي الحابل **بغي** عليه صلي الله عليه وسلم **مدها** اي تلك الحبايل اليه **المكر** حال كونه **منهم** وهو ابطان السوء مع اظهار خلافه **والدها** وهو بالكسر كالدهي جودة الراي وفي كلامه استعارة بالكناية من حيث تشبيه القوم الذين حاربوه صرعي بين يديه صلي الله عليه وسلم بصيود مصروعة بين يدي الصياد من حيث تشبيه البغي بشبكة الصياد من حيث تشبيه المكر والدها والصايد كما تقتضيه نسبة المد اليهما او بحبال الشبكة التي يمدها بها الصايد حتي يقع فيها الصيد وتخييلية باثبات المد اللازم للمشبه به وترشيحية بذكر الصرع اللايق بالمشبه وبما تقرر علم ان في كلامه استعارات مكنيات الاول تشبيه القوم بالصيد وجرد لها بذكر الصرع والمكر والدها لهم ورشح اوخيل لها بذكر الحبايل والمد والثانية تشبيه البغي بالشبكة وخيل باثبات الحبايل له ورشح بذكر المد وجرد بذكر الصرع الملايم للبغي والثالث تشبيه المكر والدها بالصايد على ما مر

وخيل

وخيل باثبات ورشح بذكر الحبايل وجرد بذكر الصرع هنا ايضا اذ لا مانع من اشتراك معنيين او اكثر في كون الشي الواحد تخييلا او ترشيحا او تجريدا للكل باعتبار الكل علي حدته بما يناسبها **ف**بسبب مكرهم ودهايهم **اليهم** من قبله صلي الله عليه وسلم ما اوجب عود تلك الحبايل اليهم ولا يحيق المكر السيي الا باهله فلا يمكرون به مكرا ولا يكيدون به كيدا الا عاد عليهم وكيف وكلما يخرجوا الحربه صلي الله عليه وسلم وحاولوا اخفا امره صلي الله عليه وسلم بدد الله جمعهم وقتل ساداتهم واظهر امره عليهم هو الذي ايدك بنصره وبالمومنين ومن ذلك انهم **قيل الي الحرب تخال** يتبخترون بها راكبوها تيها وعجبا **والخيل** النفايس وعليها الشجعان **في الوغي** اي الحرب متعلق بقوله **خيلا** اي كبر وترفع عن الوقوع في وهدة او الاصطدام بشجرة وهذا تذييل **قصدت فيهم** اي في ابدانهم **القنا** اي الرماح جمع قناة وفي هذه الاستعارة المشهورة في قوله تع جدارا يريد ان ينقض ولا ينافي ذلك عد كثيرين له من انواع المجاز باعتبار ان فيه اضافة الفعل الي ما لا يصح منه وهو الارادة التي هي من صفات الحي لان ذلك مبني علي تشبيه ميله للوقوع بارادة له والاستعارة مجاز علاقته المشابهة ومن ثم قيل ح زوج المجاز بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة وهل هي مجاز لغوي او عقلي علي خلاف والاصح الاول لانها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لاعم منهما فاسد في رايت اسدا يرمي موضوع للسبع لا للشجاع ولا للحيوان الجري **ف**بسبب قصدها اياهم كانت **قوافي الطعن** اي الطعنات المشبهة بالقوافي في تتابعها حال كون ذلك الطعن **منها** اي تلك الرماح **ما شانها** اي عابها وفي نسخ شانه اي الطعن **الابطا** وهو تكرير القافية المتحدة لفظا ومعني قبل عدد

واثارت بارض مكة نقعا ظن ان الغدو منها عشا

يختلف فيه عندهم المشبه به الطعنات الواردة على كل واحد من غير
ان تؤثر التالية شيئا لم تؤثره المتلوة وهو معيب في المشبه به لانه يدل
على عمى الشاعر وتحيره ووصف الكل اولى مما سلكه الشارح كما يعلم بتامله نعم
قوله ولكثرة ما عملت وما حسم في اجساد عداهم تاتي الطعنة الثانية مكان
الاولى حتى كانهما واحدة لسرعة الطعن بقرب محله **واثارت** اي رفعت
تلك الخيل لما ركضت في مهامه الحرب **بارض** العرب وفي الاقطار الحجازية
وغير معاهد **مكة** في غزوة الفتح لما ازدحمت قرب دخولها **نقعا**
اي غبار اظلم الجو حتى **ظن ان الغدو** اي وقته وهو ما بين صلاة
الغداة وطلوع الشمس **منها** اي من اجل تلك الخيول التي اثارت
ذلك النقع ومن اجل تلك العلة المفهومة من الغبار التي اثارتها تلك
الخيول **عشا** اي وقتها وهو مغيب الشفق الاحمر وقضية كلام الشارح
بل صريحه ان المراد العشا بفتح العين وفسره بانه ما بين الغروب والعتمة
وفيه نظر وما ذكرته اولى واسلم مما تكلفه وفي قوله واثارت نقعا تلميح
الى قوله تعالى في سورة العاديات فاثرن به نقعا وخلاصة ما في هذه الغزوة
التي حصل بها ذلك الفتح الذي هو اعظم فتوح الاسلام كان الله تعالى اعز به الاسلام
واعز به دينه ورسوله وجنده وحرمه وبلده وبيته واستبشر به اهل السما
وضربت اطناب عزه على مناكب الجوزا ودخل الناس في دين الله افواجا
واشرق وجه الارض ضيا وابتهاجا وسببها انه وقع الصلح بالحديبية وانه صلى
الله عليه وسلم لا يتعرض لمن دخل في عقد قريش وانهم لا يتعرضون لمن دخل
في عقده وكان ممن دخل في عقده خزاعة وفي عقدهم بنو بكر وكان بينهما عداوة
فخرج بعض بني بكر وبنو خزاعة فاقتتلوا فاعان قريش بني بكر فخرج

اربعون

اربعون من خزاعة اليه صلى الله عليه وسلم يخبرونه ويستنصرونه فقام صلى
الله عليه وسلم وهو يجر رداه ويقول لا نصرت ان لم انصركم بما انصر منه نفسي
ولما احس ابو سفيان بمجيهم جا الى المدينة ليجدد العهد ويزيد في المدة
فابى صلى الله عليه وسلم فرجع فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة الاف ثم لحقه
الفان لليلتين من رمضان سنة ثمان فلما كان بقديد عقد الالوية والرايات
ودفعها الى القبايل ثم لما نزل مر الظهران امرهم ان يوقدوا عشرة الاف
نار فراعهم ابو سفيان ارسله قريش لياخذ لهم امانا لعلمهم بتجهيزه صلى الله
عليه وسلم فلما راى تلك النيران ابهره امرها فادركه الحرس فاتوا به رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاسلم بعد تمنع وتهديد فسال العباس النبي صلى الله عليه وسلم ان يظهر
له فخرا في قومه فقال صلى الله عليه وسلم من دخل دار ابي سفيان فهو امن وقال
للعباس اجلسه عند حطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين وفي رواية اجلسه عند
مضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها فجلسه فمرت به القبايل كتيبة
كتيبة وهو يسال عن كل فيبينها له العباس فيقول وما لي ولها ولما مرت به كتيبة
الانصار وصاحب رايتها سعد بن عبادة قال يا ابا سفيان اليوم يوم الملحمة
اي الحرب اليوم تستحل الحرمة اي الكعبة فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فامره
على لسان علي كرم الله وجهه بدفع الراية لابنه قيس واخبر ابا سفيان انه لم
ياذن بقتل قريش وان اليوم يوم الرحمة وان يعز قريشا وخشي سعد ان ابنه
يقع منه شي ايضا فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فدفعها النبي صلى الله عليه وسلم للزبير
وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم مع كتيبة المهاجرين مع الزبير ايضا فبعثه
ومعه المهاجرون وخيلهم وامرهم ان يدخل من اعلا مكة وان يغرز رايته
بالحجون ولا يبرح حتى ياتيه كذا ذكره موسى بن عقبة وغيره وقول

الشارح انه صلى الله عليه وسلم امر الزبير ان يدخل من كُدا بضم الكاف تصحيح وصوابه
من كدا ابالفتح لم ارفي الروايات المعتمدة ما يشهد له وانما الذي صح انه صلى الله عليه وسلم
دخل من اعلاها وخالد من اسفلها ورواية عكس ذلك ضعيفة لا يعول عليها ولعل
الشارح اخذ من الرواية الاتية عن مسلم وانت خبير بانه ليس فيها نص بكدا ولا بكدا
وبعث خالد بن الوليد في قبايل ليدخل من اسفل مكة ويغرز رايته عند ادنى
البيوت وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار في مقدمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وامرهم ان يكفوا ايديهم الا ان قوتلوا ولما دخل خالد من اسفل مكة قوتل
فقاتلهم حتى ادخلهم المسجد من باب الحزورة ثم كف ولما قال له صلى الله
عليه وسلم لم قاتلت وقد نهيتك قال كففت يدي ما استطعت فقال
قضا الله خير وصح في مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم بعث على احدى المجنبتين
خالد بن الوليد وبعث الزبير على الاخرى وبعث ابا عبيدة على الذين بغير سلاح
فقال يا ابا هريرة اهتف لي بالانصار فهتف بهم فجاوا واطافوا به فقال
لهم اترون الى اوباش قريش واتباعهم ثم قال باحدى يديه على الاخرى
احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا قال ابو هريرة فانطلقنا فما نشا
ان نقتل واحدا منهم الا قتلناه فجا ابو سفيان فقال يا رسول الله ابيحت
خضرا قريش لا قريش بعد اليوم فقال صلى الله عليه وسلم من اغلق بابه فهو امن ومن
هذا اخذ الاكثرون ان مكة فتحت عنوة ويرد بانه صلى الله عليه وسلم انما نهى
العلما وباشهم الذين من شانهم الجهل والمبادرة الى القتال في غير محله
ونفذ القول من اغلق بابه فهو امن ظاهر في ان الكلام انما هو فيمن قاتل
ليوافق الروايات الاخر المقيدة بذلك وبهذا يقوى ما ذهب اليه امامنا
الشافعي رضي الله تعالى عنه انها فتحت صلحا كما هو قضية الشامي الذي

اجمت عنده الحجون والكدي عند عطابه كدا

ودفع منه صلى الله عليه وسلم والعبرة بها لا بغيرها على ان القتال الذي وقع في غيرها
انما كان دفعا للقتال لهم كما هو وعلى ما تقرر في القصة انه صلى الله عليه وسلم امر اكثر اصحابه
بان يدخلوا من الحجون وهو الكدا بالفتح والمد وكان معهم من كتيبتهم الخضر الكثرة
ما معهم من السلاح على ناقته القصوى بين ابي بكر واسيد بن حضير وفيها المهاجرون
والانصار ولا يرى منهم الا الحدق من الحديد فراى ابو سفيان ما لا قبل له به فقال للعباس
لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة قال
نعم وامر بقية اصحابه ان يدخلوا من اسفلها وهو كدا بالضم والقصر ولذا قال
اجمت اي كفت وامسكت **عنده** اي ذلك البقيع الذي حصل بمكة لما اجتمعت
فيه جنود الاسلام مع ما هو فيه من كثرة الخيل واللام الداخلون من اعلاها واسفلها
الحجون بفتح الحا وهو الجبل المطل على مقبرة مكة المسماة بالمعلاة وذلك هو كدا بالفتح
والمداى الفرق التي كانت بالحجون وان اثارت فيه من النقع شيا كثيرا لكنه قليل بالنسبة
لما في مكة فامسك عن محاكاة ما بمكة **والكدي** اصله قلة الخير والرا ثم قلة التراب
عند حال من كدا **اعطايه** اي كدا المتقدم رتبة والمصدر مضاف للمفعول
المصدر الثاني **كدا** بضم الكاف والمد لغة قليلة فيه اي وقل غبار مكة كدا الذي
هو اسفل مكة لان الفرقة الداخلين منه الذين امرهم النبي صلى الله عليه وسلم كانوا
قليلا والعجب من الشارح حيث لم يبين لهذا الشطر معنى ملائما كونه ادعى ضبط كدا
هذا بالفتح وهو فاسد لان المفتوح الحجون السابق في الشطر الاول وقريب منه كما
يصرح به كلام ابن الحنبلي في المناسك وغيره مما قلت هذا البيت وان كان فصيحا لفظا
لما فيه من الجناس والتجاوز من حيث التعبير بالمحل عن الحال والتجاوز والاستعارة من
حيث الاحجام والمنع الذين هما من صفات الادمي الى غيره على حد جدارا يريد ان ينقض
كاسر بيانه انما لكنه ركيك معنى اذ لا حاصل له لان من المعلوم ان ما بمكة من مجموع

ودهت اوجها بها وبيوتا مل منها الاكفا والاقوا

الزفتين الداخلتين من اعلا واسفل دان من مجموعها اكثر مما كان منها ومثل
هذا البيت له كبير جدوي قلت بل فيه معني يستفاد وله جدوي لخفايه وهو
ان دخوله صلى الله عليه وسلم واكثر اصحابه كان من الحجون والبقية من كدا ووجه
اخره من النظم واقبح فانه حصر اعطاه القليل بكدا فدل على ان هو الكثير دخلوا
من الحجون ويصح ان يراد بنفس البقعتين مبالغة وعليه فيصح ان يكون الحجب
معطوفا على اثارت بحذف حرف العطف ففيها ضمير هو الفاعل يعود على الخيل
وان اكدي مبني للمفعول والتقدير ان قوة تلك الخيول انها قهرتهم حتى امكنهم
نكث الحجون وسعت كدي والحجون عن ان ينتصر باهلها او يتصور منها
ذلك لا سيما وخيل كدي كانت قليلة ويصح بقا النظم على اعرابه الاول وهو ان
الحجون فاعل وان اكدي مبني للفاعل وان المراد انه صلى الله عليه وسلم لم يقدر عليهم
نصرا باعراضي ان يقاتلهم ساعدته عليهم والتقدير ان الحجون والكدي منعاهم
من ان يمر والا عينهم النبي صلى الله عليه وسلم او اي احد من عسكره وفي هذا وما قبله
من المبالغة ما لا يخفى على عليم وقعة عند الفصحا وبين الحجون وكذا اجتاس معنوي
ودهت اي اهلكت تلك الخيل والخيالة اوجها من الناس بها اي بمكة
قاتلت كما في الرواية المصرحة بذلك المحمولة عليها الرواية المطلقة وكذا جماعة
لم يقاتلوا لكن كانوا بالغوا في اذا بة صلى الله عليه وسلم واظهار هجوه فامر بقتلهم
وان كانوا معلقين باستار الكعبة وعدتهم ست رجال واربع نسوة و
اهلكت بيوتا كان اهل مكة يرجعون اليها مل اي ستر منها
الاكفا وهو في الشعر المخالفة بين هجا او اخره كان يكون بعضها سيما
والاخر بادما انكفا تلك الوجوه على الناس لعلها تحيها وتجيرها والاقوا
اصله من قولهم منزل قوا اي لا انيس به واقوت الدار وقوت اي خلت

عن احلم البرية والعفو جواب الحليم والاغضا ناشدوه القربي التي من قريش طحنتها التراب والشحناء
فعفى عفو قادر كم ينغصه عليهم بما مضى اغراء

ثم استعمل في الشعر مرادا به ان تختلف حركات اعراب وبما قررت به كلامه معنا فيما
قبله في قصيدة قبل القبا الخ يعلم ان الناظر استعار القوافي للطعن المتتابع ورشح بذكر
الابطال ولمح بذكر البيوت ترشيحا لبيوت الشعر المرشح بها وبذكر ما يخصها من الاقوا
والاكفا اي الاستعارة الاولى وفيهما تورية ولف ونشر مشوش لانه رجع الاقوا
للبيوت باعتبار لمح بيوت الشعر والاكفا للوجوه لان الرأس اذا قطع انكفات الوجوه
لان الرأس اذا قطع انكفا الوجوه وتحولت الاقوا في الخلو من حيث بيت السكنى وفي
تغيير القافية من حيث بيت الشعر وكذلك الاكفا من حيث تغيير حركة الروي وسببه
ما حصل لاهل مكة من الخوف الذي ظنوا انه مهلك لهم حتى اخرجهم دعوا محمدا صلى الله
عليه وسلم احلم البرية بالهمز في الاصل اي الخلق اي طلبوا منه يوم الفتح
ان يعفو عنهم وان لا يعاقبهم بما سعى منهم مما كانوا وصلوه اليه من الاذى الذي
لا يتحمله غيره صلى الله عليه وسلم فاجابهم الى العفو قائلا لهم لا تثريب عليكم اليوم كما
يأتي والعفو عمن ساله جواب الحليم من مكرها لكبرا اذا ترك
الانتقام بحق والاغضا اي رضا الجفون من الحيا وفي ذكر الحكم والعفو
والاغضا مراعاة النظير ناشدوه بدل من دعوه القربي اي حلفوه
على ان يصل قرابتهم ويعفو عنهم او بالقربى على حذف الجار اي حلفوه بالقربى
التي بينهم وبينه ان يعفو عنهم التي وصلت اليه من ساير قريش
وهم ولد النضر بن كنانة احد اجداده صلى الله عليه وسلم حال كون تلك القربى
طحنتها التراب جمع ترة وهي مصدر ترات قتل له قتيل ولم يترك دمه
والشحناء اي التباغض والتحاسد الذي كان بينهم بسبب تلك المناشدة
عفى صلى الله عليه وسلم عفو قادر لانه صلى الله عليه وسلم كان يسهل عليه ابادتهم
من اخرهم لم ينغصه اي لم يكدر ذلك العفو عليهم بسبب ما مضى

واذا كان القطع والوصل لله تساوي التقريب والاقصاءُ

مثلهم صفة اغرا تقدمت فصارت حالا اغرا من اغريت الكلب بالصيد
اي حملته على اصطياده وهو ما على بنعمه اي لم يكد يعفوه عنهم اغرا سفهائهم
وجهلائهم فيما مضى حال كونه منهم حتى بالغوا في ايذائه بالانتحله مخلوق
كما تحمله صلى الله عليه وسلم وخلاصة ما اشار اليه الناظم انه صلى الله عليه وسلم لما كان
العفو يوم الفتح قام خطيبا في الناس فحمد الله واثنى عليه ومجده بما هو اهله
ثم قال ايها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وهي حرام
بحرمة الله الى يوم القيامة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الاخر ان يسفك بها
دما ولا يعضد بها شجرة فان احد ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم ياذن لكم وانما احلت لي ساعة من نهار
اي من الفجر الى العصر وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ
الشاهد الغايب ثم قال صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش ما ترون اني
فاعل فيكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال صلى الله عليه وسلم اذهبوا فانتم
الطلقا من الاسر والاسترقاق وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لهم
اقول لكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو
ارحم الراحمين وسر هذا العفو وهذه الوصلة منه صلى الله عليه وسلم لهم
بعد القطع انه ناظر الى الله تعالى دون غيره واذا كان القطع والوصل لله
كما هو حال النبي صلى الله عليه وسلم تساوي عنده فاعل ذلك التقريب
للاقارب والبعدا والاقصا اي الابعاد للاقارب والبعدا ولم يميز
باحدهما زيد ولا عمرو لان النظر لرضى الله تعالى وامتثال امره
لا لغيره وهذا من القول البديع الجامع وسوا بفتح السين والمد ويجوز
ضمها والكسر والقصر فيهما بمعنى مستو ويستعمل الاول بمعنى التام ومنه

وسوا عليه فيهما اتاه من سواه الملام والاطراءُ ولو ان انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفاءُ

سوا للسايلين والى سوا الصراط والوسط ومنه سوا الجحيم وبمعنى غير قليل
ومنه فقد ضل سوا السبيل وهو هنا بمعنى وسط عليه اي الذي
تقريبه واقصاؤه لله لا لغيره واجل من اتصف بهذه المرتبة نبينا صلى الله عليه وسلم
لان خلقه القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه وهذا خبر مقدم ويصح كونه
مبتدا فيهما اتاه من سواه كلاهما حال من المبتدا او الخبر وهو
الملام بالسب والتنقيص والاطرا اي المبالغة في المدح حتى بغير
الواقع اي سوا عليه اللوم والاطرا حال كونهما منحصرين فيما اتاه من غيره
من خير او شر اي استوى عنده مدح الغير وذمه لانه ليس ناظرا الى نفسه وانما
نظره الى تصريف الحق في خلقه بالارادة منه تنبيه ما وقع للناظم
هنا من حذف همزة التسوية بعد سوا والعطف بالواو هو ما درج عليه الفقها
في كتبهم وهو لغة وان كان خلاف الاشهر السايغ من ذكر الهمزة والعطف بام
وقد صرح في الصحاح بتلك اللغة فقال تقول سوا علي قمت ام قعدت
وكذلك في القاموس وسوا تطلب اثنين سوا زيد وعمرو اي ذوا استوا
استويا تماثلا وقد صرح ابن مالك بالمسئلة لكن بتمرجيح ام وصححها الكل الايضاح فقال
كما في البديع انه اذا كان بعد سوا همزة استفهام فلا بد من ام اسميتين او فعليتين
وان كان بعدها فعلان بغير الف الاستفهام عطف الثاني بالواو تقول
سوا علي زيد وعمرو وان كان بعدها مصدر ان كان الثاني بالواو او احلا
عليها انتهى فعلم صحة ما عليه الفقها واندفع قول ابن هشام ان ذلك لحن
وان ما في الصحاح سهو وان قرأة ولم تنذرهم من الشذوذ كما قال
انتهى فاستحضر ذلك فانه مهم ومن ثم لو بين فيها بحث ارضاف قدمه
صلى الله عليه وسلم ما ينبغي مراجعته لعزته ونفاسته ان انتقامه صلى الله عليه

قام لله في الامور فارضي الله منه تباين ووفاء فعله كله جميل وهل ينضح الاعا حواه الانا،
اطرب السامعين ذكره علاه يا كراح مالت به الندماء

وسلم اي غضبه واستبغاوه الذي صدر منه كان لهو النفس الامارة بالسوء والمطبوعة على التكبر على الغير وحب التغيير عليه بما يقهره ويذله له لرامت قطيعة للرحم وجفا اي ابعاد لها ولكنه لم يكن كذلك انما كان لله تعالى فقطعهم حيث قطعوا ما امر الله به ان يوصل ووصلهم غير ناظر لما سبق منهم من قتل اصحابه لاسيما باحد والتمثيل بهم وشج وجهه وكسر رباعيته حيث وصلوه بامتثال اوامره واجتناب نواهيه وكيف لا وقد قام صلى الله عليه وسلم لله وحده لا للهوى ولا لحظ ولا لرعاية رحم او صديق وفي نسخة بالله اي مستعينا به في الامور جميعها ف بسبب قيامه بالله تعالى او به ارضى الله تعالى منه صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بارضى حال من فاعله وهو تباين لامر الله ووفا لاوليا الله من غير تعويل على حظ سوى رضى ربه ولهذا كان فعله صلى الله عليه وسلم كله جميل لصدوره على اتقن قوانين الاعتدال واحق موازين الكمال و لا بدع في ذلك او وهل اي ما ينضح اي يسيل بما فيه على ظاهره الاباحواه عما بد على متقدم الرتبة وهو الانا اي لا ينضح الانا الا بما فيه فمن امتلا اناء قلبه شرا كانت افعاله كلها شرا وليس احد متحليا بمعالي هذه الصفات الباهرة الا الانبيا صلى الله عليه وسلم وهذا من التذييل ومنه قوله تعالى وهل نجازي الا الكفور ويصح ان يكون من التذييل وفيه التلميح اي المثل السائر وهو كل انا بما فيه ينضح اطرب السامعين اي اسرهم وافرحهم وشغلهم اي بمحبته واتباعه واشتاق جميع ما برز من حضرته صلى الله عليه وسلم ذكر علاه لانهم يجدون لذلك روحة تفوق روحه يا عرف استقالة لراح اي خمر مسكرات ولذا فتحت لانه سميت بذلك لان شاربها يستريح ويرتاح من هموم الدنيا ما دام سكرانا بها مالت اي سكرت وتواجدت به

اي الوله

البني الامي اعلم من اسند عنه الرواة والحكماء

اي الوله الخمر وهي مونثة وتذكيرها شاذ الندما اي شاربوا الخمر سموا بذلك لانهم يتنادمون اي يتخاطبون عليها بالاشعار التي فيها مدح لها وهذه استعارة مصرحة واستعارة ترشيحية لانه شبه ذكر علاه في اضطراب سامعيه بالراح في اطرابها لشاربها ثم قرن بذلك ما يلايم المستعار منه وهو ذكر الميل والندما واعلم ان هذا الموصوف بهذه المعالي التي اطرب السامعين ذكر علاه هو النبي الامي نسبة الى الام وهو من لا يكتب ولا يقرا المكتوب كانه على اصل ولادة قلامه او مثلها اذ الغالب في النساء عدم الكتابة وقيل نسبة لام القرى ولا يكتب واطلعه الله تعالى على علوم الاولين والاخرين وجعله القدوة العظمى لكل مخلوق في كل علم وحلم وحكمة وخلق حسن وسائر اوصاف الكمال واراه من الاحاطة بجميع مصالح الدنيا والدين وقوانين سياسات العالم ومتفرقات الشرايع ومواد المعارف ما لم يصل لشاوه مخلوق وهذا مقتبس من قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل الايات اعلم الخلق جميعا حتى من اي الانبيا والمرسلين الذين اسند اي روي عنه الرواة والحكما اي العلما الذين يضعون كل شي في محله فهو من عطف الاخص على الاعم ولما قدم كثيرا من اوصافه صلى الله عليه وسلم واحواله وسيره ومغازيه انتقل بطريق لطيف اي ذكر دار مولده وبعثته ودار مهاجرته لانهما تشرفا به على سائر الامكنة والى ذكر زيارته وتاكيدها والاشارة الى انها في افضل القربات وانجح المساعي وقد الفت فيه كتابا حافلا لم يسبق الى مثله مشتملا على جميع ما يتعلق به وسميته الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم وفيه ابلغ المراد والتضليل لمن نازع في ندبها بما يكون سببا لسواد وجهه وتبابه في الدنيا والاخرة فقال

وعدتني ازوره العام وجنا ومنت بوعدها الرجباء فلا انطوي لها في اقتضايه لتطوي بيننا ما الافلاء

كانيا عن منه الله تعالى عليه باشارته الي انه هياله اسباب تلك الزيارة من الزاد والراحلة الموصوفة بالصفات الحسنة الاتية حتي كانها مخاطبة له تقول اركب علي ظهري فاني احملك ذهابا وايابا مع السلامة من التعب والراحة من السير المتعب **وعدتني** ذكر الموعد في حيزها كما يوجب اشتراكها بين الخير والشر وانما يقع التمييز وحذفه بعينها للخير ويعين للشر اوعد **ازوره** ان النبي صلي الله عليه وسلم افتعال من الزيارة وابدال الدال من التاء نحو قولك مطود وهو منصوب بنزع الخافض اي بزيارته هذا **العام وجنا** اي ناقة قوية من الوجن وهي الارض الصلبة **ومنت** اي انعمت **بوعدها** اي بموعدها **الرجبا** المذكورة وهذا كما علم مما وطيت به اولا كناية عن بيته للزيارة في تلك السنة واعداده ذلك المركوب لها فهو اخبار للعهد الذكري اندفع قول الشارح بين وجنا والوجا جناس والتجسيس انه صرح مع ذلك ان ال للعهد المستلزم لاتحاد اللفظين وان الاول هو عين الثاني **ا** يليق بي ان اترك الزيارة او ابطاعنها **فلا انطوي** اي احسن اضمر نفسي لتلك الوجنا التي منت علي بما ذكر **لها** اي لاجلها ليسهل سيرها في فان حسن سير المركوب من حسن ركوب راكبه **في** حصول **اقتضايه** اي اطلب منها ذلك للموعود فالمصدر مضاف للفاعل وهو الها والها مفعوله فان اريدت الاضافة اليها كانت ابضر هذه الاضافة غير صحيحة لانه اجتمع فيها يوثر وهذه الاضافة الي كل من الضميرين وقد يقال لا يجوز اجتماع اداتي تعريف على معرف واحد قالوا وانما جاز في اضافة الصفة من اسم الفاعل والمفعول او الصفة المشبهة واللام

والوف البطحا يجفلها الفيل وقد شف جوفها الاطماء

المبالغة اقتران المضاف دون ساير المضافات بال لان اضافة الصفة الي معمولها لا تفيد تعريفا بل تخفيفا فليس هنا محذور اجتماع اداتي تعريف بخلاف بقية المضافات انتهي نعم جوز لنا قول ان اضافة المصدر الي مرفوعه او منصوبه غير محضة فعلية تجوز ما وقع في النظم لانه لم يجتمع اداتي تعريف فتامله اما اذ المراد الاضافة للها وانها اريد بقاوها علي نصبها ففيه ارتكاب ضرورة اتصال الضمير مع امكان انفصاله **لتطوي** بالبنا للفاعل او للمفعول والاول اولي اذ لا يلزم عليه زيادة ما بخلاف الثاني **ما** اي المسافة البعيدة التي **بيننا** اي بيني وبين ذلك القبر المكرم علي الحال به افضل الصلاة والسلام **الافلا** جمع فلاة كما في القاموس وعبارته والفلاة القفرا والمفازة لاما فيها او الصحرا الواسعة جمعه فلا وفلوات وفلي فلي جمع جمعه افلا انتهي وبه يندفع ما للشارح هنا وجوز الشارح فيه كسر الهمزة مصدرا اي السير اي فلاة بعد اخري ولا يلزم على بنايه للفاعل وان الفلا جمع اتحاد الفاعل والمفعول لانهما يختلفان بالاعتبار بل وبالحقيقة اذ التطوي تلك المسافة المطوية الي السير البعيد دي الافلا الي الامكنة القفرة ولا شك ان السير غير محله فتامله وبين انطوي ولتطوي جناس الاشتقاق كهو او شبهه من مباركها والبركة وماورثها والحور او حنين وحنت ونضت والانضا والخلاص والخلطا الاتيات **و**وجنا **الوف** صيغة مبالغة من الف كعلم متعلق بتطوي وكان القياس بها لكن اظهر الا فادة وصفا بعد الوصف المدح **البطحا** المعهودة ذهنا وهي مكة وتوابعها واصل الابطح والبطحا مسيل

بتطوي

انكرت مصر فهي ينفر ما لاح ما لعينها او خلا فاقضت علم مباركها بركبها والبويب فالخضر

تتسع فيه دقاق الحصى وهذا وما بعده لسان حاله ابرزه على لسان
حالها مبالغة في اقامته من تلك الاوصاف ما لو كان لها الهلة ادراك مثله
فيها لما تشاهد من حاله تحفلها اي تزعجها وتقلقها الغيل اي ارض
مصر عن الاقامة بها مع انها وطنها ومربابها لشدة شوقها الى التملي بتلك
الانوار والتعفر بتراب تلك الاثار بين الالف والاجفال جناس الطباق
والحال انه قد شفها اي هلرب رطوبة جوفها او اخل جوفها
الاطما اي شدة العطش في طول طريقها فهي راضية بهذه المشقة المحبوبة
اي التلف في جنب ما املته في تلك الحضرة من مزايا الانعام وخفايا التحف
ولاجل ذلك انكرت مصر لانها لا تومل فيها من تلك المواهب العلية
ما مصدرية ظرفية لاح اي ظهر من ارض مصر ما لعينها او خلا
اي نضا ولا بنا في هذا قوله بالوف البطحا لانها تالفها لتقطعها حتى تصل
الى مطلوبها فعند توجهها تجد في السير وتقفو الى جهة مقصدها سوالاح
في غير تلك الحالة بنا او فضا وفسر الشارح الخلا بالحشيش المرتفع ويوجه
بنظير ما ذكرته انها تجد في السير الى جهة مطلبها وان ظهر لها في غيرها
قوتها الذي هو الحشيش الرطب وهذا فيه من زيادة المبالغة ما لا
يخفى عظيم وقعه ولكن يبعده مقابلته بالبنا بخلاف ما ذكرته وقوله او
المراد به ما بين ابنية مصر وهو اقرب انتهى وهو في غاية البعد كما لا يخفى
فاقضت من القضيض وهو الما العذب او السايل على مباركها
بركبها هو اول محل بلي طريق الحجاز يجتمع الحجاج فيه للتاهب
لسفرهم ولذلك كان مجمعها عظيما يجلب اليه كلما يحتاجه الحجاج
سميت بذلك لان ما النيل ياتي اليها فيمكث فيها زمنا طويلا وكانت

معظم ما املته في تلك الحضرة
الاحمدية والساحة المصطفوية
فسبب تلك الانكار المسبب
عن ذلك الامل هجر منها
بكر الغاو منها اي عجبا الى
من مصر الى تلك الحضرات العلية

نضا صرفا فعمرها القطب الرباني البرهان المتبولي من نحو سبعين
سنة جامعا وجعل فيه مجاورين يقرون القران فعادت بركته عليهم حتى
ذكر بعض صالحيهم ممن ادركناه يوما بالجامع الازهر انه اشتهى زيارة
امه بالبحيرة وهو بمصر فاستاذن الشيخ في السفر لذلك فلم ياذن له
ودخل الى خلوته والناس يقرون القران على بابها فراى نفسه ببلده
عند امه فسلم عليها واقام عندها اربعة اشهر بعدها بالايام والليالي
ثم اشتاق للشيخ فراى نفسه في خلوته فخرج فراى القراء قد قروا في تلك
المدة نحو ربع القران وهذا من بعض كرامات الاوليا ان الله يطوي لهم
الارض ويفسح لهم في الزمن وقع لهم من نظاير ذلك ما لا يحصى وانكار اتساع
الزمن القليل دون طي الامكنة تحكم لان كليهما من خير الكرامة فاذا جاز
احدهما جاز الاخر فتامله ثم بني الشيخ ثم بني الناس حول ذلك الجامع ابنية
وبساتين لا تزال تتسع ببركته حتى صارت الان قرية كبيرة اي فافاضت
البركة على مبارك تلك الناقة من الما العذب ما رواها وراكبها ومن معه
وبعد البركة منازل للحجاج من هذه الطريق اكثرها مشهور لغالب
الحجاج فلا حاجة لنا الى مزيد بيانها هو البويب وانما حملت النظم
على هذا الابهامه ان انقضت عام في الكل وهو غير مراد ان اراد به
ما ذكر فان اراد به انه من القضاضة اي فاتسعت على مبارك
الناقة بركتها المزيد سعتها صح عطف ما بعده عليه من غير حاجة الى التاويل
الذي ذكرته وعجيب من الشارح حيث حمله على المعنى الاول ولم ينبه على
عطف ما بعده عليه الذي لا يصح الا بر عاية ما ذكرته لان تلك المنازل
اكثرها قفر معطش لا ما فيه اصلا فالخضر وهي قرية من المحل المسمى

نضا

فالقباب التي تليها فبير النخل والركوب قايلون دواء وعدف املها وجعل وقوخلفها فالمغارة الفيحاء
فعيون الاقصاب يتبعها النبك ويتلوا كفافة العوجاء حاورتها الحورا شوقا فيلبوع رق الينبوع والحوراء

بمجوود وفيه بير مآء مسهل وبجانبها بركة تملا من بيت المال بعد احتياج
الحجاج اليها وكان ذلك من اصله حدث بعد الناظم وانما قلت من اصله
لان بركته معلومة الحدوث في اوايل هذا القرن فالقباب التي تليها اي
المنازل السابقة اي الوادي المسمي بوادي القباب اي رُبى الرمل المشبهة
لارتفاعها وبياضها بالقباب البيض الحسية فبير النخل بركة تملا
ايضا من بيت المال وماوها احسن من التي قبله بكثير وكذا حال والركوب قايلون
عندها اي يستريحون وقت القيلولة دوا من الماكبرا وله جمع ديان او ريا
وعدف اهله اي عمها وجعل محل بعدها قريب منها تسميه
العامة مدير الحق وقو لعل هذا الاسم مشهور عند الناس اليوم خلفها اي
الناقة لكونها جاوزتها فالمغارة المنسوبة الي شعيب النبي صلى الله عليه وسلم الفيحا
اي الواسعة فعيون الاقصاب سميت بذلك لكثرة ما فيها من القصب
الفارسي يتبعها النبك لعل مشهورا وفي القاموس النبك بالنون
فالمرحلة بلدتين حمص ودمشق ويتلوا النبك كفافة وبها قبر وليسمي
مرزوقا الكفافي مشهور البركة وله ذرية كثيرون مشهورون بالصلاح وللحجاج
فيه اعتقاد وتعظيم خارج عن العوجا اي المنحرفة عن جادة الطريق وجعل
الشارح كفافة مفعول بنوا والعوجا فاعله فعليهما محلان مفعل بوان وفيه نظر
لانه ليس ثم محل يعرف بالعوجا اصلا فالموافق للشارح ما ذكرته حاورتها اي حاذت
الناقة الحورا فيما هي بصدده شوقا منها الناقة مشتاقة له وسايرة
اليه واثبات الشوق للجمادات غير منكر لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم وهذا انما وقع لحمله على التسبيح بلسان الحال اذ لو كان مراد الر

فبير سائر

بقل

لاح بالدهنوين بدر لها بغل حنين وحنت الصفراء

بقل ولكن لا تفقهون الخ احد جبل يحبنا ونحبه فيلبوع حاورتها شوقا
اليه وهي بلدة معروفة من جملة الحجاز الذي هو مكة والمدينة اليمامة وقراها فقد ذكروا
ان ينبوع هذه من جملة قرى المدينة فبسبب محاورتها لها رق الينبوع والحورا
المذكورات لسماعهما ما يتعلق بالزيارة ومشاهدتهما الزايرين لاح اي
ظهر بالدهنوين اي فيهما ثانيه دهنا اما لكونه غلب اسمها وهو
الدهنا محل قبل بدر على محاوها ايوان ثم يحليني كل يسمي بالدهنا
بدر وهو الان قرية عامرة به عين كبيرة ونخيل ومحل الواقعة المشهورة
به التي اعز الله بها الاسلام مشهور يزار ويتبرك بمن دفن به من الشهدا
وغيرهم وفيه تورية مرشحة بلاح المناسب للمعنى الغير المراد وتقريبه اية
من اياته صلى الله عليه وسلم وهي سماع صوت هايل كصوت طبل الحرب اشتهر على
الالسنة ان هذا الاجل نصرته صلى الله عليه وسلم والفرح بها وقد انكره قوم فقالوا لا حقيقة
له وانما اصوات الريح تسمع في ذلك الوادي عند قوة هبوبها لان في اوله جبلين عظيمين
من الرمل فاذا مشى الانسان بينهما وقوي عصف الريح سمع ذلك الصوت وقال
اخرون من ايمة المتاخرين بل له حقيقة لانا ذهبنا الى ذلك المحل واقمنا به حتى
سمعناه والجو ساكن لا ريح به وتكرر سماعنا له المرة بعد المرة انتهى اقول وقع لي
ايضا سماعه مرات متعددة في سفرات متعددة حيث لا ريح بجمع جم من وجوه
مكة ورؤسايها وعلمايها من المالكية والحنفية فجرى الكلام بينهم في ذلك فمنهم
من انكره ومنهم من اثبته ثم وقع الاتفاق على الذهاب لذلك المحل والرقي الى
اعلا الجبلين ليحاط بسبب الصوت فذهبنا واقمنا عليه نحو ربع النهار ونحن
لا نسمع شيا وقد هدا الريح ولا احد ثم غيرنا وليس لاحد منا حركة ففي اخر
الامر سمعنا ذلك الصوت الهايل مرة واحدة فقط فانصرفنا ومن المنكرين من رجع

ونصب نوره فرابغ فالجحفة عنها ما حاله الاقتصاء وارتها الخلاص بير علي فعقاب السويق فالخلصاء

فهي من ما بير عسفان او بطن مر وطمانه خمصاء فرب الزاهر المساجد منها بخطاها فالبطو منها وحاء
هذه عدة المنازل لا ما عد فيه السمال والعواء فكاني بها ارحل من مكة شمسا سما وها البيد ا

ومنهم من اصر على انكاره ولقد جانا فقيه ساكن بودان ويوم في مسجد البلد
فسيل تخلف انهم ليلة الاثنين والجمعة يسمعون ذلك من اول الليل الخ
وفي غيرهما لا يسمعون الا احيانا فالله اعلم بحقيقة ذلك لها اي للناقة
بعد وفي نسخة قبل ما لاح لها اي ظهر حنين يقال انه جبل صغير قريب
بدر فالظاهر ان الناظم اعتمد في هذا على ما هو المشهور في السنة العامة
اذ لم يذكر في القاموس غير حنين المذكور في الاية الذي هو عين بين مكة والطايف
والظاهر ان قول الشارح ان نسخة قبل افصح لان حنينا بعد بدر اذ لم يذكره
الناظم مستند الكن لا يكفي هذا مع كون القاموس الجامع المستوعب
لما يذكره الاكابر وحنت لتلك الناقة وما هي فيه الصفرا قرية معروفة
منحرفة عن طريق اهل مصر لا يمرون عليها الا عند ذهابهم للزيارة ونصب
اي جعلت نوره اي خبتها المشهور واسناد ذلك اليه والى ما بعده مجازي
فرابغ فالجحفة محل بعيد رابغ كان بلدة مشهورة لليهود فدعا النبي صلى
الله عليه وسلم ربه ان ينقل حمى المدينة اليها فكان لا يمر بها احد حتى الطاير الاحمر
وهي ميقات الحجاج المتوجهين من تلك الطريق كما صح به الخبر عنها اي عن
تلك الناقة لما انها استبشرت بقطعها لتلك الاماكن ما اي ثوب التعب
الذي حاكه اي نسجه الاقصا اي الهزال شبه الهزال بحايك الثوب
والثوب من حيث ان الهزال يوجب للبدن من التعب ما يعمه ويستر
قوته كما يستر الثوب البدن ثم خيل له ما هو من لوازم المشبه به وهو
الحياكة ورشح له بذكر الخلع فهي استعارة بالكناية تتبعها استعارة تخييلية
ذو تشبيه وارتها اي ابصرت تلك الناقة الخلاص من التعب
بير ما على علي وهو الحجر الخبت الذي بعد رابغ الى مكة فعقاب

السويق

١٧٦

السويق بعدها بقليل فالخلصا اي المحل المشهور الان بخليص
فيه عين واسعة وبركة كبيرة فهي اي تلك الناقة من ما بير عسفان هي
المشهورة او من ما عيون بطن مر وطمانه اي عطشانه خمصا اي
جوعانة لان العادة ان الحجيج اذا وصلوا نحو عسفان اشتد شوقهم فاشتغلوا
عن سقي دوابهم وطعامها اي ان يدخلوا مكة فرب الزاهر المشهور
قبيل ذي طوى المساجد المعروفة بمساجد عايشة وبالتنعيم منها
اي الناقة ان وصولها للمساجد جعل الزاهر قريبا منها لان المساجد منها
نحو ميلين بخطاها اي بسبب شدة جريها لما احست بالوصول فالبطو
الحاصل منها وحا بمهملة قبلها واو مفتوحة اي سرعة وكان مراده انها
لما احست بالوصول انقلب بطوها سرعة يعني ان بطوها زال
وخلفته سرعة قوية هذه المذكورات عدة اي غالب المنازل المنازل
بين مصر ومكة التي عليه المعول لان بها تعلم طريق الوصول الى تلك
المعاهد ويتضح سلوك الوافد وينبسط بيانها القاصد لا ما اي
منازل القمر الثمانية والعشرون التي عد فيه ذكره تطو اللفظ السمال
الاعزل الذي هو من منازل القمر ولهم سماك اخر يسمى الرامح لكنه ليس
من المنازل والعوا منزلة من غير منازل القمر وهي خمسة النجم فلا يعتد بها
كالاعتداد بتلك فكاني بها اي على تلك الناقة ارحل من مكة الى عرفة
لان الحج عرفة كما صح به الخبر ولانها باب الملك الذي يقف به السايلون والوزيه
المحتاجون ثم اليها من دلفة للمبيت بها لانها نسك واجب او مندوب
او ركن كالوقوف اقوال اصحها عندنا الاول ولان فيها مقام الجمع الاكبر
ومن ثم سميت جمعا وفي حديث في سنده ضعف انه صلى الله عليه وسلم دعا ربه

موضع للبيت مهبط للوحي ماوي الرسل حيث الانوار حيث البهاء

في عرفة ان يكفر عن امته بالحج حتي التبعات فلم يستجب له فدعا بذلك
في مزدلفة فاستجاب له ثم الي مني الرمي والمبيت بها ثم الي بقية الشاعر
التي حول مكة وبها شمسا اي حال كون تلك الناقة كالشمس في ارتفاعها الرفعة
ماهي قاصدة وقوة سيرها لما عندها من عظيم الشوق فتشبيهه بالشمس
استعارة بالكناية واثبات الشمس لها تخييل وذكر الرحيل والبيد تجريد
للمشبه الذي هو الناقة سماوها اي تلك الناقة المشهورة المشبهة
بالشمس كما تقرر البيدا اي المفازة الواسعة تشبيه بليغ شبه الناقة
بالشمس لما مر وشبه البيد التي هي محل سيرها بالسما التي هي محل سير
الشمس بجامع السعة ولما ذكر مكة استطرد لذكر ما شرفها الله به علي
سائر البلاد فقال موضع للبيت اي الكعبة بالجر بدل من
من مكة بدل بعض من كل وبالرفع خبر محذوف وفائدته معني كونها موضعه
انه في بعضها وفيه اقتباس من قوله تعالي ان اول بيت الاية مهبط للوحي
نعت او بدل او معطوف بحذف العاطف علي ما فيه من الضعف والشذوذ
ولذا يقال فيما بعده اي محل نزوله صلي الله عليه وسلم ثلاثة عشر
سنة والوحي لغة الاشارة وكل كلام خفي وشرعا ما جا به النبي المبعوث
عن ربه علي لسان الملك ولو بالالهام او في النوم او الالقا في الروع ماوي
من اوي فلان الي منزله الرسل الكرام بل وسائر الانبيا ومر تعريف
النبي والرسول اول الكتاب لانه ما من نبي الا حج البيت البيت كما في
حديث واستثنا صالح وهود لاشتغالهما بامر قومهما لم يصح حيث
ظرف مكان ثنوكالذي بعده بدل مما قبله الانوار الالهية مستتر لذلك
وقدرت هذا لان الاصح منع اضافة حيث الي المفرد اي تنزلها دايما

حيث فرض الطواف والسعي والحلق ورمي الجمار والاهداء

علي قلوب الطائفين ثم العاكفين والركع السجود حيث البها اي الحسن
المعنوي المكني به عن حصول ملاير النفس من الحكم والمعارف الفائضة علي
اهل هذه الحضرة الالهية والمعاهد الربانية حقق الله لنا ذلك بمنه وكرمه ايني
وراعي النظير بذكر الوحي والرسل والانوار والبها وكذا الطواف وما بعده فيما
ياتي حيث فرض الطواف في حج او عمرة اوما جا فهو حينئذ لم يندب
سنة مؤكدة ورد فيما يقتضي بالجملة تفضل من احاط بها علي مزيد الاكثار منه
مل قال بعض ايمتنا انه للغربا افضل من الصلاة لانها عبادة خاصة
بهذا المحل لا توجد في غيره واختلفوا في ايما افضل اركان الحج هو او الوقوف
بعرفة فقال جمع هو لانه ملحق بالصلاة فيشترط فيه شروطها بخلاف
الوقوف فانه امر عادي لا يشترط فيه شروط ولذا لم يقبل الصرف وقال
اخرون بل الوقوف للحديث الصحيح الحج عرفة اي معظمه ذلك لان من ادركها
ادرك بخلاف الطواف ولانه المتكفل بمغفرة الذنوب وقضا المارب كما في الحديث
الصحيح ولانه يشترط وقوعه حالة الاحرام المشعر بغاية الذل والافتقار بخلاف
بقية الاركان وهذا الاصح كما قررناه في كتبنا الفقهية وحيث السعي اي
فرضه في احدهما ايضا بنا علي انه ركن لا واجب كما هو مذهب الامام الشافعي
رضي الله تعالي عنه وحيث الحلق او التقصير في احدهما ايضا اي فرضه
بنا علي الاصح عندنا انه ركن وحيث رمي الجمار اي الجمار لا علي جهة الركنية
وحيث الاهدا اي سوق الهدي الي مكة ثم ذبحه بها وتفرقته علي
مساكينها المقيمين والغربا والاولون اولي الا ان يكون الغربا احوج
والمراد بمكة كل الحرم وهذا محله ان نذر ذلك لان المعروف من مذهبنا الذي
هو مذهب الناظم ان اصل الاهدا سنة ولو لغير الحاج ومن ثم كان

حبذا حبذا معاهد منها يغير ابا يهن البلاء

كان صلى الله عليه وسلم يرسله اليها من المدينة وهو مقيم بها لاول حجه لان هذه
السنة كانت من سنن السلف من مشاهير السنن ثم تناساها الناس واعرضوا
عنها بالكلية ويجوز ان يريد بالاعتمار لزم دم وجب في النسك او تواتبعه
انه يبيعه كالحلق تقديما ام لا لا التمتع موضع تفصيل ذلك كتب الفقه والمناسك
وذكر الفرض في الطواف فقط موهم انه فرض دايما فلا يتنفل به وان كان
ما بعده ليس بفرض مع انه ما هو ركن ولا يتصور ندبه ولا وجوبه في النسك
وهو السعي والحلق وما هو واجب لا ركن وهو الرمي وما هو واجب
تارة وهو ما حصل الترفه او جنابة ومندوب اخرى وهو ما فعل تطوعا
اي من غير سبب وكان الناظم وكل امر هذا التفصيل للسهولة وانه ليس
بصدد بيان ذلك حبذا حبذا تاكيد لفظي وهو شايع فصيح ومنه
اول الكتاب الكلام على حبذا اجمالا فيغني عن اعادته معاهد جمع معهد وهو
في الاصل المنزل الذي يعود اليه مفارقه دايما وهذا الموضع كذلك لان من
فارقها فهو عايد اليها بالفعل تارة وبالعزم اخرى منها اي مكة
واشارت على نفسها كالكعبة ومسجدها ودار خديجة والصفا والمروة
ومحل ولادته صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من المواضع المانوسة بها والحرم ومنى
ومزدلفة بل وخارجه كعرفة يغير ابا يهن اي علاماتهن الدالة
على شرفهن من تعظيم الامة لهن وازدحامهم على التبرك بزيارتهن والقيام
بحقوقهن البلا بفتح اي طول المدة الذي من شانه ان يغير الاشيا
عما هي عليه وذلك لان الله تعالى صانها من التغير لحرمتها لديه وفضلها عنده
وليتم لهذه الامة التمتع بها الى اخر الدهر حرم محرم بحرمة الله تعالى
يوم خلق الله السموات والارض كما في الحديث الصحيح وحديث ان ابراهيم

حرم

حرم مكة المراد انه اظهر حرمتها التي كانت خفيت على الناس فلا تعارض على حد
جنات عدن في موضع بناء على اثبات ذلك البدل كما هو راي قوم قالوا به ولم
ينظروا لانكار الجمهور له ولا لمن منع الاستدلال بالاية نظرا الى ان الجنة
للجنس فيصدق بالجمع ايضا فلا بعض يحقق بدل منه الكل او العهد الخارجي
لانه لا ارج حتى يكون معهودا والذهني لانه مدخول اللام بمنزلة النكرة
موضوعة للمفرد وكان وجه عدم نظر مثبت ذلك البدل لما ذكر من وجوه المنع
انه نظر الى ان جنة عدن علم على الجنان الثمانية الموجودة الان والجنة حيث
اطلقت انما يتبادر منها ادم من تلك الثمانية فصح ادعا انه بدل بعض من كل
بهذا الاعتبار واما تجويز انه بدل كل من كل نظرا الى ان جنات عدن علم كما تقرر
وموضوعه شخصي فيكون ابدال علم من نكرة وذلك اقرب الى كونه بدل كل من
كل فقد يجاب عنه بان هذا المدلول الشخصي الذي في الخارج من مدلول النكرة
الذي هو المفرد المنتشر وذلك اقرب الى كونه بدل كل من بعض منه الى كونه
بدل كل من كل وبهذا الذي قررته مما يكفي مثله في اثبات ذلك الراي المخالف
لراي الجمهور يندفع ما طال به السيد من التشنيع على من اثبته كيف وقايله
لا يبعد توجيه كلامه بنحو ما ذكرته وكلما قرب ما خذ بدل او احتمل لا تشنيع
على قايله ويجوز فيه العطف نظير ما مر ولانه خبر مبتدا محذوف وحدوده
معروفة في كتب الايمة وعند اهل تلك الاماكن من اكثر تواجيد امين اي يومن
فيه من شان الغارات واستباح المحرمات بل كل انسان يرى قاتل ابيه فيه
فلا يتعرض له ولما دخله الطوفان لم تعد فيه دابة على دابة وكان رجل
من قوم ابرهة فيه فلم يصبه من رمي ابابيل شي حتى خرج منه هذا في الجاهلية
واما بعد بعثته صلى الله عليه وسلم فالمراد من صيده وشجره ونباته عن ان يتعرض

حرم امين وبيت حرام ومقام فيه المقام قلا

اليها بقتل او قلع او قطع او تملك او نقل الا ما استثني وهذا مقتبس من قوله تعالى حرما امنا وفيه كبيت حرام الاتي نوع تلميح **وبيت حرام** اي ذو احرمة باهرة وعزة قاهرة وهذا اقتباس من قوله تع جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس **ومقام** بفتح الميم وهو مقتبس من قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابرهيم وهو الحجر الذي نزل لابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى سائر الانبياء المرسلين من الجنة كما صح به الحديث لمتقوم عليه عند بنا الكعبة اذا طال البنا فكان يعلو ابدا اي ان يضع الحجر في محله ثم يقصر به اي ان يتناول الحجر من اسماعيل صلى الله عليه وسلم وفيه اثر قدميه الكريمتين وهو الذي نادى عليه لما فرغ بنا الكعبة ايها الناس ان الله بني لكم بيتا فحجوا اليه فسمعته النطف في الاصلاب والاجنة والارحام فاجابوه بلبيك وفي رواية انه نادى بذلك على الحجون ولا تنافي لاحتمال انه نادى من تين تلك الابلا ويقاوه في غيران يتعرض له احد في الجاهلية مع كثرة السيول التي كانت تدخل الحرم وتخرج باهو اكرسته باضعاف متضاعفة من ايات الله الباهرة واختلفوا في موضعه الموجود عنه اليوم هل هو الذي كان به في زمن النبي صلى الله عليه وسلم اولا وانما كان عند باب الكعبة فرده عمر رضي الله تعالى عنه الي موضعه اليوم اجتهادا منه قولان اصحهما الاول ومن الغرائب ما قيل المراد الحجر الذي وضع الخليل عليه رجليه بعد موت هاجر ليزور اسماعيل فراه غائبا فسال زوجته فشكت فقال مري زوجك بغير عتبة بابه فجا فاخبرته فطلقها ثم جاء وقد تزوج اخرى فوجده غائبا فسالها عن حالهم فاثنت مع امرته بالنزول لتطعمه فابي فوضعت شيئا له حجر المغتسل فوضع قدمه عليه واماله لها راسه

فغاصت

نفقضينا بها مناسك لا يجد الا في فعلهن القضاء

فغاصت قدمه فيه ثم حولته فغاصت الاخرى فيه ثم قال لها مري زوجك فليلزم عتبة بابه **فيه** اي البيت او الحرم ولا يصح عوده للمقام لتطهير من دخله كان امنا **المقام** بضم الميم ويجوز بعضهم الفتح اي الاقامة **قلا** بفتح الفوقية اي جوار لمحل تنزل الرحمات واقالة العثرات وكانه اخذ من ان اهل مكة يسمون جيران الله اي بيته وحرمه والعجب من الشارح حيث لم يبين معنى هذه اللفظة مع خفايها واشتراكها بين معان كما في القاموس لا يناسب منها هنا الا هذا وبين حرام واحرام جناس الاشتقاق كهو او شبهه من مقام والمقام وما ياتي من قضينا والقضاء ومبنا وربي وينشي ونشي وشمت وسمت ومنا وتبادر خصتها الرضا وحططنا ومحط وقرانا والاقرا وسمينا ويسمع رد هلنا واذهل **فقضينا** اي ادينا اذ القضا يطلق على الاداء كما في قضيت الدين **بها** اي بمكة وما ينسب اليها كعرفة ومزدلفة ومنى **مناسك** جمع منسك من النسك وهو العبادة اي اركان الحج وواجباته وسننها **لا يجد الا في فعلهن القضاء** اي لا يجد الاداء احد المخصوص الا في فعل عبادة الا في فعلهن كيف وقد تميزت بين الحج المتكفل بالجب من غير عمل اخر وتخرج فاعله من الذنوب كيوم ولدته امه وبكونه اشعث اغبر ويمنعه من الرفاهية الحسية والمعنوية وبفراقه لاهله ووطنه وبتكفير تبعاته على ما قيل من الخلاف وبكونه لا يضيع قدما او رفعها الا كتب له من الثواب ما لا يحيط به الا المتفضل به وبغير خصوصياته فع ما يورد على النظم ان غير الحج الافضل منه والمساوي له والمفضول عنه يجد فاعله ايضا تنبيه ما قررته به قوله فقضينا والقضاء تبع ما للشارح هنا ومن جملته قوله لا يغير القضا الى البيت بالفعل ويتعين انه الواقع او ضد الاداء فتفسير القضا بما ليس معناه لغة ولا شرعا ومما لا يتصور في الحج في قوله

ورمينا بها الفجاج الي طيبة والسير بالمطايا رماد

اوضد الادا علي ان استعمال القضا بمعني الادا اشهر من الشمس لغة وشرعا
وقد حقق بعض المتاخرين ان القضا لا يتصور في الحج لانه ما فعل خارج وقته
والحج وقته العمر وتصيبه بحوف نحو غصب او مال او موت لا يقتضي انه لو بان
الامر علي خلافه انه يكون قضا فيما بعد ذلك الوقت الي علي الوجه الضعيف
في نظيره في صلاه يضيق عليه فعلها في الوقت ثم بان خلافه ما ظنه انها
تصير قضا وان فعلت في الوقت وليس كذلك بل المعتمد خلافا للكثير
انها ادا كما اتفق عليه الاصوليون ان القضا ما فعل خارج الوقت
المقدر له شرعا **تنبيه** ثان لا يتوهم ان ما وقع في النظم
من تقديم المستثنى المختلف فيه لان محل ما قاله الجمهور من منع تقديمه
انما هو اذا كان اول الكلام نحو الا زيدا قام القوم وجوزه الكوفيون فان
تقدم علي المستثنى منه دون عامله فقط ففيه مذاهب والذي عليه الاكثر
وصححه ابو حيان جوازه ان كان العامل متصرفا فقط نحو الاكل شي
ما خلا الله باطل فالمستثنى من ضمير باطل العامل في ذلك الضمير وما هنا
لا تقدم فيه مستثنى منه لانه مقدر وحكي من مالي الا ابوك احد فيجعلون
احدا بدلا وابوك مبدل منه قال ابن عصفور ولا باس علي هذه
اللغة وقد قاسه الكوفيون والبغداديون وبني ما الكتو عليه اعتراض
علي المتن **ورمينا بها** اي الناقة **الفجاج** جمع فج وهو الطريق اي
القينا فيها لتسير بنا **الي طيبة** هي المدينة علي مشرفها افضل الصلاة
والسلام سميت بذلك لان الله طيبها لرسوله صلى الله عليه وسلم فجعلها دار
هجرته ومحل تخرته وموضع تربته ولها اسما كثيرة جدا **والسير بالمطايا**
جمع مطية وهي الدابة تمطوا اي تجد في سيرها **رما** مصدر رامية

ابي

اصبنا عني قوسها عرض الفرض ونعم الخبيئة الكرماء فرانيا ارض الحبيب يغض الطرف منها والملا لاء
الضيا
فكان البيدا من حيث ما قابلت العين روضة غناء

١٧٨

اي يشبه رمي السهم اذا رمي به **ف** بسبب ان سيرها يشبه رمي السهم اشبهت
القوس في **اصبنا عن قوسها عرض الفرض** اي المدينة المشبهة بالغرض
في كونه المقصود بالرمي او السير فتشبيه الناقة بالسهم استعارة بالكناية
واثبات الرمي استعارة تخييلية وذكر القوس والغرض ترشيح يصح كونها
شبهت بالقوس وهي استعارة بالكناية ايضا واثبات القوس لها تخييل وذكر
السهم والاصابة والغرض ترشيح **ونعم الخبيئة** اي الرحيرة الناقة **الكرما**
هي المخصوص بالمدح وهو خبر مبتدا محذوف او عكسه فقول الشارح صفة
الخبيئة ليس في محله وهي اعني الكوما العظيمة السنام **فرانيا** اي ابصرنا
المدينة وما حواليها التي شرفها الله تعالى بان جعلها **ارض الحبيب** اي حبيب
رب العالمين فتميز صلى الله عليه وسلم بمقام المحبة الذي هو اجل واعلا من مقام
الخلة لان المحبة الكاملة تستدعي الخلة وزيادة اي ارض المدينة وما حواليها **يغض**
اي يخفض **الطرف** مفعول **منها** اي من اجل الجلالة التي حفتها **الضيا**
المشرق عليها حسا ومعني **و اللالا** اي البرق اللامع علي صفحاتها المشار به
الي مواهب الحق المفاضة علي الزائرين وفي الضيا واللالا مراعاة النظير
فكان بالتشديد وقد تخفف كان لم يدعها الا فرسه للتشبيه المؤكد
لان الاكثر انه مركب من كاف التشبيه وان المؤكدة فالاصل في نحو كان زيد
اسد ان زيدا كاسد فقدم حرف التشبيه اهتماما به ففتحت ان لدخول
الجار عليه قال بعضهم وانما تستعمل حيث يقوى الشبه حتى كان الرائي
يشك في ان المشبه هو المشبه به او غيره ولذلك قالت بلقيس كانه
هو قيل وترد للظن والشك فيما اذا كان خبرها غير جامد **البيدا**
من تلك الارض وهي اسم لمحل قريب من ذي الحليفة المشهور اليوم بابيار علي

وكان البقاع مررت عليها حل فيها ملاة حمراء وكان الارجا تسير بنشر المسك فيها الجنوب والجربياء
فاذا شمت او شممت رباها لاح كما اي نور واي نور شهدنا يوم ابدت
لنا القباب قباء

من للتعليل وابتدا الغاية وكل منها خفي والاحسن انها زايدة على مذهب الاخفش وجماعة حيث ما زايدة قابلت العين الناظرة اليها روضة غنا اي كثيرة العشب والنبات والازهار والثمار وكان البقاع اي الاماكن اللاتي حول المدينة المنورة لكثرة ما يغشاها من الانوار والاضوا المتنزلة على حضرته المكرم صلى الله عليه وسلم مررت عليها اي البقاع حل فيها عايد لقوله ملاة بضم اوله وهو ثوب عريض او ثوبان ملفوفان كذا قيل وعبارة شرح الشمايل الترمذي الملاة بالضم والمد وهي في القاموس كل ثوب لم يضم بعضه الى بعض بخيط بل كله نسج واحد وفي النهاية هي الازار وفي الصحاح هي الملحفة ولا تنافي لصدقها على التعريف الاول بكل من هذين انتهت وبها يعلم ان الثوبين الملفوفين ملاتان لا ملاة واحدة حمراء شبه تلك الانوار والاضوا التي غشيت تلك البقاع وعمتها من ساير جهاتها بخيمة حمرا شدت على بانيها ازرارها في عراها من ساير جوانبها وكان الارجا اي نواحي المدينة المنورة تسير تذيع بنشر اي ريح المسك فيها اي تلك الارجا الجنوب وهي الريح التي تقابل الشمال والجربيا بكسر الجيم ككيميا وهي كما في القاموس الشمال او بردها والريح بين الجنوب والصبا وهي التي تثير السحاب وهو المراد هنا فاذا شمت بكسر الشين المعجمة اي نظرت الى سحاب البرق اين تمطر في تلك البقاع او شممت في القاموس شممته بالكسر اشمه بالفتح وشممته اشمه بالضم رباها جمع ربوة بتثليث الرا وهي ما ارتفع من الارض لاح اي ظهر وهو راجع لشمت ففيه لف ونشر مرتب كبا بوزن كسا عود البخور او ضرب منه

فردمعي منها وفر اصطباري قد موعي سيل وصبري جفاء نوى الركب طايرين من الشوق الى طيبة
لهم ضوضا فكان الزوار ما مست الباساء منهم حلقا ولا العفراء

اي ريحه من كبا بالتشديد بذؤبة اي بخره وبين لاح وفاح جناس مضارع اي نور اي نور رباها وار نور بفتح اوله اي زهر نضير وبينهما الجناس المحرف ومنه حديث اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي شهدنا هما اي رايناهما بابصارنا يوم ظرف لشهدنا ابدت لنا القباب التي هناك قبا محل مشهور بينه وبين المدينة ثلاثة اميال فرد معي اي كثر وانهمل منها من اجل ما شاهدته حسرة على ما مضى لي من فراقه او فرحا بوصولي اليه او خوفا من التقصير لعدم رعاية الادب في تلك الحضرة الجليلة وفر اي ذهب اصطباري لا سيما بعد ان وصلت الى هذه الربا والحت رحلي بفنايه وبين فر وفر الجناس المصحف فدموعي سيل عظيم وصبري جفا بضم الجيم اي زبد كما ان السيل يذهب بذلك الزبد في اسرع وقت فكذلك دموعي تذهب بصبري فلا يبقى عندي منه شي هذا من جناس التذييل كقوله الاتي وكم اذهل صباك وفيه لف ونشر مرتب و بسبب ما ذكر ان ما شوهد يوجب كثرة الدمع وفنا الصبر نوى اي المخاطب الركب طايرين اي جادين في السير حاثين لدوابهم ليستخرجوا منها اقصى ما يمكنها من الاسراع من اجل الشوق الى طيبة فكيف بمن فيها عليه الصلاة والسلام لهم ضوضا اي اصوات عالية بالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم وعبارة القاموس الضوضا مقصورة الجلبة واصوات الناس لغة في الممدود انتهت وربما يعلم رد ما قاله الشارح فكان عطف على نرى الزوار ما مست الباسا اي شدة السفر ومشقته منهم حلقا ولا العفرا تاكيد لما قبله وكيف يمسهم شي من ذلك كل نفس منهم بتكرر

كل نفس منها ابتهال رسول ودعا ورغبة وابتغاء وزفير تظن منه صادحات بعنادهن زقاء
وبكا يعبر به بالعين مد ونحيب بحثه استعلاء وجسوم كانما رحضتها من عظيم المهابة الرحضاء

منها ابتهال اي تضرع الي الله تعالي في ان يقبل عثارها ويقيل اثارها
رسول اي توسل الي الله تعالي باحب خلقه اليه ودعا اطناب ورغبة
فيما عند الله تعالي من جزيل الثواب وابتغا اي طلبة لما عند الله تعالى وزفير
اي تواتر النفس وصعوده لشدة ما يعتري القلب من خشية المواخذة
لما فرط منه وتضييق المنافس تارة باغتراق النفس للشدة وتارة
بحبسه فيه قصور عن ذلك وتصاعد الذي لابد منه في حله تظن ايها
المخاطب منه اي من اجل كثرة ذلك الزفير وشدته بحيث يسمع له
صوت في الصدور ومن ثم جاء انه صدره صلي الله عليه وسلم لشدة ما عنده
من الخوف كان يسمع له ازيز كازيز المرجل صدورا مفعوله الاول طيورا
صادحات بعنادهن زقا بالزاي والقاف اي صوت عال والحاصل
ان ذلك الزفير من شدته ظهر لهم في صدورهم صوت اشبه صوت الطيور
الصادحات اللاتي يعتادهن التصويت بشدة وعلو صوت وبكا يعبر به
بالعين اي يحمله علي ملازمته لها مد اي سيل من الدموع نشا عن حرقة
القلب لفراق المحبوب او خشية قطيعته او عن فرحة بلقيا الحبيب
والمثول في حضرته ونحيب وهو رفع الصوت بالبكا بحثه اي
محصله ويزيد فيه استعلا اي علو الصوت بشدة وتتابعه بالبكاء
وجسوم كانما رحضتها اي غسلتها ولذا سمي المغتسل مرحاضا من
عظيم المهابة اي الجلالة التي استولت علي قلوبهم لما انا خوا رحالهم
بتلك الحضرة الجليلة الرحضا اي العرق الكثير من اثر الحمي اي جسوم
نام بها من عظيم المهابة ما ازعجها ازعاجا يتولد عند كثرة عرقها
حتي كانه غسلها ووجوه تتلون بالالوان المختلفة لشدة ما عندهم

ي

ووجوه كانما البستها من حيا الوانها الحرباء ودموع كانما ارسلتها من جفون سحايب وطفاء
حططنا الرحال حيث الوزر عنا وترفع الحوجاء

من القلق والخوف والحيا منه صلي الله عليه وسلم عند القدوم عليه بوصف
التقصير وعدم كمال الاتباع له حتي كانما البستها من اجل حيا
بالمد ومر تفسيره وانه غريزي باعتبار اصله ومكتسب باعتبار كماله
الوانها الحربا دويبة مشهورة ذات الوان متعددة تستقبل الشمس
براسها ودموع من شدة البكا والخوف علي عدم القيام بواجب تلك
الحضرة ومشرفها عليه افضل الصلاة والسلام كانما ارسلتها من جفون
سحايب وطفا اي مسترخية الجوانب لكثرة ما بها شبه ما عندهم
من الحزن الباعث لهم علي غزارة الدمع وكثرة تتابعه بسحابة مملوة
ما ثم جرد بذكر الجفون ورشح بذكر العين وخيل باثبات السحابة
للمشبه ففيه اربع استعارات وفي قوله كل نفس الي هنا مراعاة النظير
والانسجام البديع الذي هو سهولة الالفاظ وعذوبتها بحيث شابهت
الما العذب الذي من شانه الانسجام والسيلان والرقة والحلاوة
ما لا يخفي علي ذي ذوق عظيم بلاغته ومرله كبير من هذا النوع فبعد ان
وصلنا الي هذا القبر المكرم علي ما بيناه مما مر شرحه بقوله كل نفس الي هنا
حططنا الرحال بفنا كرمه صلي الله عليه وسلم نستمطر سحايب القبول
والانعام ونستقيل عثرات التقصير والاثام ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا
رحيما حيث اي في مكان الوزر اي الاثم والثقل عنا فيه
بشفاعته صلي الله عليه وسلم وترفع بلحظه واسعافه وامداده الحوجا
اي الحاجة بنفي النفوس وطلوع البدور وشروق الشموس حتي يصل الي
العيان ويستغني عن الاستدلال والبرهان وبين الحط والرفع طباق

وقوانا السلام اكرم خلق الله من حيث يسمع الاقرا

وقرانا السلام اكرم اي علي اكرم خلق الله وافضلهم كما مرت الاشارة
اليه مستوفاة اول هذا الشرح واقتدي الناظم في هذا بالسلف فانه
جا السلام عليه صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر وغيره من السلف بل قال
المجد اللغوي السلام عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره افضل من الصلاة عليه
عنده للاخبار الكثيرة فيه كخبر ما من احد يسلم علي عند قبري الا رد الله علي
روحي حتى ارد عليه السلام ويعارضه الحديث الصحيح ان الله تعالى
يصلي هو وملايكته علي المصلي علي في الصلاة الواحدة عشرا وفي رواية
ماة وصلاة الله افضل من رده صلى الله عليه وسلم وان كان رده دعا لا يرد علي
انه صلى الله عليه وسلم يرد الصلاة عليه كالسلام فالاولى ان توجه الافضلية
للسلام بانه شعار اللقاء والتحية ثم تختص افضليته بحالة اللقاء عند
كل زيارة اما اذا اسلم سلام اللقاء فالصلاة بعده اولى من استمرار السلام
وان كان باقيا في مقام الزيارة ويدل لذلك صنيع العلما فانهم لما ذكروا
ان الزاير يبدو بالسلام ذكروا انه يختم بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
من حيث اي مكان وقوفنا بتلك الحضرة الذي يسمع الاقرا السلام
منه وفيه رد العجز علي الصدر وما اقتضاه كلامه من ان زايره صلى الله
عليه وسلم اذا صلى وسلم عليه عند قبره يسمعه سماعا حقيقيا ويرد عليه
من غير واسطة وان من صلى وسلم عليه من بعيد لا يسمعه الا بواسطة تدل
عليه احاديث كثيرة وذكرتها في كتابي الدر المنضود في الصلاة والسلام علي
صاحب المقام المحمود وذكرت منها جملة في الجوهر المنظم في زيارة
القبر المكرم منها ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم بسند جيد وان قيل
انه غريب من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي من بعيد اعلمته

ثم

وذهلنا عند اللقا وكم اذهل صبا من الحبيب لقاء

وصح وان نوزع فيه ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه
السلام وصح من غير نزاع فيه يعتد به من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه
خلق ادم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلاة
فيه فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك
وقد ارمت اي يقولون صرت يعني بليت قال ان الله حرم علي الارض
ان تاكل اجساد الانبيا وفي رواية يحيى يورق وبقيت احاديث اخر ستعارضة
جمعت بينها في الكتاب السابق بانه صلى الله عليه وسلم يبلغ الصلاة والسلام اذا
صدرا من بعيد ويسمعهما اذا كانا عند قبره الشريف ومع سماعه لهما
يبلغهما ايضا زيادة في اكرام الزاير والاعتنا بشانه والاستمداد له بذلك
سوا ليلة الجمعة وغيرها وامارده فهو عام لمن عند قبره ولغيره لانه صح ان
من سلم علي قبر اخيه المومن سمعه ورد عليه فلو اختص رده صلى الله عليه وسلم
بزايره لم تكن له خصوصية بذلك وكفي الزاير تمييزا انه صلى الله عليه وسلم
يسمع صوته من غير واسطة ويكفي المصلي والمسلم قريبا او بعيدا رده صلى الله
عليه وسلم ومعنى رده روحه صلى الله عليه وسلم السابق رد نطقه لانه صلى الله عليه وسلم
حي علي الدوام فروحه لم تفارقه ابدا لما صح الانبيا احيا في قبورهم يصلون
والاحاديث في ذلك كثيرة جمعها الامام البيهقي في جزء واستدل بها علي دوام
حياة الانبيا عليهم الصلاة والسلام حياة مخصوصة اعلا واتم من حياة
الشهدا المنصوص عليها في القران وذهلنا اي غبنا عن حسنا
او عما عدا ما نحن بصدده عند اللقا لما استولى علينا من سبحات
ذلك الجلال ولا بدع في هذا الذهول اذ كم اذهل صبا اي شديد
الصبابة التي هي رقة الشوق وغلبة استيلايه من الحبيب اي المحبوب

ووجها من المهابة حين لا كلام هنا ولا ايماء ورجعنا وللقلوب التفاتات اليه وللجسوم انثناء
وسمحنا بما نحب وقد يسمح عند الضرورة البخلاء

وهو متعلق بقولنا لقا لان من شانه ان يدهش الصب ويخرس المحب
ويفنيهما عما عدا المحبوب والاستلذاذ بشهوده وانسه ووجها بفتح
الجيم اي سكتة عن الكلام عند اللقاء وبعده ما دمنا في تلك الحضرة العلية
بيق فينا متسع له من اجل المهابة المهابة اي الاجلال والمخافة
حين اجتمع علينا امران لا يوجد اجتماعهما الا في نحو هذا المقام وهما
لا كلام منا بما يوديه ولا ايما منا بوجه الي ما نطلبه وذلك حال من تجاهره
الجلال واستولت عليه خوارق الاحوال وكم رهب الشوق عند
لقايه فلم ينفعنا ما ملكت ولا مرقا ورجعنا اي بلادنا وللقلوب
التفاتات كثيرة جدا برعاية المقام اليه اي نبينا صلي الله عليه وسلم والاستمداد
منه مع ادامة الصلاة والسلام عليه وصلى الله وسلم عليه وللجسوم جمع جسم وجسم
النبي حرمه الثاني من الارض انثنا اي انعطاف الي البقاء في حضرته
صلى الله عليه وسلم ابدا ان تيسر والا فالي تكرر زيارته صلى الله عليه وسلم وسمحنا اي
جدنا بما اي بنفيس لا يجود احد بمثله هو التمتع بتلك الحضرة العلية
الذي نحب دوامه وعدم مفارقته ولكن ضرورتنا الي العود لديارنا الاجل
القيام بمن فيها خفف الملام علينا اذ الضرورات تبيح المحظورات
فاننا وان كنا بخلا بهذا الفراق لنا اسوة بالبخلا في ذلك وقد وقع
يقينا انه يسمح عند الضرورة التي لا يستطاع معها الترك البخلا
بالاموال وغيرها وبين السماح وبين البخلا الطباق ولما تم مقصد
زيارته صلى الله عليه وسلم المتكفلة بكل خير شرع يناديه صلى الله عليه وسلم
بكنيته المختصة به والمناسبة لطلبه امن انه يخصه من تلك القسم
التي ولاها الحق له ويقسم عليه باقسام كثيرة كلها تتضمن ما هو بصدده

يا ابا القاسم الذي ضمن اقسامي عليه مدح له وثناء

من مدحه صلى الله عليه وسلم والثناء عليه استعطافا له لينظر اليه بما يغني ويزيد
من الدنيا والاخرة وما يحق به من محبة باطنة وظاهرة ومن مزيد خصوص جواب
اقسامه بقوله الاتي الاطلاق الاطلاق الخ فقال يا ابا القاسم هذه
كنيته صلى الله عليه وسلم التي اختص بها فلا يجوز لاحد التكني بها مطلقا على
الاصح عندنا سواء في زمنه صلى الله عليه وسلم وبعده لمن اسمه محمد وغيره لقوله
صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي والعبرة
كما تقرر في الاصول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هنا فان سبب
النهي ان اليهود كانوا ينادون يا ابا القاسم فيلتفت صلى الله عليه وسلم اليهم
فيقولون لا نعنيك فنهي الناس عن التكني بذلك ومن ثم اخذ بعض
ايمتنا ان المنع خاص بزمن حياته صلى الله عليه وسلم وبعضهم بانه خاص
بمن اسمه محمد اد تكنية علي كرم الله وجهه ولده محمد بن الحنفية رضي الله
تعالى عنه بذلك باذن منه صلى الله عليه وسلم ان صح خصوصية له وتكنية
غيره بذلك اجتهاد منه ووجه مناسبة اختصاص تلك الكنية به صلى الله
عليه وسلم الاعلام بانه صلى الله عليه وسلم هو الخليفة الاعظم من الله تعالى في جميع
شونه لا سيما مقام قسمة الارزاق والعلوم والمعارف والطاعات ومن ثم
قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ايضا انما انا قاسم والله يعطي
ولاجل هذا عدوا من خصايصه صلى الله عليه وسلم انه اعطي مفاتيح الخزاين
قال بعض العلماء وهي خزاين اجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبون
فكل ما ظهر في هذا العالم فانما يعطيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح
وكما اختص تعالى بمفاتيح الغيب الكلي فلا يعلمها الا هو كذلك اختص
صلى الله عليه وسلم باعطايه مفاتيح الخزاين الالهية فلا يخرج منها شي الا علي يديه

صلى الله عليه وسلم وقيل انما كني بذلك لانه كان له ولد من خديجة
رضي الله تعالى عنها يسمى القاسم المتضمن من تضمن كذا اشتمل عليه
اقسامي عليك بكسر الهمزة يعني الاقسام الاتية في نيل مطلوبي منه
صلى الله عليه وسلم مدح فرق ابينه وبين الحمد بامور منها ان الحمد
على الجميل الاختياري والمدح يعم ما لا اختيار للممدوح فيه كالحسن
كالحسن ومنها ان الحمد انما يكون من علم وبصفة كمال والمدح يكون على
ظن وبصفة مستحسنة وان كان فيها نقص ما ومنها ان في الحمد
من التعظيم والفخامة ما ليس في المدح والحمد اختص بالعقلاء والعظماء
واكثر اطلاقا على الله تعالى وقول الكشاف انهما اخوان متشابهان لا مترادفان
قال الطيبي وقال السيد بل مترادفان واستدل له بكلام الفائق
وانتصر بعض المحققين للاول بما ليس هذا محل بسطه واكثر العلماء
على ان الحمد يختص بالاختياري والمدح اعم له وثنا هو القول الاخير كلي
مرادف للمدح لانه لا يكون الا في الجميل الاختياري وغيره المدح على ذلك
القول كذلك وبه لما تقرر ان عليه اكثر العلماء يندفع قول الشارح انما
هذا من مراعاة النظير في الجملة وعليه يحمل كلام الشارح اما المدح
والحمد ففيهما تقابل او مراعاة النظير او ترادف بالعلوم اي اقسم
عليك بها لتشفع لي بما يوصلني من كل مكروه بان يعطيني الله الامان
منه وكذا يقال في الاقسام الاتية فالمراد بها هنا الشفاعة والاستعطاف
لجاه رسول الله وما قال بعض اصحابنا في اقسمت عليك
لتفعلن كذا انه لا يكون يمينا الا ان نواه وجعله اول الاقسام لان
مرتبة العلم لا اعلى منها بل ولا مساوي لها ومن ثم لم يؤمر صلى الله عليه وسلم

بالمواد

بالعلم التي عليك من الله بلا كاتب لها املاء ومسير الصبا تبحر كـ شهرا فكان الصبا لديك رحاء

١٨٣

بالسؤال للزيادة مما هو عليه الا في العلم وقل رب زدني علما وهو صفة يتجلى
بها المذكور لمن قامت به تجليا يمنع من احتمال النقيض التي تنزلت
عليك من الله حال كونها بلا كاتب من الكتب وهو الجمع وانما الموصل
لها اليك املا اي القاء جبريل وهذا الذي قررته في اعراب هذا البيت
اولى مما سلكه الشارح فتامله وبين القاسم والاقسام جناس مطلق والكاتب
والاملا طباق واقسم عليك بما اوتيته ايضا من مسير الصبا وهي
الريح التي مهبها مطلع الشمس عند استوا الليل والنهار ويطلق على
ما يهب من يمين هذا المطلع اي قريب سهيل ويساره اي قريب
القطب الشمالي ولهذه الريح اثر بين في نصرته صلى الله عليه وسلم في وقعة
الخندق المسماة بالاحزاب كما مر بنصرك اي بسببه وهو الرعب
الذي قطع قلوب اعدائه واخمد شوكتهم وبدد جموعهم شهرا مقتبس
من قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور مع قوله صلى الله
عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبيا قبلي نصرت بالرعب مسيرة
شهر الحديث ومنها يعلم ان الصبا كانت تسير بسبب نصره صلى الله
عليه وسلم وهو الرعب اي الخوف منه المزعج لاعدائه مسافة
شهر من سائر نواحي المدينة فلم يرفع احد منهم راسا الا اختطفتها
لوامع سيوف نصره صلى الله عليه وسلم وقواصف اسنة قهره عليه
الصلاة والسلام والتحديد بالشهر اشارة الى ان ما يستولي عليه لا يزيد
مسافته في حياته صلى الله عليه وسلم على شهر فلا ينافي ان ملكه امته يزيد
عن شهر بكثير واحترازا عن غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام فان
رعبهم وان وجد لا يصل لهذه المسافة وفي رواية ونصرت على العدو بالرعب

وعلي لما تفلت بعينيه وكناهما فيمدا فقدا

ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر قال بعضهم والظاهر اختصاصه به
مطلقا وانما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده صلى الله عليه وسلم وبين
اعدايه اكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى لو
كان وحده بغير عسكر وهل هي حاصلة لامته من بعده فيه احتمالات
اي اظهرها كما يقتضي به المشاهد انهم رزقوا من ذلك حظا وافرا
فكان الريح الصبا لديك رخا هي الريح اللينة المسخرة لسليمان
صلى الله عليه وسلم وهاشهر رواحها شهر لكون معجزة نبينا صلى الله عليه
وسلم اظهر واعظم لان تلك سخرت لذات سيدنا سليمان عليه الصلاة
والسلام وهذه سخرت لصفة من صفات نبينا صلى الله عليه وسلم وهي هيبته عليه
الصلاة والسلام وايضا فتلك انما كانت تسير بعد امر سليمان لها وهذه
تسير بامر ربها بغير توسط امر من نبينا صلى الله عليه وسلم فهو من تشبيه
الادنى بالاعلى نظير كما صليت على ابراهيم في صلاة التشهد على احد الاجوبة
وفي ذلك ارتقا بعد الصبا من اباحة النظير و اقسم عليك ايضا بمعجزاتك
العظمى مع علي كرم الله وجهه في غزوة خيبر لما سرت اليها
و دفعت الراية وكانت بيضا للعلي كرم الله وجهه ففتح بعض حصونها
وارسلت ابا بكر لحصن اخر فقاتل ورجع بلا فتح فارسلت عمر رضي الله
تعالى عنه فقاتل ورجع بلا فتح وجهد فقلت لاعطين الراية غدا رجلا
يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه فتشوق كل احد لذلك فسالت
عن علي رضي الله تعالى عنه فقيل به رمد فدعوت عليا فجا وانسان
يقوده من شدة الرمد فتح تفلت بعينيه وكناهما ما
حال موكدة رمدا ثم قلت له خذ هذه الراية وامض بها

حتي

ناظرا بعيني عقاب في غزاة لها العقاب لواء

١٨٦

حتى يفتح الله بها على يديك فبراتا لما خالطهما ريقك الذي هو الشفا الاكبر فغدا
اي ذهب بتلك الراية يضرب بعينيه المثل في حدة الابصار كما يضرب ببصر العقاب
الذي هو سيد الطيور كما في الكامل ومن ثم قال ناظرا بعيني عقاب ومن امثال
العرب ابصر من عقاب ولما غدا وهو كما ذكر هرول هرولة حتى ركز رايته في رضم من
حجارة تحت الحصن وقال له يهودي من باب الحصن من انت قال علي بن ابي طالب
فقال اليهودي علوتم وحق ما انزل على موسى بن عمران فما رجع حتى فتح الله على يديه وعند
قتاله ضربه يهودي فطرح ترسه من يديه فاخذ بابا فترس به واستمر يقاتل حتى فتح الله عليه
ومن كبر ذلك الباب ان ثمانية ارادوا ان يقلبوه فلم يستطيعوا وحمل ايضا باب
الحصن على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها فجروه بعد فلم يحمله الا اربعون
رجلا هذا كله في غزاة معدودة من اعظم الغزوات واجل الفتوحات
وهي غزوة خيبر كانت مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة
الى جهة الشام وكانت سنة سبع لها العقاب لوا اراد باللوا الراية وهي
العلم الضخم لان الذي كان يومئذ راية لا لوا فقط نعم قال عياض في شرحه وقد
اللوا الراية وعليه فلا تجوز في النظم وتلك الراية كانت تسمى العقاب لانها
سود او لون العقاب اسود وكانت برد العايشة رضي الله تعالى عنها ذكر ذلك
كله اهل السير وغيرهم كالحافظ الدمياطي وغيره وبين عقاب والعقاب
الجناس التام واما قول شارحه التي تسمى العقاب بيضا وانها التي اعطاها
لعلي رضي الله تعالى عنه فهو مخالف لما رايته من كلام اهل السير على انه ناقض ذلك
حيث قال وقوله لها العقاب لوا يحتمل ان العقاب كانت تحوم على نجوم القتلى
كانها رايات مرتفعة وهذا احتمال لا يقوله الا من لم يطلع على ما سبق ان رايته
صلى الله عليه وسلم يومئذ سودا تسمى العقاب ثم يحتمل ان هذه هي التي

رضي الله تع عنه ان
اعطاها العلي كرم الله وجهه نقل اهل السير عن ابن عباس
عليا رضي الله تعالى عنه هو الذي كان معه لوا النبي صلى الله عليه وسلم في كل زحف
وعن سعيد بن المسيب ان راية النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد مرط اسود
وراية الانصار يقال لها العقاب وفي هذا نظر لما مر ان الرايات لم
تعرف الا يوم خيبر واما تسمية راية الانصار يوم احد بالعقاب جري
على ما عليه اهل اللغة ان كل راية تسمى بذلك وعليه فقول الناظم لها العقاب
لوا لا تختص بخيبر خلافا لما يوهمه صنيعه **و** اقسم عليك ايضا **بريحانتين**
وهما سيدنا الحسن وسيدنا الحسين كرم الله وجههما وفي تسميتهما بذلك اقتباس
من قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري هما ريحانتاي من الدنيا وفي رواية ان
ابني هذين ريحانتاي في الدنيا **طيبهما** حسا ومعنى وفضلهما على غيرهما
انما هو حاصل **منك** لانهما بضعتان منك مع ما اعطيتهما به من المزايا
والخصوصيات وكان طيب رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفا مشهورا
بين الصحابة يضرب به المثل وان لم يتطيب بل كانت ام انس تاخذ من عرقه
صلى الله عليه وسلم لتتطيب به لما هو ريحه **الذي** نعت لطيبهما **اودعتهما** كذا
بالبنا للمفعول فاطمة **الزهرا** مبتدا خبره ما قبله وهو الصلة وجوز البنا للفاعل
ذكره الشارح ولا يصح لخلو جملة الصلة عن عايد للموصول وفيه تكلف وحذف
وان المفعول الثاني محذوف اي الذي الزهرا اودعتهما اياه
من غير دليل فالصواب ان الذي نعت للريحانتين بتاويلهما بالمذكور او نحوه
ونظير ما ذكرته في الذي قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابو داود وهذا مني يعني
الحسن والحسين ونظيره ايضا قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا قال
ابو حيان يجوز استعمال الذي بمعنى الذين لكن يجب كون الضمير

الصلة

١٨٥

الصلة ضمير الجمع اعتبارا بمعناه ثم قال والذي نختاره اي في قوله تعالى كمثل الذي
استوقد نارا انه افرد لفظا وان كان تحته افراد فيكون التقدير كمثل الجمع الذي
استوقد وقيل في الاية الذي بمعنى الجنس فلا يختص بالواحد وقيل حذفت
نونه تخفيفا وقيل موصوفه لفظ مفرد وعلى ذلك ياتي فيما نحن فيه فاستفده
واشار بقوله اودعتهما الى ما هو من خصايصه صلى الله عليه وسلم ان اولاد بناته
ينتسبون اليه في الكفاءة وغيرها ووجه تلك الاشارة انه جعل فاطمة مستودعة
فهو الذي اودعها تلك الذرية لتخرج منها منسوبة اليه وسميت بالزهرا
لانها لم تحض كما في الحديث الذي رواه الغساني وروى الخطابي ابنتي نسمة
حوراء ادمية لم تحض ولم تطمث وانما سماها الله تعالى فاطمة لان الله تعالى
فطمها ومحبيها من النار وقد ذكر الناظم عليا وفاطمة وابنيهما وياتي ذكر شيء من
فضايلهم بلا اسانيد وقد استوعبتها بذكر اسانيدها وبيان احكامها وما
يتعلق بها في كتابي الصواعق المحرقة لاخوان الضلال والابتداع والزندقة
الذي لم يولف في هذا الباب اجمع منه واخرج الطبراني والخطيب ان الله
جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب وفي
حديث رجاله ثقات الا واحدا مختلف فيه انه صلى الله عليه وسلم خطب وهو
محاصر الطايف فقال اوصيكم بعترتي خيرا وان موعدكم الحوض والذي
نفسي بيده لتقيمن الصلاة ولتوتن الزكاة او لابعثن اليكم رجلا مني او كنفسي
يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد علي وقال هو هذا وتوفي كرم الله وجهه شهيدا
من ثلاث وستين سنة ضربه ابن ملجم في جبهته ليلة الجمعة سابع عشر رمضان
سنة اربعين ومر خارجا الى صلاة الصبح بعد ان استيقظ سحرا وقال للحسن
انه راى النبي صلى الله عليه وسلم الليلة فشكى اليه ما لقي فقال ادع عليهم فدعا ان يبدله

خيرا منهم وانهم يبدلون شرا منه واكثر من تلك الليلة الخروج والنظر الي السما
وهو يقول والله ما كذبت كاللبلة التي وعدت ومات ليلة الاحد واختلف
في موضع قبره لانه لا اخفي خوفا من ان ينبشه الخوارج وفي رواية انهم حملوه
ليدفنوه مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فند الجمل الذي يحمله فلم يعبر اين ذهب
فلذلك قال اهل العراق انه في السحاب كنت علي الدوام تاويبهما اي
تضمهما اليك لمزيد محبتك لهما وشفقتك عليهما ومن ثم صح انه صلي الله
عليه وسلم قال نظرت الي هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتي قطعت
حديثي ورفعتهما واخرج الترمذي والطبراني هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم
اني احبهما فاحبهما واحب من يحبهما والترمذي احب اهل بيتي الي الحسن
والحسين واحمد وابن ماجة والحاكم من احب الحسن والحسين فقد احبني ومن
ابغضهما فقد ابغضني وجاء من طرق صح بعضها ابناي الحسن والحسين سيدا
شباب اهل الجنة وابوهما خير منهما وفي قوله خير منهما حجة لما عليه اهل السنة
ان الائمة الاربعة افضل من اهل البيت نعم ما فيهم من البضعة الكريمة
لا يعادله عمل وبه يوجه قول بعض المتاخرين بتفضيل الحسنين علي غيرهما
اي من حيث تلك البضعة وان كان غيرهما ما ذكر افضل منهما علما وعملا ومعرفة
فتامله كما اوت بالمد يتعين للوزن وان جاز القصر في اصل الكلمة من
الخط حال من الفاعل نقطتيهما اليا اي اوا كما اوت اليا النقطتيهما
حال كونها من حروف الخط ولعله اخذ هذا التشبيه من حديث البخاري
عن الحسن كان النبي صلي الله عليه وسلم ياخذ بيدي فيقعدني علي فخذه الاخري
ويضمني ثم يقول اني ارحمهما فارحمهما وبما صح عن اسامة بن زيد رضي الله
تع عنهما قال طرقت النبي صلي الله عليه وسلم ذات ليلة فخرج وهو مشتمل

علي شي فقلت ما هذا فكشف فاذا حسن وحسين علي وركيه فقال
اللهم هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم اني احبهما فاحبهما واحب من يحبهما وصح انه صلي الله
عليه وسلم اقبل وقد حمل الحسن علي رقبته فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال
صلي الله عليه وسلم ونعم الراكب ووجه التخصيص بالبا انها خاتمة الحروف كما انه صلي
الله عليه وسلم خاتم الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولا نظر الي ان الالف افضل الحروف
لانها مادة كل حرف فهي الاخر في الحقيقة كما انها الاول كذلك وهذا اشان نبينا صلي الله
عليه وسلم فانه اولهم خلقا ورتبة واخرهم وجودا وختما فعنصره الكريم منه برح ومنبث
في جميع الانبيا بالفعل تارة بالنسبة لمن في عموده نسبه وبالقوة اخري بالنسبة
لمن ليس في عموده من بيان للريحانتين وح فلا تجريد فيه خلافا لما زعمه
الشارح شهيدين اما شهادة الحسن وكانت ولادته في نصف شعبان
سنة ثلاث من الهجرة فيها ان يزيد بن معاوية ارسل الي زوجته جعدة الكندية
انها تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة الف درهم فقعلت فمرض اربعين يوما ومات
فبعثت ليزيد بما وعدها به فابي وفي سنة موته اقوال والاكثرون انها سنة
خمسين وجهد به الحسين ان يخبره بمن سمه فابي وقال الله اشد نقمة واجل كبري
تقطع واني لعارف من ابني دهيت فبحقي عليك لا تكلمت في ذلك بشي ثم
قال واقسم عليك ان لا تريق في امري محجمة دم ومن جملة كلامه لما احتضر
يا اخي ان اباك استشرف لهذا الامر المرة بعد المرة فصرفه الله عنه الي الثلاثة
قبله ثم ولي فنوزع حتي جرد السيف فما صفت له واني والله ما اري ان
يجمع الله فينا النبوة والخلافة وربما يستخفك سفها الكوفة فيخرجونك وقد
كنت طلبت من عايشة ان ادفن مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فاجابت فاذا
مت فاطلب منها وما اظن القوم الا سيمنعونك فان فعلوا فلا تراجعهم

فلما مات سال الحسين عايشة رضي الله تعالى عنها فقالت نعم وكرامة فمنعهم
مروان لانه كان والي المدينة فلبس الحسين ومن معه السلاح حتى رده ابو هريرة
ثم دفن بالبقيع الى جانب امه رضي الله تعالى عنهما وكان مروان يكثر من اذيته فلما مات
بكي في جنازته فقال له الحسين اتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه فقال اني كنت
افعل ذلك الى احلم من هذا واشار بيده الى الجبل وكان مروان هذا اشد الناس
بغضا لاهل البيت وكان هذا هو سر الحديث الذي صححه الحاكم ان عبد الرحمن
ابن عوف رضي الله عنه قال كان لا يولد لاحد مولود الا اتي به النبي صلى الله عليه
وسلم فيدعو له فادخل عليه مروان بن الحكم فقال هو الوزغ بن الوزغ الملعون
ابن الملعون وروى ابن حديثا من جملته قول عايشة رضي الله تعالى عنها لعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابا مروان ومروان في صلبه ثم في الحديث الصحيح انه صلى الله
عليه وسلم سال ربه ان من شتمه او لعنه او دعا عليه ان يكون ذلك رحمة له وكفارة
ومن فضايل الحسن ما صح انه صلى الله عليه وسلم كان يحمله على عاتقه ويقول اللهم اني
احبه فاحبه وصح من احبني فليحبه وليبلغ الشاهد الغايب اللهم اني احبه
فاحبه واحب من يحبه ثلاث مرات وفي رواية فجعل يفتح فمه ثم يدخل فمه في
فمه ويقول ذلك وفي اخرى من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي
في درجتي يوم القيامة وصح انه حج خمسا وعشرين حجة ماشيا وان الجنايب
لتنقاد بين يديه وخرج من ماله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات وكرمه
باهر وحكاياته فيه ابهر ولم تسمع كلمة فحش منه قط الا قوله مرة عن مخاصمة ليس
عندنا الا ما رغم انفه وجاء من طرق كثيرة بعضها صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال
وهو على المنبر ان ابني هذا الى الحسن سيد وسيصلح الله به بين فيتين عظيمتين من
المسلمين وقد حقق الله له ذلك فان اباه كرم الله وجهه لما توفي فولي الخلافة

من ٩م

بين صر

بمبايعة

بمبايعة اهل الكوفة فكان اخر الخلفا الراشدين بنص جده صلى الله عليه وسلم بقوله
في الحديث الصحيح الخلافة بعدي ثلاثون سنة فمدة خلافته هي الستة اشهر الباقية
وعند مضيها سار الى معاوية في اربعين الفا فلما تراى الجمعان علم الحسن انه لن تغلب
احدى الطايفتين حتى يذهب اكثر الاخرى فرضي بالنزول لمعاوية عن الخلافة شفقة
على الامة بشروط قبلها معاوية فنزل له ح وصار هو الامام الحق وقبل ذلك كان
متغلبا لكن لاجتهاده لم يكن اثما بل ماجورا واما شهادة الحسين رضي الله
تعالى عنه وكانت ولادته لخمس خلون من شعبان سنة اربع ومن فضايله رضي الله تعالى عنه
حديث حسين مني وانا من حسين احب الله من احب حسينا
حسين سبط من الاسباط وفي رواية الحسن والحسين سبطان من
الاسباط وجاء من طرق صحح الحاكم بعضها ان جبريل وفي رواية ملك
القطر ولعلهما واقعتان جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان الحسين
مقتول واراه من تربة الارض التي يقتل فيها فاعطاه لام سلمة واخبرها
ان يوم قتله يتحول دما فكان كذلك وشم صلى الله عليه وسلم التراب فقال
ريح كربلا وفي رواية فاشار جبريل الى الطف ارض بالعراق بناحية الكوفة
ولا تخالف لان ذلك الموضع يسمى كربلا وبالطف كذا قاله بعضهم وقال
غيره كربلا قريب من موضع يقال له الطف بقرب الكوفة وروى الطبراني اما حسن
فله هيبتي وسوددي واما حسين فله جراتي وجودي والبغوي وغيره سمي
هرون بنيه شبرا وشبيرا واني سميت ابني الحسن والحسين وجاء ان
العرب لم تسم بهما في الجاهلية فسببها انه لما استخلف سنة ستين ارسل
لعامله بالمدينة ان ياخذ له البيعة على الحسين ففر لمكة على خوفا على نفسه
فارسل اليه اهل الكوفة ان ياتيهم ليبايعوه ويمحي ما بهم من الجور فنهاه

ان لا يذهب
ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه وامره ان لا يذهب
باهله ان ذهب فابي فبكي ابن عباس رضي الله تعالي عنهما وقال واحسيناه
وقال له ابن عمر نحو ذلك فابي فقبل ما بين عينيه وقال استودعك الله
من قتيل وكذلك نهاه ابن الزبير رضي الله تعالي عنهم بل لم يبق بمكة الا من حزن
لمسيره ولما بلغ اخاه محمد بن الحنفية بكي حتي ملا طشتا بين يديه وقدم
امامه مسلم بن عقيل فبايعه من اهل الكوفة اثنا عشر الفا فارسل اليه يزيد
ابن زياد يقتله وسار الحسين غير عالم بذلك فلقي الفرزدق فقال له فقال
قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني امية والقضا ينزل من السما ولما قرب
القادسية تلقاه من اخبره الخبر وامره بالرجوع فقال اخو مسلم المقتول
لا حتي ناخذ بثارنا او نقتل ثم سار فلقيه اوايل خيل ابن زياد فعدل
الي كربلا فجهز اليه ابن زياد عشرين الف مقاتل فلما وصلوا اليه التمسوا منه
نزوله علي حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فابي فقاتلوه وكان اكثر مقاتليه المكاتبين
اليه والمبايعين له فلما جاهم فروا عنه الي عدوه محارب ذلك العدو الكثير
ومعه من اهله نيف وثمانون فثبت في ذلك الموقف ثباتا باهرا ولولا انهم
حالوا بينه وبين الما ما قدروا عليه ولما استحر القتل من اهله حتي بلغ حسين
صاح اما ذاب يذب عن حريم رسول الله صلي الله عليه وسلم فخرج يزيد بن الحارث
رجا شفاعة جده صلي الله عليه وسلم فقاتل بين يديه حتي قتل ثم فني اصحابه
فبقي بمفرده فحمل عليهم وقتل منهم كثيرا من شجعانهم فكثروا عليه حتي حالوا
بينه وبين حريمه فصاح رضي الله تعالي عنه كفوا اشقاكم عن النسا والاطفال
فكفوا ثم لم يزل يقاتلهم الي ان اثخنوه بالجراح لانه طعن احدي وثلاثين
طعنة وضرب اربعا وثلاثين ضربة ومع ذلك غلب عليه العطش الي ان

سقط

سقط الي الارض فجزوا راسه يوم الجمعة عاشر المحرم عام احدي وستين ووضعه
بين يدي عبيد الله ابن زياد متبجحا بكونه قتل خير الناس فامر بضرب عنقه وقال
اذ علمت انه كذلك فلم قتلته وقتل معه من اخوته وبنيه وبني اخيه الحسن ومن
اولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلا قال الحسن البصري رضي الله تعالي عنه ما كان
لهم علي وجه الارض يومئذ شبيه وجعل ابن زياد الراس في طشت وجعل يضرب
ثناياه بقضيب ويدخله انفه ويتعجب من حسن ثغره فبكي انس رضي الله
تعالي عنه وقال كان اشبههم برسول الله صلي الله عليه وسلم وقال له زيد بن
ارقم ارفع قضيبك فوالله لطالما رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم قبل ما بين
الشفتين وبكي فاغلظ عليه ابن زياد وهدده بالقتل فقال لاحدثنك بما هو اغلظ
عليك من هذا رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم اقعد حسنا علي فخذه اليمني وحسينا
علي فخذه اليسري ثم وضع صلي الله عليه وسلم يده الكريمة علي يافوخهما ثم قال
اللهم اني استودعك اياهما وصالحوا المومنين فكيف كانت وديعة رسول الله النبي
صلي الله عليه وسلم عندك يا ابن زياد ولا عجب فان يزيد بلغ من الفسق والانحلال من
التقوي مبلغا لا يستكثر عليه صدور تلك القبايح منه بل قال احمد بن احمد بكفره
وناهيك به ورعا وعلما بقضيان بانه لم يقل ذلك الا لقضايا وقعت منه
صريحة في ذلك ثبتت عنده وان لم تثبت عند غيره كالغزالي فانه اطال في
رد كثير مما نسب اليه كقتل الحسين فقال لم يثبت من طريق صحيح انه قتله
ولا امر بقتله ثم بالغ في تحريم سبه ولعنه وكابن العربي المالكي فانه نقل
انه قال لم يقتل يزيد الحسين الا بسيف جده اي لانه الخليفة والحسين
باغ عليه والبيعة سبقت ليزيد ويكفي فيها بعض اهل الحل والعقد
وبيعته كذلك لان كثيرين اقدموا علينا مختارين لها هذا مع عدم النظر

الي استخلاف ابيه له امامع النظر لذلك فلا يشترط موافقة احد من اهل
الحل والعقد علي ذلك ويرد بان هذا انما هو بعد استقرار الاحكام وانعقاد
الاجماع علي تحريم الخروج علي الامام الجاير اما قبل ذلك فكان الامر منوطا بالاجتهاد
واجتهاد الحسين رضي الله تعالي عنه اقتضي جواز خروجه علي يزيد لجوره وقبايحه
التي تصم عنها الاذان فهو اعني الحسين محق بالنسبة لما عنده ونظير ذلك
حال معاوية مع الحسين قبل نزوله له عن الخلافة ومع علي كرم الله وجهه كان
متغلبا باغيا عليهما لكنه غير اثم لاجتهاده فالحسين كذلك فتامل ذلك فان كلام
الايمة فيه كالمتنافي ولا يزول الاشكال فيه الا بما قررته فاستفده ولما دخل قصر الامارة
بالكوفة امر بالراس فوضع علي ترس عن يمينه والناس سماطان ثم انزله وجنوده مع
روس اصحابه وسبايا ال الحسين الي يزيد فلما وصلوا اليه قيل ترحم عليه والمشهور
انه جعل ينكت الراس بالخيزران وجمع بانه اظهر الاول واخفي الثاني قيل والعجب
كل العجب من ضرب يزيد ثنايا الحسين بالقضيب وحمل ال النبي صلي الله عليه وسلم
علي اقتاب الجمال موثقين في الحبال والنسا مكشوفات الوجوه والروس ولما
وصلوا الدمشق اقيموا علي درج الجامع حيث تقام الاساري والسبي قيل ان
يزيد ارسل براس الحسين وثقله ومن بقي من اهل المدينة فكفن راسه
ودفن عند قبر امه بقبة الحسن وقيل اعيد الي الجثة بكربلا بعد اربعين يوما
من قتله ثم سلط الله علي ابن زياد وقومه من قتلهم شر قتلة ولما نزل الذين
ارسلهم ابن زياد بالراس اول منزل جعلوا يشربون بالراس فخرج عليهم
يد من الحايط فكتب سطرا بدم اترجوا امة قتلت حسينا شفاعة جده
يوم الحساب • فهربوا وتركوا الراس ثم عادوا واخذوه ا اخذه
غيرهم وقدم به علي يزيد ومما ظهر يوم قتله ان السما مطرت دما

دماوان

من شهيد بن ليس يلسني الطف مصايبها ولا كربلا؁ ما دعي فيهما فصامك مورس قد خان عهدك الرومأ

دماوان اوانيهم مليت دما وان السما اشتد سوادها لانكساف الشمس
ح ودويت النجوم واشتد الظلام حتي ظن الناس ان القيامة قد قامت وان
الكوكب ضربت بعضها بعضا وانه لم يرفع حجر الا روي تحته دم عبيط
والورس انقلب دما وان الدنيا اظلمت ثلاثة ايام ثم ظهرت فيها الحمرة
التي مع الشفق لم تكن حتي قتل الحسين وقال ابن الجوزي وحكمة ذلك ان غضبا
يؤثر حمرة الوجه والحق تنزه عن الجسمية فاظهر تاثير غضبه علي من قتل
الحسين بحمرة الشفق اظهارا لعظيم الجناية ليس يلسني كل مسلم
كامل الايمان الطف اي بذكر ما وقع فيه وهو انه ارض العراق وانه ليس
يسمي كربلا وقبره به معروف يزار ويتبرك به مصايبها اي مجموعها علي
حد تخرج منهما اللولو والمرجان اذ هما انما يخرجان من الملح فقط اي مصاب
الحسين لان قتله به واما قتل الحسن فمع انه كان بالمدينة ولم يكن قتله بالسم
ظاهرا بل انما علم به نزر من الناس ولا كربلا بل كل منهما يذكرني بذلك المصاب
حتي اني اتصور بي ارض انها هي وظاهره انه مغاير للطف وكان الناظم لمح
بهذا الي ما رواه ابن سعد عن الشعبي ان عليا كرم الله وجهه لما مر بكربلا عند
مسيره الي صفين وقف وسال عنها فقيل كربلا بكي حتي بل الارض من دموعه
ثم قال دخلت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو يبكي القصة الاتية
في شرح قوله فابكهم ما دعي فيهما فصامك بالمعجمة اي حرمتك
ايها النبي الكريم مع انه يجب علي كل احد رعايتها والوفا بها ولا يحصل ذلك
الا بالقيام بجميع ما لها من العهود والحقوق والحرمة والجلالة ومن بعض شانهما
واعتقاد انه علي غاية من الحماقة والضلالة والجراة والتهور مورس اي
تابع لجعدة الكندية في الحسن وابن زياد واتباعه في الحسين رضي الله تعالي

عنهما والحال انه قد خان عهدك الرهط اي المبتدعين من الظلمة
الطغاة المتمردين كيزيد فيهما التسبب في قتلهما لكنهما فازا بمنزلة الشهادة
العظمى وباء بخزي الدنيا والاخرى وقول بعضهم لا ملام على قتلة الحسين
لانهم انما قتلوه بسيف جده الامر ببذله على البغاة وقتلهم لا يعول عليه
لان يزيد لم تنعقد بيعته عند الحسين وغيره ممن لم يبايعوه والمبايعون
له مكرهون على البيعة كما هو معروف وغاية الامر ان يزيد اجائر فاسق
متغلب وحرمة الخروج على الجائر التي حكي عليها الاجماع محلها بعد استقرار الامور
وانقضاء تلك الاعصار فكان اهلها مجتهدين فلم يدخلوا تحت حيطة راي
غيرهم ولذلك خرج على يزيد ابن الزبير ولم يبال ببيعته ولا عمد بها الجماعة
اخرى امتنعوا منها وهربوا او روى ابن السكن انه صلى الله عليه وسلم قال
وقد اشار الى الحسين ان ابني هذا يقتل بارض العراق فمن ادركه منكم فلينصره
وبه يرد على قول البعض المذكور ومما يرده انهم ما ترتب على قتل الحسين
مما بعضه وبين دعم دخان والمردين والرؤسا الطباق ابدلوا اي
هؤلا المذكورون الود بتثليث الواو المودة التي ~~...~~ حضهم
الله عليها في الاية الاتية بعضهم ونقالهم واطلاع الاية الربيكل طريق
امكن حتى ان العرطي سبابهم فما يبعث الشريعة في عسكرهم باربعة دراهم
والشريف بدرهمين لكثرة من سباه منهم وابدلوا ايضا الحفيظة اي
الحمية في نصرة القربى ومحبتهم اي قرابة النبي صلى الله عليه وسلم وهم اهل
البيت النبي يعني تركوا هذين واخذوا ضدها فقطعوا مودتهم قل لا اسألكم
عليه اجرا الا المودة في القربى الاية وقد اختلف المفسرون في القربى والذي
جاء عن الحسن بن علي كرم الله وجهه بسند حسن انهم اهل البيت فانه

خطب

خطب الناس خطبة بليغة فيها انا الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال
انا ابن البشير انا ابن النذير ثم قال وانا من اهل البيت الذين افترض الله
عز وجل مودتهم وموالاتهم وزاد في رواية على كل مسلم فقال فيما انزل على محمد صلى الله
عليه وسلم قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى وفي رواية ومن يقترف حسنة
نزد له فيها حسنا قال اقتراف الحسنات مودتنا اهل البيت وجاء عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما بسند فيه شيعي غال لكنه صدوق انها لما نزلت قالوا يا رسول
الله من قرابتك الذين وجبت علينا محبتهم قال علي وفاطمة وابناها ورواه غير
واحد نحو ذلك عن علي رضي الله تعالى عنه واخرج الطبراني عن زين العابدين انه لما
جيء اسيرا عقب مقتل ابيه الحسين رضي الله تعالى عنهما واقيم على درج دمشق
قال بعض جفاة اهل الشام الحمد لله الذي قتلكم واستاصلكم وقطع قرن
الفتنة فقال له اما قرات قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال
وانتم هم قال نعم ولا ينافي ذلك ما هو المشهور عن ابن عباس واتباعه
من حملها على غير ذلك كما في البخاري وغيره عنه ان المراد الا تودوني يا معشر
قريش بقرابتي منكم وفي رواية عنه انهم لما ابوا ان يبايعوه انزل الله عليه ذلك
فقال صلى الله عليه وسلم يا قوم اذا ابيتم ان تبايعوني فاحفظوا قرابتي ولا تؤذوني
ويؤيده ان السورة مكية ورواية نزولها بالمدينة ضعيفة وان امكن نزولها مرتين
كما قيل به في الفاتحة ووجه عدم المنافاة ان من ذكره صلى الله عليه وسلم وخص بقريش
اقتصر على المقصود بالذات ومن ذكر اهل البيت وعمم في كل مسلم ذكر ما هو المقصود
بالتبع فكل من المرادين صحيح من غير منافاة ولا تعارض بينهما ومن ثم كان
ابن جبير وهو اجل تلامذة ابن عباس ~~...~~ يفسره تارة بهذا وتارة بهذا
وفي رواية ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الا ان تودوا الله ولا منافاة ايضا لان

من جملة مودته تعالى مودة رسوله واهل بيته وادعا نسخ الاية قول مرذول لا يلتفت اليه فلا يجوز اعتقاده كما قاله البغوي وغيره وقد صح خلافا لما وهم فيه ابن الجوزي حديث احبوا الله لما يغذوكم من نعمه واحبوني لحب الله عز وجل واحبوا اهل البيت لحبي وصح ايضا ما بال اقوام يتحدثون فاذا راوا الرجل من اهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله تعالى ولقرابتهم مني وفي خبر احمد انه صلى الله عليه وسلم قال لمن اشتكى عليا والله لقد اذيتني ثم قال من اذا عليا اذاني وروى احمد والترمذي حديث من احبني واحب حسنا وحسينا واباهما وامهما كان معي في الجنة زاد ابو داود ومات متبعا لسنتي وبها يعلم قول الرافضة تنفع محبتهم مع مخالفة السنة **وابدت** اي اظهرت **ضبابها** عائد لفاعل ابدت واراد بالضباب اليرابيع لان النفقا لا يكون الا لها **النفقا** هي احدى جحرتي اليربوع يكتمها ويظهر غيرها حتى لا يصاد وهو موضع من جحره يجعل الحاجز بينه وبين الفضا قريبا جدا حتى اذا دخل عليه من الجحرة الاخرى المسماه بالقاصعا ضرب النفقا براسه فانشق وخرج هاربا منه ولهذا يقال تنفق اليربوع تنفيقا ومنه اشتقاق المنافق في الدين كما في الصحاح وفي النظم تشبيه المكره بالحسنين حتى فعلوا معهما ما فعلوا باليربوع في مكره المذكور فهو استعارة تصريحية وفي ذكر النفقا استعارة ترشيحية او تشبيه ما عند اولئك من النفاق بالنافقا بجامع الاني مهيح استعارة مجرده رشحت بذكر الضباب او تشبيه النافقا بما عند اولئك من النفقا الذي حملهم على ان فعلوا بال البيت ما فعلوا فتشبيه النفقا بنفاق اولئك استعارة بالكناية والجامع ان النافقا يظهر اليربوع

بنبير

وقست منهم قلوب على من بكت الارض فقدهم والسماء فابكهم ما استطعت ان قليلا في عظيم من المصاب البكاء

نبيه من مبادر وكذلك نفاق اولئك اظهرهم حتى يغر بوا من الدين وفعلوا ما فعلوا واثبات اليربوع استعارة تخييلية ويصح ان يكون استعارة بالكناية ايضا لتشبيه الضباب باولئك في المكر واما فتهم الضمير النافقا تخييلية **وقست** اي غلظت واشتدت **منهم** اي الكفرة الفجرة المذكورين وهو حال من قوله **قلوب** فوصل اليهما والى ذريتهما منهم غاية الايذا والكفران بحقهم الواجب ورعايته عليهم ولم تلن لهم تلك القلوب قط لان الله تعالى اراد لهم الشقاوة والعذاب الاليم **على من** اي اولئك الايمة الذين فقدهم يدور الدنيا ومن ثم قال الحسن البصري رحمه الله تعالى في النبي فقتلوا مع الحسين من اهله ليس لهم شبيه على وجه الارض **بكت الارض فقدهم والسما** وهذا اقتباس من مفهوم قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض اذ مفهومه ان المومن تبكي عليه السماء والارض يعني انهما يتاسفان على ما فاتهما من اعماله وثوابها اما الارض فمحال سجود المومن وعبادته فما بالك بال البيت النبوي والسر العلوي ويصح ان يكون بكاهما بكا اهلهما وهو اوضح لكن الاول ابلغ ولا مانع من حمله على الحقيقة لانه ممكن ورد به الشرع فلا نخرج عن ظاهره الا بدليل **فابكهم** ايها السامع للخطاب **ما استطعت** اي مدة دوام استطاعتك تاسيا بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم فانه بكا لما اخبره جبريل بقتله روى ابن سعد عن الشعبي قال مر علي كرم الله وجهه بكربلا عند مسيره الى صفين فوقف وسال عن اسم هذه الارض فقيل له كربلا فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال كان عندي جبريل واخبرني ان ولدي الحسين يقتل بشاطي الفرات بموضع يقال له كربلا ثم قبض جبريل قبضة من تراب شممني اياها فلم املك عيني ان فاضتا

واخرج الترمذي ان ام سلمة رات النبي صلى الله عليه وسلم باكيا وبراسه ولحيته التراب
فسالته فقال قتل الحسين انفا وكذلك راه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نصف النهار
اشعث اغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه فساله فقال دم الحسين واصحابه لم
ازل اتتبعه منذ اليوم فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم فان قلت
الامر بالبكا ينافيه الحديث الصحيح فاذا وجبت فلا تبكين باكية ومن ثم
قال ايمنعكم البكا بعد الموت قلت ليس البكا المامور به هنا حقيقة
بل لازمه من التاسف والحزن على ما حصل للدين واهله من استباحة
حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودم بنيه واهله ومن غاية الاستهان بحقهم
والفرح بمصابهم ومن زوال انوار النبوة وعلومها وتقاها وزهدها وكمالها
بفقدهم وذلك كله مصاب لا يسا وبه مصاب فحق لكل احد ان يحزن على ذلك
ويتاسف عليه وان يامر به غيره ويدعوا اليه فان قلت كيف نهي رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن البكا وبكا في الحديث المذكور قلت المنهي
عنه البكا الاختياري والذي وقع منه صلى الله عليه وسلم لعله اضطراري او بيان
للجواز واطلق منه البكا على مجرد دمع العين وهو لا كراهة فيه ومن ثم
فعله صلى الله عليه وسلم على ابن لاحدى بناته فقيل له ما هذا وقد نهيت
عن البكا فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحما فبين ان مجرد
دمع العين لا محذور فيه ولا كراهة فتامله ثم تمم ما امر به من البكا بما يصلح
ان يكون دليلا حاملا عليه فقال ان جزا قليلا اي قليل في مقابلة
عظيم من المصاب لا سيما مصاب الامة بالحسين واهل بيتهما
رضي الله تعالى عنهم اجمعين وبين قليل وعظيم طباق وفيه اشتقاق ورد العجز
على الصدر البكا وان كثر وهو الصوت الذي يكون مع الدمع واما المقصود

لثو

كل يوم وكل ارض لكربي منهم كربلاء وعاشور بيت النبي ان فوادي ليس يسليه عنكم التاسا

فهو الدمع فقط وغير القليل قتل قاتليه ودوام نصرتهم باشادة ذكرهم وادامة
الثناء عليهم والدعاء على اعدايهم وغير ذلك كل يوم وكل ارض لكربي اي لاجل ما حصل
لي من الكرب وهو الغم الذي ياخذ النفس بحيث تخشى كربها منهم اي بسبب
ما حصل لهذين الامامين واهل بيتهما من القتل والاسر والسبي
والايذا كربلا راجع لكل ارض وعاشورا رجع لكل يوم ففيه لف
ونشر مشوش اي زادني ذلك الكرب حتى ان كل ارض حللت بها تصورت
انها الارض التي قتل فيها الحسين وكل يوم اصبح على اتصور انه يوم عاشورا
الذي قتل فيه فكري قد عم جميع ما انا فيه من الازمنة والامكنة فلا يفارقني
بالانتقال من ارض لاخرى ولا من زمن لاخر وبين كربي وكربلا جناس شبه
الاشتقاق كهو اوجناس الاشتقاق في ماوي واويت وفوضت وتفويضي
وطبتم وطاب وسدتم وسودته ووزر والوزرا والقاسم واقسامي والبكم
والبكا يا ال بيت النبي وهم مومنوا بني هاشم والمطلب وهم المذكورون
في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
واكثر المفسرين انها نزلت في علي وفاطمة والحسنين رضي الله تعالى عنهم وقيل
في نسايه صلى الله عليه وسلم ونسب لابن عباس وكان مولاه عكرمة ينادي به في السوق
ورد بتذكير ضمير عليكم وما بعده وقال جمع نزلت فيهما وجمعه فانهن سبب
النزول فيدخلن قطعا ويدل له ما صح عن ام سلمة قلت يا رسول الله
انا من اهل البيت قال بلى ان شاء الله ولدخول ال البيت خبر مسلم انه ادخل
اولئك الاربعة تحت كسا وقرا الاية وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل هولا تحت
كسا وقال اللهم هولا اهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا وفي حديث حسن انه صلى الله عليه وسلم اشتمل على العباس وبنيه

بملاة ثم قال يارب هذا عمي وصنو ابي وهولا اهل بيتي فاسترهم
من النار كستري اياهم بملاتي هذه فقالت اسكفة الباب آمين ثلاثا
فعلم ان المراد باهل البيت في الاية اهل بيت سكنه صلى الله عليه وسلم وهن
امهات المومنين واهل بيت نسبه وهم مومنوا بني هاشم وبني المطلب
وصح هذا عن زيد بن ارقم والاشهر انهم مولاهم آله المذكورون في
قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وقيل المراد باله هنا كل مومن
واختير وخبر آل كل مومن تقي ضعيف بالمرة وال البيت الذين حرمت
عليهم الصدقة هم المرادون في جميع ما جا في فضل اهل البيت او الال
او ذوي القربى واولئك الاربعة هم المرادون في اية المباهلة كما صرح به ما صح
عنه صلى الله عليه وسلم فيها **ان فوادي** اي قلبي **ليس** فعل جامد معناه
نفي مضمون الجملة في الحال وفي غيره بالقرينة وقيل هي لنفي الحال وغيره وقواه
ابن الحاجب بقوله تعالى الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم قال ابن مالك
وترد للنفي العام المستغرق المراد به الجنس كلا التبرية وهو مما يغفل عنه
وخرج عليه ليس لهم طعام الا من ضريع انتهى ويصح ارادة هذا المعنى الاخير
في النظم **يسليه عنكم التاسا** بتوفية اوله اي ما يحصل لهم من الشدايد
والمحن وفي القاموس تاساه اذاه واستخف به بل محبتكم مقيمة فيه على
الدوام لا تزيلها محنة ولا تنقصها شدة وفي الحديث والذي نفسي بيده
لا يومن عبد حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذوي انا حرب لمن حاربهم
وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم الا من اذى قرابتي فقد اذاني ومن
اذاني فقد اذى الله تعالى وفي الحديث ايضا انا تارك فيكم ما ان تمسكتم به
لن تضلوا كتاب الله تعالى وعترتي تامل كونه صلى الله عليه وسلم قرنهم بالقران

غير فوضت امري الى الله وتفويض الامور برا رب يوم بكربلا امسى خففت بعض وزره الزوار
والاعادي كان طريح منهم الزرق حل عنه الدكا

١٦٣

في ان التمسك بهما يمنع الضلال ويوجب الكمال واشار الى ان ما عنده ملازم
له لا يفارقه يسلو ولا يتسلى ولا غيرهما من الوفا بحقهما والتحزن والتحسر
لمصابيهما انما هو مع تفويضه الامور الى باريها كما قال **غير** اي الا ان فهو
استثنا منقطع **فوضت امري** في ذلك كله **الى الله** الفاعل لما
يشا والمقدر لما يريد لا يسال عما يفعل وهم يسالون **وتفويض الامور** الى من
هو مقدرها ومدبرها **برا** اي مبري للمفوض كذلك اعتمادي عليه في من حوله
وقوته وذلك يتعين على كل مسلم فضلا عن كامل ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
لا حول ولا قوة الا بالله براة من الشرك وكنز من كنوز الجنة وفي فوضت وتفويض
جناس الاشتقاق وجملة تفويض الخ تذييل **رب** للتقليل **يوم بكربلا امسى**
باعتبار ما وقع فيه من قتل الحسين ومن معه بها **خففت بعض وزره** اي ثقل ذلك
الخطب الجسيم والمصاب العظيم على النفوس التي عندها غيرة لال البيت
النبوي فيها مع وزره شبه الاشتقاق وهو ناحية ببغداد اي بما وقع من خلفايها
بني العباس الذين هم من جملة ال البيت من اخذهم بعض ثار ابن عمهم
الحسين وغيره من ال البيت بالخروج على بني امية لانهم عابوا وجاروا ولم
يوفوا الله ولا رسوله طرفة عين في ال البيت الطاهرين المطهرين الكاملين
المكملين الجامعين بين العلوم الشرعية والعلوم الربانية والاسرار الالهية
والكرامات الباهرة والمعاني الفاخرة فقد تبع الخلافة منهم بعد ان نصرهم الله
عليهم فقتلوهم اشر قتلة كما قال **والاعادي** الذين هم اولئك الفسقة الفجرة
كان [illegible] **كل طريح** اي مطروح [illegible] الى الارض ببوارق السيوف ولوامع
الاسنة الموجبة لتوالي الحتوف **الزرق** المنتفخ الملقى بالارض الذي **حل عنه**
وهو ما يسد به راس الزق ولا زالوا يتبعونهم حتى قطعوا ادبارهم

الزوار م

سار
والاعادي

منهم م

الوكا

عن اخرهم فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وهذه القصة
مبسوطة في التواريخ كما في تاريخ الخلفا للسيوطي وقد في اختصاري له تعليك بطلبها
من محلها ان شئت يا ال فهو منادي واصله اهل ابدلت الهاء همزة ساكنة
وقبلها همزة متحركة فابدلت الساكنة الفا على القاعدة ولا يضاف الا الى الاشراف
كما هنا واما قيل ال فرعون لانه كان مقصورا بصورة الاشراف بيت النبي
وهم انفا بيانه طبتم اصولا وفروعا وافعالا واقوالا واوصافا وظاهر النظم
ان المراد بالطيب في وفي تحانيين طيبهما فيك غير المراد به هنا وهو محتمل ويحتمل
انه في الموضعين للطيب بمعنى الطاهر وبالطهارة ان الطيب فيهما ومعنا للباقي
وهو الوجه لان ذلك في خصوصهما وهذا في عموم اهل البيت كما دلت عليه الاية
السابقة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
اذ هي منبع فضائلهم لاشتمالها على غرر من ماثرهم والاعتنا بشانهم حيث ابتديت
بانما المفيدة لحصر ارادته تعالى اذهاب الرجس عنهم وهو الاثم والشك فيما يجب
الايمان به وتطهيرهم من سائر الاخلاق والاحوال المذمومة وفي احاديث تحريمهم
على النار وهي فائدة التطهير وغايته اذ منه الهام الانابة الى الله تعالى وادامة الاعمال
الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكا عضوضا
واذ الرتبة للحسن عوضوا عنها الخلافة الباطنة حتى ذهب قوم الى ان قطب
الاولياء في كل زمن لا يكون الا منهم وحكمة ختم الاية بتطهيرا المبالغة في وصول
لاعلاه وفي رفع التجوز عنه ثم تنوينه تنوين التعظيم والتنكير المشير الى
انه تطهير بديع ليس من جنس ما يتعارف ويولف ثم اكد ذلك صلى الله عليه وسلم
بقوله صلى الله عليه وسلم وقد جعل على علي وفاطمة والحسنين كسا وقرا الاية اللهم
هولا ال محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على ال محمد انك حميد مجيد

ايز

[illegible]

١٦٤

وفي اخرى اللهم اهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك
وحديث خيركم خيركم لاهلي من بعدي وحديث سالت ربي ان لا ازوج
الى احد من امتي ولا يتزوج الى احد من امتي الا كان معي في الجنة فاعطاني ذلك
وحديث احبوني واحبوا اهل بيتي لحبي وحديث انا حرب لمن حاربهم
وسلم لمن سالمهم قاله لعلي وفاطمة وابنيهما وحديث ان لكل بني ادم عصبة ينتمون
اليها الا ولد فاطمة فانا وليهم وعصبتهم وهم عترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين
بفضلهم من احبهم احبه الله ومن ابغضهم ابغضه الله وحديث والذي نفسي
بيده لا يبغضنا اهل البيت احد الا كبه الله في النار فطاب المدح لي فيكم وان
لم استوف واجب حقكم ومعالي شرفكم لان الله تعالى ورسوله اثنيا عليكم بما ينقطع
الاعناق دون الوصول الى غايته او الاحاطة الى شي من نهايته وطاب لي فيكم الرثا
وهو تعداد محاسن موتاكم وفي طبتم وطاب الاشتقاق والمدح والرثا الطباق
انا حسان مدحكم اي انا المشبه في الاعتنا بمدحكم على اقصى ما يمكن من
وجوه البلاغة وقوانين الفصاحة بحسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي كان ينصب له منبرا في مسجده فينافح كفار قريش ويرد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويدعو اله بقوله اللهم ايده بروح القدس ومن بلاغته انه لما
اراد ان يهجو قريشا اخبره النبي صلى الله عليه وسلم بانه سامي بطن من بطون
قريش الاوله اليها قرابة فقال لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين
وراه عمر رضي الله تعالى عنهما ينشد شعرا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر
اليه شزرا فقال كنت انشد فيه بين يدي من هو خير منك وهو يقول
اللهم ايده بروح القدس ثم استشهد ببعض الصحابة على ذلك فشهدوا
له به فاذا نحت عليكم اي رفعت صوتي بالبكا فانني الخنسا ابنة

عمرو بن الشريد من سراة قبائل منهم قيس غيلان قبل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع قومها بني سليم المؤلفين له صلى الله عليه وسلم ولذا حضر معه فتح مكة
وحنين في الف رجل ونظرت عائشة رضي الله تعالى عنها الثوب الحزن فاخبرتها
بانه صلى الله عليه وسلم نهى عنه فاعتذرت بانها لم تعلم بالنهي ثم ذكرت سببه وهو ان
زوجها افتقر فسالت اخاها فقاسمها ماله فافتقر فسالته فقاسمها ماله ثم
الثالثة كذلك ثم الرابعة فعتبته زوجته فاجابها بانها كفته عارها ولو هلكت
خرقت خمارها ولبست من شعر صدارها قالت فلما هلك اتخذت هذا الثوب
قيل لجرير من اشعر الناس قال انا لولا هذه قيل له بما فضلتك قال بقولها

• ان الزمان وما تفنى عجائبه • ابقى لنا ذنبا واستؤصل الراس •
• ابقى لنا كل مجهول وفجعنا • بالحالمين فهم هام وارماس •
• ان الجديدين في طول اختلافهما • لا يفسدان ولكن يفسد الناس •

واجمع على الشعراء انه لم تكن امراة قبلها ولا بعدها اشعر منها فانني متشبهها
في نوحها على اخيها ورثائها له بالمعاني البديعة والمباني البليغة ومجامع الثناء وجوامع
الرثاء ومنه • الا يا صخر ان ابكيت عينا • لقد اضحكتني دهرا طويلا •
• اذا قبح البكاء على قتيل • رايت بكاءك الحسن الجميلا •
ومنه • يؤرقني التذكر حين امسي • ويردعني مع الاحزان نكسي •
• على صخر واي فتى كصخر • ليوم كريهة وطعان خلس •
ثم قالت • وما يبكون مثل اخي ولكن • اعز النفس عنه بالتاسي •
ومنه • اعيني جودا ولا تجمدا • الا تبكيان لصخر الندى •
• الا تبكيان الجرئ الجيدا • الا تبكيان الفتى السيدا •
• طويل النجاد رفيع العماد • ومن ساد عشيرته امردا •

ومنه • وان صخرا لتأتم الهداة به • كانه علم في راسه نار •
وسال الخليفة المهدي عن افضل بيت قالته العرب فذكر له هذا فاعطاه
ثلاثين الف درهم بعد ان مثل ابن علية دينا عشرة الاف درهم وراها عمر
رضي الله تعالى عنه تطوف بالبيت لاطمة خدها معلقة نعل صخر في خمارها فوعظها
فقالت رزيت فارسا لم يرزا احد مثله فقال ان في الناس من هو اعظم رزية
منك وان الاسلام قد غطى ما كان قبله وان هذا لا يحل لك لطم وجهك ولا كشف
راسك فكفت وحضرت حرب القادسية مع بنيها اربع رجال فحرضتهم على الثبات
ثم بلغ تحريضهم قالت اذا رايتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت نارا على اوراقها
فتيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة
فتقدموا حتى قتلوا الكل فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وارجو ان يجمعني بهم في مستقر
الرحمة وكان عمر رضي الله تعالى عنه يعطيها ارزاقهم لكل مائتان حتى قبض رضي الله تعالى
عنهم سدتم الناس اباالحسنان لو ذويهما فالمراد بالناس بالنسبة
اليهم الكل لكن بالنسبة لما فيهم من البضعة الكريمة التي لا يعادلها شيء واما
بقية آل البيت فالمراد بالنسبة اليهم من عدا الصحابة وهذا كله بالنظر الى
النسب واما بالنظر الى السيادة بالتقى فهو خاص بالمتقين منهم وخصهم
بذلك لانه جاء عن كثير منهم من التقوى والزهد والعبادة والعلم والمعرفة
ما لم يجئ من غيرهم وبهذا يجاب عما يورد على الناظم ان السيادة حيث التقى
لا تختص بهم والكلام انما هو فيما اختصوا به ووجه الجواب تميزهم
على اكثر الناس بتقى لم يصل اليه غيرهم والمعنى كما سدتم الناس بالنسبة
سدتموه بزيادة التقى الذي لا يوجد في غيركم وهو ان جماعة قالوا ان الغالب
لا يكون الا منهم ومع ذلك كله ففي النظم ايهام الان يقال سيادتهم

الناس بالنسب اشهر من ان تذكر ودليل الاول اعني السيادة من حيث
النسب الذي هو اشرف الانساب اية المباهلة قال بعض محققي المفسرين
فيها لا دليل اقوى من هذا على فضل فاطمة وعلي وبنيهما رضي الله تعالى عنهم
اي لانها لما نزلت دعاهم صلى الله عليه وسلم ثم احتضن الحسن واخذ بيد الحسين
ومشت فاطمة خلفه وعلي خلفها فعلم انهم المرادون من الاية وان اولاد
فاطمة وذريتهم يسمون ابناءه وينسبون اليه نسبة حقيقية نافعة في الدنيا
والاخرة ويدل لذلك ما صح انه صلى الله عليه وسلم خطب فقال ما بال اقوام يقولون
ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفع قومه يوم القيامة بلى والله ان رحمي
موصولة في الدنيا والاخرة الحديث واخرج الطبراني حديث ان الله عز وجل جعل ذرية
كل نبي في صلبه وان الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب وروى
غيره نحو ذلك من طرق وفي بعضها زيادة اذا كان يوم القيامة دعي الناس
باسماء امهاتهم سترا عليهم الا هذا وذريته فانهم يدعون باسمائهم لصحة ولادتهم
وذكر ابن الجوزي ذلك في العلل المتناهية مردود بان كثرة طرقه ترقيه الى درجة
الحسن بل الصحة ويؤيده ما صح عن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما عدا سببي ونسبي وفي رواية زيادة
الصهر والحسب وكل بني انثى عصبتهم لابيهم ما عدا ولد فاطمة فاني
انا ابوهم وعصبتهم وجاء حديث اخر بسند رجاله اكابر اهل البيت ان عمر
قال ذلك لما زوجه علي بنته من فاطمة ام كلثوم وانكار جماعة من متاخري
اهل البيت ان عليا لم يزوجها لعمر ليس في محله واقرار الصحابة لعمر
على هذا الاستدلال صريح في رد ما عارضه من اقاويل شاذة في هذه المسألة
لاسيما ما لبعض بني امية في ذلك ودليل الثاني اعني التطول الى السيادة بالتقوى

ما صح انه لما نزل في قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين دعا صلى الله عليه وسلم
بطون قريش وعمم وخص وقال للكل لا اغني عنكم من الله شيئا غير ان لكم رحما سابلها
ببلالها اي ساصلها بصلتها ومعنى ذلك انه لا يملك لاحد نفعا ولا ضرا لكن الله
يملكه نفع اقاربه بل وامته بشفاعته الخاصة والعامة واخرج الطبراني الحديث
ان اهل بيتي هؤلاء يرون انهم اولى الناس بي وليس كذلك ان اوليائي منكم المتقون
من كانوا وحيث كانوا وصحح الحاكم حديث وعدني ربي في اهل بيتي من اقر منهم
بالتوحيد ولي بالبلاغ ان لا يعذبهم واخرج احمد حديث والذي بعثني بالحق نبيا
لو اخذت بحلقة الجنة ما بدأت الا بكم وجاء في حديث ضعيف ان فاطمة
احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار وفي رواية ان عليا قال يا رسول الله
لم سميت فاطمة قال لان الله تعالى فطمها وذريتها على النار نعم اخرج الطبراني
بسند رجاله ثقات ان الله غير معذبك ولا احد من ولدك وورد يا عباس
ان الله غير معذبك ولا احد من ولدك ولا ينبغي لاحد من ال البيت ان
يغتر بذلك لانه استفيد من قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق ان اهل بيتي
هؤلاء يرون انهم اولى الناس بي وليس كذلك ان اوليائي المتقون الخ وحديث
البخاري ومسلم ان ال بني فلان ليسوا لي باولياء انما ولي الله وصالح المؤمنين
ان نفع رحمه وقرابته وشفاعته للمذنبين من اهل بيته فان لم ينتف لكن
ينتفي عنهم بسبب عصيانهم ولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسب
اليه صلى الله عليه وسلم بارتكابهم ما يسوؤه صلى الله عليه وسلم عند عرض عملهم عليه
ومن ثم يعرض صلى الله عليه وسلم عن بعض من يقول منهم يا محمد في القيامة
لم يرد ان يشفع لي فيقول صلى الله عليه وسلم لا املك لك من الله شيئا كما في الحديث
وتامل قول الحسن بن الحسن السبط رضي الله تعالى عنهما لبعض الغلاة

باصحابك الذين هم بعدك فينا الهداة والاوصياء

وبكل احبونا الله تعالى فان اطعنا الله تعالى فاحبونا وان عصينا الله تعالى
فابغضونا وبكل لو كان الله نافعا بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم
بغير عمل لنفع ذلك من هو اقرب اليه منكم او كابي طالب والله اني اخاف
ان يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين وان يؤتى المحسن منا اجره
مرتين وكانه اخذ ذلك من قوله تعالى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة
يضاعف لها العذاب ضعفين وقال موسى بن علي بن الحسين بن علي
عن ابيه عن جده انما شيعتنا من اطاع الله وعمل اعمالنا وبه يعلم ان
الفرقة المسماة بالشيعة ليسوا من شيعة ال البيت وانما هم من شيعة ابليس
لعنهم الله كما في الحديث الذي رواه الدارقطني وقال ان له عندي طرقا كثيرة يا ابا
الحسن انت وشيعتك في الجنة وان قوما يزعمون انهم يحبونك يصغرون الاسلام
ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبذ يقال لهم الرافضة
فان ادركتهم فقاتلهم فانهم مشركون وفي رواية قالوا يا رسول الله ما العلامة فيهم
قال لا يشهدون جمعة ولا جماعة ويطعنون على السلف الذين يدعون سباقة
وينقمون عليكم كسفها بني امية او المراد **وسواكم** غيركم الذين يجعلون بعلكم
لا سيادة لهم في الدين اصلا بل ولا في الدنيا عند الكمل وانما **سودته** عند
الجهلا مثله وافرد الضمير نظرا للفظ سوى **البيضا** اي الفضة البيضاء **والصفر**
اي الذهب اي طمع الناس في ماله فهو من لشدة الاحتياج اليهما اكثر من غيرهما
وفي سودته الاشتقاق والبيضا والصفر التدبيج **و** اقسم عليك
باصحابك جمع صاحب وهو اجتمع مؤمنا ولو طفلا او اعمى بالنبي صلى الله
عليه وسلم في حياته مؤمنا ومات مؤمنا وحذف الشارح كشيخه الجلال المحلي
رحمهما الله تعالى لهذا الاخير فيه نظر وابهام وان وقع في ضيع احمد بن حنبل رضي الله

عنه في سنده ما يؤدي اليه ذلك كما بينته في محل اخر **الذين هم بعدك فينا**
الهداة اي الدالون الامة على الله تعالى بما يجب له ويجوز عليه وعلى رسوله لذلك
وعلى شريعته وعلى تهذيب النفوس وكمال الاخلاق والجهاد في الله تعالى وغير
ذلك ما يليق بكل بما ذكر وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم
بعدي بايهم اقتديتم واستخلص من هذا المقام اخص اوان بذلك فقال
اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر **والاوصيا** اي الذين وصيتهم بالقيام
بامور الدين والمحافظة عليها ففتحوا الامصار والبلاد وساسوا الامة ونشروا
فيها علوم الكتاب والسنة حتى خضعت الروس لمعاليهم وابادوا اهل الزيغ
عن اخرهم فلم يبق منهم رئيس ولا مرؤوس وانما حملت الاوصيا على ما ذكر ردا
على من زعم انه صلى الله عليه وسلم وصى بالخلافة لابي بكر وعلي ووجه الرد ان الذي
دلت عليه صرائح السنة ووقع عليه اجماع من يعتد به ان صلى الله عليه وسلم لم يوص
في امر الخلافة بشي صريح والا لهلكت الامة لو خالفوا ذلك النص فاقتضت
المصلحة العامة وشفقته صلى الله عليه وسلم على امته لا ينص عليها صريحا وانما اشار
صلى الله عليه وسلم اليها لابي بكر باشارات تقرب من الصريح كما بينتها في الكتاب السابق
ذكره ولعل تلك المصلحة التي ذكرناها في عدم التصريح هي التي ظهرت له صلى الله
عليه وسلم لما طلب في مرض موته دواتا وقرطاسا ليكتب فيه ما لا يختلفون معه
لكن بعضه اللغط فمن يريد الكتابة ليقع التصريح وينقطع العذر ومن يريد
عدمها احترازا من مخالفة النص الموديه الى هلاك المخالف فلذا ترك صلى الله
عليه وسلم الكتاب والدليل على انه انما تركه لمصلحة انه مكث بعد ذلك المجلس
اياما ولم يذكر ذلك ولا طلبه ولو كان فيما طلبه مصلحة عائدة على احد لم يترك
ذكره وان وقع اغلظهم بما وقع فسكوته صلى الله عليه وسلم اوضح دليل على ما تقرر

س

تحز

احسنوا بعدك الخلافة في الدين وكل لما تولى اذا اغنيا تزاهد فقرا

بالقيام احسنوا بعدك اي بعد وفاتك الخلافة عنك في الدين
بجميع ما يجب او يحسن مراعاته من الامور الظاهرة والباطنة حيث اجمعوا
على استخلاف ابي بكر رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه ثم على استخلافه لعمر ثم
على استخلافه اصحاب الشورى ثم عثمان ثم على مبايعة علي فقد ابتة الحق ثم
بعد نزول الحق لمعاوية على ولاية معاوية رضي الله تعالى عنهم وحيث نصبوا
كلهم نفوسهم لمجاهدة الاعدا ولنشر العلوم الى ان تحملها عنهم التابعون
فمن بعدهم جزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خيرا وكل منهم لما تولي
في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته من الخلافة او الامارة والقضا والتجهيز
الجيوش وحفظ الثغور والحصون وغير ذلك من امور الدنيا والدين على ان
جميع امورهم انما كانت للدين لا لغير اذا تكبر العزه لكتاب وبالراي اي قبر
بما تولاه اهل له في اي بقعة او زمن كان كيف وهم جميعهم عدول كما نطق
به القران ومن وقعت منه منهم هفوة فقد كفرت عنه بحدا وتوبة
اغنيا تزاهد اي من جهة التزاهد والتعفف عن جميع المال وانما
كان من جهة يقطع تحملها لان محل تطوهر انما التجرد المطلق عن ساير
القواطع عن الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى بكثرة العرض اي المال
وانما الغنى غنى النفس اي بالله عما سواه سوا الكان بيدها مال ام لا ومن كان
منهم بيده مال كابن عوف وعثمان والزبير فانما كان خازنا لله تعالى يصرفه في
مصارفه الشرعية فهو متقنيه لا للتجرد ولا للمباهاة ولا للمحبة جمع ذلك والحطام
الفاني ولذلك ان عبد الرحمن بن عوف اعتق ثلاثين الف رقيق وتصدق هو
وعثمان في غزوة تبوك باثيهم العقل وكان للزبير الف عبد تودي اليه
الخراج ومامات الا وعليه قدر كثير جدا من الديون وكون عن عبد الرحمن

ابن عوف بتمنه ثمانون الف دينار لا ينافي ما تقرر انه انما كان خازنا لله تعالى لان
الخازن ليس معناه انه يخرج جميع ما في يده دفعة بل يبقيه ويخرج منه ما هو
المطلوب منه في كل حال او زمن واما اخراجه صلى الله عليه وسلم لجميع ما كان
يدخل في يده دفعة فهو اما لاحتياجه لذلك لسد ضرورات المحتاج او لان
حاله في الامور الخارقة للعادة لا يقاس غيره على الناس به فيها فلا يكلف بذلك
وتخلف ابن عوف عن الفقرا في دخول الجنة الوارد انما الكونه يقف ليشفع او
ليبان سوال تكريم عما انعم به عليه او جبرا لخاطر الفقرا بذلك وكل ذلك
غير قادح في فضله رضي الله تعالى عنهم فقرا اي عالمين بالكلية لان
ذوي الغنى منهم كان خزانا لله تعالى كما مر فلا يعدون من الاغنيا
الا باعتبار الصورة او باعتبار الحقيقة فهم على غاية من الافتقار الى الله تعالى
ببواطنهم وظواهرهم لا يشهدون لنفوسهم بالا ولا وانما يعدون انفسهم خزنة
لا غير وبما تقرر علم معنى غناهم وفقرهم نعلم ان الغني الشاكر افضل من الفقير
الصابر وهي مسئلة كثر الاختلاف فيها والحق منه ما قررته كما علمت ان الغني
هو الذي ختم به امره صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم كان دايم الترقي في الكمالات
فلولا ان الغني مع الشكر افضل من الفقر مع الصبر لما ختم له به صلى الله عليه وسلم
قيل ومحل الخلاف ان الفقر مع الصبر كما تقرر واما الفقر مع الرضى فهو افضل
قطعا انتهى وفيه نظر واضح لانه صلى الله عليه وسلم كان في ابتدا امره مع فقره على
غاية من الرضى لم يصل اليها غيره ومع ذلك لم يختم له الا بالغنى مع الشكر كما تقرر
وبفرض صحة هذا القول فغالب فقرا الصحابة يفضلون اغنياهم لانهم
راضون بفقرهم قطعا وبين الاغنيا والفقرا التضاد وكذا بين ايمة وامرا وبين
الرضى والاغلا الاثبات هم علما ايمة لانهم ورثوا من علومه صلى الله

علما ايمة امراء زهدوا في الدين فما عرف الميل اليها منهم ولا الرغباء

عليه وسلم ما تميزوا به على جميع من جاء بعدهم وفي الحديث اصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم وهذا بالنسبة لاكثرهم والا فقد جاء ان نحو الحسن
البصري رحمه الله تعالى كان يفتي اصحابه في زمنه وقال صلى الله عليه وسلم
في الحديث المتفق عليه في خطبة الوداع رب مبلغ اي بفتح اللام اولى
من سامع امراء اي كثيرون منهم قوله الامارة في زمن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفي زمن الخلفاء الراشدين فقاموا بحقوقها وبروا وعدلوا
ومن شهيرهم بعض المشهورين سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه
لما كان اميرا على الكوفة بعد مر العدل فيهم دعا عليه بدعوات استجيبت
فيه عاجلا حتى صار عبرة للناس ومنها ان الله تعالى يطيل عمره ويعرضه
للفتن فكان وقد ذهب حاجبيه قد سقط على عينيه من الكبر يتعرض للجواري
في الاسواق ويقول شيخ سوء اصابته دعوة العبد الصالح سعد رضي الله تعالى عنه
وما بيده لعلو اغنيا تراءة لاغيرانه زهدوا في الدنيا بضم الدال
وحكى ابن قتيبة كسرها فعلى من الدنو لقربها لسبقها الاخرى وقيل
لدنوها من الزوال وهو ما على وجه الارض وقيل كل المخلوقات وقيل
المخلوقات من الجواهر والاعراض وتطلق على كل من ذلك مجازا كما هنا فان
المراد بها هنا الاموال وتوابعها من نحو الجاه والكبر والفخر والخيلاء ولفظها
مقصور بلا تنوين حيث لا لام فيها وحكي تنوينها واستشكل ابن مالك
استعمالها منكرة كما في الحديث واجاب بانها انخلعت عنها الوصفية
واجريت مجرى ما لم يكن وصفا قط كرجعي رشد الصحابة رضي الله تعالى عنهم
في الزهد فيها وهو اخذ ما يحتاج اليه من الحلال ما لا يحتاج اليه منه هو
على تمكين فالكرام ترك السعي في تحصيلها بالكلية واشتغل بالعلوم

والمعارف

رخصوا في الوغى نفوس ملوك حاربوها اسلابها اغلاء

والمعارف ونشرها وبالعبادات حتى لم يبق من اوقاته شيا الا وهو مشغول
بشي من ذلك وكثير منهم حصلوها لكن كانوا فيها خزانا لله تعالى كما مر وهذا
لا ينافي زهدهم فيها لانهم لم يمسكوها لانفسهم بل لاخراجها على مستحقها
بحسب نظرهم واجتهادهم واذا تقرر ان زهدهم بقسميه فيها
حقيقي فما عرف الميل اليها منهم بنوع التفات ولا اقبال
لحقارتها في اعينهم ولا الرغباء اي الزيادة في تحصيلها وهذا اعلم
من نفي الميل بالاولى فذكره لمجرد ايضاح وفيه من البديع ذكر التطبيق
والتذييل ولا ينافي هذا ثناؤه صلى الله عليه وسلم على المال بقوله نعم المال الصالح
في يد الرجل الصالح ودعاؤه صلى الله عليه وسلم لاناس من الصحابة كابن عوف
وانس وغيرهما وكثرة اموالهم جدا لان المال له جهات جهة خير يصرفه
في الطاعات والاعانة على قيام امور الديانات وبالنظر اليها يثني عليه
وجهة شر يصرفه في ضد ذلك وبالنظر اليها يذم ويقبح ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم في الحديث الوارد بسند حسن خلافا لمن وهم فيه اللهم من احبني
فاقلل ماله واست ولده الحديث وقد بسطت الكلام على ذلك مع استيعاب
ما ورد في مدح الدنيا وذمها والجمع بين تلك الاحاديث في كتابي سعادة الدارين
في صلح الاخوين بما لا يستغني عن مراجعته ارخصوا في الوغى اي
بسبب الحرب الواقع منهم لاعدائهم في الوقايع المشهورة ومر ان اطلاق
الوغى على الحرب مجاز لا حقيقة نفوس ملوك كثيرين فكيف بغيرهم
حاربوها بقوة عزم وشدة حزم وصدق نية واخلاص طوية فنصرهم
الله عليهم بقتل بعضهم تارة وازالة ملك اخرين اخرى اسلابها بفتح
الهمزة جمع سلب بفتح اللام وهو ثياب القتيل وفرسه وما عليها من

ملوك

كلهم في احكامه ذو اجتهاد وصواب وكلهم اكفاء

الات السلاح والنقد وجنيبة تقاد بين يديه وليس المراد خصوص جمع القلة لانه جمع مضاف للبدل الذي هو جمع الكثرة واضافة الجمع تفيد عمومه اماني الافراد وهو التحقيق او في المجموع وعليه كثيرون **اغلا** بكسر الهمزة اسم مصدر لغلا السعر بمعني اسم الفاعل اي غالية الاثمان وفي بعض النسخ ضبطه بفتح الهمزة وكانه جمع غال كدا او اد واوبه يندفع قول الشارح لا وجه له انتهي بل وجه اظهر من الاول لان المصدر واسمه علي الجمع يحتاج لتاويل كما اشرت اليه بخلاف حمل الجمع علي الجمع واما قوله علي المعني الاول المعني انه كما كان القتل ارخاصا للنفوس اي فالاسلوب اي اخذها اغلا للاسلاب وقال قبله علي المعني الاول ايضا وكانه اي الناظم يقول انهم لما ارخصوا النفوس بحاربهم بالقتل فقد اغلوا اسلابهم بواسطة كثرة ما سلبوه واجتمع عندهم من الاسلاب فقابل بين ارخاص الانفس واغلا الاموال التي هي الاسلاب الماخوذة ممن قتلوه لكثرة ما قتلوه وسلبوه انتهي ففي كلامه المعنيين بعد وخفا والوجه ان المعني عليه انهم لما ارخصوا تلك النفوس عوضهم الله تعالي تلك الاسلاب الغالية الاثمان علي حد رجل عدل اي عادل ورجال عدل اي عادلون فكما ان المصدر هنا اول باسم الفاعل فكذا ايضا نحن فيه يؤول الاغلا بالغالية وهذا هو المعني علي فتح الهمزة مساوي المكسور المفتوح **كلهم في احكامه** جمع حكم والحكم الشرعي خطاب الله تعالي المتعلق بفعل المكلف بالاقتضا او التخيير وحكم الحاكم يظهر ذلك ويطلق ايضا عند الاوليين علي النسب التامة المثبتة تارة والمنفية اخري كما في قولهم الفقه العلم بالاحكام الشرعية وهذا هو المراد هنا خلافا لما يوهمه كلام الشارح **ذو اجتهاد** صحيح لتوفر شروط الاجتهاد



كلها في جميعهم بزيادة ولذلك لم يعرف انه قلد غيره في مسئلة من المسائل وكان الناس يستفتون كل من راوه منهم فيفتيه باجتهاده ولا يعترض احد منهم من يقوله او يعارضه بمثله وهذا رد علي قوم سلبهم الله الدين والعقل وسلط عليهم الحمق والجهل فاعتقد وا انهم نوا هوي او نفسا او حظا حاشاهم الله في ذلك بل لم يختر هم لصحبة نبيه الا وهم علي اكمل الاوصاف واجلها **وذو صواب** يعني وذو ثواب ولو عبر به لكان اولي لان ابقاه علي حقيقته انما يتاتي علي القول الضعيف ان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تابع لظن المجتهد اما علي الاصح ان المصيب واحد وان له اجرين كما صح به الخبر او عشرة اجور كما في رواية وللمخطي اجر واحد كما صح به الحديث ايضا فلا يقال كلهم ذو صواب بل صوابه ذو ثواب كما تقرر فيما مله فعلي الاول كل من علي ومعاوية رضي الله تعالي عنهما مصيب وعلي الثاني علي مصيب له اجران او عشرة اجور ومعاوية في خروجه علي علي مخطي له اجر واحد والاجتهاد بذل الوسع في تحصيل المقصود ثم ان وافق ما عند الله تعالي فصواب والا فخطا فان قلت يمكن تاويل النظم بان مراده وصواب عند نفسه باعتبار انه يتحتم عليه بما ظنه وان لم يكن صوابا في نفس الامر قلت هو تاويل بعيد علي ان هذا لو كان مرادا لم يبع له فيه هذا الاطلاق الموهم **وكلهم اكفا** اي متكافئون في اصل الصحبة والفضيلة والعلم والاجتهاد وابراز الاحكام لله تعالي لا لحظ ولا لهوي وانما يتفاوتون في الزيادة في ذلك ومن ثم لا ينافي قول ابن عمر ابو بكر اعلمنا ولا سوال عمر لعلي فيجيبه فيقول لا ابقاني الله لمعضلة ليست فيها يا ابا الحسن ولا تقديم عمر لابن عباس علي الاكابر من مشايخ المهاجرين والانصار لانه كان يجد

رضي الله عنهم ورضوا عنه اي يخطوا اليهم خطا

عنده من العلم ببركة دعا النبي صلى الله عليه وسلم بان الله يفقهه في الدين ويعلمه
التاويل ما ليس عندهم ولا سوال معاوية لعلي بالارسال اليه في المشكلات
فيجيبه ولقد قال له احد ابنيه لم تجيب عدونا فقال اما يكفينا انه احتاج
الينا وسالنا واجمعوا على ان افضل الناس بعد الانبيا عليهم الصلاة والسلام ابو بكر
ثم عمر ثم علي والاصح عثمان ثم علي ثم بقية العشرة المبشرون بالجنة ثم
اهل بدر ثم اهل بيعة الرضوان وقيل اهل احد رضي الله عنهم ورضوا عنه
اقتباس من قوله تعالى والسابقون الاولون الى ان قال رضي الله عنهم ورضوا عنه
ورضى الله عن العبد تامينه من سخطه واحلاله تكريمه ورضى العبد عنه ان لا يختلج
في سره ادنى حرازة من وقوع قضاه من اقضية الحق به بل يجد لذلك في قلبه
برد اليقين وثلج الصدر وشهود المحبة العظمى وزيادة الطمانينة وبين
رضي ورضوا اشتقاق ليخطوا وخطا الاتيتين حسب ما ذكر من اوصافه
وختمها باي الاية من جعلهم اي استفهام انكاري تعجبي اي كيف يخطوا
اليهم اي يحمل اليهم اذ الخطوة ما بين القدمين خطا ونقيض
الصواب يعني لا يخطي احد منهم خطايا ثم به لما مر انهم كلهم مجتهدون
وان المجتهد اذا اخطا له اجر وهذا كالذي يقله ماخوذ من عدة احاديث
ذكرتها في الصواعق السابق ذكره مع ذكر مخرجيها وهنا اذكر منها جمله
عريت عن ذكره اتكالا على اسانيدها ثم منها ان الله اختار لي اصحابا فجعل
منهم وزرا وانصارا واصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملايكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا اي لا فرضا ولا نفلا وفي رواية فمن
حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله
عنه ومن تخلى الله عنه يوشك ان ياخذه اذا اراد الله برجل من امتي

جا قوم من بعد قوم بحق على المنهج الحنيفي جاؤا

خير الحق حب اصحابي في قلبه اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم
ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن
اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه ما شانكم وعثمان اصحابي
ذروا لي اصحابي فو الذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك
مثل احدهم يوما واحدا وفي رواية للشيخين وغيرهما لا تسبوا اصحابي فو الذي
نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه من
لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني خير الناس قرني الذي انا فيه
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث وهم اول داخل في قوله تعالى كنتم
خير امة اخرجت للناس ولا مقام اعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة
نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته جا اي النبي صلى الله عليه وسلم قوم من الصحابة
رضي الله تعالى عنهم من بعد قوم وهكذا السابقون الاولون ثم الذين
بعدهم وهكذا الى وفاته صلى الله عليه وسلم وكان الناظم اشار بهذا الى ما في
اول صحيح البخاري من هرقل انه سال ابا سفيان رضي الله تعالى عنه عن اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم ايزيدون او ينقصون فقال بل يزيدون وانه هل يرتد
احد منهم سخطة لدينه فقال لا فبين له ان من شان الرسل ان اصحابهم كذلك
فعلم ان مجي الصحابة قوما من بعد قوم من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم واندفاع
ما قد يقال اي فايدة في هذه الجملة من كلام الناظم وهل هي لمجرد اخبار
بواقع لا يترتب عليه فايدة اذ لا فرق بين مجيئهم اليه دفعة او دفعات
وكلهم متلبسون بحق فلا مطعن فيهم لطاعن وما نقمه الرافضة
ونحوهم عليهم فلم يصح منهم شي اصلا وانما هو من مغالاة الجاهلين ووقع

خير

مالموسي ولاعيسي حواريون في فضلهم ولانقباءُ بابي بكر الذي صح للناس به حياتك الاقتدا

المعتدين وعلى المنهج اي الطريق الواضح الحنيفي المستقيم الذي لا انحراف
فيه ولا اعوجاج جاءوا كلهم وتابعوهم باحسان وبعد لا تزال طائفة
من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتيهم امر الله وهم
على ذلك ما لموسى كليم الله تعالى ولا لعيسى روح الله صلى الله عليه وسلم
حواريون جمع حواري وهو الناصر وجعل ذلك علما بالغلبة على اصحاب
عيسى عليه الصلاة والسلام لانهم كانوا يحردون الثياب اي يقصرونها او من
الحوار اي الرقيق الابيض لبياض الوانهم في فضلهم بشهادة نص كنتم
خير امة اخرجت للناس وحديث خير القرون ومن رواية قرني وحديث [الناس]
المناجاة ان موسى راى لهذه الامة في اللوح اوصافا فابهرته فقال يا رب
اجعلني منهم ولا نقبا في فضلهم ايضا وهو لف ونشر مشوش اذ الحواريون
لعيسى والنقبا لموسى ولما اقسم بالصحابة كلهم اجمالا خصص العشرة
المقطوع لهم بالجنة مرتبا للاربعة الاول منهم على ترتيبهم في الافضلية والاحقية
بالخلافة فقال واقسم عليك بابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه منه
عطف على بالعلوم بحذف حرف وبصح اعد وما بعده ابدال تفضيلية من
اصحابك الذي تميز عن ساير الصحابة رضي الله تعالى عنهم بما كان الصريح في
انه الخليفة الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه افضلهم بل افضل ما عدا
الانبيا والمرسلين كما صح به حديث ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد [احد]
النبيين والمرسلين افضل من ابي بكر وهو ما صح من طرق كثيرة بحيث اشتهر
بل تواتر وصار معلوما بالضرورة كما قاله الاشعري مثله المريسيع احدمت
المتبدعة انكاره للناس به في حياتك الاقتدا فاعل صح والظروف
متعلقة به فمن تلك الطرق ما اخرجه الشيخان اشتد مرض النبي صلى الله

علي

عليه وسلم فقال مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عايشة رضي تعالى عنها
يا رسول الله انه رجل رقيق اذا قام مقامك لم يستطع ان يصلي بالناس
فقال صلى الله عليه وسلم مروا ابا بكر فليصل بالناس فعاودت فقال مروا ابا بكر
فليصل بالناس فانكن صواحب يوسف فاتاه الرسول فصلى بالناس في حياة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية انها لما راجعته فلم يرجع لها قالت
لحفصة قولي له يامر عمر فقالت له فاشتد غضبه وقال مروا ابا بكر وفي
اخرى ان الحامل لعايشة على ذلك خوفها ان يتشاءم الناس به لقيامه مقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه وفي اخرى انه امرهم بالصلاة
وكان ابو بكر غايبا فتقدم عمر فكبر وكان صيتا فقال صلى الله عليه وسلم بعد ان اخرج
راسه مغضبا لا لا يابى الله والمسلمون الا ابا بكر ثلاثا وفي اخرى انه فجر الاثنين يوم موته
كشف سجف حجرته فراهم في صلاة الصبح وابو بكر يصلي بهم فتبسم يضحك فنكص
ابو بكر على عقبيه ظنا انه يريد الخروج اليهم وهم المسلمون ان يفتتنوا في صلاتهم
فرحا به صلى الله عليه وسلم فاشار اليهم بيده ان اتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخى
الستر فتوفي ضحى وفي البيت التلميح بهذه القصة قال العلما فيه اوضح دليل على
انه افضل الصحابة مطلقا واحقهم بالخلافة واولاهم بالامامة ومن ثم
اجمعوا على ذلك لان تقديمه بحضرة المهاجرين والانصار مع قوله يؤم القيامة [القوم]
اقرؤهم لكتاب الله تعالى اي اعلمهم بالقران صريح في انه اعلمهم مطلقا وقد
استدل الصحابة انفسهم بهذا على انه احق بالخلافة منهم عمر قال
امره النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي بالناس واني لشاهد ما انا بغايب
وما بي مرض فرضينا لدنيانا ما رضيه صلى الله عليه وسلم لديننا وما احسن
قول من قال صلى بالناس ثمانية ايام والوحي ينزل فسكت الله وسكت

والهدى يوم السقيفة لما ارجف الناس انه الد وا

رسوله صلى الله عليه وسلم وسكت المرموقون وبين الظواهر والصرايح على خلافته
منها ما اخرجه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لعايشة في مرض موته ادعي
لي اباك واخاك حتى اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى متمن ويقول
قايل انا اولى ويابى الله والمومنون الا ابا بكر وفي رواية اكتب لابي بكر
كتابا لا يختلف عليه احد ثم قال دعيه معاذ الله ان يختلف المومنون
في ابي بكر وصح ان قوما سالوا انسانا ان يسال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى من يدفعون زكاتهم بعده فساله فقال الى ابي بكر واخرج الشيخان ان
امراة اتته فامرها ان ترجع اليه فقالت ارايت ان جيتك ولم اجدك كانها
تقول الموت فقال صلى الله عليه وسلم ان لم تجديني فاتي ابا بكر ومنها ما اخرجه
الشيخان من علة طرق انه صلى الله عليه وسلم راى انه على بير لم تطو فنزع منها
بدلو فاخذ الدلو من يده ابو بكر فنزع منها دلوا او دلوين فلما اخذها عمر
من ابي بكر فاستحالت في يده غربا اي دلوا كبيرة فاستقى منها حتى ضرب الناس
بعطن ايد واخاله العلما هذه اشارة الى خلافة ابي بكر رضي الله تعالى عنه
وقصر مدته وطول مدة عمر رضي الله تعالى عنه بكثرة الفتوح وظهور الاسلام في زمنه
وثبتت ادلة اخرى صحيحة ايات واحاديث كثيرة تدل على حقيقة خلافته
وانه اعلمهم وافضلهم بينتها تم بيان في كتابي الصواعق المابو ذكر
والهدي اي المسكن الفتنة والاضطراب في امر الخلافة يوم السقيفة التي
لبني ساعدة من الانصار حين اجتمعوا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فيها الى سعد
ابن عبادة سيد الخزرج ليولوه لما اي حين ارجف الناس اي اضطربوا
في امر الخلافة وفي المهدي اي المسكن وارجب والقرب والاباعد وتوجب كونها للا
ويحصل المطابقة انه تعليل للمهدي ولا ينافيه ذكر ان لا نهاية كونها

قد يفيد التعليل ايضا كما مر جوابه في ان الحمد والنعمة لك في التلبية الداوا الي
المسكن للاضطراب لانه وكان مراده انه المشهور قديما وحديثا مانه يسكن الفتن
ويجلي كربتها ففي الصحيحين عن عمر رضي الله تعالى عنه انهم لما دفنوا النبي صلى الله عليه
وسلم تخلف علي والزبير ومن معهما في بيت فاطمة وتخلفت الانصار باجمعها في
سقيفة بني ساعدة واجتمع المهاجرون الى ابي بكر فقال له عمر انطلق بنا
الى الانصار فذهبوا اليهم فلما جلسوا قام خطيبهم فخطب واثنى على الله تعالى ثم
مدح الانصار والمنب بحيث لم يترك ابدا وختم احاديثهم الا ذكره ثم ذكر ان قوما
يريدون ان يستبدوا بالامر عليهم ثم سكت فاراد عمر ان يخطب بما
زوره اي جمعه في قلبه فاشار اليه ابو بكر بالسكوت ثم خطب واثنى على الانصار
ثم بين ان الخلافة لا تكون الا في قريش واحتج بالحديث الصحيح
الايمة من قريش ثم قال قد رضيت لكم اما عمر وابا عبيدة فخذ بيدهما
وقال بايعوا اي شيت منهما فقام الحباب بن المنذر وتحمس وترفع ثم
قال منا امير ومنكم امير فكثر اللغط وخشيت الفتنة فبادر عمر وقال
لابي بكر ابسط يدك فبسطها فبايعه فتبعه المهاجرون ثم الانصار فقال
قايل قتلتم سعد بن عبادة اي لانه كان به بعض مرض فقال عمر قتله الله اي
لان الاجتماع عنده ربما كان سببا للفتنة فساغ لعمر في اجتهاده رانه بالنسبة
اليه كالشيخ العليل يوديه بما يراه ان يقول في حقه ذلك وصح ايضا احتج على
الانصار بامامة ابي بكر فرجعوا عما كانوا فيه وقالوا نعوذ بالله ان نتقدم ولما
بايعوه صعد الغد على المنبر فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله ثم اثنى على ابي بكر
ثم قال قوموا فبايعوه فبايعه الناس بيعته العامة فخطب ابو بكر
ثم قال وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينوني وان

انقذ الدين بعدما كان للدين على كل كربة اشفاء

اساءت فقوموني المقيمون ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله
فلا طاعة لي عليكم ثم نظر فلم ير الزبير فدعا به فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب
بالخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه واستدل كل منهما على احقيته
بالخلافة بانه صاحب الغار وبتقديمه للامامة وحكى ابن سعد وغيره
ان الصحابة اجمعوا على خلافة ابي بكر يتخلف عنها احد منهم ثم
تبعهم من بعدهم من اهل السنة والجماعة الى الان فهلم وكذا
اكثر الفرق واقسم عليك بابي بكر الفاعل لذلك حال كونه كرم الله
وجهه انقذ بالقاف فالمعجمة الدين وهو ما جاء به النبي صلى الله
عليه وسلم اي نجاه بازالة كل شبهة عنه واهله بازالة اسباب
الفساد بينهم بعدما مصدرية كان اي وجد للدين متعلق
بنحو بعده باسمها وهو اشفا على كل كربة اي غم ياخذ النفس ويصح
كونها ناقصة وللدين خبرها اشفا اي اشراف وقرب يخشى منه
ان لا يجتمع للاسلام بعده شمل ابدا ومن ثم قال ابو هريرة رضي الله
تعالى عنه والله لولا ابو بكر ما عبد الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم
ابدا وايضا فكلهم يوم وفاته صلى الله عليه وسلم طاشت عقولهم حتى
تكلموا بكلمات غير منتظمة الا ابو بكر فانه كان غائبا فلما حضر دخل
وكشف عن الوجه الكريم فقبله وقال طبت حيا وميتا لا يجمع الله
عليك بين موتتين ثم خرج فتلا عليهم وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل الى الشاكرين فلما سمعوها عادت اليهم عقولهم
فتلوها وقالوا حتى عمر انكر موت النبي صلى الله عليه وسلم وقال ذهب
الى ربه فسكتوا فاسكته ابو بكر فسكت فاقبل على الناس فصغوا اليه

وتركوا

انفق المال في رضاك ولا من واعطى جما ولا اكداء

وتركوا عمر فقال للناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن
كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا الاية فقالوا كانا لم نسمعها الا يومئذ فكان
هو المثبت لهم والا لم يجتمع لهم شمل وايضا اختلفوا في محل دفنه اختلافا شديدا
كاد ان يفضي الى الفتنة فروى لهم الحديث ان كل نبي يدفن في المحل الذي توفي
فيه فرجعوا اليه وزال ما كان بينهم وايضا اختلفوا في ارثه اختلافا شديدا
حتى روى لهم الحديث نحن معاشر الانبيا لا نورث ما تركناه صدقة فرجعوا اليه
وبهذا اعلم انه رضي الله تعالى عنه كان احفظهم للسنة وانما سبب قلة الرواية
عنه قصر مدة خلافته واشتغاله بقتال المرتدين ومانعي الزكاة ومسيلمة الكذاب
وحال كونه انفق المال الكثير الذي كان يملكه اي صرفه في مصارف الخير حتى
نفد جميعه في اي بسبب او من اجل رضاك يا رسول الله كما جاء به
القرآن قال تعالى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى الى اخر السورة قال
ابن الجوزي اجمعوا انها نزلت في ابي بكر رضي الله تعالى عنه ففيها التصريح
بانفاقه لماله وبانه الاتقى وهو الاكرم بدليل ان اكرمكم عند الله اتقاكم
والاكرم هو الافضل كما صرح به حديث ما صحب النبيين والمرسلين اجمعين
ولا صاحب يس اي المذكور في سورة يس اي حبيب النجار افضل من ابي بكر
وصح حديث انه ليس من الناس احد امن علي في نفسه وماله من ابي بكر ولو
كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن خلة الاسلام افضل
سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد الا خوخة ابي بكر لانه سيصير خليفة يحتاج
الى ملازمة المسجد اخرج الترمذي في حديث ما لاحد عندنا يد الا وقد كافيناه
ما خلا ابا بكر فان له عندنا يدا يكافيه الله بها يوم القيمة وما نفعني مال احد
قط ما نفعني مال ابي بكر والطبراني ما احد اعظم يدا من ابي بكر واساني

بنفسه وماله وانكحني ابنته والترمذي رحم الله ابا بكر زوجني بنته وحملني
الي دار الهجرة واعتق بلالا من ماله ومانفعني مال في الاسلام مانفعني مال
ابي بكر ولاينافيه حديث البخاري انه صلى الله عليه وسلم لم يأخذ منه الراحلة
الي الهجرة الا بالثمن لاحتمال انه ابراه منه وصح انه كان بينه وبين عمر شي فتقدم
عمر فاتي منزل ابي بكر فلم يجده فاتي النبي صلى الله عليه وسلم فجعل وجهه يتمعر حتي
اشفق ابو بكر فجثي علي ركبتيه فقال يارسول الله انا اظلم منه مرتين فقال
صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني اليكم فقلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت
وواساني بنفسه وماله فهل انتم تاركوا الي صاحبي فما اوذي ابو بكر بعدها
وفي رواية في قصة نظير هذه الاتدعون لي صاحبي ماشانكم وشانه والله
مامنكم رجل الا علي باب بيته ظلمة الا باب ابي بكر فان علي بابه النور
ولقد قلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت وامسكتم الاموال وجاد لي بماله
وواساني واتبعني واخرج احمد واخرون عن جماعة من الصحابة انه صلى الله
عليه وسلم قال مانفعني مال قط مانفعني مال ابي بكر فبكي ابو بكر رضي
الله تعالى عنه وقال وهل انا ومالي الا لك يارسول الله وفي رواية عن ابن
المسيب مرسلا وكان صلى الله عليه وسلم يقضي في مال ابي بكر كما يقضي في نفسه
واخرجه ابن عساكر انه اسلم وله اربعون الف دينار وفي رواية اربعون
الف درهم فانفقها علي رسول الله صلى الله عليه وسلم والبغوي وابن عساكر
انه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عباة قد خللها في صدره بخلال
فقال صلى الله عليه وسلم ياجبريل انفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله
تعالي يقرا عليه السلام ويقول لك قل له اراض انت عني في فقرك هذا
ام ساخط فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه ااسخط علي ربي انا عن ربي راض

ثلاثا وسنده غريب ضعيف جدا وفي رواية ان جبريل هبط متخللا بلحيته
~~ثلاثا وسنده غريب ضعيف جدا وفي رواية ان جبريل هبط~~ واخبران الله امر
ملائكته ان يتخللوا بها كابي بكر قال الحافظ ابن كثير وهذا منكر جدا ولولا انه
كالذي قبله تداوله كثير من الناس لكان الاعراض عنهما اولي وصح عن عمر
رضي الله تعالى عنه امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتصدق فوافق ذلك
مالا عندي فقلت اليوم اسبق ابا بكر ان سبقته يوما فجئت بنصف
مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابقيت لاهلك ياعمر فقلت
مثله ثم جا ابو بكر بماله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابقيت لاهلك يا ابا
بكر فقال ابقيت لهم الله ورسوله فقلت لا اسبقه الي شي ابدا و الحال
انه لا من منة عليك فيما انفقه وان كثر وانما المنة لك عليه وعلي غيره كما
اعترف بذلك هو وغيره والمن ذكر النعمة علي جهة الافتخار ومن ثم حرم تحريما
غليظا علي نحو متصدق المن علي المتصدق عليه بما اعطاه له او بذكره لمن
لايحب اطلاعه عليه قال تعالى لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واعطي
لله عطا جما اي كثيرا في وجوه الخير العامة والمصالح الدائمة فمنها اعطاه
ثمن محل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم كما جا في حديث الهجرة انه صلى الله
عليه وسلم لما وصل قبا واقام به بضعة عشر يوما ركب ناقته ونهي ان ياخذ
احد بزمامها وقال دعوها فانها مامورة فاستمرت الي ان بركت
عند محل مسجده صلى الله عليه وسلم ثم سارت وهو عليها حتي بركت علي
دار ابي ايوب الانصاري من بني النجار اخوال جد النبي صلى الله عليه
وسلم عبد المطلب وكانت دارهم اوسط دور الانصار وافضلها ثم قامت
وبركت في مبركها الاول والقت باطن عنقها بالارض ثم صوتت

وابي حفص الذي اظهر الله به الدين فارعوى بالرقباء

من غير ان تفتح فاها فنزل صلى الله عليه وسلم عندها وقال هذا المنزل ان شا الله
تعالى مثم سام بني النجار في تلك البقعة فاشتراها منهم بعشرة دنانير وزنها
من مال ابي بكر رضي الله تعالى عنه وكان قد خرج بماله كله فكان له من السبب نحو ذلك
المسجد الاعظم بما اقتضى توصل ثوابه اي جدا لا يقدر قدره واشترى ايضا جماعة
اسلموا فعذبهم اهل مكة العذاب الاليم منهم بلال واعتقهم **ولا اكرا** لهم ولم
يتطلع اعطاه بل استمر عليه حتى توفاه الله تعالى **ولي** اي واقتدى عليه بابي
حفص الذي اظهر الله به الدين كما جا في سبب تسميته بالفاروق
اخرج ابو نعيم في الدلايل وابن عساكر عن ابن عباس انه سيل عن سبب تسميته
بالفاروق فذكر ان حمزة اسلم قبله بثلاثة ايام ثم انه خرج الى المسجد فسب ابو
جهل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر حمزة فاخذ قوسه وجا فضرب بها راس ابي
ابي جهل فقطعه فسالت الدما فاصلحت بينهم قريش مخافة الشر والنبي صلى
الله عليه وسلم مختف بدار الارقم فانطلق حمزة فاسلم وبعده بثلاثة ايام اخبر
عمر على من اسلم فقال له ان اختك وختنك اي سعيد بن زيد احد العشرة
المبشرين بالجنة قد اسلما فضرب وامسى اخته وادماه فقالت له كان
ذلك على رغمك فاستحى حين راى الدما وجلس وسالها ان تريه الكتاب
فقالت لا يمسه الا المطهرون فاغتسل فاخرجوا له صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم
طه ما انزلنا عليك القران لتشقى الا تذكرة لمن يخشى الايات فعظمت
في صدره فقال خباب وكان النبي صلى الله عليه وسلم ارسله ليعظ اخته وزوجها
اني لارجوا ان يكون الله خصك بدعوة نبيه فاني سمعته امس يقول
اللهم اعز الاسلام بعمرو بن هشام اي ابي جهل او بعمر بن الخطاب فقال
دلني عليه فتوشح سيفه وذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فضرب الباب

الامام والذي يقرب الاباعد في الله اليه ويبعد الغرباء

فاستجمع القوم فقال لهم حمزة ما لكم قالوا عمر قال وعمر افتحوا الباب فان
اقبل قبلناه فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج فتشهد عمر فكبر اهل الدار تكبيرة
سمعها اهل المسجد فقلت يا رسول الله السنا على الحق قال بلى قلت ففيم الاخفا
فخرجنا صفين انا في احدهما وحمزة في الاخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الي والى
حمزة فاصابتهم كآبة شديدة فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يوميذ وفرق
الله بي بين الحق والباطل وفي رواية انه لما اظهر الاسلام صاروا يضربونه ويضربهم
حتى اجاره خالد قال فما زلت اضرب واضرب حتى اعز الله الاسلام وصح انه لما اسلم
نزل جبريل فقال يا محمد لقد استبشر اهل السما باسلام عمر وان المشركين قالوا
قد انتصف القوم منا ونزل يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين
وان ابن مسعود قال ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر وقال ايضا كان اسلامه فتحا
وهجرته نصرا وامارته رحمة ولقد رايتنا وما نستطيع ان نصلي الى البيت
حتى اسلم عمر فقاتلهم حتى تركونا وسبيلنا وان حذيفة قال لما اسلم كان الاسلام
كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا
فبسبب قوته في الله تعالى وشدة شكيمته كما علم مما تقرر **ارعوى** اي رجع واقلع
وانكف **الرقبا** اي الاعدا اعما كانوا عليه من الافساد في الدين وعدم النصح له وايذا
النبي صلى الله عليه وسلم وايذايه بالامور العظيمة التي كانوا يفعلونها معه وهو ابضا **الامام**
العدل القوي في الله تعالى **والذي** ينطق الحق على لسانه وقلبه فلذلك **يقرب**
الاباعد عنه **في** النسب اي بسبب او لاجل رضى **الله اليه** متعلق بيقرب فيكونون
بذلك اولى عنده من اقاربه الذين ليسوا كذلك كما قال انفا وفي هذا البيت
من انواع البديع العكس نحو لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الاية والاكتفا وهو حذف
شي دل عليه ما قبله كما قررته ورد العجز على الصدر والارصاد وهو ان يتقدم على الروي

عمر بن الخطاب قوله الفصل ومن حكمة السوي السواء
فر منه الشيطان اذ كان فاروقا فللنار من سناه انبراء

ما يشعر به نحو وما ظلمناهم الاية ويبعد عنه القربا اي اقرباوه اذا
لم يوافقوه على طاعة الله تعالى فعلم انه لا يحابي قريبا ولا صديقا ولا لريا عنده
ولا سمعة ولا حمية ولا عصبية وان محط نظره انما هو الله لا غير والطاعة ربه
هي المقربة منه وضدها هو المبعد عنه عمر بن الخطاب من موصولة قوله
الفصل اي الفاصل بين الحق والباطل ومن حكمة السوي اي الذي لا اعوجاج
فيه السواء تاكيد اي المعتدل وهذا اولى من جعل السوي صفة حكم
والسوي خبره لاقتضائه تغايرهما وليس كذلك فر اي هرب منه الشيطان
اي ابليس وكل عات متمرد جني او انسي اذ اي لاجل انه كان فاروقا ظاهره
كما صحت به الاحاديث فبسبب ما منحه الله من النور الذي يفرق به بين
الحق والباطل اي بسبب تلقبه الفاروق كون الشيطان فر منه وليس
مراد الناظم ان سببه ان فرق به بين الحق والباطل وفر منه الشيطان
بسببه فللنار التي هي امل الشيطان من سناه بالقصر اي ضوئه انبرا
اي انمحا والاصل في ذلك احاديث صحيح منها حديث يا ابن الخطاب والذي
نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجك وحديث
ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه وانه ما نزل بالناس امر قط فقالوا
وقال الا نزل القران على نحو ما قال وحديث لو كان بعدي نبي لكان عمر بن
الخطاب وحديث ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به وحديث ان
الشيطان ليفرق منك يا عمر وفي رواية اني لانظر الى شياطين الجن والانس
قد فروا من عمر وفي اخرى اتاني جبريل فقال اقرئ عمر السلام وقل له
ان رضاه حكم وفي اخرى الحق بعدي مع عمر حيث كان ومما اخرجوا ان الشيطان
لم يلق عمر منذ اسلم الا خر لوجهه وفي اخرى الصدق بعدي مع عمر حيث

كان

عفان ذي الايادي التي طال الى المصطفى بها الاسداء
حفر البير جهز الجيش اهدى الهدي لما ان صده الاعداء

كان وفي اخرى عمر معي وانا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان وصح حديث
ما طلعت الشمس على خير من عمر وروى احمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال
له يا اخي اشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال بينما
انا نائم شربت لبنا حتى انظر الى الري يجري في اظفاري فناولته عمر قالوا فما اولته
يا رسول الله قال العلم وانه راه وعليه قميص يجره قالوا فما اولته يا رسول الله
قال الدين وصح انه من الملهمين الذين ينطق الحق على لسانهم وابي اي واقسم
بابي عمرو عثمان بن عفان ذي اي صاحب الايادي اي النعم وهذا
في اليد بمعنى الجارحة جمع ايد جمع يد فاتى به الناظم في البيت بمعنى النعمة ايضا
التي طال اي عظم وامتد الى المصطفى على الخلق كلهم اي المختار فهو
من الاصطفاء وقيل المصطفى النقي من كل شيء وكدر فهو من التصفية
بها متعلق بقوله الاسداء اي الاعطاء حفر البير اي بير رومة وذلك
انها كانت ليهودي من الاشهر فقدم صلى الله عليه وسلم المدينة وليس بها ما يستعذب
غيرها فقال صلى الله عليه وسلم من حفر بير رومة او اشتراها فله الجنة
فاشتراها عثمان بعشرين الف درهم وحفرها وهي موجودة الى الان فثوابها مستمر
الى قيام الساعة وفي رواية ان عثمان رضي الله تعالى عنه لما سمع قوله صلى الله عليه وسلم فيها انما
نعم البير اشترى نصفها باثني عشر الف وتصدق بها واسماها يوما لهذا ويوما لهذا فجعل
الناس يستقون منها في يوم عثمان ليومين فلما راي صاحبها ان قد امتنع
منه ما كان يصيبه من ثمن الما الذي يبيعه منها باع عثمان النصف الثاني بشي
يسير فتصدق عثمان بها كلها تنبيه تعبير الناظم بالحفر تبع فيه
بعض الرواة وكانه لم يبال بقول من قال ذكر الحفر وهم من بعض الرواة
وانما المعروف انه اشتراها ويجاب بانه لا مانع من انه اشتراها ثم زاد في

حفرها مبالغة في تكثير مايها لشدة احتياج الناس اليها ثم رايت بعض
المتاخرين صرح بنحو ذلك وفي رواية ان القربة منها كانت تباع بمد وانه صلى الله
عليه وسلم طلب من صاحبها ان يبيعها له فاعتل بان له عيالا وليس له غيرها
فبلغ عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين الف درهم **جهز الجيش** اي
جيش العسرة في غزوة تبوك اخرج الترمذي انه صلى الله عليه وسلم حث على
جيش العسرة قال عثمان رضي الله تعالى عنه يا رسول الله علي مائة بعير باحلاسها
واقتابها في سبيل الله تعالى ثم حض على الجيش فقال عثمان يا رسول الله علي مايتا
بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله تعالى فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما على
عثمان ما فعل بعد هذه وفي رواية حمل عثمان جيش العسرة على الف بعير وسبعين
فرسا وصح انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بالف دينار حين جهز الجيش العسرة
فنثرها في حجره وجعل يقلبها بيده ويقول ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم وفي
رواية انه بعث بعشرة الاف دينار نصبت بين يديه صلى الله عليه وسلم فجعل
يقلبها ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما اعلنت وما هو كائن
الى يوم القيامة ما يبالي ما عمل بعدها وصح انه لما حصر اشرف عليهم فقال
انشدكم بالله تعالى ولا انشد الا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الستم
تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بير رومة فله
الجنة فصدقوه بما قال وصح عن ابي هريرة اشترى عثمان الجنة من النبي
صلى الله عليه وسلم مرتين حيث حفر بير رومة وحيث جهز جيش العسرة
وصح انه استشهد اقواما من الصحابة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من يشتري هذا المربد ويزيده في مسجدنا وله الجنة واجره في الدنيا
بما بقي درجات له فاشتريته بعشرين الفا وزدته في المسجد فشهدوا له

فقال

فقال الخوارج عليه صدقوا ولكنك غيرت ثم ذكر تجهيز جيش العسرة وحفر
البير فصدقوه فقال الخوارج عليه صدقوا ولكنك غيرت فقال رضي الله تعالى
عنه ويلكم كيف من هذا المعتبر ثم ذكر سيقولون ذلك في غيره فكان
كذلك في علي حين خرجوا عليه فاستشهد الصحابة على خصوصياته فشهدوا
له فقالوا صدقوا ولكنك غيرت وفي رواية ان محمد بن ابي بكر لما دخل على عثمان
وكان مع الخارجين عليه استشهد ان النبي صلى الله عليه وسلم زوجه ابنتيه
وقال لو كان عندنا ثالثة زوجناه وانه بايع عنه في بيعة الرضوان وانه قال
من يشتري هذا النخل فيقيم قبلة المسجد وله مثله في الجنة فاشتراه عثمان رضي الله
تعالى عنه وان المسلمين اشتد جوعهم فبسط لهم على انطاع الحوارى بالسمن والعسل
فكان اول خبيص الحلوى في الاسلام وانهم ظمئوا ظما شديدا فحفر لهم بير رومة
فاعظم عليها النفقة ثم تصدق بها على المسلمين الضعيف منهم والقوي سوا
وان الميرة انقطعت عن المدينة فجاع الناس فاشترى خمسة عشر راحلة
طعاما فاخذ ثلاثا واعطى النبي صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة فدعا له بالبركة
فيما اعطي وما امسك واتى النبي صلى الله عليه وسلم بالف اصغر فصبها في حجره
فقال ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم وانه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر
وعمر وعلي وطلحة والزبير بحرا فرجفت بهم فضربه بقدمه وقال اثبت حرا
فانما عليك نبي وصديق او شهيد كل ذلك ومحمد يقول نعم تنبيه
قال ابن مالك من احسن شواهد الكوفيين واخريين ان او ترد بمعنى الواو
هذا الحديث الاخير **اهدى الهدي** الى مكة وارسله اليها عام الحديبية
حتى توجه صلى الله عليه وسلم اليها ومعه الف واربعمائة في ذي القعدة سنة ست يريد
العمرة فمنعته قريش من دخول الحرم **لما** ارجفين **ان صده** عن الدخول

وابى ان يطوف بالبيت اذ لم يدن منه الى النبي فناء فجزته عنا ببيعة رضوان يد من نبيه بيضاء

اليها الاعدا اي المشركون وكان وجه تخصيصه بذلك ان هديه وصل الى مكة بخلاف هدي غيره لكن انما ذلك لعسرة قومه دون غيره فتخصيصه تامل بل تخصيصه اد بالاتي من تركه الطواف ترك ارسال الهدي حيث لم يرسله صلى الله عليه وسلم ويجاب باحتمال انه اخر هديه لغيبته حتى حضر بعد ذبحهم لهديهم فهو لم يرسله الا وقد ايسوا اي ارسالهم هديهم فلا مخالفة فيه للادب وتفسير لما معله يحتمن هو ما ذهب اليه جماعة وقال ابن مالك انما بمعنى اذ لانها مختصة بالماضي وبالاضافة الى الجملة وهي تقتضي جملتين وحذف الثانية عند وجود الاول ولذا يقال فيها حرف وجود لوجود وجوابها اما ماض او جملة اسمية مقرونة بالفا او باذا الفجائية ويجادلنا في فلما ذهب عن ابراهيم الروع الاية مؤول بجادلنا خلافا لابن عصفور وقد ترد للاستثنا نحو ان كل نفس لما عليها حافظ في قراءة من شدد الميم ~~...~~ وفي هذا كالسوى السوا ببعده والايا والتقريب والقربا والادب والدها جناس الاشتقاق او شبهه وابى رضي الله تعالى عنه لما ارسله النبي صلى الله عليه وسلم الى اهل مكة ومعه الكتاب الذي فيه ما وقع بين النبي صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو المرسل اليه من اهل مكة ليعقد الصلح بينهم على ان يرجع في هذه السنة ولا يدخلها البلد يقولوا الناس ان دخلها كرها على اهلها ثم يعود اليها معتمرا السنة القابلة ويدخلها والاسلحة في غلفها ليكون ذلك علامة على الصلح وعلى وضع الحرب بينهم عشر سنين ثم نقضوا الصلح فكان ذلك سببا لفتح مكة في السنة الثانية ولما ارسله امسك سهيل بن عمرو عنده بدله وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال اذهب فاستاذن لنا ان يخلوا بيننا وبين الكعبة فقال يا رسول الله ليس

هنالك احد من بني عدي يمنعني ولكن ارسل عثمان فان بني عمه يمنعونه فارسله ليبلغ اشراف قريش نحو ان يرجعوا عن صده عن دخول مكة وان لا يمنعوه من دخولها لانه انما جاء به من الاعتمار وتعظيم البيت بالبدن والهدي دون القتال فكلمهم فلم يمتثلوا وعلى كل من القولين احتبسوه عندهم وقالوا له ان شئت ان تطوف بالبيت فطف فابى اي امتنع ان يطوف بالبيت اذ تعليلية لم يدن اي يقرب منه اي البيت الى النبي متعلق بيدن فناء وهو ما امتد من جوانبه ولما احتبس وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان عثمان قتل فدعا الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وقيل على ان لا يفروا ذكره الحافظ مغلطاي ولما بايع الناس على ذلك وضع يمينه على شماله وقال هذه عن عثمان وفي البخاري فقال النبي صلى الله عليه وسلم باليمين هذه بيعة عثمان فضرب بها على يده اليسرى الحديث وفي رواية الترمذي ان عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من ايديهم لانفسهم ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وارسلوا عثمان وجماعة من المسلمين وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وسبب ما وقع من عثمان من امتثال ما امر النبي صلى الله عليه وسلم ودفعا به الى العدو البدي بال لاحتمال كونهم يقتلونه لشدة ما كانوا عليه من عداوتهم للمسلمين لا سيما الاكابر منهم كعثمان ومن تادبه مع النبي صلى الله عليه وسلم الادب البالغ بتركه للطواف مع اذنهم له فيه جزته عنا اي تلك الفعلة التي فعلها

من للذهاب اليهم والامتناع من الطواف **ببيعة** اي في بيعة
رضوان سميت بذلك لما في الاية الثانية من رضي الله عنهم
بسببها اسد **يد من نبيه** اي عثمان **بيضا** اي بالغة في الكرم الذي
عم الانام منها اي مبلغ ضوء الشمس وعموم العالم تلك اليد البيضا بذلك
والذي وقع منه الامتناع من الطواف لاجل غيبة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم
تمكينهم له من الدخول **ادب** عظيم جدا **عنده** رضي الله تعالى عنه
ومن عجيب هذا الادب انه حصل فيه امر عظيم وفضل مستغرب
جسيم وذلك انه مع كونه تركا كالفعل للعبادة **تضاعفت الاعمال**
التي هي ذلك الفعل وهو الطواف اي ثوابها **ب**سبب **الترك** لذلك
العمل لاجله صلى الله عليه وسلم فكان الترك هنا افضل من الفعل لو وقع منه
لانه ليس فيه الادب الذي بلغ به عثمان من السبق ما لم يبلغه غيره ولذا
حق ان يقال فيه وفي امثاله على سبيل المدح **حبذا الادبا** ثم تمم بديع
وعثمان رضي الله تعالى عنه من اجل الادبا الانجبا كان عنده من الحيا الذي
هو منشا الادب ما لم يبلغ عند غيره كيف وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال
في حقه وقد استحى منه صلى الله عليه وسلم لما دخل عليه فجمع ثيابه الا استحي ممن
تستحي منه الملائكة وروي من غير طريق اشد امتي حيا عثمان بن عفان
رضي الله تعالى عنه عثمان احيى امتي واكرمها عثمان حيي ستير تستحي منه
الملائكة ان الملائكة تستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله انما شبه
عثمان بابينا ابراهيم عثمان ولي في الدنيا وولي في الاخرة لو ان لي اربعين
ابنة زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة وما زوجتك
الا بالوحي من الله تعالى وصح انه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة يعرض فيها فمر عثمان

فقال هذا يومئذ على الهدى وانه قال له ان الله مقمصك قميصا اي ثوب
الخلافة فان اراد المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني فلذلك
قال له يوم الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا وانا صابر عليه
وفي البخاري ان بعض اعدائه جاء الى ابن عمر ورماه بانه فر يوم احد وانه تغيب
عن بدر وعن بيعة الرضوان فرد عليه ابن عمر بان الله غفر له وعفا عنه
ما وقع منه يوم احد وان تغيبه عن بدر انما كان باذن من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمرض بنته رقية وقال له ان لك اجر من شهد بدرا وسهمه
وان غيبته عن بيعة الرضوان انما هو لكونه كان اعز اهل مكة فارسله
في حاجته فكانت بيعة الرضوان فضرب صلى الله عليه وسلم باحدى يديه على الاخرى
فقال هذه لعثمان قال العلما ولا يعرف احد تزوج بنتي نبي غيره ولذا
سمي ذا النورين وقتل وهو محصور يوم الدار وقتله اختامه ربه عشر انه رابع
اربعة في الاسلام وانكحه صلى الله عليه وسلم ابنتيه وما تغنى ولا تمنى ولا وضع يمينه
على فرجه منذ بايع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مرت به جمعة منذ اسلم الا
واعتق فيها رقبة في جملة ما اعتق الفان واربعمائة رقبة تقريبا ولا سرق
جاهلية ولا اسلاما وجمع القران على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم **وعلي**
اي وافتح عليك بعلي وسبق الاقسام به ايضا وانما لم يكتف به لان ذلك وقع
تبعا للمعجزة المقصودة بالذات وهو برء عينيه بتفله صلى الله عليه وسلم
فيها وليبين ما هو مذهب اهل السنة واكثر اهل الفرق من ان الخلافة والافضلية
بينهم على هذا الترتيب فاحق الصحابة بالخلافة ابو بكر ثم عمر ثم عثمان
وهذا اجماع من الصحابة ومن بعدهم كما حكاه جماعة من الائمة منهم الامام
الشافعي رضي الله تعالى عنه قطعي لا نزاع فيه يعتد به ثم عثمان ثم علي

وهذا ما عليه الاكثرون لكنه ظني لا قطعي وخالف فيه سفيان الثوري ومالك
وغيرهما فقالوا بافضلية علي وان كان عثمان احق منه بالخلافة لاجماع اهل
الشورى من الصحابة على خلافته مع الاشارة اليها من النبي صلى الله عليه وسلم كما
سبقت الاشارة الى ذلك ومما يصرح بافضلية عثمن على علي ما صح عن ابن عمر
كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان
وعن ابي هريرة كنا معاشر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم متوافرون نقول
افضل هذه الامة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت
وهل تجب محبتهم برعاية افضليتهم فيه تفصيل وهو انها ان كانت من حيث
الدين والعلم ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب ترتيبهم كترتيبهم المذكور
وان كانت لنحو قرابة او احسان لم تجب رعايتها كذلك **صنو النبي**
صلى الله عليه وسلم لاجتماعهما في اصل واحد وهو عبد المطلب فهما كنخلتين اصلهما
واحد **ومن** اي الذي **دين** اي اعتقاد **فؤادي** اي قلبي **وداده** اي
حبه **والولا** له اي مناصرته والذب عنه والرد على من نازع في خلافته
ولم يبال بوقوع الاجماع عليها وعلى من خرجوا عليه ونازعوه الامر ورموه بما هو
بريء منه وذلك عملا بما صح عنه صلى الله عليه وسلم وهو اللهم وال من والاه
وعاد من عاداه ان عليا مني وانا منه وهو ولي كل مومن بعدي ولتاكد الذب
عنه لكثرة اعدايه من بني امية والخوارج الذين بالغوا في سبه وتنقيصه
حتى على المنابر حسد الناظم بذلك ولهذا اشتغل جماعة الحفاظ ببث
فضايله نصحا للامة ونصرة للحق ومن ثم قال احمد ما جا لاحد من الفضايل
ما جا لعلي وقال اسماعيل القاضي والنساي وابو علي النيسابوري لم يرد في
حق احد من الصحابة بالاسانيد الصحاح الحسان اكثر مما ورد في علي

فمن ذلك ما صح ان الله يحبه ورسوله يحبه بل روى الترمذي انه كان احب الناس
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهر ان المراد بالناس بنو اعمامه حتى لا ينافي
ما مر ان ابا بكر كان احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اية المباهلة
لما نزلت دعا صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وابنيهما وقال اللهم هولا
اهلي وانه قال انا سيد ولد ادم وعلي سيد العرب لكن اعترفوا بتصحيح الحاكم
لهذا وانه قال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه
وعاد من عاداه رواه ثلاثون صحابيا وان الله تعالى امره بحب اربعة واخبره
بانه يحبهم منهم علي وانه لا يحبه الا مومن ولا يبغضه الا منافق وان
من سبه فقد سب النبي صلى الله عليه وسلم وانه يقاتل على القران كما قاتل هو
اللعين بن ملجم اشقى الاخرين كما ان عاقر الناقة اشقى الاولين **ووزير ابن**
عمه النبي صلى الله عليه وسلم اي ناصره وحامل كل ثقل نابه صلى الله عليه وسلم
ونايب عنه **في المعالي** الرتبة والرتبة جمع العلا وهو الرفعة والشرف
واهل هذا الحديث انه لما خلفه على المدينة في غزوة تبوك قال يا رسول الله
خلفتني مع النسا والصبيان فقال اما ترضى ان تكون مني بمنزلة
هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي ومر الكلام عليه في شرح قوله
اودعتهما الزهر وقال صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه احمد والترمذي
والنساي وابن ماجة علي مني وانا منه ولا يودي عني الا علي والترمذي انت
اخي في الدنيا والاخرة والخطيب علي مني بمنزلة راسي من بدني وابن عدي
علي يعسوب المومنين وانا يعسوب المنافقين والبزار علي يقضي
عني ديني والنساي والحاكم ان كل نبي اعطي سبعة نجبا واعطيت انا
اربعة عشر علي والحسن والحسين وجعفر وحمزة وابو بكر وعمر الحديث

واحمد انت اخي وابو ولدي فقالت علي سنتي الحديث قال ابن عباس
نزلت في علي ثلاثماية اية وليست الوزارة خاصة به رضي الله تعالى عنه
فقد اخرج الترمذي ما من نبي الا وله وزيران من اهل السما ووزيران
من اهل الارض فاما وزيراه من اهل السما فجبريل وميكائيل واما وزيراه
من اهل الارض فابو بكر وعمر وصح حديث هذان السمع والبصر
وفي رواية هما بمنزلة السمع والبصر من الراس واخرج الطبراني وابو نعيم
ان الله امدني باربعة وزرا اثنين من اهل السما جبريل وميكائيل
واثنين من اهل الارض ابي بكر وعمر وابن عساكر ان لكل نبي وزيرين
ووزيري وصاحبي ابو بكر وعمر بل قد يستشكل ذكره الوزارة فيه
دونهما مع انها لم ترد فيه لفظا وصحت فيهما وقد يجاب بانها قد وردت
فيه معنا فعلي اوجه ابلغ من لفظها وهو قوله انت مني بمنزلة هارون
من موسى فان هذه الوزارة الواردة فيهما ومن ثم اخذ منها الشيعة
انها تفيد النص على انه الخليفة بعده وهو كذلك لولا ما ياتي قريبا من
المبطل لذلك الاستنباط ومما يؤيد هذه الوزارة الخاصة كونه لو قد
صلى الله عليه وسلم آخاه دون غيره وارسله سودنا على الناس براءة في الموسم
مع ان الخليفة على الحجيج ابو بكر لان العرب لا يتقبلون من يبلغ عن
الكبير الا ان كان من اهله وجلدته وانه استخلفه بمكة عند الهجرة
حتى ادى ودايعه وقضى ما عليه واتاه باهله فهذه كلها مؤذنة
بوزارة خاصة لم يوجد في غيره فلذا ذكرتها فيه فقط على انه وصفها بها
هو اعظم منها واجل **ومن الاهل لتعدد الوزرا** تذييل مناسب لما
قبله وفيه رد العجز على الصدر ومن تلك السعادة ما امده صلى الله عليه

وسلم

وسلم به من المواخاة فقد اخرج الترمذي اخى صلى الله عليه وسلم بين اصحابه
فجا علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله اخيت بين اصحابك ولم تواخ
بيني وبين احد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت اخي في الدنيا والاخرة
ومنها العلوم التي اشار اليها بقوله صلى الله عليه وسلم انا مدينة العلم وعلي بابها وفي
رواية فمن اراد العلم فليات الباب وفي اخرى عند الترمذي انا دار الحكمة
وعلي بابها وفي اخرى عند ابن عدي علي باب علمي واختلفوا في حكم هذا الحديث
فجماعة منهم النووي رحمه الله تعالى على انه موضوع والحاكم وصححه وصرح
بعض الحفاظ المطلعين انه حديث حسن وصح انه صلى الله عليه وسلم ارسله
الى اليمن ليقضي بينهم فقال لا ادري ما القضا فضرب صدره ثم قال
اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال علي فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضا بين
اثنين وقيل له ما لك اكثر الصحابة حديثا فقال اني كنت اذا سالته انباني
واذا سكت ابتداني وكان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها ابو الحسن يعني عليا ولم
يكن احد من الصحابة يقول سلوني الا علي رضي الله تعالى عنه وذكر عند عايشة رضي الله
تعالى عنها فقالت انه اعلم من بقي بالسنة وقال مسروق انتهى علم الصحابة
الى عمر وعلي وابن مسعود وقال والله ما نزلت اية الا وقد علمت فيم نزلت واين
نزلت وعلى من نزلت ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا ناطقا وقال سلوني عن
كتاب الله تعالى فانه ليس من اية الا وقد عرفت بليل نزلت ام بنهار وفي سهل
ام جبل ولاجل هذه العلوم الكثيرة التي افيضت عليه من تلك الحضرة العلية
النبوية **لم يزده كشف الغطا يقينا** كما اخبر بذلك عن نفسه بقوله لو
كشف على حقيقة التوحيد ومتعلقاته والايمان وصدق الرسل فيما جاوا به
ما ازددت يقينا فيه بمعنى رويه ذلك عيانا واحترز بنفي زيادة اليقين

مسروق

الغطا ما ازددت يقينا
الى انه حصل عنده من اليقين
القطعية

نفيه عن زيادة ثمراته فان عاقلا لا يشك ان عين اليقين ومشاهدته اقوى من
علم اليقين وان حق اليقين اقوى من عين اليقين ودليله اولم تؤمن
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فاثبت لنفسه حقيقة الايمان ويقينه
وطلب زيادة الطمانينة برؤية العيان فلا منافاة فتنبه لما قاله علي كرم الله
وجهه خلافا لمن وهم فيه **بل** للانتقال **هو الشمس علاه** اي على فضله
وعلمه وزهده وتقدمه على من عدا الخلفا الثلاثة قبله وحقيقة خلافته
وقيامه فيها بما قام به من قبله وزيادة **غطا** اي ساتر بل هو ظاهر لكل احد
وقد اخرج الطبراني عن ابن عباس قال كانت لعلي رضي الله تعالى عنه ثماني عشرة
منقبة ما كانت لاحد من هذه الامة وابو يعلى عن عمر قال اعطي علي ثلاث خصال
لان تكون في خصلة منها احب الي من ان اعطى حمر النعم تزوجه ابنته وسكناه
المسجد واعطا الراية يوم خيبر وصح عن ابن عمر نحو ذلك واخرج الطبراني
والخطيب حديث ان الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب
علي ابن ابي طالب وما احسن قول حكيم لما دخل الكوفة والله يا امير
المومنين لقد زينت الخلافة وما زينتك ورفعتها وما رفعتك وهي احوج اليك
منك اليها وقول احمد وقد ساله ولده عن علي ومعاوية اعلم ان عليا كان كثير
الاعدا ففتش له اعداوه شيا فلم يجدوه فجاوا الى رجل قد حاربه وقاتله
فاطروه كيادا منهم له وصح خلافا لمن نازع فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نام في
حجره وهو يوحى اليه فكثب فغربت الشمس ولم يصل العصر فلما سري عنه
صلى الله عليه وسلم وعلم انه لم يصل دعا الله تعالى ان يرد الشمس فعادت حتى ظهر
ضوها على الحيطان فصلى ثم غابت وفي هذا كرامة له باهرة ولعل الناظم
اشار اليها بتشبيهه بالشمس وعلم مما قدمته انه الحقيق بالخلافة بعد

الائمة

الائمة الثلاثة بالاجماع ولا التفات الى من زعم انه لا اجماع على خلافته
وهو اول من اسلم قال بعض الحفاظ اجماعا اي من الصبيان والمعتد باسلا
مه لان الاحكام اذ ذاك كانت منوطة بالتمييز ولم يعبد وثنا قط ومن ثم اختص
بكرم الله وجهه والحق به الصديق في ذلك واخاه النبي صلى الله عليه وسلم وزوجه فاطمة
بالوحي وهو احد العلما الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد والخطبا المعروفين
وحفظ القران وعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم واختفى بعد موته صلى الله عليه وسلم
فكتب كتابا فيه العلوم الجمة حتى قال ابن سيرين لو ظفرت بذلك الكتاب لظفرت
بالعلم كله ولما هاجر صلى الله عليه وسلم امره ان يتخلف بعده بمكة حتى يودي عنه ودايعه
ثم يلحقه باهله ففعل وارسله صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة وكان الامير
على الحج ابا بكر رضي الله تعالى عنه فاذن في الناس في الموسم بمنى بسورة براة لان
العرب لا يعقدون بما يجي على لسان الكبير الا اذا كان الرسول فيه من اهل
بيته ثم جا في حديث رجاله ثقات الا واحدا مختلف فيه انه صلى الله عليه وسلم
خطب يوما وهو حاضر عقب فتح مكة فقال اوصيكم بعترتي خيرا
وان موعدكم الحوض والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة ولتوتن الزكاة
او لابعثن اليكم رجلا مني كنفسي يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد علي وقال هو هذا
وشهد معه صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان له فيها البلا الحسن الا تبوك فانه
استخلفه فيها على المدينة وقال له لما قال اتخلفني مع النسا والصبيان اما
ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي وتكون فيه
لما قاله لوح يطل التمسك الشيعة به على انه الخليفة المقدم على الكل على ان هرون
مات في حياة موسى صلى الله عليه وسلم فلا دليل فيه للخلافة بعد الموت اصلا توفي
كرم الله وجهه شهيدا على ثلاث وستين سنة ضربه اللعين عبد الرحمن بن ملجم

بسيف مسموم في جبهته فاوصله دماغه ليلة الجمعة سابع عشر رمضان
سنة اربعين وهو خارج الي صلاة الصبح بعد ان استيقظ سحرا وقال
للحسن انه راي النبي صلي الله عليه وسلم تلك الليلة فشكي اليه مالقي له ادع لي
فدعا له انه يبدله خيرا منهم وانهم يبدلون مثل شرا منه واكثر تلك الليلة
من الخروج والنظر الي السما وهو يقول والله ماكذبت وماكذبت وانها الليلة التي
وعدت وكان عنده اوز فلما خرج للصلاة صحن فطردن عنه فقال دعوهن
فانهن نوايح وقيل لم يبت الا الليلة الاحد وله اسوة بالخليفتين قبله عمر
وعثمان رضي الله تعالي عنهم فان كلا منهم قتل شهيدا مظلوما اما عمر فقتله
مجوسي عبد للمغيرة بن شعبة لكونه شكا اليه ثقل خراجه فلم يشكه لعله
بقدرته عليه وزيادة لكثرة صنايعه فكمن له حتي الي ان ضربه بخنجر صنعه
له وهو في ثاني ركعة من صلاة الصبح يصلي بالمسلمين ومن تمام سعادته
دفنه مع النبي صلي الله عليه وسلم فانه ارسل ولده بعد ان طعن يستاذن عايشة
في ذلك فقالت اعددت هذا المكان لنفسي فلاوثرنه به فاستد فرحه بذلك
واما عثمان فاجتمع علي قتله اوباش اربعة الاف يجمعون من مصر وغيرها فحاصروه
الي ان قاتلوه في وسط ايام التشريق والمصحف بين يديه سنة خمس وثلاثين
وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل اكثر وقيل اقل توهما منهم انه اراد قتل محمد
ابن ابي بكر الصديق رضي الله تعالي عنهما وهو بري من ذلك وانما افتعله بعض
اهله وكانت الصحابة رضي الله تعالي عنهم تمكنهم الدفع عنه لكنه منعهم من ان يقاتلوا
محاصريه لما قال زيد بن ثابت ان الانصار بالباب يقولون ان شئت كنا
انصار الله مرتين فقال رضي الله عنه لا حاجة لي في ذلك كفا ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم عهد الي عهدا وانا صابر اليه ومن ثم كان عنده في الدار مماليكه الكثيرون



وبيان في اصحابك المظهر الترتيب بينا والولاء

فارادوا ان يمنعوا عنه فقال من اغمد سيفه فهو حر لانه علم باخبار النبي
صلي الله عليه وسلم انه مقتول مظلوم وانه علي الهدي وانه لا يخلص له من القتل
وامره ان لا يعزل نفسه كما صح في الحديث وهو يا عثمان انك ستولي الخلافة
من بعدي وسيريدك المنافقون علي خلعها فلا تخلعها وصم في ذلك اليوم
تفطر عندي كما مر في الاحاديث وصح ان عثمان رضي الله تعالي عنه اشرف
من كوة فقال لعلي يا ابا الحسن ما هذا الذي ركب مني فقال اصبر
يا ابا عبد الله فوالله ما غبت عن رسول الله صلي الله عليه وسلم حين كنا علي احد فتحرك
الجبل وحن عليه فقال اثبت احد فانه ليس عليك الا نبي او صديق او
شهيد وايم الله لتقتلن ولا اقتل معك او بعدك وليقتلن طلحة والزبير
واقسم وبيان في اصحابك العشرة المبشرين بالجنة في الاحاديث الصحيحة
منها ان عمر لما جعل الامر شوري بين الستة انكر عليه بانهم ليسوا فقال ما عسي
ان تقولوا في علي سمعت النبي صلي الله عليه وسلم يقول لو يدك في يدي فدخل معي
يوم القيامة حيث ادخل وذكر في عثمان حديث انه يوم يموت يصلي عليه ملايكة
السما وان ذلك له خاصة وفي طلحة ان رجل النبي صلي الله عليه وسلم سقط في ليلة
فقال يا طلحة هذا جبريل يقريك السلام ويقول انا معك في اهوال يوم القيامة
حتي انجيك منها وذكر في الزبير انه جلس يذب عن وجه النبي صلي الله عليه وسلم وهو
نايم حتي استيقظ فقال يا ابا عبد الله لم تزل قال لم ازل بابي انت
وامي قال هذا جبريل يقريك السلام ويقول انا معك يوم القيامة حتي اذب
من وجهك شرر جهنم وذكر في سعد بن ابي وقاص انه صلي الله عليه وسلم قال
فيه يوم بدر وقد اوتر قوسه اربعة عشر مرة يرفعها اليه فداك ابي وامي
وذكر في عبد الرحمن بن عوف بصحفة فيها حليس ورغيفان بينهما اهالة

فقال صلى الله عليه وسلم له كفاك الله امر دنياك واما امر اخرتك فانا لها ضامن ومنها ان حرا المارج وعليه الخلفا الاربعة وطلحة والزبير وبن عوف وسعد وسعيد قال له النبي صلى الله عليه وسلم اسكن حرا فما عليك الا نبي او صديق او شهيد ومنها رواية سعيد بن عمرو بن مقبل ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن ابي وقاص في الجنة وتاسع المومنين في الجنة فنشدوه بالله عنه ثم قال اما اذا انشدتموني فانا تاسع المومنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم العاشر ثم قال لموقف احدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يغبر فيه وجهه افضل من عمر احدكم ولو عمر عمر نوح **المظهر** اي المبين **الترتيب** بينهم من النبي صلى الله عليه وسلم وهو مفعول **فينا** اي لنا انص **حب** اي الموالاة والمناصرة الواجبة علينا لهم بحسب تفضلهم ومراتبهم ومن ثم سيل بعض محققي المتاخرين عن محبة الخلفا الاربعة باتي في بقية الصحابة رضوان الله عليهم **طلحة** بن عبد الله القرشي التيمي السهمي احد العشرة المشهود لهم بالجنة واحد الثمانية السابقين الي الاسلام واحد الستة السابقين الي الاسلام اصحاب الشورى في امر الخلافة بعد عمر الذين توفي صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض واحد الخمسة الذين اسلموا على يد ابي بكر لكونه السبب في اسلامهم وسماه صلى الله عليه وسلم طلحة **الخير** الفياض وطلحة الجود فكان غاية فيه بحيث انه باع ارضا له بسبعماة الف فباتت عنده فلم ينم مخافة من حسابها ما اصبح ففرقها وفي رواية ففرقها في ليلته على فقرا المدينة وجاه رحم له يساله برحمه فاعطاه ثلاثماة الف وكان مغله بالعراق في كل سنة اربعماة الف وكان يكفي ضعفا قومه وقوم ابي بكر بني

تيم ويقضي ديونهم ويرسل الى عايشة رضي الله تعالى عنها في كل سنة عشرة الاف درهم وتصدق في يوم بماة الف درهم ثم لم يجد ثوبا يذهب به الي المسجد يصلي فيه وهو ان لم يشهد بدرا فقد جعله صلى الله عليه وسلم يكون شهدها اجرا وسهما قيل لانه كان بالشام للتجارة والصحيح انه صلى الله عليه وسلم ارسله هو وسعيد بن زيد رضي الله تعالى عنهما للتجسس عن خبر عير قريش وخرج لم يرجعا الى المدينة فوافياه منصرفه من بدر وصح انه صلى الله عليه وسلم اقبل عليه وعلى الزبير وقال يا طلحة ويا زبير ان لكل نبي حواري وانتما حواري انتما ناصراي وان الخلفا الاربعة وطلحة والزبير وبن عوف وسعد وسعيد كانوا امام رسول الله صلى الله عليه وسلم في القتال وخلفه في الصلاة في الصف الاول وليس احد من المهاجرين والانصار يقوم مقام واحد منهم غاب او شهد **المرتضيه** اي الذي كان ارتضاه النبي صلى الله عليه وسلم وما جرى عليه الناظم من اضافة اسم الفاعل الى معموله الضمير العايد على ال المقترنة به هو الاصح نحو الضاربه الرجل والساقيه ومنع المبرد هذه الصورة واوجب النصب اي لئلا يلزم عليه اجتماع اداتي تعريف ورده ان اضافة الصفة الي معمولها لا يفيد تعريفا بل تخفيفا قالوا ومن ثم جاز اقتران هذا المضاف دون غيره بال ان كان مثنى او جمعا على حده كالضاربا زيد والضاربوا زيدا واضيف لمعرف بال نحو الضارب الرجل او المضاف اليه كالقاصد باب كريم او الى ضمير هو مرجعه كما هنا ومن قال القصد به الذي ارتضى هو النبي صلى الله عليه وسلم فقد وهم لامتناع الاضافة ح لانها ليست الى ضمير مرجعه ال فتنبه له **رفيقا واحدا** هو ما في اكثر النسخ وفي نسخة احد وهو الفاعل اي ارتضاه احد رفيقا ففيه اسناد مجازي وفي اخرى احدا وهو بنزع الخافض

اي في **يوم** ظرف لاسم الفاعل وقول الشارح انه بدل من احداي بنا على النسخة
الثانية بعيد **خوف الرفقا** عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم احد وفيه
كسعد وسعيد والامانة والامنا واناه واني وتمسك واستمسك وانطوي
وانطوت والغوث واغثنا والعيث الاتيات جناس الاشتقاق او شبهه
وفي ذكر واحداني الى اكثر النسخ بطويل المنقول في السير وغيرها ان الذين ثبتوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انكشف عنه الناس اربعة عشر سبعة من المهاجرين
وسبعة من الانصار وفي البخاري لم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا اثني عشر رجلا
لكن ظاهر كلام بعض اهل السير ان طلحة وقع له بعد ذلك انفراد معه
صلى الله عليه وسلم ثم تنابعت بعده الناس فانه قال وكانت لطلحة اليد
البيضا يوم احد وقي النبي صلى الله عليه وسلم لما ضرب بالسيف فشج وجهه بيده
فشلت واسترفت شلا وكان الصديق اذا حدث عن يوم احد بكا وقال ذلك
كله لطلحة وقد قال له صلى الله عليه وسلم يومئذ اوجب طلحة اي وجبت له الجنة وذلك
انه صلى الله عليه وسلم كان قد ظاهر بين درعين فاراد ان ينهض وهو عليه ليصعد صخرة
هنالك فما استطاع فبرك له طلحة رضي الله تعالى عنه فصعد على ظهره واستوى عليها
فقال صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وبايعه
على الموت ووقاه بنفسه وعن عايشة انها قالت ابو بكر كنت اول من جا يوم احد
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي عبيدة بن الجراح عليكما بصاحبكما يريد
طلحة وقد نزف فاصلحنا من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتينا طلحة
فاذا به بضع وسبعون او اكثر بين طعنة وضربة ورمية واذا قد
انقطعت اصبعه فاصلحنا من شانه ثم رايت حديثا صحيحا صريحا في النظم
على نسخة واحدا وهو لقد اتى النبي يوم احد وما في الارض قوم تحلوق عند

قال

علم

وحواريك الزبير اي القوم الذي اغيث اسماء

عن جبريل عن يميني وطلحة عن يساري ولما رجع صلى الله عليه وسلم من احد صعد
المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قرا من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه الاية فقيل يا رسول الله من هولا فقال هذا منهم واشار الى طلحة وصح عند
الحاكم لكن نوزع فيه من اراد ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى
طلحة بن عبيد الله وصح ايضا طلحة والزبير جاراي في الجنة وكان رجل يقع فيه وفي
الزبير بحضرة سعيد بن ابي وقاص فنهاه فابى فصلى ثم دعا عليه انه ان كان
مبطلا يريه الله فيه اية ويجعله للناس عبرة فخرج فاذا جمل هايج يشق الناس
فاخذه وهوسه بيديه ورجليه حتى قتله قال سعيد بن المسيب انا رايت الناس
يتبعون سعدا يقولون هنيا لك ابا اسحاق اجيبت دعوتك وكان خرج هو
والزبير على علي رضي الله تعالى عنهم فاجتمع بهم يوم الجمل فرجع الزبير ما ابى وعظ
طلحة فوقف وتاخر ووقف في بعض الصفوف فجاه سهم في ركبته فقتله في جمادي
الاخرة سنة ست وثلاثين عن اربع وستين سنة على الاشهر ودفن بالبصرة وجاه
علي فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول رحمك الله يا ابا محمد يعز على ان اراك
مجندلا **وحواريك الزبير** اي ناصرك الزبير بن العوام القرشي وامه صفية
عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احد الثمانية السابقين والستة اصحاب
الشورى والعشرة المبشرين بالجنة والشجعان المشهورين لم يلحقه
حمزة وعلي احد في الشجاعة والفروسية ولذلك لما كان يوم بدر بعمامة
صفرا نزلت الملائكة بعمايم صفر وهو اول من سل سيفا في سبيل الله تعالى
لانه سمع اخذ محمد فخرج يشق الناس بسيفه فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم
باعلا مكة فقال له ما لك قال اخبرت انك اخذت فصلى عليه ودعا له
ولسيفه شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح اليرموك

وفتح مصر مع عمرو بن العاص وصح انه لما اشتد الخوف يوم الاحزاب ندب صلى الله
عليه وسلم من ياتيه بخبر عصيان بني قريظة فقال انا فاعاد فقال صلى الله عليه وسلم
ان لكل نبي حواري وحواري الزبير وجمع له صلى الله عليه وسلم بين ابويه فقال ارم فداك
ابي وامي وصح عن عثمان انه قيل له وهو محصور لو استخلفت قال لعله قالوا
الزبير قيل نعم قال اما والله انه لخيرهم ما علمت وان كان لاحبهم الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية صحيحة اما والله انكم لتعلمون انه خيركم ثلاثا
وكان له الف عبد يؤدون اليه الخراج في كل يوم فيتصدق به في مجلسه ولا
يقوم بدرهم وكان مع الخارجين على علي يوم الجمل فلما دنت الصفوف خرج علي
وهو على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى ادعوا الى الزبير فدعي له فاقبل
حتى اختلفت اعناق دوابهما فقال له انشدتك الله اتذكر يوم مر بك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مكان كذا وكذا فقال يا زبير اما والله لتقاتلنه
وانت ظالم له فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم ذكرته الان والله لا اقاتلك ثم ادبر راجعا فقال له ولده عبد الله ما بالك
فذكر له القصة فقال لم اجئ للقتال بل لنصلح بين الناس فابى وفي رواية انه
قال جئت جبانا فقال قد علم الناس اني لست بجبان ولكني ذكرني حديثا
فحلفت ان لا اقاتله وفي رواية ان سبب رجوعه انه قال لاصحاب علي افيكم
عمار بن ياسر قالوا نعم فاغمد سيفه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لعمار تقتلك الفئة الباغية ولا مانع انه قال ذلك ثم ذكره علي الحديث
زيادة في اعلامه ثم سار فلما وصل وادي السباع نام فجا رجل فقتله في جمادى الاولى
سنة ست وثلاثين وعمره سبع وستون سنة على الاشهر وقبل ان يجتمع بعلي قال
لابنه عبد الله ما اراني الا ساقتل اليوم مظلوما ثم اكد عليه انه يبيع امواله

ويقضي

ويقضي دينه من ارضين له منها الغابة وبضع عشرة دارا وكان قدر دينه الفا الف
ومايتا الف وما ولي امارة قط ولا جباية ولا خراجا ولا شيا وما خلف درهما ولا دينارا
ولا قضية دينه من ثمن تلك الاراضي والدور وكان ولده عبد الله ينادي في الموسم
مدة اربع سنين الا من له دين على الزبير فلياتنا فلما لم يات احد اخرج ثلث ماله لانه
اوصى به ثم قسم الباقي بين ورثته وكان له اربع نسوة فاصاب كلا منهن الف الف
ومايتا الف فجميع ماله خمسون الف الف ومايتا الف هذا ملخص ما في صحيح البخاري
لكن اعترض بان الصحيح ان الذي تركه مما في الدين والوصية وما ورث عنه
تسعة وخمسون الف الف وثمانماية الف وكان له صدقات كثيرة ومكارم جليلة
وماله كله حلال من مآكل قيل ولا حاجة اليه لان اغنيا الصحابة كلهم كذلك لان
اموالهم اما من سلب او سهم من الغنيمة او الفي او تجارة مبرورة واوصى اليه سبعون
من الصحابة باموالهم واولادهم يحفظها وكان ينفق على اولادهم من ماله ومن
مدح حسان فيه

فكم كربة ذب الزبير بسيفه ... عن المصطفى والله يعطي ويجزل
فما مثله فيهم ولا كان قبله ... وليس يكون الدهر ما دام يذبل
ثناؤك خير من فعال معاشر ... وفعلك يا ابن الهاشمية افضل

ابي القرم بفتح القاف وسكون الراء السيد الكريم عبد الله ابي حبيب
وابي بكر **الذي اغيث** اي اتت به في غاية النجابة والشجاعة والراي الحازم
والشرف الصائب **اسما** بنت ابي بكر الصديق ذات النطاقين بعد عشرين
شهرا من الهجرة بالمدينة وكان اول مولود بعد الهجرة واشتد فرح المهاجرين
به لان اليهود توعدوهم انهم عملوا لهم ما ابطل نسلهم فلا ياتيهم ولد فلما ولد
بان كذبهم ولما احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاه دمه وقال
غيبه في موضع لا يراك فيه احد فلما جا اليه قال ما فعلت بالدم قال

والصفيين توأم الفضل سعد وسعيد اذ عدت الاصفياء

شومته قال اذا لا تلج النار بطنك ويل لك من الناس وويل للناس منك فكان
لذلك لا يسعى في الخلافة فلما مات يزيد سنة اربع وستين فاعطاه اهل اليمن
والحجاز والعراق وخراسان ثم هدم الكعبة ليهدمها وسماعه من خالته
عائشة ما روته له عن النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان قومك حديثوا عهد
بكفر وجعلت بابها المشرقي لاصقا بالارض كما كانت زمن ابراهيم صلى الله
عليه وسلم فاعادها ابن الزبير كذلك بعد ان شاور الصحابة فمنهم من امره
بذلك ومنهم من نهاه عنه فلم يرجع اليه لسماعه الحديث المذكور فكان اجر
ذلك البنا باقيا الى ان يهدمها ذو السويقتين فان البنا الموجود الان كله باوه
الاحايط الميزان فان الحجاج لما حصره اول الحجة سنة اثنين وسبعين وحج الناس
ولم يزل محاصره الى ان قتله سابع جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين هدم ما كان
ادخله الزبير من الحجر وهو ستة اذرع كما ادخله ابراهيم عليه الصلاة والسلام واخرج
الستة ثم اخرج الجدار كما هو اليوم وسد الباب الغربي واعلاه الباب الشرقي لتقصير
كما كانت في زمنه صلى الله عليه وسلم لان قريشا لما بنتها اخرجت فقصر بهم المال الحلال
من ان يجعلوها كما كانت في زمن ابراهيم فجعلوها كذلك وكان ابن الزبير
صغيرا لما بنوا فحمل الحجارة عشر يوما وزفوا ما الملبس لاحيه لدمن دهاء العرب
المشهورين وشجعانهم الموصوفين واحد العبادلة الاربعة المتقاربين سنا وعلما
وذكاء وفهما والثلاثة عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص
وليس منهم الا ابن مسعود لانه اكبر منهم سنا فليس في طبقتهم **والصفيين** تثنية
صفي وهو المطلق المستخلص من الحظوظ والشهوات **توأم الفضل**
من تأمت المراة ولدت اثنين اي ان الفضل انتجهما لكثرة ما قام بهما منه
ولو قال توأما الفضل كان اوضح ومعناه ح انهما لما اشتركا في الفضايل الجليل

لهدمها

ابن

هما الا انهما مولودان في حمل واحد **سعد** ابي اسحاق بن ابي وقاص مالك
القرشي الزهري وهو احد الستة اصحاب الشورى والثالثة انما يعني الى الاسلام
بل هو ثالث الاسلام واحد العشرة المشهود لهم بالجنة والشجعان المشهورين
وهو اول من رمى بالسهم في سبيل الله تعالى واول من اراق دما في سبيل الله تعالى ومن
كان يقال له فارس الاسلام وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى
يوم احد الف سهم وولاه عمر العراق فكان الامير في فتح مداين كسرى وغيرها ومن
كراماته الظاهرة انه قطع بجيوشه البحر على ظهور الخيل لم يبلغ الماء منها الى
حزمها والناس في غاية الطمانينة كانهم سايرون في البر وكان الذي يسايره سلمان
الفارسي رضي الله تعالى عنه وكذلك ولاه عثمان ولايات جليلة وكان صلى الله عليه وسلم
يناوله النبل يوم احد ويقول ارم فداك ابي وامي واقبل النبي صلى الله عليه وسلم جالس
مع اصحابه فقال هذا سعد خالي فليريني امرؤ خاله وقال له اجلس يا خالي
فان الخال والد ودعا له فقال اللهم سدد رميه واجب دعوته وفي رواية
صحيحة اللهم استجب لسعد اذا دعاك فلم تسقط له دعوة بعد ذلك فكان
مجاب الدعوة واشرف على الموت فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم انه يعيش
وقال لعل الله يرفعك فينتفع بك اقوام ويتضرر بك اخرون واعتزل
البيعة بعد قتل عثمان فلم يدخل فيها ولم يحضر شيا من تلك الحروب توفي
رضي الله تعالى عنه بقصره بالعقيق على عشرة اميال من المدينة فحمل اليها
وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة وصلت عليه امهات المؤمنين
في حجرهن ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين عن تسع وسبعين سنة وكفن
اوصى ان يكفن في جبة صوف لقي المشركين فيها يوم بدر وقال انما
كنت اخبأها لذلك وهو اخر المهاجرين موتا وعن مسلم ان ابنه ولا نظر د



الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي نزلت في ستة منهم سعد وابن
مسعود وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي احد العشرة
المشهود لهم بالجنة شهد المشاهد كلها وعده البخاري فيمن شهد بدرا ومر
في ترجمة طلحة انه لم يشهدها وكان اجرا وسهما وهو ابن عم عمر وزوج اخته
والسبب في اسلامه كما مر ولذلك لم يدخله في اهل الشورى كولده عبد الله
لئلا يظن به انه حابى اقرباه واخرج الشيخان ان امرأة ادعت عليه عند مروان
انه اخذ لها قطعة ارض فقال ما كنت لاظلم بعد ان سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من اخذ شبرا من ارض ظلما طوقه من سبع ارضين فقال
مروان لا اسألك بينة بعد هذا اخر قال سعيد اللهم ان كانت كاذبة
فاعم بصرها واقتلها في ارضها فذهب بصرها وبينما هي تمشي في ارضها وقعت
في حفرة فماتت زاد مسلم انها قالت اصابتني دعوة سعيد وفي رواية انه
كان جارها بالعقيق وانه اعطا الذي ادعته ثم دعا عليها بما مر توفي
سنة خمسين عن بضع وسبعين سنة ودفن بالمدينة وابوه زيد توفي في الجاهلية
لكن جات احاديث تدل على انه من اهل الجنة منها لكنه مرسل غفر الله عز وجل
لزيد بن عمرو ورحمه ومنها وصح سئل صلى الله عليه وسلم عنه فقال يأتي يوم القيامة
فهذان من اكابرهم اذ عدت الاصفيا
امة واحدة بيني وبين عيسى
كيف وفي اسميهما ما يشعر ببلوغهما رتبة عظمى من مراتب السعادة وعبد
الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري احد الثمانية السابقين
للاسلام والستة اهل الشورى والعشرة المبشرين بالجنة والخمسة الذين
اسلموا على يد ابي بكر وصح انه كان بينه وبين خالد شيء فبلغ ذلك النبي صلى
الله عليه وسلم فقال لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق احدكم

٢١٦

مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اي نصفه وفي رواية الواقدي
وابن عساكر يا خالد ذروا لي اصحابي لو كان احد ينفقه قيراطا في سبيل الله
لم يدرك غدوة وروحة من غدوات احدهم وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم
المشاهد كلها ممن ثبت يوم احد وبعثه صلى الله عليه وسلم الى دومة الجندل
الى بني كلب وعممه بيده الكريمة وسدلها بين كتفيه وقال ان فتح الله
عليك فتزوج ابنة ملكهم او قال شريفهم ففتح عليه وتزوج بنت شريفهم
الاصبغ فولدت له ابا سلمة وصح انه صلى الله عليه وسلم ائتم به في غزوة تبوك
وصلى وراه ركعة من صلاة الصبح وهذه منقبة لم توجد لصحابي غيره وسببها
انه صلى الله عليه وسلم ذهب لحاجة فادركهم الوقت واقاموا الصلاة فتقدمهم
عبد الرحمن رضي الله تعالى عنه ولما اتم صلى الله عليه وسلم ما فاته خلفه قال ما قبض نبي
حتى يصلي خلف رجل صالح من امته وايتم صلى الله عليه وسلم بابي بكر ايضا لكنه اخرج نفسه
عن الامامة بتاخره وقال لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تثبت
وقد اشرت اليك ما كان ينبغي لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فان قلت لم لم يفعل عبد الرحمن ذلك قلت الظاهر انه
لم يعلم باقتدايه صلى الله عليه وسلم به واقتدى صلى الله عليه وسلم بجبريل عند باب
الكعبة بجانبه عند ناحية الحجر بكسر الحا فصلى به الخمس مرتين في يومين صبيحة
الاسرا والذي يليه وكان كثير الانفاق في سبيل الله اعتق في يوم واحد احدى وثلاثين
عبدا حتى جا ان جملة ما اعتقه ثلاثون الفا وفي حديث انه امين في السما امين في
الارض وكان كثير المال محظوظا في التجارة قال لام سلمة خشيت ان يهلكني كثرة مالي
فقالت له يا بني انفق قال الزهري تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بشطر ماله اربعة الاف دينار ثم اربعين الف دينار ثم حمل على خمسماية فرس

ثم خمساة راحلة وفي رواية الف وخمساه راحلة واوصي لامهات المومنين
بحديقة فبيعت باربعماة الف واوصي بخمسين الف دينار في سبيل الله تعالى لكل
واحد ممن بقي شهد بدرا باربعماة دينار وكانوا ماه وكان من جملتهم عثمان
فاخذ مانابه وبدوابيد المومنين وبالف فرس في سبيل الله تعالى وكان اهل المدينة
عيالا عليه ثلث يقرضهم وثلث يقضي ديونهم وثلث يصلهم وقدمت له
عير من الشام سبعماة راحلة فسمعت عايشة اصواتها فروت حديث
يدخل ابن عوف الجنة حبوا فبلغه فاتاها فحدثته فقال اشهدك انها
واحمالها واقتابها واحلاسها في سبيل الله عز وجل وباع ارضا من عثمان باربعين
الف دينار فقسمها في اقاربه بني زهرة وفقرا المسلمين وامهات المومنين
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال له لن تدخل الجنة الا زحفا فاقرض الله
عز وجل يطلق لك قدميك قال وما الذي اقرضه قال تبرا من كل مالك
ثم بذلك فاتاه جبريل فقال مره فليضف الضيف وليطعم المسكين
وليعط السايل وليبدا بمن يعول فاذا فعل ذلك كان تزكية ما هو فيه
وفي حديث ابن عدي وغيره ان رجلا لين الصوت قرا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فما بقي احد الا فاضت عيناه فقد فاض قلبه وفي حديث ضعيف
اول من يدخل الجنة من اغنيا امتي عبد الرحمن بن عوف والذي نفسي بيده
لن يدخلها الا حبوا وفي اخر رواه احمد والطبراني رايت عبد الرحمن بن عوف
يدخل الجنة حبوا وفي رواية لابن سعيد وابن عساكر كاني بعبد الرحمن بن عوف
على الصراط يميل مرة ويستقيم حتى يفلت ولم يكد لكن يعارض ذلك ما رواه جماعة
انه صلى الله عليه وسلم قال له كف انت يا ابا محمد واما امرا خرتك فانا له ضامن
وسببه ان الحسين اشتد بكاوهما من الجوع فقال صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشي

فاتاه

فاتاه بصحفة فيها حليس ورغيفين بينهما اهالة توفي رضي الله تعالى عنه اثنين
او خمس وسبعين سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان وصلى عليه علي وقيل الزبير
لانه كان هجر عثمان لما اثر اقاربه فقال الناس لابن عوف هذا فعلك فدخل
عليه ولامه وقال انما وليتك لتسير بسيرة الشيخين فقال كان عمر يقطع اقاربه
في الله تعالى وانا اصلهم في الله تعالى فنذر ان لا يكلمه ابدا وترك من الذهب
ما جادبع ثمنه الف دينار ولما قرب من كثرة انفاقه وصدقاته وماله كثرة نقوت
الحمر قال **من** بذل مما قبله **هونت نفسه الدنيا** اي صيرت
اموالها وامتعتها رخيصة عنده **ف**سبب **بذل** لها في وجوه الخير
والقربات بذلا دايما مستمرا كثيرا يبهر العقل ورفع الى الدرجات
العلى كما مر في الاحاديث وذلك البذل الكبير **بعده اثرا** اي كثرة المال
الذي منح الله به عليه والكثرة من التجارة لانه كان محظوظا فيها بحيث
لو مسك التراب صار ذهبا **والمكني اباعبيدة** وهو عامر بن الجراح
القرشي الفهري امين هذه الامة كما صحت به الاحاديث وفي رواية وامين
في اخرى وامينها ايها الامة واحد العشرة والرجلين اللذين عينهما الصديق
يوم السقيفة للخلافة والثاني عمر واحد الخمسة الذين اسلموا في يوم واحد
على يد الصديق وبقيتهم عثمان بن مظعون وعبيدة بن الحارث وعبد الرحمن
ابن عوف وابو سلمة بن عبد الاسد زوج ام سلمة شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد
كلها وثبت يوم احد مع النبي صلى الله عليه وسلم ونزع يومئذ باسنانه حلقتين دخلتا
في وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلق المغفر فوقعت ثنيتاه لانه تحامل
عليهما خوفا من ايلامه صلى الله عليه وسلم فكان من احسن الناس هتما واهتم
مقدم الاسنان وولاه ابو بكر لما ارسل جيشا الى الشام ثم جعل خالد اميرا

عليه وعلي غيره لعلمه بالحروب ولما ولي عمر اعاده لكن امره ان يستشير خالدا
وهو اول من سمي امير الامرا بالشام وروي انه صلي الله عليه وسلم امره علي سرية فيها
ابو بكر وعمر وتعرض له ابوه يوم بدر فاعرض عنه فلازمه فلما اكثر عليه قتله
فانزل الله فيه لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر الاية ولما قال له الصديق
يوم السقيفة مد يدك لابايعك قال ما كنت لاتامر علي رجل قد امرك صلي الله
عليه وسلم فصلي بنا حتي قبض وقال عمر لئن ادركني اجلي وهو موجود
رسول الله
استخلفته لاني سمعت من رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ان لكل امة امينا
وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح ولما قدم عمر الشام تلقاه فقال اين اخي
ابو عبيده فقالوا الساعة ياتيك فاتاه علي ناقة مخطومة بخطام ليف فنزل
عمر عن راحلته واعتنقه وقال للناس انصرفوا عنا ثم دخل معه الي بيته
فلم يجد فيه سوي سيفه وترسه وقوسه ورحله فبكي عمر وقال لاصحابه تمنوا فقال
رجل ملا هذه الدار ذهبا انفقه في سبيل الله تعالي وقال اخر جوهرا انفقه
فقال عمر وانا اتمني لو ان هذه الدار مملوة رجالا مثل ابي عبيدة وله فتوحات
كثيرة ووقعات كثيرة مع المشركين هائلة وصح عن الحسن مرسلا ما من احد من
اصحابي الا لو شئت لاخذت عليه في بعض خلقه غير ابي عبيدة بن الجراح توفي
سنة ثماني عشرة شهيدا بالطاعون في طاعون عمواس قرية بين الرملة وبين
بيت المقدس اول ما وقع بها ثم انتشر بالشام وقبره معروف ثم قال
الامام النووي رحمه الله تعالي زرته فرايت عنده عجبا ورايت عنده من
الجلالة ما هو لايق به اذ ظرف لاقسم المقدر او تعليل له يعزي اي ينسب
اليه اي ابي عبيدة الامانة الامنا واجلهم نبينا صلي الله عليه وسلم فانه
قال كما صح عنه لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح ومن

روايه

بعميك نيري فلك المجد وكل اتاه منك اماء

رواية واميني ومن احوي رامينا ايتها الامة واعلم ان هذه كقوله صلي الله عليه وسلم
في ابي ذر انه اصدق من اظلت الخضرا واقلت الغبرا لا يقتضي تفضيلا
علي الخلفا الراشدين لان اوليك كملت فيهم صفة الامانة والصدق وتميزا
فيهما علي من لم يكملا فيه ولو سلمنا زيادتهما فيهما عليهم لكن لم يقتض ذلك
تفضيلا ايضا لان المفضول قد يتميز بمزية بل بمزايا لم توجد في الفاضل لانه
خلف تلك المزايا مزايا اخري اجل منها واعظم فحصل مناط الافضلية فيه
وان خلا عما تميز به المفضول واقسم عليك بعميك اخوي ابيك لابيه وهما
حمزة والعباس رضي الله تعالي عنهما وكل منهما اسن من النبي صلي الله عليه وسلم
بنحو السنتين نيري تثنية نير وهو الكوكب المضي فلك وهو ما تسير فيه
الكواكب المجد اي الكرم والحسب شبه المجد بالسما واثبت لها ما هو من
لوازمها وهو الفلك اذ كل سما تسمي فلكا ففي استعارة بالكناية واستعارة تخييلية
وفيها استعارة تجريدية بذكر الملايم للمعنيين وكل منهما اتاه اي حصل له
منك اما بوزن كتاب وهو ما يخرج من الشجر والنما كما في القاموس وقال
الشارح هو ما يستغل من النعم والخيرات من غير تعب كحمل النخل وثمار الاشجار
ولعله تفسير مراد اما حمزة ويكني ابا عمارة ويلقب باسد الله واسد رسوله
فكان عليا شجاعا اخا النبي صلي الله عليه وسلم من الرضاعة اسلم قديما وسبب اسلامه
ان اللعين ابا جهل شتم رسول الله صلي الله عليه وسلم فانصرف ولم يجبه وانصرف
ابو جهل الي نادي قريش عند الكعبة واقبل حمزة من قنصه متوشحا قوسه
فاخبر وهو في قريش واشد شكيمة فغضب وعمده فشجه في راسه
شجة منكرة وقال اتشتمه وانا علي دينه فقامت اليه رجال من بني مخزوم
فمنعهم ابو جهل خشية الفتنة وهو اول من اتخذ له النبي صلي الله عليه وسلم

لواحين بعثه الي سيف البحر مكبر السبين من جهينة استشهد باحد نصف
شوال ثالث سني الهجرة بعد ان قتل احد وثلاثين كافرا قتله وحشي عبد
لعقبة السلمي قال وانه يهد الابطال هدا فاختفيت له فلما سكنت منه
دسسته بحربتي فاصابته وتلبث هادا فاتبعني حتى سقط وبعد ذلك اسلم وحشي
هذا فقبله صلى الله عليه وسلم وقال له غيب وجهك عني اي خشية ان يصيبه منه
شي اذا تذكر قتله لحمزة وخرج يوم اليمامة فشارك رجلا في قتل مسيلمة الكذاب
فكان يقول هذه بتلك ومع ذلك فقد اصابه ما اصابه لما صح عن ابن المسيب
انه قال كنت اعجب لقاتل حمزة كيف ينجوا حتى مات غريقا في الخمر وقال ابن
هشام بلغني انه لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر يقول
لقد علمت لم يكن ليدع قاتل حمزة ولما راى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة قتيلا بكى ولما راى
ما مثل به شهق وقال لن اصاب بمثلك ابدا ما وقفت موقفا اغيظ لي من هذا
وروى ابن شاذان عن ابن مسعود ما راينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا قط اشد
من بكائه على حمزة وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وبكى بكا حتى كاد يغشى عليه
يقول يا حمزة يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اسد الله واسد رسوله يا حمزة
يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وليس في هذا نوح ولا تعديد شمايل بل احيا ونقصا يلو شمايله
رضي الله تعالى عنه وصح حديث انه سيد الشهدا يوم القيامة وانه لولا جزع الناس
لتركته حتى يحشر من بطون الطيور والسباع وحديث رحمة الله عليك قد كنت
وصولا للرحم فعولا للخيرات وصح الحاكم حديث والذي نفسي بيده انه لمكتوب
عند الله تعالى في السما السابعة حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله
لكن تعقب وورد من طرق ان الملايكة غسلته وصح الحاكم لكن تعقب

واما العباس وكنيته ابو الفضل فكان جليلا جوادا ذا راي وكمال عقل
معظما بين الصحابة وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رييسا في قريش قبل
الاسلام وكانت اليه عمارة المسجد الحرام والسقاية وكان مع النبي صلى الله
عليه وسلم يوم العقبة يعقد له البيعة على الانصار وكان صلى الله عليه وسلم
يثق به في امره كله اسر ببدر ولقوله صلى الله عليه وسلم بين لكونهم شدوا وثاقه
فلم ينم فقيل له ما يسهرك يا رسول الله قال انين العباس فقام رجل فارخى
من وثاقه ووثاق البقية وفادى نفسه وعقيلا ابن اخيه بعد ان قال
ما معي شي فقال له صلى الله عليه وسلم واين المال الذي قلت لام الفضل
اي زوجته حين خرجت اذا انا مت فافعلي به كذا فقال من اعلمك بهذا
ولم يطلع عليه غيره وغيرها فاسلم سرا وكتم ايمانه الى قبيل فتح مكة فخرج الى
النبي صلى الله عليه وسلم ولقيه بالابوا وبه ختمت الهجرة وكان ردا النبي صلى الله
عليه وسلم بمكة يكاتبه باخبار اهلها وكان المسلمون بمكة يثقون به وكان يحب
القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه ان يقال بمكة خير لك ولما قالت
الانصار يترك لابن اختنا عباس فداه ابى صلى الله عليه وسلم وشهد مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حنينا وثبت معه حين انهزم الناس وكان عمر يستسقي به
الغيث اذا قحط الناس فيقول اللهم انا كنا نستسقي بنبيك فتسقينا وها نحن
نستسقي بعم نبيك فاسقنا فيسقون توفي بالمدينة ثاني عشر رجب او رمضان
سنة اثنين وثلاثين وله نحو من ثمانين سنة وقبره مشهور بالبقيع وصح حديث
العباس مني وانا منه لا تسبوا امواتنا فتوذوا به الاحيا وحديث انه سال
النبي صلى الله عليه وسلم ان يستعمله على الصدقة فقال ما كنت لاستعملك على غسالة
ذنوب الناس وحديث من اذى العباس فقد اذاني فانما عم الرجل صنو ابيه

وحديث اوصاني الله بذي القربى وامرني ان ابدا بالعباس بن عبد المطلب
واخرج الدارقطني في الافراد ليكونن في ولد العباس ملوك يكون امراء امتي يعز الله بهم
الدين وابن عساكر اللهم اغفر له ذنبه وتقبل منه احسن ما عمل وتجاوز عنه
سيء ما عمل واصلح له في ذريته لا توذوا العباس فتوذوني ومن سب العباس
فقد سبني وفي حديث ضعيف وقال ابن الجوزي موضوع العباس وصيي
ووارثي واخرج الرافعي الا ابشرك يا عم ان من ذريتك الاصفيا ومن عترتك
الخلفا ومنك المهدي في اخر الزمان به ينشر الله الهدى وبه تطفى نيران الضلالة
ان الله فتح بنا هذا الامر وبذريتك يختم وكون المهدي من ولده يحمل على ان
فيه شعبة منه لما صح انه من ولد فاطمة وصح انه من ولد الحسين ايضا فهو حسيني
وفيه شعبة من الحسين وشعبة من العباس والترمذي وقال حسن غريب
اللهم اغفر للعباس وولد العباس ولمن احبهم وابن عساكر اللهم اغفر
للعباس ما اسر وما اعلن وما ابدى وما اعلن وما اخفى وما كان وما
يكون منه ومن ذريته الى يوم القيامة والخطيب انت عمي وصنو ابي وخير من
اخلف بعدي من اهلي اذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك
منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي فاقتصر عليك بام السبطين
الحسن والحسين فاطمة وهي اصغر بناته صلى الله عليه وسلم زوج علي زوجها
له النبي صلى الله عليه وسلم ثاني سني الهجرة بوحي من الله تعالى بذلك كما ورد ودخل
بها بعد تزوجها بسبعة اشهر ونصف في ذي الحجة على راس اثنين وعشرين
شهرا وكان سنها حينئذ خمس عشرة سنة وخمسة اشهر ونصف وقيل نحو عشرين
سنة وسن علي احد وعشرين سنة واشهر قال ابن عبد البر وهي وام كلثوم
افضل بناته وكانت فاطمة احب بناته اليه وكان يقبلها في فمها ويمصها لسانه

واذا

واذا اراد سفرا يكون اخر عهده بها واذا قدم اول ما يدخل عليها وتوفيت
بعده صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة احدى عشر فبينهما نحو ستة اشهر وسنها
تسع وعشرون سنة اي على القول الثاني وقد اسر اليها النبي صلى الله عليه وسلم انها
اول اهل بيته لحوقا به فسرت بذلك ودفنها علي ليلا بوصية منها واختلف في محل
قبرها والاشهر انها في قبة ولدها الحسن قرب محرابها وكان القطب ابو العباس
المرسي يجزم بهذا قيل فلعله كوشف به وروى احمد في المناقب والدولابي انها
اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت لكن يعارضه انها امرت فاطمة بنت
عميس بان تغسلها وهذه مقدمة لان الاصل عدم الخصوصية وبنيها يعني
اولادها الحسن والحسين ومحسنا وهذا مات صغيرا وام كلثوم وزينب واولادهم
الى قيام الساعة ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عقب الا منها فانتشر نسله من جهة
السبطين فقط وام كلثوم ولدت لعمر ذكرا وانثى وماتا صغيرين ثم
بعد عمر تزوجت بعون بن جعفر ثم بعد موته باخيه محمد ثم باخيه عبد الله
ولم تعقب منهم شيئا ثم تزوج الاخير باختها زينب فولدت له عدة منهم
علي وام كلثوم وانتشر نسلها ولهم شرف اعلا من شرف اولاد عبد الله من
غير زينب وادون شرف الحسنين لمزيتهما بما ورد فيهما وللعباسيين والطالبيين
شرف ايضا ومن ثم لقب بالشرف كل عباسي ببغداد وعلوي بمصر وجعفر
الصادق ولد اسمه اسحق تزوج السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن علي
كرم الله وجهه وله منها ولدان لم يعقبا ومن حوته العبا وهم النبي
صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعلي وابناها ومر لبعض هولا فضايل كعلي وابنيه
رضي الله تعالى عنهم ومن فضايل فاطمة ما صح عن ابيها القايل تعالى في حقه
وما ينطق عن الهوى ان فاطمة بضعة مني يوذيني ما يوذيها وينصبني

العامه

ما اصبها احب اهلي الى فاطمة اذا كان يوم نادى مناد من وراء الحجب يا اهل
الجمع غضوا ابصاركم عن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم حتى تمر ان فاطمة
احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار فاطمة بضعة
مني يغضبني ما يغضبها ويبسطني ما يبسطها وان الانساب تنقطع يوم
القيامة الا نسبي وحسبي وصهري يا فاطمة سيدة نساء اهل الجنة يا فاطمة الا ترضين
ان تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المومنين وسيدة نساء هذه الامة وخبر
اتاني جبريل بسفرجلة من الجنة فاكلتها ليلة اسري بي فعلقت خديجة بفاطمة
فكنت اذا اشتقت الى رائحة الجنة شممت رقبة فاطمة قال الائمة رد على تصحيح
الحاكم انه كذب موضوع جلي الوضع لان فاطمة ولدت قبل النبوة فضلا عن الاسرا
وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل على علي وفاطمة وابنيهما كسا وقال اللهم هولا
اهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت ام سلمة وانا منهم
قال انك على خير وفي رواية جللهم بكساء ووضع يده عليها وقال اللهم هولاء ال
محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على ال محمد انك حميد مجيد وفي الاخرى ان الاية
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا نزلت
بيت ام سلمة فارسل صلى الله عليه وسلم اليهم وجللهم بكسائه ثم قال نحو ما مر
وفي اخرى انه جا واجتمعوا فنزلت فان صحتا فهي نزلت مرتين وفي اخرى
ان ام سلمة قالت له الست من اهلك قال بلى وانه ادخلها الكسا بعد ما قضى
الدعا لهم وفي اخرى صحيحة انها قالت يا رسول الله انا من اهل البيت
قال بلى ان شاء الله تعالى وفي اخرى ان واثلة قال لما سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم دعا عليهم وهم تحت الكسا قلت وعلي يا رسول الله قال اللهم
وعلى واثلة وفي اخرى صحيحة قال واثلة وانا من اهلك قال وانت

من اهلي قال واثلة انها لمن ارجى ما ارجو اه قال البيهقي وكان في حكم الاهل تشبيها
بمن يستحق هذا الاسم لا تحقيقا واشار المحب الطبري الى ان التجليل بالكسا من
ذكر تكرر منه صلى الله عليه وسلم في بيت ام سلمة وبيت فاطمة وغيرهما وبه جمع بين اختلاف
الروايات في هيئة اجتماعهم وما جللهم به وما دعا به لهم وما اجاب واثلة وام سلمة
وفي اخرى سندها حسن انه اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي
وهولاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه فامنت اسكفة الباب
وحوايط البيت فقالت امين ثلاثا **و** اقسم عليك **بازواجك اللواتي تشرفن**
بان صابهن عن النار والنقايص لما صح عنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم
يزوجه الا من سيكون معه في الجنة **منك** حال من قوله **بناء** اي دخول وظاهر
كلامه ان من تزوجها ولم يدخل بها لا يحصل الشرف وينبغي تحريمه على حرمتها على
غيره فان قلنا تحرم وهو الاصح حصل لها الشرف او تحل لم يحصل وهن احدى عشر
متفق عليهن قرشيات واربع عربيات واسرائيلية اولهن خديجة تزوجها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد زوجين ولدت لكل منهما ولها يوم تزوجها اربعون سنة
واشهر وله خمس وعشرون سنة عند الاكثرين وكانت قد عرضت نفسها كما مر وهي
اول من امن به من النساء وفي الصحيحين ان جبريل قال يا محمد هذه خديجة
قد اتتك باناء فيه طعام وادام وشراب فاذا هي اتتك فاقرا عليها السلام من ربها
ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب اي لولو مجوف لا صخب ولا نصب واولاده
صلى الله عليه وسلم منها الا ابراهيم واختلف في عدتهم وجملة ما اتفق عليه منهم ستة القاسم
ولد قبل النبوة وبه كان يكنى ومات بعد نحو سنتين على خلاف فيه واربع بنات
زينب وهي اكبرهن وماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها ابن خالتها ابي العاص بن الربيع
ولدت منه عليا كان رديفه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ومات قبل الاحتلام

واسامة التي حملها في صلاته تزوجها علي بعد فاطمة رضي الله تعالى عنهم ثم رقية توفت
وهو صلى الله عليه وسلم ببدر ولما عزي بها قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات
خرجه الدولابي ثم ام كلثوم توفيت سنة تسع من الهجرة تزوجها عثمان بن ابي العاص ثم
فاطمة الزهرا البتول قال ابن عبد البر ولدت سنة احدى واربعين من مولده
صلى الله عليه وسلم والذي رواه ابن اسحاق انها ولدت قبل النبوه قال ابن الجوزي
قبلها بخمس سنين وسميت فاطمة والزهرا المامو وبتولا لان الله قطعها عن النسا
حسبا وفضلا او لانقطاعها الى الله تعالى واختلف في انه صلى الله عليه وسلم هل ولد
له غير اوليك الستة فقيل الطيب والطاهر وعبد الله قيل الاولان لقبان للثالث
ومات صغيرا وهو الاصح وقيل عبد مناف وقيل المطهر واما ابراهيم فمن سريته مارية
القبطية ولد في الحجة سنة ثمان وسماه بابراهيم باسم ابيه وقيل السابع وفيه روايتان
وجمعت بانها وقعت قبله مخفيه واظهرت فيه وكان صلى الله عليه وسلم يذهب اليه
وهو في العوالي عند ظئرة الحداد فياخذه ويقبله ثم يرجع توفي وله سبعون
يوما وقيل سنة وعشرة اشهر وقيل غير ذلك وصح ردا بذا انه لم يصل عليه اي بنفسه
بل امرهم فصلوا عليه وفي حديث لو بقي لكان نبيا لكنه لم يبق لان نبيكم اخر الانبيا
لكن بالغ النووي في تضعيفه وبطلانه ورد بانه وارد من طرق ولا اشكال فيه
لان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع بل ولا الامكان توفيت خديجة
قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ودفنت بالحجون عن خمس وستين سنة ثم
تزوج سودة بنت زمعة بعد موت ابن عمها رضي الله تعالى عنها اخي سهيل
ابن عمرو بمكة لما رجعا من الحبشة بعد عقده على عايشة ودخل بها قبل عايشة
على ما جمع به بين الخلاف في ذلك واراد طلاقها لما اسنت فوهبت نوبتها
لعايشة فامسكها توفيت بالمدينة في شوال سنة اربع وخمسين ثم عايشة

بمكة

بمكة في شوال سنة عشر من النبوه ودخل بها في المدينة في شوال على راس
ثمانية عشر شهرا وهي بنت تسع سنين ولم يتزوج بكرا غيرها واحبها صلى الله
عليه وسلم اكثر من بقية نسايه ولما فقدها في بعض اسفاره قال واعروساه
خرجه احمد وكانت فقيهة عالمة حافظة فصيحة ماتت رضي الله تعالى عنها
بالمدينة سنة سبع وخمسين وكناها صلى الله عليه وسلم ام عبد الله بابن اختها عبد الله
ابن الزبير لا بسقط اسقطته صلى الله عليه وسلم لان ذلك لم يثبت وهي وخديجة افضل
امهات المومنين ثم الاصح ان خديجة افضل لما صح ان عايشة لما قالت له قد
رزقك الله خيرا منها قال لا والله ما رزقني الله خيرا منها امنت بي حين كذبني
الناس واعطتني مالها حين حرمني الناس ولانه صلى الله عليه وسلم اقرا عايشة
السلام من جبريل وخديجة السلام من الله تعالى والاصح ايضا ان فاطمة افضل
من خديجة لما فيها من البضعة الكريمة التي لا يعادلها شي والخبر المقتضي
لخيرية خديجة اجيب عنه بانه من حيث الامومة لا السيادة وممن جرى على ذلك
الامام المجتهد التقي السبكي فقال والذي نختار وندين الله به ان فاطمة
افضل ثم خديجة ثم عايشة واختار ابنه ان مريم افضل من خديجة للاختلاف
في نبوتها ثم حفصة بنت عمر سنة ثلاث من الهجرة بعد ما رجعت من هجرة
الحبشة وموت زوجها بعد غزوة بدر وطلقها صلى الله عليه وسلم فاوحى الله
اليه ان راجعها فانها صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة توفيت سنة خمس
واربعين ثم ام سلمة بعد موت ابي سلمة سنة اربع وكانت من اكمل النسا ماتت
سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع ثم ام حبيبة رملة بنت ابي سفيان
ابن حرب بعد ان مات زوجها عبيد الله بن جحش بالحبشة مرتدا سنة
ست زوجها النجاشي لعمرو بن امية الضمري وكيله صلى الله عليه وسلم

فدخل بها سنة سبع
واصدقها عنه اربعماة دينار وبعث بها اليه صلى الله عليه وسلم
ماتت بالمدينة سنة اربع واربعين وتزوج زينب بنت جحش بعد زيد زوجه الله
اياها فدخل عليها بغير عقد كما دلت عليه الاية وكانت تفخر بذلك على امهات
المومنين سنة خمس وقيل ثلاث وهي اول من مات منهن بعده وصح عن
عايشة لم ترى امراة خيرا منها في الدين واتقاه واصدق حديثا واوصل للرحم واوسع
صدقة واشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به الى الله تعالى اي
وهو الرفع رواه مسلم ماتت بالمدينة سنة عشرين وتزوج زينب بنت خزيمة الهلالية
وكانت تسمى في الجاهلية ام المساكين لاطعامها اياهم سنة ثلاث ثم ماتت بعد
ثلاثة اشهر وتزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية سنة سبع بعد خيبر وبنى
بها فيه وكان حلالا ورواة محرما معناها انه في الحرم على ان من خصايصه صلى الله عليه
وسلم ان له ان ينكح وهو محرم وماتت فيه سنة احدى وخمسين وقبرها به مشهور
يزار ويتبرك به وتزوج جويرية بنت الحارث الخزاعية وكانت وقعت في سهم ثابت
ابن قيس بن شماس الانصاري فكاتبها فجاءت تسال النبي صلى الله عليه وسلم وعرفته
بنفسها فقال هل لك الى ما هو خير من ذلك اودي عنك كتابتك واتزوجك قالت
نعم فسمع الناس بذلك فاعتقوا ما في ايديهم من قومها وقالوا اصهار رسول الله
قالت عايشة فما رأينا امراة اعظم بركة على قومها منها اعتق في سببها ماية اهل
بيت من بني ~~المصطلق~~ المصطلق خرجه ابو داود وعن ابن شهاب انها اختارها
من السبي فحجبها وقسم لها وكانت بنت عشرين سنة توفيت سنة خمسين وتزوج
صفية بنت حيي من نسل هرون صلى الله على نبينا وعليه وعلى ساير الانبيا والمرسلين
وسلم وهي من سبي خيبر اذن صلى الله عليه وسلم لدحية في اخذها جارية فاخذها
فقيل اعطيته سيدة قريظة والنضير وهي لا تصلح الا لك فخشي عليهم الفتنة

فاعطاه

الامان الامان ان فوادي من ذنوب اتيتهن هواء قد تمسكت من ودادك بالحبل الذي استمسكت به الشفعاء

فاعطاه غيرها ثم اعتقها وتزوجها وبنى بها وهو راجع الى المدينة وفي رواية انه صلى الله
عليه وسلم قال لها هل لك فيّ قالت يا رسول الله اني كنت اتمنى ذلك في الشرك
وكان بعينها خضرة فسالها عنها فقالت انها كانت نايمة وراس زوجها ملكهم
في حجرها فرات قمرا وقع في حجرها فاخبرته فلطمها تتمنين ملك يثرب ماتت
رضي الله تعالى عنها في رمضان سنة خمسين ودفنت بالبقيع فهولا فاوه المجمع عليهن
واختلفوا في ثنتي عشرة امراة بعضهن الاصح فيه انه طلق قبل الدخول وبعضهن
الاصح فيه انه لم يتزوجه ومحل بسط ذلك كتب السير **الامان** اي اقسم عليك
بهولا المذكورين وما تختص به ان تنيلني من حضرتك بواسطة شفاعتك في
الامن لا يخيب شفاعتك او ان تو منني الامان **الامان** تاكيدا من عقاب ما اقترفت
من الذنوب وقطيعة ما جمعته من العيوب **ان** بالفتح تعليلا بالكسر استينافا وفيه
ايماء الى العلة ابن **فوادي** من اجل **من ذنوب اتيتهن هوا** اي خال عن فهم ما ينفعني
في ديني ودنياي لفرط الحيا والخجل من الله تعالى والدهشة من خوف عقابه وسخطه
دون تخذهبا اي لا وجود له فيرجع لمعنى الاول ومما يعطفك علي حتى يعم بدا اعتناوك
بي وامدادك اياي **قد تمسكت** اي توثقت واعتصمت **من ودادك**
اي محبتي لك ركون المحبة تستلزم الاتباع انا هو اغلبي كما يدل عليه حديث
يا رسول الله المرء يحب القوم ولما يعمل بعملهم فقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب
او ان المستلزم لذلك هو كمالها او ان ذلك من الناظم من كمال هضم النفس
بتقديم ما لا يقع واقعا كما هو شان الخوف المراعي مطلقا وفي بعض الاحوال
بالحبل اي السبب الاقوى وهو العهد الوارد عنك في الاحاديث الصحيحة
ان المرء مع من احب وان لم يعمل بعملهم **الذي استمسكت به الشفعا** من
الانبيا والاوليا والعلما فلم يحصل لهم مرتبة الشفاعة الا بواسطة محبتهم لك

واذا اورثتهم محبتك قبول شفاعتهم في الاعياد ادرتقني وقوع شفاعتك في مجامع
اني احبك كما يحبونك وان اختلف مقدار المحبة في الطرفين واعلم ان العلما
والعارفين اختلفت عباراتهم في المحبة وكثرت ولكن ليس اختلافا في حقيقتها
بل احوالها وثمراتها اذ حقيقتها من المعلومات التي لا تحد كما اطبق عليه المحققون
وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير به ومن ثم قال صاحب
مدارج السالكين كغيره هي لا تحد بحد اوضح منها فالحد ولا تزيدها الا خفا وانما
تكلم الناس في اسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها واحكامها فحد ودهم
ورسومهم دارت على هذه الشرطة وصرعت بهم العبارات وكثرت الاشارات
بحسب الادراك والمقام والحال وقد وضعوا لها حرفين مناسبين لها غاية
المناسبة الحا التي هي من اقصى الحلق والبا الشفهية التي هي نهاية فللحا الابتدا
وللبا الانتها وهذا شان المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداها منه
وانتهاها اليه واعطوا الحب وهو المحبوب الكسرة لخفتها المطابقة لخفة المحبوب
وذكره على القلوب والعيان وهذه مناسبة عجيبة بين الالفاظ والمعاني تعلمك
بان غير لغة العرب لا تلحقها واعلم ايضا انه صح في الحديث لا يومن احدكم
حتى اكون احب اليه من ولده ووالده وماله والناس اجمعين قالوا المراد هنا
حبه صلى الله عليه وسلم اي الميل اليه اختيار الاطبعا وكل من كان ذا نفس مطمئنة
كان حبه راجحا واما غيره كان مرجوحا وفي كلام عياض ان هذا شرط لصحة الايمان
ورد بان حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال وليس مرادا هنا اذ اعتقاد الاعظمية لا
يستلزم المحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شي مع خلوه عن محبته وانما المراد الميل
كما تقرر فمن لم يجد ذلك الميل لم يكمل ايمانه وفي صحيح البخاري ان عمر قال يا رسول الله
انت احب الي من كل شي الا من نفسي التي بين جنبي فقال صلى الله عليه وسلم لن يومن احدكم

وابى الله ان يمسي السوا بحال لي اليك التجاء قد رجوناك للامور التي ابردها في قلوبنا رمضاء

بي حتى اكون اليه احب من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي
التي بين جنبي فقال له صلى الله عليه وسلم الان يا عمر فهذه المحبة ليست باعتقاد الاعظمية
فقط فانه حاصل لعمر قطعا وانما لان حب الانسان نفسه طبيعي وغيره اختياري
بسبب الاسباب وهذا هو الذي اراده عمر اذ لا سبيل الى قلب الطبع وتغيير ما جبلت
عليه النفس فجواب عمر اولا بحسب الطبع ثم تامل فعرف بالدليل انه صلى الله عليه وسلم
احب اليه من نفسه نظرا لكونه هو الذي انقذه من هلاك الدنيا والاخرة
فاخبر بما اقتضاه الاختيار فاجابه بالان اي عرفت فنطقت بما يجب ومن علامة
محبته صلى الله عليه وسلم ايثار ماموره ومنهيه على جميع اغراضه قال القرطبي وكل
من امن به ايمانا صحيحا لا يخلوا عن وجدان شي من تلك المحبة الراجحة ولكنهم متفاوتون
تفاوتا ظاهرا وكثير من العامة يوثر رويته صلى الله عليه وسلم على اهله وماله وولده وكذا
زيارته بل زيارة اثاره لما وقر في قلوبهم من محبته صلى الله عليه وسلم غير ان ذلك سريع
الزوال لتوالي الغفلات والشهوات عليهم وابى الله اي لم يرده كما جرت
به عادة كرمه وفضله وجوده ودل عليه ما تفضل به عليك بقوله عز قايلا ولسوف
يعطيك ربك فترضى والمعلوم المستقر من اخلاقك الجميلة والذي دلت عليه اثارك
الجليلة ان من لجا اليك لا تخيبه من شفاعتك ولا يحرمه ربك من فضله مسارعة الى رضاك
ومن ثم اخبرنا عنه تعالى انه سبحانه وتعالى يقول في ذلك الجمع على رءوس الاشهاد قل
يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع ان يمسي السوا بحال اي في حال من الاحوال
الدنيوية والاخروية والحال اني لي اليك التجا اي استناد لمزيد محبتي لك وخدمتي
لجنابك ومن هو لذلك حقيق بان لا يناله من ربه عذاب ولا سخط ولا حرمان ولا
قطيعة ولاجل ذلك قد رجوناك معشر محبيك وخدامك ايها النبي الكريم اي املنا
فيك للامور الخطيرة العظيمة من الذنوب والمخالفات والغفلات والشهوات

واتينا اليك انضا فقر حملتنا الى الغنا انضاء وانطوت في الصدور حاجات نفس مالها عن ندي يديك انطواء
فاغثنا يا من هو الغوث والغيث اذا اجهد الورى اللاواء والجواد الذي به تفرج الغمة عنا وتكشف الحوباء

التي ابردها اي ابتي حاصل **في قلوبنا رمضا** اي نار تتقد من شدة خوف
المواخذة بما كسبت قلوبنا السيئا وجوارحنا بين ابردها ورمضا والفقر والغني
الطاقة **واتينا اليك** بقلوبنا اي وجهناها الي الاستغاثة بك من كل مكروه
او الي غيرك الكرم حال كوننا **انضا** جمع نضو بكسر النون اي مهازيل **فقر** من
الاعمال الصالحة فلكثرة ما حملناه من الذنوب ضعفنا عن حمله وهزلنا بسبب ثقله
حملتنا الي حضرتك التي فيها **الغنا** الاكبر **انضا** اي ركايب مهازيل اجهدها
طول السير وشدة الاسراع بها الي الوصول الي حضرتك العلية اهتماما للوقوف بساحات
كرمها والتملي بشهود احسانها ونعمها **وانطوت** اي استترت **في الصدور** اي
القلوب **حاجات نفس** امّلت حصولها من جنابك الكريم ترفعها اليك اذا
وصلت الي حضرتك وحليت بحلول نظرك منها الامداد من مزاياك والتوسل والتشفع
بك الي مولاك لانه للوسيلة اليه اقرب منك اليه ولا احد بعدك يعول الكل فضلا عن
غيرهم عليه فح كانت تلك الحاجات **مالها عن ندي** اي عطا **يديك** الكريمتين
انطوا اي استتار واستغنا لا يقضيها غير جاهك الواسع ولا يني بها غير
عطاياك الهامع فلا انفصال للناس عن واسع جودك ولا انصراف من ساحة كرمك
بل لا نزال مقيمين بجوارك مستظلين لندي اثارك طامعين في حصول كل ما املنا
بشفاعتك التي هي مطمع المذنبين ووسيلة المقصرين **فاغثنا** بما تقضي جميع
حاجاتنا لوفور جاهك وعظيم منزلتك عند ربك **يا من هو الغوث** للمكروبين
والمنجا للمنقطعين المنقذ لهم من الشدايد **والغيث** المريع للمضرين المتبع
للجايعين المحول لهم من العوايد فازل شكوانا وارفع لاوانا **اذا اجهد**
الورى اللاوا اي اذا ضيق علي الخلق الجدب حتي اشرفوا علي التلف **والجواد**
الاعظم **الذي** لم يخلق الله تعالي من يصل الي مراتبه فضلا عن ان يساويه

به

يا رحيما بالمومنين اذا ما ذهلت عن ابنايها الرحماء

فبه **به** اي بسببه **تفرج الغمة عنا** معشر امته **وتكشف الحوبا** بفتح
اوله وضمه اي الاثم اي عقابه والشدة والحاجة والحالة القبيحة وفي نسخة به
تفرج الكربة وتكشف الغما وهي بمعني الاول لمساواة الغمة الكربة اذ هما الكرب
الذي يشتد علي النفس الي ان يكاد يقتلها والغما والحوبا في معانيها المذكورة عن
عمر الهلال ستره غيم او نحوه والخبر استعير **يا** ندا تضمن غاية الاستعطاف
والترحم وهو معطوف علي الندا قبله بحذف حرف العطف او مستانف لكنه بعيد
رحيما من الرحمة وهي رقة القلب وغايتها التفضل والانعام او ارادتها
ومر في باسما اول ابيات هذه القصيدة ما يتعين استحضاره هنا **بالمومنين**
مقتبس من قوله تعالي بالمومنين روف رحيم وكان بالمومنين رحيما ومر في شرح قوله
رحمة كله ما يعلمك بسعة رحمته لا سيما بالمومنين وباهر رافته لا سيما علي الضعفا
والمساكين والايمان التصديق الاجمالي والتفصيلي في التفصيلي بجميع ما علم
من دين محمد صلي الله عليه وسلم بالضرورة عندنا اذ لا يكفر منكر غير الضروري
وهو ما يستوي في معرفته الخاص والعام اذ بالاجماع وان لم يكن ضروريا لان
انكار المجمع عليه غير ضروري يكفر عند غيرنا بل وجماعة منا ولا يكفي التصديق
وحده بل لا بد معه من الاقرار بالشهادتين باللسان فان تركه مع القدرة عليه
كان كافرا مخلدا في النار كما نقله النووي عن اهل السنة لكن اشار الغزالي رحمه الله
تعالي الي ما اختاره جمع محققون غيره انه من اهل الجنة وترك التلفظ معصية
فقط لان قلبه مملو بالتصديق فكيف يخلد والكلام فيمن لم يمتنع منه
جحودا وانكارا والا كان كافرا اجماعا والاعمال من الايمان عندنا كاكثر
المحدثين اي من كماله فالمذنب مومن فاسق تحت المشية قال تعالي
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقالت الخوارج انه كافر

والمعتزلة انه لا كافر ولا مومن وهو عندها مخلد في النار لانتفا الايمان المتكفل
بدخول الجنة تنبيـــــه لم يتعين الاحاطة به لعظيم جدواه
وعظيم نجواه اعلم ان رحيما صيغة مبالغة بل ذكر غير واحد انه ابلغ من الرحمن
وانه يستعمل في الله تعالى وفي غيره لكن في استعمال صيغة المبالغة فيه تعالى اشكال
ومن ثم قال بعض الايمة صفات الله تعالى التي على سبيل المبالغة كلها مجاز لاستحالة
حقيقة المبالغة فيها لانها تثبت للشي اكثر مما له وصفاته تعالى بانهية الكمال وايضا
فهي انما تكون في صفة تقبل الزيادة والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك واستحسن
ذلك التقي السبكي وغيره فاستشكل والله على كل شي قدير بانه لما فيه من المبالغة
اما يستلزم الزيادة على معنى قادر وهي محال واجاب الزركشي عن الاول بان
صيغة المبالغة اما بحسب زيادة الفعل او تعدد المفعولات وهذا لا يوجب
للفعل زيادة لان الفعل الواحد قد يقع على متعدد وعلى هذا تحمل صفاته تعالى
بلا اشكال ولهذا قال بعضهم في حكيم معنى المبالغة فيه تكرر حكمه بالنسبة
الى الشرايع وفي الكشاف المبالغة في التواب اي في نحو وهاب وتواب للدلالة على
كثرة من يتوب عليه من عباده وفي قبول التوبة حتى تنزل صاحبها منزلة من لم
يذنب قط لسعة كرمه وعبر الزركشي عن الثاني بما يؤول الى ما قاله الزركشي
وهو ان المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها الى مجموع الافراد
التي دل السياق عليها فهي بالنسبة الى كثرة المتعلق لا الوصف واعلم
ايضا ان نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي اصل الفعل ويشكل عليه وما ربك
بظلام للعبيد وما كان ربك نسيا واجيب عن الاول بان ظلاما وان كان
للكثرة لكنه جي به في مقابلة العبيد الذي هو جمع كثرة ويرشحه قوله تعالى علام
الغيوب عالم الغيب قابل في الاول المبالغة في الجمع وفي الثاني صفة اسم

الفاعل

الفاعل الدال على اصل الفعل بالواحد وبانه نفى الظلم الكثير لينتفي القليل ضرورة
لان الظالم يقصد بظلمه الانتفاع بما ياخذه فاذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فالقليل
اولى وبانه بمعنى ذي ظلم ونسب للمحققين وبانه بمعنى فاعل فلا كثرة فيه وبان
اقل القليل لو وقع منه تعالى لكان كثيرا كما يقال زلة العالم كبيرة وبانه اراد
بليس بظلام ليس بظالم تاكيد للنفي فعبر عن ذلك بليس بظلام وبانه ورد
ردا على من قال ظلام ولا مفهوم له وبان صيغة المبالغة وغيرها في صفاته
تعالى سواء في الاثبات فجرى النفي على ذلك وبانه تعريض بان ثم ظلاما للعبيد
من ولاة الجور وهذه تصلح جوابا عن الثانية وزيد عاشر وهو مناسبة رووس الاي
اذا ظرف لرحيما ما زايدة دهلت اي غفلت عن ابنايها الرحما
مقتبس من قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات
حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وتقييد
رحمته بالمومنين بهذا الحين لا لانتفايها في غيره بل لانها في هذا اليوم اظهر واعم
لان الله تعالى يظهر له صلى الله عليه وسلم من العظمة والسوودد والتقدم على جميع الانبيا
والمرسلين وتخصيصه بالشفاعة العظمى في فصل القضا ما يعلم جميع اهل ذلك
الموقف انه لا اقرب منه الى ربه وان كان نسب ينقطع في ذلك اليوم الا نسبه
وحسبه وفي الحجير والرحاد العجز على الصدر في الذمام ودمام وصاعرات وصعرا
واقتفى اختفى ودعره دعرا وتتق والاتقا وذرعا ودرعا والعوج والعوج ورضى والرضى
ونحب والحباحناس الاشتقاق او شبهه واعال وما الخناس ناقص ومطلق وبلاحق
لاحق وحو والجو محرف يا شفيعا من الشفاعة وهي السعي في اصلاح حال
المشفوع فيه عند المشفوع اليه في المذنبين في غفران ذنوبهم وكشف كروبهم
اذا ظرف لشفيعا وفيه ما في الذي قبله ما زايدة اسفق اي دل اذا

اشفق يطلق على المشفق وشان من حصلت له المشفقة الذلة والدهش وحمله
على هذا هو الصواب واما تفسير الشارح له بالخوف فهو وان كان موضوعا لا يم لكنه
لا يناسب هنا لانه لا يلايم قوله من اجل خوف عقاب ذنبه عايد للبرا المتقدم
هو وقيد وافرده نظرا للفظ لا للمعنى او لكون المراد منه الجنس على قوله صلى الله عليه
وسلم خير نساء ركبن الابل نساء قريش احناه على طفل الحديث البرا من الكبائر جمع
كبيرة بوزن قتيل وذكرهم لان خوفهم من الصغاير فقط يدل على شدة ذلك اليوم
ومناقشة الحساب فيه وان الخوف فيه من الذنوب يعم اكثر الناس لانهم لا يخلون
من صغيرة بل صغاير بل لا يخرج من ذلك الا المعصومون ويلحق بهم المحفوظون
ومع ذلك يعمهم الخوف ايضا وان لم يكن لهم ذنب كيف والانبيا عليهم الصلاة
والسلام شعارهم في ذلك اليوم اللهم سلم سلم جد يا من يحكي مجال الرحمة
ونهاية الشفاعة بجاهك الواسع فانه لا اوجه منك عند ربك لعاص استاسرته
الخطايا واحاطت به المحن والبلايا والاصار اولنا هو تجريد والتفات واسر فيه
التنكير لما ياتي ولم يعين ما يجود به عليه قصد العموم المسبول بان يجود عليه
في ذلك اليوم بايصال شفاعته له الى كل مرغوب وصرفه عن كل مرهوب وما
نافيه سواي اي غيري هو العاصي ولكن تنكيري الواقع في قولي لعاص
استحيا منك ان اذكرك نفسي بلفظ يدل عليها بخصوصها مع حالك بالتصريح
بارتكابها ما نهيتها وحمل الاستحيا على التنكير مبالغة كرجل عدل فان قلت
ذلك مصدران بخلاف هذا قلت المراد بالتشبيه من
حيث ان حمل الخبر في كل يحتاج لتاويل لان الحمل شرطه المساواة وهي غير
موجودة هنا التباين مدلوليهما هذا تقدير عبارته وفيه مواخذتان احدهما
الذي عليه الجمهور ان ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذا التعريف

الخبر

الخبر على ما ذكره صاحب المفتاح ويشهد له الاستعمال نحو ان الله هو الرزاق اي لا رازق
سواه وفي الفايق وكلام الكشاف يميل اليه ان تعريف الخبر قد يكون لقصر المسند اليه
وقد يكون لقصر المسند بحسب المقام فعلى الاول ان هو العاصي دال على حصر العصيان فيه نحو
كزيد هو القايم والمستفاد من النفي الداخل على الجملة نفي ذلك الحصر بناء على ما هو المشهور ان
النفي يتوجه للقيد فان توجه للمقيد ايضا توجه الاعتراض الاتي من باب اولى وهو مفهومه
يحتمل شيئين انه عاص وحده وانه عاص هو وغيره لانك اذا قلت ليس سوى زيد هو القايم
احتمل مفهومه ان زيدا هو القايم وانه هو وغيره قايمان واذا علم النظم ذلك لم يصح قوله
ولكن الخ لانه انبتت على احتمال العصيان لغيره معه وهو خلاف قصده ولانه العاصي
وحده اي الدعا وهنا للنفي لا حقيقة لان الواقع خلاف ذلك ثانيهما
ان التنكير هنا لا نسلم انه يفيد الاستحيا ولئن افاده فشان السايل عدم الحيا لان المطلوب
من المحتاج ان يرفع حاجته منبيا لنفسه حتى يعرف حاله فيعطف عليه فابهامه حينئذ
لنفسه غير لايق ولك ان تجيب عن الاول بان من الواضح ان سوى كغير فلا تتعرف بالاضافة
الا اذا وقعت بين ضدين مر نال جاعة لا يتعرف بها مطلقا وان ال في العاصي للعهد
الذهني فهو للجنس على حد ولقد امر على اللئيم يسبني فيراعي فيها التعريف تارة والتنكير اخرى
وح زال الحصر الموهم مفهومه ما يرد وصار المعنى وما سواي عاصيا بل انا العاصي وحدي
وعن الثانية بان السايلين على اقسام منهم من يغلب عليه الحيا والخجل من ارتكابه ما كان
سببا لسواله فيستر نفسه حيا وخجلا من المواجهة من التصريح بارتكابه القبايح وسترا وحقنا ما
من اعترافه بالنقايص والقبايح خشية ان تظهر عليه ما يبين سبب سواله فيكون
مقتضيا لحرمانه والناظم رحمه الله تعالى لمزيد اجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم راعي ذلك فنكر
نفسه فذكر الوصف المقتضي لسواله على جهة الابهام لا التقصير حيا من ان يبين نفسه
او معصيتها فيكون ذلك سببا لرده تنبيه لا زلت استطلت ان ما ذكره الناظم

هنا من اي من سبب التنكير قد يكون الاستحيا هلم جر به احد غيره حتى وجد تهمر جوابها يقرب منه وهو قوله لكل من التعريف والتنكير مقام لا يليق بالاخر فمن اسباب التنكير ارادة الوحدة نحو جاء رجل من اقصى المدينة يسعى اي وحده او ارادة النوع نحو هذا ذكر اي نوع من الذكر وعلى ابصارهم غشاوة اي نوع غريب من الغشاوة لا تالفه الناس بحيث غطى ما لا يغطيه شي من الغشاوات ومما يحتملهما والله خلق كل دابة من ماء اي كل نوع منها من كل نوع منه او كل فرد من افراده من ارادة التكليف او ارادة التعظيم يعني انه اعظم من ان يعين ويعرف نحو فاذنوا بحرب من الله ورسوله ولهم عذاب ان لهم جنات وسلام عليه او ارادة التكثير نحو ان لنا لاجرا اي وافرا جليلا او ارادة التعليل نحو ورضوان من الله اكبر اي رضوان قليل منه اكبر من الجنات باسرها او ارادة التحقير يعني انحطاط شانه الى حد لا يمكن ان يعرف نحو من اي شي خلقه اي من شي حقير مهين ثم بينه بقوله خلقه وهذا المعنى يقرب من الاستحيا الذي ذكره الناظم وهنا قاعدة تعم ان الاسم اذا ذكر مرتين فان كانا معرفتين فالثاني عين الاول غالبا دلالة على المعهود الذي هو الاصل في اللام والاضافة نحو اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين او نكرتين فالثاني غير الاول غالبا وقد اجتمعا في ان مع العسر يسرا قال صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين وهو تصريح بما ذكر في القسمين او الاول نكرة فقط فكالقسم الاول نحو رسولا فعصى فرعون الرسول او عكسه حكمت الغزالي ونقضت هذه القاعدة بايات كثيرة نحو هل جزاء الاحسان اي العمل الا الاحسان اي الثواب وهو الذي في السما اله وفي الارض اله ويوت كل ذي فضل فضله ويرده ما مر من انها اغلبية على ان بعض المحققين بين ان جميع ما اورد عليها من الايات من جملة افرادها وانه لم يشذ منها شي لكن في بعضه تكلف **وتداركه** اي ادركه **بالعناية** منك له بان تمده بسوابغ كرمك وتفرغ عليه سجال حلمك حتى لا ياتي قط بهفوة **ما دام له بالزمام**

بمهجة قسم متعلق بتداركه اي تداركه بحق حرمتك التي انعم الله بها عليك ما دام له **منك ذماما** بالمهجة اي تعلق واصله بقية الروح في المذبوح اي ما دام فيه ادنى تعلق واستمساك بل لانك اكرم الكرماء في الخلق وعادة الكرماء ان من تعلق به يحامي عن كل ما يخافه من اليم العذاب وبعد الحجاب ولم لا وقد **اخرته** اي ذلك العاصي **الاعمال** السيئة التي ارتكبها **والمال** الفاني الذي امسكه عن صرفه في وجوه الخير وجمعه من وجوه الشر واشتغل به قلبه وطاش في جمعه لبه ولم يبال من اي واد جمعه ولا باي وصف اكتسبه **عما قدم الصالحون** جمع صالح وهو القائم بحقوق الله وحقوق العباد وهو يشمل حتى الملائكة ومن ثم اخبر صلى الله عليه وسلم ان المصلي اذا قال في تشهده السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اصاب كل عبد لله في السما والارض وبين اخرته وقدم جناس التطابق كالحسنات والسيئات والملح والفرات والاستقامة والاعوجاج والنوم واليقظة ووراء امام والصيف والشتا والحر والبرد ويومي وليلتي والرجا والخوف والاقوبا والضعيف الانيات **والاعتبا** من الاعمال الصالحات والانفاق في وجوه الخيرات وهذا لف ونشر مرتب لان الاول للاعمال والثاني للمال ثم اعترف بذنوبه لان الاعتراف مظنة العفو قال تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم الاية مستندا عليها للحديث الصحيح الندم توبة فقال **كل يوم** وليلة **ذنوبه صاعدات** مع ملائكة الليل والنهار الذين يرفعون الاعمال فيهما الى الله تعالى اظهارا لعظيم فضل الطايع وقبيح فعل العاصي **وعليها** اي لاجل اجلها **انفاسه صعداء** اي متواترة ممدودة من شدة ما يلقى من كرب الندم وفرط الاسف عليها وسبب الوقوع في ورطتها انه **الف البطنة** بالكسر اي ملء بطنه من الطعام والشراب كما قاله الشارح والذي في القاموس انها الاشر والبطر وقال في البطر انه النشاط والاشر وقلة احتمال النعمة والدهش والحيرة او الطغيان بالنعمة وكراهة الشي من غير ان يستحق الكراهة

انتهى وكل ذلك صحيح هنا وقال في البطن بوزن كنعان الاشر المتمول ومن همه بطنه والرغيب لا ينتهي عن الاكل **البطينة السير** اي الله تعالى اي المعرفة عن الاجتهاد في دماه باستفراغ الوسع في الاعمال الصالحة التي هي سبب هداية السبيل وتنزيه النفس عن كل وصف دني وخلق رذيل ولو لم يكن من شوم البطنة الا ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله المومن يأكل في معا واحد والكافر يأكل في سبعة امعاء من انها تفسد العقل باذهاب فطنته والبدن بازالة نشاطه وقوته **بدار** وهي الدنيا **بها** اي فيها **البطان** جمع بطين ككرام جمع كريم **بطا** جمع بطي بوزن الجمع قبله فهم متاخرون عن الفائزين متخلفون عن السابقين **ن** بسبب عصيانه **بكي ذنبه** **بقسو قلب** اي مع شدته وغلظه المودين الى ان البكا صوري لا حقيقي ومن ثم **بعث** تلك القسوة **الدمع** عن ان يبرز منه شي من عيني ذلك الباكي **م** سبب هذا الذي انقلب **البكا** عن حقيقته وهو حزن يعتري القلب فيحصل له من الهيبة والقلق المزعج والخوف المقلق ما يجري الدموع ويبيح الرجوع وصار ذلك البكا كانه **مكا** بالتخفيف اي كالصفير بجامع ان كلا صوت جرى على اللسان ولم ينشا في به القلب وبين البكا والمكا الجناس المضارع **وعذا** اي صار ذلك العاصي بعد ما وقع منه من المعاصي والبكا الذي لا يفيد لم يؤيد قسوة قلبه **يعتب** من عتب عليه وجد عليه **القضا** من قضاه صبغة وقدره اي يقول لم او كيف قدر على هذا **و** الحال انه **لا عذر لعاص** يحتج به على الله تعالى حتى يسقط اثمه ويندفع مواخذته **فيما يسوقه اليه القضا** والقدر من المعاصي لان الله تعالى اجرى عادته الالهية في هذا العالم على اسباب ومسببات مناط بتلك الاسباب ويتسبب وقوعها اليها نظرا للصورة الوجودية وان كان الكل في الحقيقة انما هو بقضايه وقدره كما يدل على ذلك كله قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فما استند اليه تعالى الرمي واليهم القتل

باعتبار

باعتبار الصورة الوجودية ونفاهما عنهم باعتبار الحقيقة الايجادية اشارة الى انه يجب علينا رعاية المقامين بان نسند الافعال الى فاعليها صورة ليمدحوا ويذموا باعتبار جريان تلك الصور عليهم والى الله تعالى حقيقة من حيث عجز العبد من ذلك وانفراد الحق تبارك وتعالى به وان نعتقد بطلان مذهب القدرية الذين ينفون قدرة الحق ويثبتون قدرة العبد تخيلا منهم انهم فروا بذلك عن نسبة القبيح الى الله تعالى وغفلوا عن انه يلزمهم ما هو اقبح من ذلك وهو ان يجري في ملكه تعالى ما لا يشاوه على ان نسبة افعال العباد الى الله تعالى لا تستلزم نسبة القبيح اليه لان الشي انما هو قبيح بالنسبة لفعلنا لا لفعله تعالى لانه يتصرف في ملكه بما يشا لا يسال عما يفعل وهم يسألون وان نعتقد بطلان الجبرية ايضا لانه يلزم عليه ان لا ثواب ولا عقاب ولا مدح ولا ذم لان المجبر به المكره على الشي من كل وجه لم يصدر منه فعل ينسب اليه حتى يترتب عليه حكم وقد علم من الشريعة الغرا ان الله تعالى اسند الافعال لعباده وا ثابهم عليها تارة وذمهم اخرى فنتج ما قلنا من التوسط بين المذهبين بان نظرنا الى الافعال من حيث الصورة وانطنا بها احكاما ومن حيث الحقيقة وانطنا بها احكاما لان هذا هو العدل السوي والطريق الواضح الجلي ونظير هذا مذهب الرافضة والناصبية واهل السنة فالرافضة سبوا الشيخين وعثمان واكثر الصحابة ووالوا عليا وشيعته والناصبية سبوا عليا وشيعته ووالوا اولئك الاكابر واهل السنة عدلوا فوالوا الكل وترضوا عنهم فكانوا في الجنة وكان كل من دينك هنا وفيما هي من حطب النار وما قلت قوله ولا عذر الى اخره بنا فيه احتجاج ادم بالقضا والقدر في قصته المشهورة مع موسى عليهما الصلاة والسلام لما قال له موسى انت ابونا ادم الذي اخرجتنا من الجنة بخطيئتك اي بالنسبة لمقامك والا فهي ليست بخطية حقيقة لانه

مدحهم

نبي كما في الاية ايضا ولعموم عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام فقال له الم تجد
في التوراة قد قدر علي ذلك قبل ان اخلق باربعين سنة فقال اتلومني على ذنب
قدره الله علي قبل ان اخلق باربعين سنة قال نبينا صلى الله عليه وسلم كما
في الحديث الصحيح فحج ادم موسى وكذلك احتج عمر على ابي عبيدة بالقدر لما ذهب
الى الشام فراى فيها طاعونا فاراد الرجوع فقال له ابو عبيدة افرارا من قدر الله
تعالى يا امير المومنين فقال له لو غيرك قالها يا ابا عبيدة لاوجعته ضربا
نعم نفر من قدر الله الى قدر الله قلت ـــــ لا ينافيه اما الاول
فلان الاحتجاج بالقدر ان كان قبل الوقوع في الذنب ليكون وسيلة للوقوع
منه لم يجز وان كان بعد الوقوع فيه وقبل ان يستوفي منه ما وجب به ليمنع
بذلك مواخذته به لم يجز ايضا وان كان لا ليمنع ذلك بل ليمنع تعييره ساغ ذلك
كما صرح به قوله صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى واما الثاني فالواقع
من عمر ليس من الاحتجاج بالقدر في ذلك وانما هو بيان الاسرار التي جاءت به
الشريعة المطهرة لان الشارع نهى عن دخول بلد الطاعون مع انه قدر موته بذلك
الطاعون لم ينفعه عدم الدخول والا لم يضره ذلك الدخول فنبه عمر رضي الله
تعالى عنه ان الاسباب منوطة باسبابها من غير نظر في عواقبها وان الله تعالى كما قدر
على اناس الموت بالطاعون قدر على اخرين عدم الموت به فالامتناع من الدخول
فرار من القدر اي قدر اخر والدخول تجاسر على ما لعله يكون فتنة للداخل
فانه لو وقع به ربما نسب موته الى فعله فحرم عليه خشية الفتنة فان
قلت ـــــ والممتنع من الدخول اذا سلم ربما نسب السلامة الى فعله
ايضا قلت ـــــ هذا احق لان الاول القا باليد الى التهلكة وهو منهي
عنه في الكتاب والسنة والثاني بمنزلة التداوي والفرار من الهلاك وهو

محمود

محمود في الكتاب والسنة فان قلت ـــ لم جاز الفرار قبل الدخول
لا بعده مع استوائهما في المعنى المعلل به فيهما قلت ـــ لا مساواة بينهما
لانا لو جوزنا الفرار لاهل البلد خرجوا وتركوا المرضى من غير حافظ ولا متعهد وذلك
يودي الى هلاكهم غالبا فاقتضت المصلحة العامة منع الناس من الخروج واما من
لم يدخل فلا يترتب على عوده مفسدة فجاز ثم رايت الغزالي ذكر ما قررته في الجواب
عن كلام عمر رضي الله تعالى عنه ونقل عن النووي وغيره واقروه حيث قال فان
قيل ما فايدة الدعا مع ان القضا لا يرد فاعلم ان من جملة القضا رد البلا
بالدعا سبب لرد البلا ووجود الرحمة كما ان الترس سبب لدفع السلاح والما سبب
لخروج النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعا
والبلا وليس من شرط الاعتراف بالقضا ان لا يحمل السلاح وقد قال تعالى وليأخذوا
حذرهم واسلحتهم فقدر الله الامر وقدر سببه انتهى فتامل هذا المحل فانه
نفيس وفيه شبه كثيرة ازالها بحمد الله تعالى هذا التقرير الواضح لمن الهمه
رشده واسعده الله حبه وخلصه من ورطات الفتن وغوائل البدع والمحن
حقق لنا ربنا ذلك بمنه وكرمه واذا تقرر انه عذر فيما يسوقه القضا بالمعنى
السابق سوا كانت المعصية صغيرة او كبيرة فكيف يعذر من **اوثقته** اي
حبسته في الدنيا عن الخلوص من التبعات وفي الاخرة عن مقام الكرم **من
الذنوب** حال متقدمة على صاحبها وهو **ديون** اي ديون تراكمت عليه
ناشئة من كثرة ذنوبه وتفريطه في حقوق الله تعالى وحقوق عباده **شددت
في اقتضايها** اي طلبها منها **الغرما** لان حقوق الادميين مبنية على المشاحة
والمضايقة **ماله حيلة** اي طريق في التخلص من تلك الذنوب **ما له حيلة
سوى حيلة الموثوق** اي الاسير الذي صار لا يقدر على هرب ولا تخلص وحيلة من هو

كذلك تنحصر في شيئين لا ثالث لهما لانهما **اما توسل** الى الله تعالى بخلاصه
بما سبق له من عمل خالص او بشفاعة الشافعين **ودعا** اليه في ان يرضى عنه
غرماه ويسبل عليه ذيل عفوه وحلمه ورضاه **رجيا** حال من عاصي وضمايره
المذكورة اي مومّلا املا قويا **بان يعود اعماله الشر** عليه **بغفران الله**
له مغفرة عامة لا تبقي وصمة ذنب ولا تترك قسوة قلب **و**الحال ان تلك
الاعمال **هي** في جنب الغفران **هبا** اي مثله في انها لا وجود لها اذ هو غبار
يرى في شعاع الشمس اذا دخلت عند طلوعها من كوة **او** ان **تمر سياته**
حسنات منه عليه بان ترجى في سلك الامن تاب وامن وعمل صالحا فاولئك
يبدل الله سياتهم حسنات **ف**بسبب استحالة السيات حسنات
يقال عند روية ذلك **استحالت الصهبا** اي الخمرة من الخمرية والنجاسة
الى الخلية والطهارة فتشبيه السيات بالخمور لحسنات بالخل استعارة
مصرحة واثبات الاستحالة التي هي من لوازم المشبه به تخييلية **كم امر**
نعني اي تعتني به وتهتم اتبا رسول الله ﷺ وتلتفت اليه **تقلب**
الاعيان جمع عين وهو الجسم وهو معنى تفسيرها بانها المبصر مستقلا
بنفسه **به** بان يتحول من صفتها التي لا تريدها الى الصفة التي تريدها
وتعجب البصرا جمع بصير حسا ومعنى اي ذو البصاير والبصر من
ذلك القلب الخارق للعادة المشاهد بالابصار الذي لا يعارض بجحود
ولا انكار وشاهده ما وقع لك في ذلك الفعل اذ **رب** هي هنا للتكثير
قال الشارح **عين** من عيون الما اي عيون كثيرة **تفلت** اي بصقت
في مايها الملح الذي لا يستساغ لاحد **ما فمحي** ماوها الملح **و**الحال انه **هو**
الفرات اي العذب السايغ للشاربين او هو كالنهر المسمى بالفرات

الذي

الذي هو احد الانهار الاربعة النازلة من الجنة كما صح به الحديث **الريا** بالفتح اي
الذي يحصل بقليله الري الكامل لشاربه قال الشارح في وهو الفرات الروا الجملة
خبر اصح انتهى وهو جاري في ذلك على مذهب الاخفش وتبعه ابن مالك تشبيها
بالجملة الحالية لكن الجمهور انكروا ذلك وتاولوا الجملة على الحال والفعل على ولعل
نسخته بلا واو وقيل هو تتميم او بخصوص التفل من باعيين ملح فاقلبت
عذبا فضلا عن كثرته التي قالها الشارح سلفا ويحتمل ان الناظم اخذ ذلك مما رواه ابو نعيم
انه صلى الله عليه وسلم بصق في بير ارميس فلم يكن بالمدينة بير اعذب منها فوجود
الاعذبية في هذه البير له بصاقه صلى الله عليه وسلم فيها تنزل منزلة ما ملح صار عذبا وفي حديث
سنده حسن انه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ما يستعذب غير بير رومة
وهذا يقتضي ان ما عدا بير رومة من بقية ابار المدينة كانت مياهها فيها
ملوحة منعت الاستعذاب منها ومن جملة هذه بير بير اريس وقد صارت ببركة تفله
صلى الله عليه وسلم فيها اعذب بير بالمدينة فصار ماوها الذي تقرر ان به ملوحة
اعذب بير بالمدينة فينتج من هذا صحة ما قاله الناظم رحمه الله تعالى فتامله ثم رايت
للبغوي في الصحاح عن ثمير الاسلمي ان المهاجرين لما قدموا المدينة استنكروا الما
الحديث السابق في بير رومة فتعبيرهم باستنكارهم مياهها يدل على ان فيها
ملوحة وما تقرر في بير اريس يدل على زوال ملوحتها بالكلية وانها صارت اعذب
حتى من بير رومة ثم رايت الشريشي شارح مقامات الحريري ذكر ان النبي صلى
الله عليه وسلم تفل في اريس فعاد ماوها عذبا بعد ان كان اجاجا وما ذكره غير
صحيح فقد قال الحافظ الكبير الشيخ العراقي انه لم ير اصلا لحديث تفله صلى الله
عليه وسلم في بير اريس قال غيره من الغرايب قول العزي جماعة صح انه صلى الله
عليه وسلم تفل فيها فتح ما قاله الشريشي لا اصل له و[illegible] ابن جماعة لان

فيه زيادة كون ما بها كان اجاجا فصار عذبا وهذا لم يقل فيه ابن جماعة ولا
غيره انه ورد فضلا عن كونه صح ولعل الناظم راى ذلك في كلام مثل الشربيني ممن
لا يعتد به في الحديث فاعتمده ثم رايت الحافظ السيوطي ذكر ذلك بلا سند فقال
وريقه صلى الله عليه وسلم يعذب الماء الملح انتهى ويحتمل ان مراده كما يؤخذ من تعبيره
بيعذب لا باعذب ان ريقه صلى الله عليه وسلم فيه قوة ذلك فلا يكون فيه دليل
لما في النظم اصلا اذ قد فرط مني ما سبقت الاشارة اليه فلا يسعني الا مزيد
الندم والتوجع منه والتاوه عليه بان اقول على الدوام والاستمرار اه كلمة توجع
اي توجعي عظيم وتندمي زائد دائم من اجل ما جنيت على نفسي من الذنوب
وقبائح العيوب ان هي بمعنى اذ على حد وخافوني ان كنتم مؤمنين ولما قررته
ان ذلك التوجع يفيد الندم الوارد فيه عنه صلى الله عليه انه توبة اي معظمها
المتكفل بباقيها غالبا كالحج عرفة كان يغني الغ من عظيم ذنبي اضافة الصفة
للموصوف وها اي سماها وهو التوجع المفيد للندم المفيد للتوبة كما مر ويصح ان
تكون ان على حالها من الشك لانا وان سلمنا ان كلمة اه تفيد الندم لكن قبولها
ظني لا قطعي على الاصح ولك ان تمنعه بانه يكفي في كونها بمعنى اذا ان قبولها
ظني لان ظن الوقوع ينافي وضع ان من التردد فيه ولما عرض بوقوع التوبة
صرح برجائها ليبين ان الاهتمام بها مانع من الاكتفاء عنها بالتعريض فقال
ارتجي اي او مل لحسن ظني بربي عملا بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح
لا يموتن احدكم الا وهو يحسن ظنه بربه وبقوله تعالى انا عند ظن عبدي بي فلا
يظن بي الا خيرا التوبة وهي الندم على الذنب من حيث هو ذنب بخلاف
الندم على الذنب لغرض اخر كاطلاع الناس عليه وصرف دراهم فيه فان ذلك
لا يعتد به والاقلاع عن المعصية بترك ملابسة فعلها من حيث الندم

عليها الا لغرض اخروي وعزمه على ان لا يعود اليها ما عاش كذلك ايضا لا لنحو
قطع ذكره والخروج عن كل مظلمة عصى بها بقضاء ما عصى بترك ادائه فورا
وباداء ما عصى باخذه ظلما الى مالكه او وكيله او وارثه هذا ان قدر والا عزم
عزما اكيدا متى قدر على الخروج منه خرج منه لفوره والتوبة ولو من الصغائر
واجبة اجماعا وتصح على الاصح من ذنب دون ذنب وتصح وان سبقها
توبة من ذلك الذنب ثم عود اليه وان تكرر ذلك النصوح اي التي لا يعود
من حصلت له الى ذنب ابدا او وقوعها خالصة عن كل شائبة من شوائب الحظوظ
بان يكون لله وحده لا لغرض اخر ولو اخرويا كان تاب لاجل دخول الجنة
فان ذلك لا يؤثر في صحة اصل التوبة وانما يؤثر في كمالها لانها مشوبة بغرض النفس
بخلاف الخالصة لوجه الله تعالى قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين لكن اي يبعدني هذا الترجي والحال اي متلبس بما ينافيها اذ في القلب
نفاق من حيث العمل باعتبار انه قد يبطن بخلاف ما يظهر لا من حيث الاعتقاد
لان ذلك لا يصدر الا من امن بلسانه فقط وفي اللسان والاركان ريا اي
تطلع الى الخلق باعتبار ان يصدر منهما قد يكون فيه شوب تطلع الى طلب رفق او ثناء
من مخلوق ومع ذلك لا اترك التوبة ورجاء قبولها ولاجل ذلك قالت رابعة رحمها
الله تعالى استغفارنا وان كان يحوج الى استغفار لا يوجب ترك الاستغفار ومتى
للاستفهام التعجبي يستقيم قلبي بان لا يستقيم يبقى فيه تطلع الى ما يحجب عن الله
تعالى من اهل او مال او جاه او غير ذلك بل الى الله تعالى وحده والحال اي وصلت
الى حالة تدل على غلظ القلب وشدته وعدم قبوله للخروج عما جبل عليه من الغفلة
واللهو وتلك الحالة هي انه حصل للجسم اعوجاج من اجل كبري اي
كبر سني ووهن عظمي من كبر يكبر بالباء اي اسن والانحنا العامني وهو من عطف

الرديف او الاخص لان الاعوجاج عم الاعضا كلها والانحنا مختص بالقامة اذ هو
بقوس الظهر ويقدح الاستقامة بخلاف ايام الشباب فان العود رطب والقلب
لين فادني وعظ يوثر فيه وافل زاجر يردعه بما هو ملتبس به فيبادر الى التوبة
سريعا وانما اخرت التوبة الى هذا الزمن لاني كنت في نومة الشباب
الذي تكثر فيه الغفلات وتتوالى على اهله الهفوات فاستحكمت غفلتي حتى
صرت كالنايم المستغرق الذي لا يفيق من نومه الا بمحرك قوي حتى صح كالنايم
المستغرق ثم استيقظت من تلك الغفلة في حال من الاحوال الا
والحال ان لمتي شمطا اي اختلط سوادها ببياضها وما تقرر في زمن
الشباب او لانه محل قرب التوبة والانزجار بادني واعظ وهنا انه محل الغفلات
والهفوات لا تنافي بينهما لانه وان كان محل الهفوة والزلة لكن صاحبه يتنبه
سريعا الى الزلات ويرجع عنها حالا كما ان العود الرطب يستقيم اعوجاجه بادني
عمل بخلاف زمن الشيخوخة فانه زمن الامساك عن كل هفوة وزلة لكن صاحبه
المرتكب للمعاصي الى ان شاب يعسر عليه الرجوع والتوبة فورا لان عوده يبس وصلب
فلا تتقوم اعوجاجه الا بعد الياس ويشهد لذلك الحديث ان قيل لك ان جبلا تحول
عن مكانه فصدق وان قيل لك ان انسانا تحول عن طبعه فلا تصدق وح بلغت
هذا السن الذي تعرف فيه التوبة كما تقرر تماديت اي طلبت ان
اقتفي اي اتبع اثر القوم الصالحين السابقين الى المراتب العلية
والفايزين بنيل المارب السنية فطالت على مسافة بيني وبينهم لبعد
الدرجات التي فازوا بها واقتفا لاعمالهم واخلاقهم لانهم استغرقوا فيها
اوقاتهم وانقطعوا فيها الى الله تعالى عن كل علقة وتبعة وبسبب طول المسافة
التي بيني وبينهم ورا خبر مقدم السارين اي السايرين ليلا من السرى

وهو السير ليلا وعدل اليه عن وراهم الذي هو العالي لغيه انهم احيوا الليل بالعبادات
واستانسوا فيه بلذيذ المناجات وهو اي ذلك الورى امامي جملة معترضة للتصريح بما
علم من قوله اقتفي اي اخره انه مع طول المسافة بينه وبينهم وتعذر اتباعه لهم صار بينه
وبينهم موانع ابتم سبل مبتدا اي طرق وعرة اي يعسر سلوكها الان اولئك
القوم كلفوا نفوسهم من الاعمال والتخلق بكرايم الاخلاق والاحوال ما اوجب لغيرهم
عدم اللحوق بهم لعدم قدرتهم على القيام بما قام به اولئك وارض عرا بفتح اوله
اي فضا واسعة حمد اولئك القوم المدلجون اي السايرون من اول
الليل او اكثره والقياس حمد وا ابهم فعدل الى الاظهار ليبين انهم على فرقتين منهم
من يحيي بعض الليل ومنهم من يحيي كله او اكثره وان هذا القسم الثاني افضل
واكمل لانهم راوا ما تجد ديهم حمدهم مما لم يره قبلهم عقب اي عاقبة
سراهم من الفوز برضي الله تعالى وقربه والاطلاع على حقايق معرفته والتمتع
بشهوده وهذا مقتبس من قولهم عند الصباح يحمد القوم السرى وكم من تخلف
عنهم في سيرهم وهذا راجع لقوله فوز السايرين وقوله حمد راجع لقوله
السايرين ففيه لف ونشر مرتب الا انا اي الثاني في السير المعوق لادراك
منازلهم وفي ذكر هذا ايما الى غاية التحسر والتالم بذكر حاله التي حمد واعقبها
وفاقته لعجزه عن ادراكهما ~~...~~ لما هو عليه مما لا يوصله الى ذلك
الغرض لبعده عن تلك اللطايف وتقاعده عن بلوغ المعارف كيف وما هم
عليه من الجد في السير الى الله تعالى رحلة عظيمة عن مواطن الشهوات ومواطن
الشبهات وقبايح الارادات وقواطع البطالات ورحلتهم هذه عن كل ما اقتفيتهم
فيها لاني لم يزل بعتدني اي يكذب على ويضعف راي الصيف اذ ما
ذابلة نويتها والشتا كذلك اي اذا جا الشتا انوي الى الصيف لان الشتا يكثر

مكثر فيه البرد والثلج والامطار فيعسر السير فيه اكثر من غيره قال صلى الله عليه وسلم
الشتاء ربيع المومن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه واخرجه من ضعفه
جماعة ووثقه اخرون والارجح توثيقه في هذا السند بخصوصه ومن ثم صححه ابن
حزيمة ويشهد له احاديث منها مرحبا بالشتاء فيه تنزل الرحمة اما ليله فطويل
للقايم واما نهاره فقصير للصايم وحديث لم ينزل قط عذاب من السماء على قوم الا عند
انسلاخ الشتاء مما رجب ا بطاي من تلك الراحلة ان **يقي حر وجهي** وهو ما يبدو
من الوجه **الحر والبرد** بالقايه عنهما خوفا من مشقتهما وهما كنايتان عن
مشقة العبادة في الشتاء والصيف كان ما في البيت الذي قبله كذلك **و** الحال انه
قد عز اي صعب **علي من لظى** اي جهنم متعلق بقوله **الا تقا** لاني متلبس
بايولمني اليها الان يتعمدني الله برحمته ولاجل هذا **ضقت ذرعا** بالمعجمة
من اجل ما موصولة او مصدرية **جنيت** اي ضعفت طاقتي عن ان
تحمل وزره ولم اجد من يخلصني من ثقله واصل الذرع الخلق **فيومي قمطرير**
اي شديد وهذا الذكر الرحلة والصيف والشتاء وضقت ذرعا فيه اقتباس
من الايات المذكور فيها ذلك وتلميح الى ما فيها من القصص **وليلتي درعا**
بالمهملة اي مظلمة كناية عن شدة ما يلقى فيها والليلة الدرعا التي يطلع قمرها
عند الفجر ومراده ان ذلك الضيق ملازم له نهارا وليلا لا ينفك عني واحل
منا **و** لكن خفف عني ذلك اني **تذكرت رحمة الله** اي سعتها التي دل عليها
قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شي وانها سبقت غضبه كما دل عليه الحديث
الصحيح ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي
اي ان مظاهر الرحمة غلبت مظاهر الغضب وفي هذا العندية عندية
الشرف والمكانة لا المكان لتعاليه تعالى عنه علوا كبيرا **ف** بسبب ذلك **البشر**

ای الزهو

اي الزهو والسرور **لوجهي** متعلق بحمر البشر وهو تلقا وهذا اولى من جعل الثاني
له خبرا او لتلقا خبرا ايضا **اني** اي فيا اي مكان **التجي** اي التوجه **تلقا** اي مقابل
اي فالبشر مقابل لوجهي في اي مكان توجهت اليه لاستشعر لسعة الرحمة ومعول
عليه مع تطوي لقول الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى عن ربه
انا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا **ف** بسبب تذكري لما جنيت المقتضي لمزيد
الخوف ولسعة الرحمة المقتضي لسعة الرجا **اح** اي اقام **الرجا والخوف بالقلب**
فيهما على حد سوا كما هو الراجح عند ايمتنا ان الانسان ما دام صحيحا فليكن رجاوه
وخوفه مستويين وقيل يغلب عليه الرجا ليلا يغلب عليه داء الياس من رحمة الله
تعالى وقيل يغلب الخوف ليلا يغلب عليه داء الامن من مكر الله تعالى ويرد بانهما
اذا استويا امنت غلبة احدهما فلا محذور يخشى بخلاف غلبة احدهما فانها يخشى
منها المحذور الذي في مقابلة اما المريض فيغلب الرجا لقوله صلى الله عليه وسلم
لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى ان يظن انه يغفر له ويرحمه
وللخوف الرجا اذا توارد على القلب **اخا** اي استقصا ومنازعة
لتضاد مقتضاهما اذ مقتضى الخوف امر اشدة وحصر للنفس لا يطاق لان
لازمه الكف عن كل محرم بل وشبهة بل وعما فضل عن حاجته من الحلال
كما هو شان الزاهدين اذ لم يحملهم على ذلك الا عظيم خوفهم ولو من هول السوال
ومقتضى بسط النفس وانشراحها لان من لازم استحضار سعة الرحمة
وان الذنوب وان كثرت وعظمت يغفرها الله تعالى ويتجاوز عنها بكرمه واذا
تضاد مقتضاهما لزم ان كلا يستقصي في مقتضاه ضد ما يستقصيه
الاخر لكن قد تقرر ان الاولى للصحيح ان يستوي عنده المقتضيان ليلا
يغلب احدهما فيخشى منه المحذور السابق انفا ومن ثم قال ناهيا عن

انتهى

صاح لا تاس ان ضعفت عن الطاعة واستاثرت بها الاقوياء ان لله واحق الناس منه بالرحمة الضعفاء
وابق في العرج عند منيلب الروع في العود تسبق الحرجاد

غلبة الخوف المقتضي للياس صاح اي ياصاحبي وفيه نوع تجريد اذ الاصل يانفسي لا تاس من رحمة الله تعالى ان ضعفت عن الداب في الطاعة لضعف همتك وغلبة بطالتك وايثارك الراحة وغفلتك عن احوال القيامة واستاثرت اي انفردت بها الاقويا بالهمة والنشاط وقهر النفس وتجريعها المكروهات حتى تدربت عليها فصارت عندها من الذ مالوفاتها واعظم مشتهياتها ان فيه شاية تعليل للنهي عن الياس ان ضعف عن الطاعة لله عطية عظيمة ادخرها لبعض عباده تعم القوي والضعيف والشريف والوضيع واحق الناس منه متعلق بقوله بالرحمة الضعفا اي الذين لا يعولون على اعمالهم ولا يغترون باحوالهم مع قيامهم بما لابد منه واخلاصهم لله تعالى في عباداتهم فهم اقوى نية في العبادة وابعد عن الريا فربما حصل لهم بسبب ذلك منحة سبقوا بها الاقويا وفي الحديث القدسي انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي اي لان مطلوبهم رضاي ومعتقدهم ان لا عمل لهم ومما يويد ذلك انه صلى الله عليه وسلم في منامه الذي راه لابي بكر وعمر فيما يتعلق بخلافتهما وقرب مدة خلافة ابي بكر وطول مدة عمر اثبت لابي بكر مع انه افضل الناس بعد الانبيا عليهم الصلاة والسلام نحو ذلك الضعف فقال بعد ان بين انه على بير وانه نزع منها دلو وان ابا بكر اخذها منه فنزع بها دلوا او دلوين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه فهو ليس ضعف يقين ولا عمل وانما هو ضعف انكسار وافتقار وفي الحديث ان الله لا ينظر الى الصور وانما ينظر الى الاعمال والقلوب اي لا الى الاعمال وحدها بل لما يصحبها مما في القلوب من اخلاص وافتقار وضدها ثم استدل على ان الضعيف قد يحصل له ما لا يحصل للقوي بمثال ظاهر في الوجود فقال بسبب الاحقية المذكورة الضعفا ابق في الضعفا المتشبهين بنحو العرج جمع اعرج وهو من يوجد ما يبعد

من

الرود

من استقامة المشي عند منيلب الروع اي رجوعه الى ربه وهو جماعة الغنم في العود تسبق العرجا اليه فتفوز بما مولها فتاخرها اوجب لها السبق فكذلك تاخرك عن كثير من الطاعات ربما اوجب لك سبق المكثر فقد يصحبه من العجب والافتخار ما يوجب تاخره ومن ثم قال العارف المحقق التاج بن عطا الله رحمه الله تعالى رب معصية اورثتك ذلا وانكسارا خير من طاعة اورثتك عزا واستكبارا واعلم انه لم يجعل ذات المعصية خيرا من ذات الطاعة بل لا يتوهم ذلك من كلامه وانما الذي افاده ان المعصية قد يصحبها وصف خير من الوصف الذي صحب الطاعة فيكون ذلك مقتضيا لعدم المواخذة بوصمة تلك وهذا مقتضيا لسقوط نفعه وعدم الاعتداد بها وكذلك كلام الناظم هنا قيل يتنزل على هذا فتنبه له واذا تاخرت عن الطاعة لضعفك ولازم الذلة والانكسار لا تقل حال كونك لاحاسد الخير الذي اكرمها اي متمنيا زوال نعمة التوفيق عنه هذا القوي بسبب قوته اثمرت نخله اي كثرت اعماله فتشبيهها بالنخل استعارة مصرحة وذكر الاثمار ترشيح دائر التشبيه بالنخل لان النخل افضل الشجر لانها خلقت من فضلة طينة ادم صلى الله عليه وسلم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم اكرموا عماتكم النخل ولاجل هذا شابهت الادمي في كثير من صفاته الحسية والمعنوية كما لا يخفى ونخلي اي اعمالي عفا بالفتح اي كالتراب لا ثمرة لها بسبب ضعفي لا يعتد بها لا تكن تعترض على الحكيم في فعله وتخصيصه لكل منكما بما اراده وقدره ومن ثم كان الحسد كفر النعمة المنعم وياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وخرج بحاسد المنصرف الى الحسد المذموم الحسد المحمود المسمى بالغبطة وهو ان يتمنى لك من النعم مثل ما لغيرك مع بقائها له فهذا مطلوب كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله لا حسد الا في اثنتين الحديث واحذر ان تتكل على رجايك فقط من غير عمل فانه لا ينفع رجا الا مع عمل فهو غرور

لاتقل حاسدا لخيرك هذا اثمرت نخلة ونخلي عفاء

وات بالمستطاع من عمل البر وقد يسقط الثمار الاثاث
بحب النبي فابغ رضى الله في حبه الرضي والحيا

بل مع رجائك اجتهد وات بالمستطاع من عمل البر امتثالا لقوله
تعالى فاتقوا الله ما استطعتم الناسخ كما قيل لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته
فانه صلى الله عليه وسلم لما فسر هذا بان يعبد فلا يعصي ويذكر فلا ينسى ويشكر
فلا يكفر قالوا اينا يطيق ذلك فنزلت تلك مبينة له ان المطلوب
انما هو ما تقدرون عليه دون ما عداه ويصح ان تلك مبينة للمراد من هذه فلا
نسخ وهو الاولى وقد ينتج القليل ما لا ينتجه الكثير بواسطة مزيد اخلاص وامتثال
وكما انه قد يسقط الثمار الكبيرة الاثاث اي النخيل الصغار اذا خلصت
ارضه وزاد به رخصه ولا يسقط ذلك الكبار مكثر لكثرات قد تفوز بسبب ضعفك
انا المعنى السابق بالدر بعزيه المقول الناظم الى قوته وتغسه وفي كلامه هذا فيما
من تمثيل وتذييل وهو من ارق فنون البلاغة الطف طرق البراعة وتفسير
الاثاث بالنخل الصغار وقع في كلام الشارح المربيني ضبطه اهو بفتح الهمزة او
كسرها ولا انه بالمثناة او بالمثلثة ولم ار في القاموس هذا الذي ذكر الشارح
وانما الذي فيه في الاتا بالفوقية ككتاب تفسيره بما يخرج من الشجر والقار
وفي الاثاثا بالمثلثة تفسيره بالحجارة والماشية وهذا يمكن تنزيل كلام
الناظم عليه اي ان النخلة اذا طالت وصعب عليك رقيها قد يمكنك ان تسقط
بعض ثمرها بضربة بحجر اعلم ان الله افضل الاعمال واسرعها انتاجا
واعظمها وسيلة هو مزيد محبة نبينا صلى الله عليه وسلم فانها سبب لكل خير
دنيوي واخروي وح فعليك ان تكون ممن امتلا قلبه بحب النبي صلى
الله عليه وسلم امتثالا لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ماله واهله
وولده والناس اجمعين ومر الكلام على ذلك قريبا بما ينبغي مراجعته واذا

حضيت

بابني الهدى استغاثة ملهوف قد اضرت بحاله الحوبا يدعي الحب وهو يامر السوء ومن لي ان تصدقني الرغباء
اي حب يصح منه وطرفي للكرى واصل وطيفك راء

حضيت بهذه المحبة فابغ اي اطلب رضى الله في حبه الرضي من الله
تعالى المنعم بالتيسير في الحساب والحيا اي العطا منه تعالى بجميع الخيرات الدنيوية
والاخروية كالتوفيق للاعمال الصالحة والفوز بالمقامات العليه فكن على رجا
من ذلك اذا طلبته بمحبته صلى الله عليه وسلم فانها نعم الوسيلة فاتبعوني يحببكم
الله ثم عاد الى الضراعة واظهار المسكنة والضعف وابدا التحسر والتحوب
والاستغاثة بمن لا يخيب المستغيثين به فقال مؤملا انه ببركة توسله
به يتخلص من ورطات ذنوبه يا نبي الهدى اي الدلالة على الله تعالى بالنسبة
للكل ومنه وانك لتهدي الى صراط مستقيم والايصال اليه بالنسبة للمومنين
ومنه انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا استغاثة بالرفع خبر
مبتدا محذوف اي مسولي وهي ندا من تخلص من شدة او تخففها والنصب
مفعول مطلق اي استغيث بك استغاثة اي انا دتك ندا ملهوف اي
مضطرب متحسر محتاج الى من ينقذه مما يهلكه قد اضرت بحاله الحوبا
اي سكنته ذنوبه وضعف همته وذلك لانه يدعي الحب لله تعالى ولرسوله
صلى الله عليه وسلم وهو اي والحال انه يصدر منه ما يكذب دعواه من مخالفتهما
لانه لا يزال يامر نفسه او غيره بالسوء اي الاثم فعلا وتركا والمخالفة تنبي
عن عدم المحبة كما هو واضح لمن تامل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
ولهذا اشار الى نفيه ان يصدق في دعواه محبتهما فقال ومن استفهامية
اي من الذي يتكفل لي فيه التفات اي تصدقني الرغبا اي العزيمة المصممة
في الرجوع الى الله تعالى بالتوبة والعمل الصالح وادعا الحب مع ظهور ما يكذبه بعض
وانقص وبما يكذبه ايضا دوام الغفلة عن محبوبه حتى انه لا يمر بباله ولا في النوم
ومن هذا قاله اي حب يصح منه التفات والحال ان طرفي التفات

ب

ليت شعري اراك من عظيم ذنب ام خطوط المحبين خطاء ان يكن عظم ذلتي حجب روياك فقد عز داقلبي الدواء

كيف يصدا فالذنب قلب محب وله ذكرك الجميل جلاء هذه علتي انت طبيبي ليس يخفى عليك في القلب داء
ومن الفوز ان ابثك شكوى هي شكوى اليك وهي اقتضاء

للكرى اي النوم واصل لا ينفك النوم عنه في وقته وليس هذا شان
المحب وطيفا اي خيالك را اي محتجب عني كما احتجب الرواني واصل
الرجل المشهورة لانه هجوها فلم يتكلم بكلمة قط فيها راء بل يوراد فيها او مقاربها
خشية من ان يعبر بلعيد بالرفضا وهجو النبي المستمي بما عنه هو بيجو
واصل للرائي النظم التورية لان واصل بالنظر للكرى اسم فاعل وللرا اسم
علم وتلميح لانه اشار الي القصة واصل المشار اليها وفيه الاستفهام الانكاري
اي كيف تصدق محبتي وانا مواصل للكسل والنوم سلمنا ان مواصلة النوم
لا تؤثر في المحبة لانها امر وجداني فكيف توجد مع عدم خطور خيال
المحبوب بالضمير ولا في حالة النوم وهذا ينافي المحبة كما هو محسوس لاستلزامها
ان طيف المحبوب لا يغيب عن مخيلة المحب نوما ولا يقظة نعم قد تخلف هذا
الاستلزام لمانع ولهذا يردد مع ما قدمه في ان فقد خطور الطيف هل هو كذلك
او غير فقال ليت شعري اي ليتني علمت اراك اي عدم خطور طيفك
بقلبي من اجل عظيم ذنب وقع مني وهو الظاهر ام خطوط المحبين
اي المحبين خطا جمع خطوة بالكسر والضم وهي المكانة والقياس في
الجمع الضم والكسر كعروة عرى متفاوتة فبعضهم يحظى بالقرب من غير
كبير عمل وبعضهم لا يحظى به مع كثرة العمل وبين خطوط وخطا الجناس
المطلق اي ايضا وهو من المحبوب ان يكن عظم ذلتي التي ارتكبتها
حجب روياك اي روية طيفك عني في النوم التي فقدتها فقد عز دا
قلبي الدوا اي قل بل عدم الدوا الذي يكون لمرض قلبي فلا يوجد له شفا يوجد
لانه لا يوجد الا من جنابه صلى الله عليه وسلم فان فرض انه اخذنا بعظيم ذنبه
لم يكن احد اعين ان يشفقه منه اهذا التردد في وجود المحبة الذي يسبق

انما هو لمزيد الخوف وان الانسان على ما وجد ان يواخذ بذنبه وان كان محبا
لا الزوال المحبة بل هي باقية وجاه في محبوبه واسع وان كانت ذنوبه كثيرة
وح كيف يصدا اي يسود فبسبب للذنب الذي ارتكبه ذلك المحب
قلب محب لك وهي للحال له اي لقلبه متعلق بجلا ذكرك مضاف للمفعول
اي ذكري لك بالصلاة والتسليم عليك وسوال الوسيلة وغيرها مما يعود عليه وعليك
بزيادة التقرب فان الخلق كلهم مفتقرون الي ذلك ويصح للفاعل ذكرك له الجميل
العائد على الذكر الم يكن في جنابه جلا ولما غلب على ظنه ما اشار الي التردد فيه بان
قوله لم يكن الا من ان سبب حجب الرويا عنه عظيم ذنب صرح كما يصيح من وجد
اخذ ماله او قاتل ابيه بعد تاسه منه فقال هذه علتي التي انحلت
جسمي واذهبت لبي لا غيرها والحال انك انت طبيبي العالم بها الماهر في
ازالتها فانك ليس يخفى عليك في القلب دا وانت لا احد من الخلق اكرم
ولا اعظم منك فعجل لي بدواء ذلك المحصل للشفاء وصحة جميع ما هنالك فان
شفاعتك لا ترد والمتوسل بك لا يخيب وانما رفعت اليك قصتي شكوت الله اليك
فلا حيلتي مما جنيت على نفسي كان من الفوز اي النجاة والظفر لمثلي بجميع المطلوب
الذي لا فوز اعظم منه ان ابثك من بث دابثه واظهر شكوى هي الاخبار
عن النفس او الغير بسو فعله لكن هذه انما هي شكوى مني لنفسي اليك
لا اليك اي الشر واظهر بين يديك في ضمن مدحي لك ما كان ان يهلكني من عظيم
ذنوبي وقبيح عيوبي ان ينجيني بنظرة تزيل عني كل وصمة وتوجب لي منك رحمة لان رجائي
فيك واسع ومحقق لك متزايدة وهي اي تلك الشكوى الواقعة في ضمن ذلك المديح
البديع اقتضا اي طلب من كرمك الواسع وفيضك الهامع ان اتخلص من تلك
الورطات والخو امن بوايق سائر الورطات وان يحصل الشفا من جميع الادرا فان

ضمنتها مدايح مستطاب فيك منها المديح والاصغاء فلما حاولت مدحك الاساعد تهاميم وداك وجاء

جانبك متكفل بكل مطلوب ومحقق لكل مسول ومرغوب لاسيما الخادم حضرتك
الفاني في محبتك كيف وقد **ضمنتها** بالبنا للمفعول اي تلكو الشكوي لتقبل
وتعود علي بركة قبولها بما هو المقصود منها بالذات **مدايح** لجنابك بديعه
جمع مدحه اي كلام متضمن للثنا الجميل الذي هو المدح المباين للحمد او المرادف
له او الاعم منه او الاخص منه اقوال مرت **مستطاب** بالرفع صفة مدايح
الذي هو نايب الفاعل **فيك منها** اي من تلك الشكوي متعلقات بما قبلها او
بعدها **المديح** لك **والاصغا** من سامعها اليها الان او صافك الكريمة زينتها فصارت
بها في غاية الكمال الذي يلتف وعلا عبيره ارجا القلوب والبقاع ومن استطابة
ذلك المديح ان الله تعالي يسره علي في هذه القصيدة البديعة ببركة التجائي اليك
اذ **فلما** مصدرية **حاولت** تلك الشكوي **مدحك** اي لا براز مدحك معني
فيه لم اسبق اليه او اسلوب من انواعه اللايقة بك والمطلوب فيها ان تجري
علي اعلا سنن البلاغة وقانون البراعة **الاساعد تهاميم وداك وجا**
اي مسمي هذه الاسما وهو مدح ابتدائي ما توقف علي بحث او نوع من تلك الانواع
توجهت همتي لا التي لا احسن منها الا وجدت الالفاظ الداله علي مدحك
تبادرني الي تاديته بالالطاف وتساعدني عليه بنهاية الاسعاف فتاتي قريحتي
منه بما هو ابدع وابلغ وكون ما مصدرية هو ما ذكره الشارح وعليه فالمعني كلت
محاولتها مدحك في غير حال كونها ساعدة بهذه الحروف الثلاثة فانها لا تفعل
ح بل تكلا انتهي ويلزم عليه وقوع الاستثنا المفرغ في غير نفي او شبهه وهو النهي
او الاستفهام وهو ممنوع عند اكثر النحاة ومن جوزه في الموجب كقام الناس الا
ردوا عليه بان يلزم منه الكذب اذ تقديره ثبوت القيام لجميع الناس الا زيد
وهو غير جايز بخلاف النفي عند الاخر هذا امانه جايز فان قلت جوز البدر

التعريف علي موجب يلزمه نفي كلو ولولا نحو لولا العموم الا زيد لا كرمتك وما هنا كذلك
لانه قد يلزمه نفي ماعدا القليل فهو نفي في الجملة قلت ما ذكره مرديان التفرغ يدخل في
الجملة الثانية التي هي الاولي واما الجواب الذي هو منفي فخارج عما دخلت عليه الاعلاف
فلا تفيد نفيا يشبه النفي الذي في التعريج ممنوع واذا تقرر ذلك تعين تاويل المتكلم
بان يقال ما علي قل محذوف دل عليه المذكور وان ما نافية والاستثنا مفرغ من
اعم الاحوال والتقدير فلان فيستصعب علي بارادته من مدحك لاني ما حاولته
في حال من الاحوال الا ساعدني في مدحك علي الحل ما ينبغي ولا اجد هذه المساعدة المرهلة
عليّ بما ادعه من اعلي انواع البلاغة **حق** اي ثبت واستقر **لي فيك** اي في مدحك
ما لم يكن في حسابي وهو **ان اساجل قوما** وهم الشعرا الذين يمدحونك اي
افاخرهم فاقول ما صنعته خير مما صنعتموه وابين لهم ذلك حتي يذعنوا الي في ذلك
ويعترفون قد **عملت منهم لدلوي الدلا** ومع افوز منك بابلغ مما فازوا به
وعبر بالدلو لان السجل هو الدلو العظيمة المملوة مذكر وما الدلو وهي هذا قول الحرب
بينهم سجال كالكتاب اي سجل منها علي هولا واخري علي هولا ذكره في القاموس وعليه
فالساجلة تطلق علي تنازع المستقين علي البير لا تحلفة ليريد كل منهم ان يظفر
علي دلوه قبل الاخوين شبه بهم المادحون في تنازعهم فيما يتردونه وادعا كل منهم
ان ما ابرزه خير مما ابرزه غيره تي استعارة بالكناية واثبات المساجلة استعارة
تخييلية وذكر الدلو ترشيح ثم اشار الي علة اخري لتبرزه عليهم وتسليمهم ذلك فقال
ان لي غيرة بالفتح علي مديحك اي حمية توجب لي ان لا اجب ان غيري
يسبقني اليه **و** الحال انه **قد زاحمني في معاني** الفاظ **مدحك الشعرا** وارادوا
ان يسبقوني فيه **و** الحال انه استحكم **لقلبي فيك** اي في محبتك **الغلو** اي
مجاوزة الحد بلغ اليه امثالي **الغلو** يكون **للمساني في مدحك الغلوا** اي الاسراع

حق لي فيك ان اساجل قوما عملت منهم لدلوي الدلاء ان لي غيرة وقد زاحمني في معاني مدحك الشعراء
ولقلبي فيك الغلو واني للمساني في مدحك الغلواء

واني

فاثبت خاطرا يلذ له مدحك علما بانه اللالاءُ حالا من صنعة الذريض برودا لكن لم تحك وشيهها صنعاءُ

والتقدم عليهم بما لا يصلون اليه لولا اسعافك وامدادك وتنظرك لي بما يميزني
عليهم فاني استفهامية بمعني كيف تحو اني يحيي هذه الله بعد موتها او بمعني من
اين نحو اني لك هذا او ترد اسم بمعني متي او حيث وتحتمل الكل ما تواحرتكم اي شئتم
لكن الذي اختاره ابو حيان وغيره انها في الاية شرطية حذف جوابها لدلالة
ما قبلها عليه لا استفهامية والا لاكتفت بما بعدها كما هو شانها ان تكتفي بما بعدها
اي يكون كلاما يحسن السكوت عليه اسما كان او فعلا ويصح كسر ان اي واني فالبا
اسمها لكن الاول ابلغ واظهر كما لا يخفي فبسبب صدق محبتي وشدة غيرتي
ومزاحمة اقراني لي مع ارادتهم التقدم علي البت خاطرا اي قريحة لي علي هذا
المدح البديع بان تمدها بما يفوق به جميع مزاحميها وسابقيها فانك اكرم من جازي
محبيه واجود من جاد علي مادحيه وانا من اصدقهم محبة وابلغهم مدحة كيف
وقلبي يلذ له مدحك لذة تحمله علي ان يبذل وسعه مع صدق التوجه اليك
وبك في اختراع ما لم يسبق اليه ولا حام احد قبله عليه علما اي لاجل علمه بانه
اي مدحك اللالاء اي الفرح التام كذا في القاموس وغيره فان كان الفرح بالجيم
فواضح او بالحا المهملة ففيه بعد ويصح انه من تلالا البرق بمعني لمع اي علما بان
مدحك يضي قلوب المادحين لاسيما البلغهم حتي ياتي في مدحك بالمعاني البديعة
والاساليب العجيبة كما وقع لي في هذا النظم لتميزه علي غيره بامور منها انه حالا اي
ينسج ذلك الخاطر منه من صنعة القريض اي الشعر برودا جمع برد وهو نوع من
انواع الثياب اليمانية منيرة زينة لكن لم تحك وشيها اي نقشها بالالوان المختلفة
صنعا مدينة باليمن مشهورة بجودة النسج والوشي شبه المعاني البديعة في ادهاشها
للقلوب عند سماعها بالابراد الموشاة المدهشة للابصار عند رويتها واثبت لها
ما هو من لوازم المشبه به وهو الوشي والحوك كما اثبت للمشبه به ما هو ملايم له

بالاجاد صح ٢

عجز الدر نظمه فاستوت فيه اليه ان الصناع والخرقاءُ فارضه افصح من نطق بالضاد صارت تغار منها الطاءُ

وهو القريض ففيه استعارة تصريحية مرشحة بذكر الوشي والحوك ومجردة بذكر
القريض ومنها انه قد اعجز الدر نظمه اي نظم هذه القصيدة المشتملة
من البلاغة علي غاية لم يشتمل عليها غيرها فاق الدر النفيس المنظوم الذي
يدهش الفكر ويخطف البصر لصفويه وصفايه فاستوت فيه اي في العجز
عنه اليه ان اي الوصفان الصناع بفتح الصاد المهملة وبالنون والعين
المهملة اي الحاذقة الماهرة والخرقا اي العمه فبسبب ما تميز به هذا
النظم عن غيره ارضه اي اقبله يا خير من امله المادحون ورجاه
العارفون واكرم خلق الله واجودهم وتجاوز عما فيه وان كان فيه من الفصاحة
ما لا يدركه غيرك افصح من نطق بالضاد اي بها اي يا افصح العرب العرباء وهذا
اقتباس من قوله صلي الله عليه وسلم انا افصح من نطق بالضاد الحديث وخصها لان
غير العرب لا يحسن اخراجها من مخرجها والعرب وان احسنوه لكنهم
متفاوتون فيه وكلهم لم يصل منهم احد الي الحد الذي كان صلي الله عليه وسلم
يصل اليه في تاديتها وكان وجه هذا الاقتباس اظهار الناظم ان ما اتي به وان
بالغ في بلاغته لا يساوي اي مدحه حد لان فصاحته معجزة لغيره فاي بلاغة تودي
ما يليق به فكانه يقول يا افصح الفصحا اقبل ما جيت به وان لم يشم ادني رايحة
من روايح فصاحتك بل ولا يفي بما يليق بكمالك ويويد هذا قوله الاتي ابذكري
الايات الخ ومسبب اختصاص الضاد بتعذر او تعسر النطق بها علي غير العرب
وتعذر زيادته علي غيره صلي الله عليه وسلم وقرب الطا من مخرجها بلغ ما ظفرت
به الضاد صارت تغار منها اي الضاد الطا لكون الضاد تميزت عليها
بتلك المرتبة العلية اي ارادت الظا فضلا عن غيرها ان يحصل لها مرتبة تضاهي
تضاهي تلك المرتبة فلم تحصل لها فغارت الخ ثم لطلبي من كرمك بالاكرم

ابذكري الايات اوفيك ملاحا اين مني واين منها الوفاء ام اماري تهن قوم نبي ساماظنه به الاغنياء
ولك الاية التي غبطتها بل لما اتيتها الانبياء

الخلق الرضي بهذه القصيدة لبين لكونها وقت بحقوقك الواجب استقصاها
في مدحك بل للطمع في سعة حلمك وجودك ابذكري الايات في هذا النظم
الخصايص والمعجزات التي علمناها الدالة على وصولك لما لم يصل اليه مخلوق او
فيك مدحا لا اذ لا يمكن ان يوفيك ذلك الامن احاط بعلمك واني ذلك لغيرك
مثلي اين مني الوفا لذلك وانا من جملة العاصين العاجزين المقصرين واين
منها الوفا لذلك وهي محصورة وكمالاته صلى الله عليه وسلم غير محصورة ام منقطعة
اماري اي اجادل تهن اي بذكري لتلك الايات قوم نبي اي المادحين
لنبينا صلى الله عليه وسلم اي لم اذكر تلك الايات بقصد ان اوفي بها حقه صلى الله عليه وسلم
ولا بقصد ان اجادل بها امتك ومن طلب واحدا منهما فهو غبي لا يفهم ولا يعقل
شيا وساماظنه به الاغنيا لانهم لقلة فطنتهم يتجاسرون على الناس بما هم بريون
منه ولك استيناف او عطف على محذوف اي لك الايات التي لا تحصى ولك الامة
الوسطى كما قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اي خيارا عدولا لتكونوا
شهدا على الناس التي غبطتها من الغبطة وهي كما حسدها الانسان اذ لا تمني
الخير مثل غيره من غير سلبه عنه والحسد مع سلبه عنه بل لما اي حين اتيتها
اي ارسلت اليها الانبيا الانبيا فانهم وان كانوا من امتك معنى اذ اخذ الله
ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الاية وهو الكلام عليها ولكنهم ودوا
ان يكونوا من اتباعك الذي بعثت فيهم ليفوزوا بغاية الفخر كما فاز بذلك
امتك الذي بعثت فيهم فاطاعوك فان قلت كان القياس غبطتك
بها الانبيا لانها افضل من امهم بنص جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا
على الناس اي ودوا ان يكون لهم مثلهم كما صرح به موسى صلى الله عليه وسلم
فيما ياتي قلت هذا وان كان هو القياس لكنه ارتكب فيه القلب

الذي

لم تخف بعدك الضلال وفينا وارثوا هديك العلماء

الذي هو من احد انواع البديع خشية ان يتوهم من ذلك مدحه لنفسه
لان مدح العام مدح لكل من افراده فتامله ثم رايت ما يدل للقياس
المذكور وهو ما رواه ابو نعيم انه الله تعالى لما ذكر لموسى عليه الصلاة والسلام
صفات هذه قال يا رب فاجعلني نبي تلك الامة قال نبيها منها قال فاجعلني
من امة ذلك النبي قال استقدمت واستاخرت ولكن ساجمع بينك وبينه
في دار الجلال ولعلي نظرك اليها لم تخف بعدك الضلال عما تركتها عليه
من الشريعة الواضحة البيضا التي لا يزيغ عنها الا هالك والحال ان فينا اعلام
الهدى ونعم وارثوا هديك اي ما كنت عليه واصحابك وهولاهم
العلما الذين هم اهل السنة والجماعة وهم اتباع ابي الحسن الاشعري وابي منصور
الماتريدي رضي الله تعالى عنهما وذلك كما اخبرتنا به بقولك في الاحاديث الصحيحة
لا تزال طايفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتيهم امر الله
وهم على ذلك وهولاهم اهل العلوم الشرعية والالهية من اهل السنة لان الناس مع
وجودهم امنوا من كل محنة وضلالة في دينه وبقولك ان العلما ورثة الانبيا ان
الانبيا عليهم الصلاة والسلام لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه
اخذ بحظ وافر صححه جماعة وفي رواية زيادة تحبهم اهل السما وتستغفر لهم الحيتان
في البحر وفي اخرى وانما العالم من عمل بعلمه وفي اخرى اقرب الناس من درجة النبوة
اهل العلم والجهاد وفي اخرى كاد حملة القران ان يكونوا انبيا الا انهم لا يوحى
اليهم وفي اخرى من حفظ القران فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى
اليه ورواية امتي كانبيا بني اسرائيل لا اصل لها ولكن معناها صحيح لما تقرر ان
العلما ورثة الانبيا وقوله تعالى وورث سليمان داود اي في العلم والحكمة والنبوة
والرسالة ومنه فهب من لدنك وليا فيه الخبر الصحيح انا نحن معاشر الانبيا

لانورث ما تركنا فهو صدقة واشار الناظم بما ذكر الى ان الله تعالى خص هذه الامة في
التوراة بخصايص لم يوتها الغيرهم تكرمة لنبيهم وزيادة في شرفه صلى الله عليه وسلم منها
كما في حديث ابي نعيم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما راى مدح هذه الامة في التورية
قال يارب اجد في الالواح امة هم الاخرون السابقون فاجعلهم امتي قال
تلك امة احمد ثم ذكر ذلك مع اوصاف اخر وذكر جوابه كذلك فقال يارب فاجعلني
من امة احمد فقال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي الاية فقال
رضيت يارب وفي رواية انه سال ربه هل في الامم اكرم عليك من امتي فبين ان
فضل امة محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الامم الانبيا عليهم الصلاة والسلام كفضله
تعالى على سائر خلقه ومنها ان اخر الامة دخل الجنة قبلهم ومنها الوضوء على الكيفية
المخصوصة والتيمم واباحة الغنائم وان كل الارض تصح صلاتهم فيها وتحويل جعلها
مسجد الاحل مسجد الفرار بجموع الصلوات الخمس والتامين خلف الفاتحة
كما صح به الخبر والركوع بخبريه رواه البزار والطبراني ومن فسر قال الجمع مفسرون
ان صلاة من قبلنا لا ركوع فيها وفسر اركعوا مصلين واركعوا مع الراكعين بصلوا مع
المصلين وان صفوفهم في الصلاة كصفوف الملائكة رواه مسلم والجمعة رواه البخاري
وساعة الاجابة في يوم ونهار رمضان عند الجمهور والتشبيه في الاية لمطلق الصوم
وجزاءه كتب على من قبلنا في سنده مجهول وتكبير الله اليهم اوله وتزيين الجنة
وفيه وخلوف افواههم اطيب من ريح المسك واستغفار الملائكة لهم حتى
يفطروا وعموم المغفرة لهم اخر ليلة فيه رواه البيهقي بسند لا باس به بلفظ اعطيت
امتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي الحديث واستغفار الحيتان
لهم حتى يفطروا رواه البزار والسحور وتاخيره وتعجيل الفطور رواه البخاري
واباحة الطعام والجماع الى الفجر والاسترجاع عند المصيبة قال سعيد بن جبير

ابن

ورفع اثقال التكاليف التي كانت على من قبلهم كتحتم القصاص حتى في الخطا
وقطع الاعضا الخاطية وموضع النجاسة وقتل النفس في التوبة والمواخذة
بالخطا والنسيان وما استكرهوا عليه كما صح به الخبر وان الله لم يجعل عليهم
في دينهم من حرج وان الاسلام وصف خاص بهم عند جماعة لكن الذي اعتمده ابن
الصلاح وغيره خلافه وان شريعتهم اكمل من سائر الشرايع كما ان نبيهم صلى الله عليه وسلم
اكمل الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقد كان لموسى شريعتهم الجلال الصرف ضدما كان
لعيسى وشريعته من كل وجه وشريعتنا اعتدل فيها الامران فسلمت من شدة
تلك ولين هذه واستملت في جميع جنودها تارة من خير وحب الله لمن علمه
وحلمه وجعلهم خير امة اخرجت للناس واعطاهم مرتبة الشهادة على من سبقهم
في القيامة فاقامهم مقام الانبيا عليهم الصلاة والسلام في الشهادة عليهم وكمل لهم
من المحاسن ما فرقه في الامم كما كمل لنبيهم عليه الصلاة والسلام ما فرقه في الانبيا
عليهم الصلاة والسلام ولكتابهم ما فرق في الكتب وانهم لا يجتمعون على ضلالة كما في
الحديث المشهور واسانيده كثيرة وشواهد متعددة من المرفوع وغيره وان
اجماعهم حجة واختلافهم رحمة وفي الحديث ضعيف منقطع اختلاف اصحابي
لكم رحمة وفي رواية فتنفي كلام الخطابي ان لها اصلا عنده وبه وان زعم كثيرون
من الائمة انه لا اصل لها اختلاف امتي رحمة للناس وان الطاعون شهادة
لهم وعذاب على غيرهم بخبرية رجاله ثقات وانهم حفظوا الاثار من رسولهم على قراينه
علم الحديث اما لم يوجد نظيره في امة وان منهم اقطابا واوتادا ونجبا وابدالا
كما جاء في الحديث في الابدال ونحوهم وانهم يخرجون من قبورهم بلا ذنوب لاستغفار
المومنين لهم رواه الطبراني وغيره وانهم اول من تنشق الارض عنهم رواه ابو
نعيم ويميزون يوم القيامة بالغرة والتحجيل من اثار الوضوء رواه البخاري
اي يبادون بهذا الوصف ويكونون بهذه الصورة ويكونون مع نبيهم على كوم مشرف

فانقضت اي الانبيا واياتك في الناس ما لهن انقضاء

في الموقف يغبطهم فيه جميع الامم رواه جماعة ويميزون بسيما السجود في وجوههم
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وهي بياض شديد وقال شهر بن حوشب
نور كالقمر ليلة البدر قال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود الاية وقيل هذا
في الدنيا وعليه قال ابن عباس السمت الحسن او سمت الاسلام وخشوعه وقيل
الصفرة في الوجوه من اثر السهر ويوتون كتبهم بايمانهم رواه احمد وغيره ويسعى
نورهم بين ايديهم كما صح به الخبر ويصل لهم ما سعي لهم من صوم وحج وصدقة ودعا
وقراءة بل كل عبادة عند كثيرين وايدوا ان ليس للانسان الا ما سعى منسوخة
او في حق الكافر ويدخل منهم الجنة سبعون الفا بغير حساب رواه الشيخان زاد
الطبري والبيهقي مع كل واحد منهم سبعون الفا فبسبب ان في هذه الامة
وارثي هديك المخصوصين بهذه الخصايص التي لم توجد لغيرهم من الامم
انقضت اي الانبيا اي معجزاتهم لانتساخ شرايعهم بموتهم وان من كان من
بعد موسي الي عيسي انما هو مرسل بكتاب موسي واياتك اي معجزاتك في الناس
قبل وجودك ومعه وبعد وفاتك ما لهن انقضا ففيه العكس نحو لا هن حل لهم
ولا هم يحلون لهن ورد العجز علي الصدر اما الاولات فقد مر منها جملة
ومنها ما في الكتب الله تعالى من ذكره ونعته وخروجه بارض العرب وما
جرى بين يدي ايام مولده ومبعثه من الامور العجيبة الموهنة للكفر واهله
والمويدة لشان العرب لقصة الفيل وعقاب اهله وخمود نار فارس وسقوط
شرافات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوى وخمود نارهم وما سمع من الهواتف
الصارخة به صلى الله عليه وسلم وباوصافه وانتكاس الاصنام المعبودة لولادته صلى الله
عليه وسلم وتظليل الغمام له في سفره الي غير ذلك مما ورد في الاخبار الي بعثته
صلى الله عليه وسلم مما هو تاسيس لنبوته صلى الله عليه وسلم وارهاص لرسالته
عليه الصلاة والسلام واما الاخيرة فكثير جدا اذ هي كل حين يقع لخواص امته

والكرامات منهم معجزات جازها من نوالك الاولياء

من خوارق العادات بسببه مما يدل على تعظيم قدره الكريم ما لا يحصى
كما قال والكرامات الواقعة منهم اي الناس معجزات اذ كل منهما
امر خارق للعادة وانما يفترقان بالتحدي وعدمه لكنها في الحقيقة
معجزات لك جازها من نوالك اي عطايك وكرمك الاوليا وكان القياس
جازوها لكنه اظهر ليبين ان مراده بمن هم على الناس خواصهم وهم
الاوليا جمع ولي فعيل بمعني فاعل لانه والى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فلم
يخرج عن امرهما ونهيهما الي ما يغضبهما او مفعول لان الله تعالى والاه
بخوارق نعمه ورسوله صلى الله عليه وسلم والاه بمزيد امداده وكرمه وضابط
الولي انه المداوم على فعل الطاعات واجتناب المعاصي المعرض عن الانهماك
في اللذات كذا قالوه ويتجه ان هذا ضابط للولي الكامل وان اصل الولاية
يحصل لمن وجدت فيه صفات العدالة الباطنة بالشروط المذكورة عند
الفقها ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم المتكررة الدايمة ما يقع للمتوسلين به
من خوارق بسببه ما لا يحصى ايضا هذا كله مع قطع النظر الي القران الكريم
فبالنظر اليه وانه معجزته الكبري ففيه من المعجزات المتكررة بتكرار الازمنة
ما لا يحصى ايضا واعلم انه صلى الله عليه وسلم كما فضله الله في البدا بان جعله اول من
تنشق عنه الارض واول شافع واول مشفع واول ناظر الي ربه واول من يقضي
بين امته واولهم اجازة بامته على الصراط داخلا الجنة وهم اول الامم دخولا اليها
زاده من لطايف التحف ونفايس الظرف ما لا يحيط بكنهه الا الكبار وتخصيصه
بالمقام المحمود وهو الشفاعة العظمى في فصل القضا وبلوا الحمد الذي تحته
ادم فمن دونه وبالسجود امام العرش ويفتح الله عليه بما لم يفتحه على احد
قبله ولا يفتح ايضا علي احد بعده والندا يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك وسل

تعط واشفع تشفع وقيامه صلى الله عليه وسلم عن يمين العرش الذي لم تعطه لمخلوق
مخلوق يغبطه فيه الاولون والاخرون وشهادته للانبيا عليهم الصلاة
والسلام على اممهم تنبيه علم مما تقرر ان الكرامة
ظهور امر خارق للعادة غير مقارن لدعوى النبوة على يد من عرفت ديانته
واشتهرت ولايته باتباع نبيه فيما جا به والا فهي استدراج او سحر اذلال كما
لمسيلمة الكذاب لعنه الله تعالى انه جا اعور يدعو الله فعميت الصحيحة ايضا
وتسمى اهانة وقد يظهر الخارق على يد عامي تخليصا له من فتنة وتسمى معونة
وانكره جماعة محرومون كاكثر المعتزلة وان وافقهم بعض منا لكن تتبعت تاويل
كلامه لان جلالته تابى ان ترضى بهذا الدين الذين انتحلوه جواز الكرامة ووقوعها
وعليه قيل يمتنع كونها بقصد واختيار لادايها الى السقوط عن مرتبة الولاية
وقيل يمتنع كونها من جنس معجزة نبي والا لا التبست بالمعجزة وردهما
الفخر الرازي رحمه الله تعالى بان المرضي تجويز حمله على خوارق العادات
في معرض الكرامات والمميز لها عن المعجزة انما هو ادعا النبوة وكانه
لم يرض قول جماعة منهم القشيري لا ينتهي الى احيا ميت ولا الى وجود
ولد من غير اب ومن ثم ورد بعموم قولهم ما جاز ان يكون معجزة
لنبي جاز ان يكون كرامة لولي وليس من شرط المعجزة غير القران ان
لا يمكن نظيرها بل ان يعجز المعارضون عن نظيرها ومن ادلة الجواز
ان الوقوع ممكن كالمعجزة وقدرة الله تعالى شاملة لها ولا بدع ان الملك
تصديق رسوله بخرق بعض العادات ثم يفعل مثل ذلك ببعض اتباعه
اكراما له ومن ادلة الوقوع النص القاطع بما وقع لمريم كلما دخل عليها
زكريا المحراب الاية وفي مريم ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام

ولاصحاب

ولاصحاب الكهف ولوزير سليمان عليه الصلاة والسلام ولصاحب في عرش
بلقيس ونظاير ذلك وزعمهم انها ارهاص باطل على ان المعتزلة لا يقولون
به سلمناه هو لا يمنع تسمية ذلك كرامة على يد من ظهرت عليه والتواتر
المعنوي وان كانت التفاصيل احادا في كرامات الصحابة لا سيما عمر
وعلي رضي الله تعالى عنهما وتابعيهم ومن بعدهم الى زمننا بل ظهورها يكاد
يلحق بظهور معجزات الانبيا ولا عجب من انكار المبتدعة ذلك فانهم حرموا
مشاهدة شي منها من انفسهم ومشايخهم وكثرة ظهورها لا يخرجها عن كونها
خارقة خلافا لمن زعمه لانه يلزمه ذلك في المعجزة على ان الكثرة فيها انما هي
قلتها بالنسبة للعادة المستمرة وظهور الخارق على غير الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لا يخل بقدرهم بل يزيد في جلاله اقدارهم والرغبة في اتباعهم حيث نالت
اممهم واتباعهم مثل هذه الدرجة ببركة الاقتدا بشريعتهم والاستقامة
على طريقتهم ومما مر ان الخارق لا يسمى كرامة الا ان ظهر على يد من مر يعلم ان
الكرامة لا تشتبه بالسحر اصلا لانا ننظر بحال من ظهر الخارق على يديه فان
توفرت فيه شروط الولاية فذلك الخارق كرامة في حقه والا فهو سحر وغيره
مما مر وزعم ان الساحر لا يمكن ان يقلب عينا كادمي حمارا ولا يقلب
طبيعة بخلاف الولي ليس في محله بل الخلاف فيهما واحد تأمل جمع مستحيل
عليهما ذلك وجمع يجوز في حقهما ذلك وهو الاصح واما قوله تعالى فلا يظهر
على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول الاية فالاستثنا فيه منقطع بدليل
فانه يسلك الخ بل بعينه لان غيبه مفرد مضاف فهو للعموم واستغراق
النفي فهذا الكل فرد من المخلوقين اذ مدلول العام كلية لا كل ولا كلي خلافا
لمن وهم فيه فمحمل الاية عليه باق على حقيقته اذ الغيوب كلها لم يطلع الله

ان من معجزاتك العجز عن وصفك اذ لا تحده الاحصاء كيف يستوعب الكلام سجاياك وهل تنزح البحار الركاء

عليها احدا من خلقه وانما غاية من اطلعه منهم ان اطلعه على جزئيات
مخصوصة وبتقدير انه متصل وان المراد انه لا يظهر على بعض غيبه الا الرسل
فلا حجة لهم لان القطع الضروري بوقوع الكرامات للانبيا عليهم الصلاه والسلام
والاوليا فلا يظهرهم على ذلك بل على غيره واعلم ان من الكفر الصريح ما حكي
من بعض الكرامية ان الولي غير النبي قد يبلغ درجة النبوة ومن بعض المتصوفة
المتصوفة الجهلة ان الولاية فوق رتبة النبوة وان الولي قد يبلغ حالة
يسقط عنه فيها التكليف قال الغزالي رحمه الله تعالى وقتل الواحد
من هولا خير من قتل ماية كافر لان ضرر اولئك في اشد وليس من اوليك
العارفان العالمان المحققان الوليان الكبيران المحيوي بن عربي
والسراج بن الفارض واتباعهما بحق بخلاف المحي زال فيهم قدمه وطغى
قلمه الا ان يكون اراد بما قاله الذي عن اعتقاد ظواهر عباراتهم المتبادرة
عند من لا يحيط باصطلاحهم ان تاكيد لقوله ما لهن انقضا من معجزاتك
الباهرة العجز من ساير الناس عن وصفك مفرد مضاف فهو للعموم
اي عن الاحاطة بكل فرد من اوصافك التي اختصك الله بها اذ لا تحده
اي الوصف المذكور الاحصا اي العد كيف يستوعب الكلام الصادر من
واصفيك سجاياك اي ما فيك من الاخلاق الكريمة والفضايل والاوصاف
البالغة اقصى ما يمكن البشر الرقي اليه وهي لا حد لها باعتبار انك لا تزال
تترقى في مراتب القرب في الحياة وبعد الممات وفي الموقف وفي الجنة الى ما لا
نهاية له ولا انقضا وهل تنزح البحار المشبهة اوصافك بها في ان بتلك
قيام الوجود الحسي وبهذه قيام الوجود المعنوي لما انه صلى الله عليه وسلم روح
الكون والخليفة الاكبر عن الله تعالى في امداده الركا المشبهة بها الالفاظ

ليس من غاية لوصفك ابغيها وللقول غاية وانتهاء انما فضلك الزمان اياتك فيما نعده الاناء
لم اطل في تعداد مدحك نطقي ومرادي بذلك استقصاء غير اني ظمان وجد وما لي بقليل من الورود ارتواء

في ان كلا يتوصل به الى حيازة بعض المطلوب دون انتهائه وبعد التذييل مبني
لما اشتمل عليه من الاستعارتين المصرحتين المرشح لهما بذكر النزح ان اوصافه
صلى الله عليه وسلم لو عبر عنها من اول الزمان الى اخره لا تحد ولا تحصى ومما يزيد ذلك بيانا
وايضاحا انه ليس من غاية لوصفك اي اوصافك توجد حتى اني ابغيها
اي اطلبها وللقول اي مني غاية لما تقرر ان ذلك الترقي لا نهاية له اذ لا مطمع
في الاطلاع عليه وبفرضه لا تحده العبارة بخلاف القول منه فانه محدود متناه
وبهذا المعنى قول مني اولا ومنه ثانيا مع ما تقرر بينه فع ما اشار اليه الشارح من
اشكال في ذلك وانتهاء تاكيد والفرق بين الغاية والنهاية اعتباري ومما يزيده بيانا
وايضاحا ان نقول ~~والنهاية اعتباري ومما يزيده~~ انما فضلك اي فضايلك
الزمان اي يشبهه من حيث الاجمال فيهما اما بالنسبة الى التفصيل فجزئيات
كل جزئيات الافراد اياتك اي معجزاتك وخصايصك فيما نعده ونحسبه
الاناء جمع انا كمعا وامعا كما ذكره الشارح والذي في القاموس والاني ويكسر والانو
بالكسر الوقت والساعة من الليل او ساعة ما منه والانا كالى وعلى كل النهار انتهى
والمراد هنا مطلق الساعات واللحظات فكما ان هذه لا تحد فكذلك تلك هذا ولا
تظن اني اطلت في هذه القصيدة بعدد اوصافه صلى الله عليه وسلم اخالف
ما قدمته انها لا تعد لاني لم اطل في تعداد مدحك فيها نطقي و
والحال ان مرادي بذلك استقصاء اي حصر لاوصافه وانما مرادي بذلك
برد الغليل وشفا العليل كما افاده قوله المشتمل على ارادة الاستثنا الذي هو منقطع
هنا غير اني اي لم ارد الحصر لكني ظمان وجد اي بي من شدة شوقي لسماع
تلك الاوصاف غاية الظما والتعطش للارتوا من سماعها وما اي ليس يحصل
لي بقليل من الما الذي اشربه حال الورود منه ارتوا اما بي من العطش

سلام عليك تترى من الله وتبقى به لك التناوا ء سلام عليك منك فما غيرك لكفا السلام كفاء
وسلام عليك من كل ما خلق الله لتحيي بذكرك الاملاء

فاطالتي في التعداد لطلب مزيد الارتوا من سماع تلك الاوصاف لا لطلب
حصر لتعذره وفي كلامه استعارة مصرحة لانه شبه شغفه بتلك
الايات وذلك افضل الصفات بظما شديد لا يرويه الا الما الكثير ورشح
لذكر بذكر الورود والارتوا فبسبب حصول الارتوا لي من تلك الاطالة
اختمها بما هو المتعين من الدعا لك بالصلاة والسلام امتثالا لقوله صلوا عليه
وسلموا تسليما فاقول سلام عظيم شريف اي سلامة من كل افة ونقص كائنة
عليك تترى اي تتكرر ويتبع بعضه بعضا ايا وفي القاموس ترى كرمي
ترامي واترى عمل اعمالا متواترة بين كل عملين فترة انتهى وقد يشكل على
استعمال الناظم تترى بمعنا مرادا بما ذكر الان يجاب بانه اراد اصل المعنى
وهو مطلق التتابع من غير اعتبار تراخ ولا فترة بقرينة المقام وقد يخرج البليغ
من المعنى اللغوي الى ما هو اخص او اعم منه للضرورة مع الاستغنا عن
ذلك الخصوص او العموم منه مع قرينة المقام والسياق فتامله من الله وتبقى
به اي سبحانه على عدد الازمنة الى فنايها وما بعد ذلك مما لا منتهى لاخره
لك التناوا اي التفخر لان تسليم امتك عليك مع التكرار والدوام زيادة في
شرفك وفخرك وانما ذكرت سلام الله عليك ابتدا وسيادة الجاسر فبنيته
بسلامك ثانيا لانك في الحقيقة لا يكافيك من سلام الخلق غير سلامك بكل
نفسك ثم سلام عليك منك فما اي ليس غيرك من المخلوقين ممن
متعلق بالسلام لك متعلق بكفا السلام ولك بمعنى عليك كفا اي
مكافي لحضرتك من المكافاة وهو المساواة اذ كيف يساويك سلام من هو دونك
ولم يحط بفضايلك ومع ذلك لا يطلب من غيرك عدم السلام عليك بل
يطلب من كل احد السلام وان لم يكافيك سلامه فمن ثم قال وسلام

عليك

وصلاة كالمسك تحمله مني شمال اليك او نكباء وسلام على ضريحك تخضل به منه تربة وعساء

عليك من كل ما خلق الله من كل ناطق وجامد وفي نسخة من ملا ولعله
عيبه غير العاقل لكثرته والثانية عليك العاقل لشرفه كل جر ولله يسجد من
في السموات وانما جيت بهذا العموم لتحيي بذكرك الاملا جمع ملا وهو الجماعة
وبالغ الناظم حيث طلب السلام عليه صلى الله عليه وسلم من ربه ثم من نفسه
ثم من ساير المخلوقات ليجتمع له صلى الله عليه وسلم سا ير وجوه السلامة فيه وفي شريعته
وامته وجميع اثاره ولاجل هذا العموم الذي يوجد في بعد السلام دون الصلاة خصه
بالذكر وقد ذكر والكاذكرته في كتابي الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم الذي لم يصنف
في هذا الباب مثله في ايثار الزاير للسلام وتكريره دون الصلاة ما يوخذ منه ما ذكرته
فتامله وصلاة وهي من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم اي من الله تعالى ومنك ومن كل
مخلوق نظير ما مر في السلام كالمسك في الطيب والنفع البالغ تحمله اي ذلك
المسك الذي هو عين صلاتي مني شمال وهي التي تهب من جهة القطب
الى المغرب البارد حتى يتعطر الوجود بعبيره وتحيي الارواح بنشره ومشيره
او نكبا وهي الصبا وتهب من سهيل الى القطب والجنوب وتسمى الازيب
وهو التي تهب من سهيل الى المغرب والدبور وهي القبول تهب من الغرب سميت
بذلك لانها تهب من ظهر الكعبة والحاصل ان الريح ان هبت من تجاه الكعبة فالصبا
وهي حارة يابسة او من ورايها فالدبور وهي باردة يابسة وهي ريح الجنة التي تهب
عليهم رواه مسلم ولهذه الخصوصية للشمال بدا بها الناظم وسلام على ضريحك
اي قبرك الكريم وهو افضل حتى من الكعبة بل ومن العرش ولكون المراد من الضريح
هنا البقعة التي ضمت اعضاءه الشريفة لم يكن في ايراد السلام هنا كراهة
لانه عين السلام عليه الذي ضم اليه الصلاة فيما مر تخضل بمعجمتين اي تبتل
به منه اي القبر المكرم تربة وعساء اي لينة ذات رمل شبه السلام بالما الكثير

وثنا قدمته بين يدي نجواي اذ لم يكن لدي ثراء ما اقام الصلاة من عبد الله وقامت بربها الاشياء

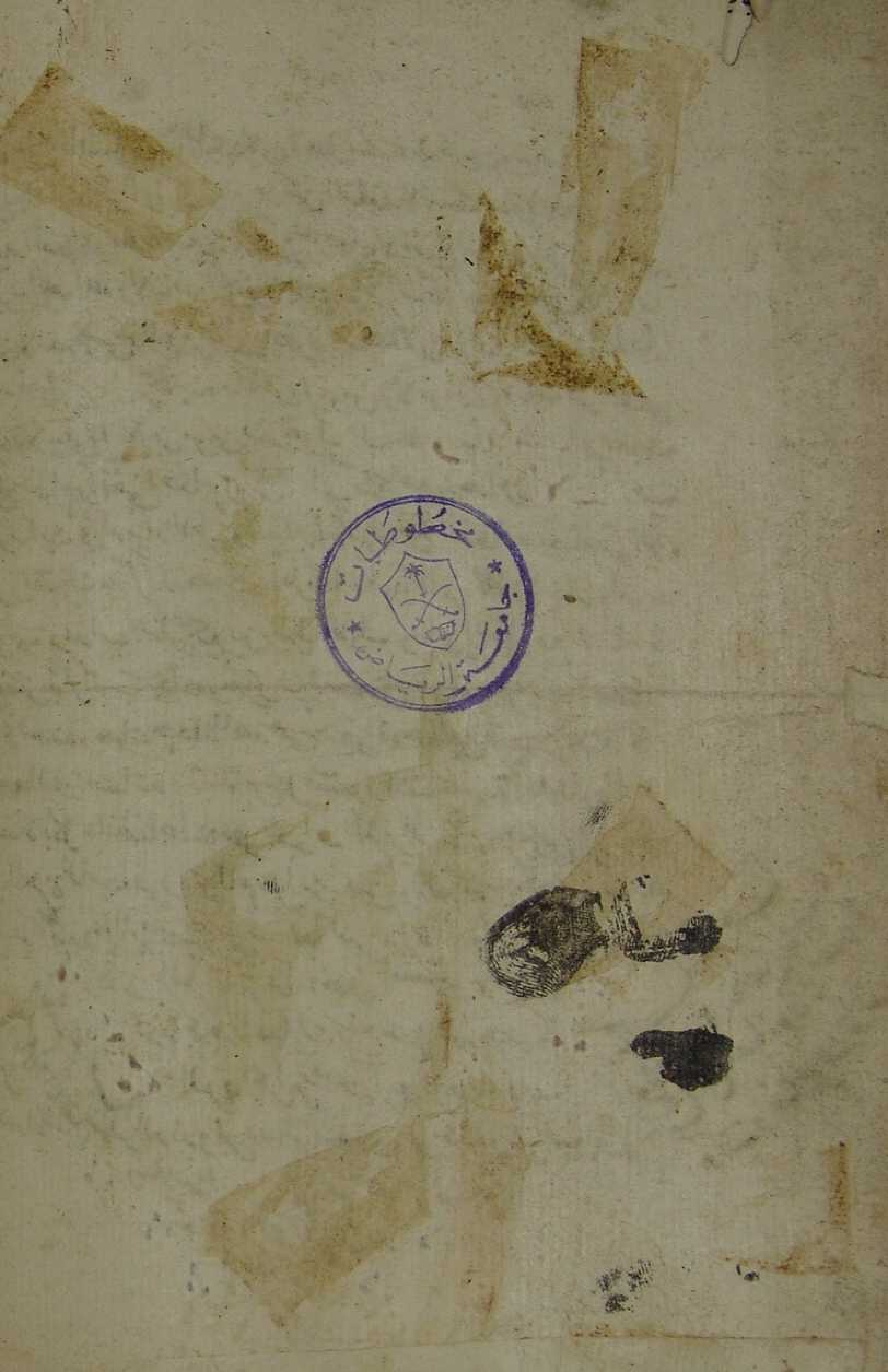
الطيب البارد البالغ في النفع فهو استعارة مصرحة وخيل له بذكر تحصل
وثنا في هذه القصيدة قدمته بين يدي نجواي اي سوالي
منك بلوغ الامل الواقع في هذه القصيدة بقولي حبذا لعاصي الخ وغيرها اذ اي
لاجل ان لم يكن لدي اي عندي ثرا بالمثلثة اي مال اتصدق به
امتثالا لقوله تعالى اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة اذ الامر فيها
كان للوجوب ثم نسخ بما بعدها وهو ااشفقتم الاية وجا انه لم يعمل بها قبل النسخ
من تقديم الصدقة بين يدي النجوى غير علي كرم الله وجهه ولا يلزم من نسخ الوجوب
نسخ الندب ولذا ينبغي لمن يريد زيارته صلى الله عليه وسلم ان يقدم بين يدي
زيارته صلى الله عليه وسلم والناظم رحمه الله تعالى ظاهر كلامه انه كان يعتقد بقا
الندب فاعتذر بانه لا مال له يتصدق به بين يدي سواله وانه جعل حسن
توسله وثنايه بدل المال فيه تعبيري ليس بعيد لانا مثلها في
الاحكام من كونها ظرف مكان فتستعمل في الحضور والقرب الحسي والمعنوي
نحو عند مليك مقتدر وعند نحو لن الله كتب كتابا فهو عنده فوق عرشه ان رحمتي
سبقت غضبي ولا تستعمل الا ظرفا ونحو ذلك فلا ينافي ذلك انها قد تفارقها من
خاصة والامتناع جر لدي مطلقا وفي ان عند تكون ظرفا للاعيان والمعاني
وتستعمل في الحاضر والغايب بخلاف لدي فيهما وتعارض عند ولدي لدن في
ان ذينك يصلحان في ابتدا غاية وغيرها ويكونان فضلة نحو وعندنا كتاب
حفيظ ويعربان بخلاف في لغة الاكثرين وجر لدن اكثر من نصبها وقد
لا تضاف وقد تضاف للجملة بخلافهما قال الراغب لدن اخص من عند
وابلغ لانه يدل على ابتدا نهاية الفعل ما مصدرية ظرفية اقام الصلاة
اللغوية او الشرعية من عبد الله وابد بذا مع انقطاعه استغناعنه بما

بعده

بعده على انا نسلم انقطاعه لان اهل الجنة يدعون ويتعبدون كما
علم من احاديث اقروا وارق وغيرها لكن للتلذذ لا للتكليف ولا يضر في ذلك
التابيد انقطاعه مدة يسيرة للخبر الصحيح لا تقوم الساعة وعلى وجه الارض
من يقول الله الله ولا ينافيه الخبر الصحيح لا تزال طايفة من امتي ظاهرين
على الحق لا يضرهم من خالفهم الى ان تقوم الساعة لان المراد قرب قيامها لما جا
ان الله قبيلها يرسل ريحا لينة فلا تمر على مومن ولا مومنة الا امات ثم تتمحض
الكفرة فلا يبقى على الارض مومن فتقوم الساعة وما قامت اي بقيت
على ابلغ نظام واتقن احكام بربها اي بايجاده وامداده الاشيا اي
الموجودات في الدنيا والاخرة وابد ايها بالاول مع انقطاعه بفنا هذه الدار
لما مر وللتبرك بذكر المتعبدين اخر كلامه وبالثاني الذي لا ينقطع لدوام
نعيم الجنة وعذاب النار ليجمع بين شرف الاول ودوام الثاني مع الاشارة
الى الختم بذكر الرب سبحانه وتعالى الى استفتاح ابواب ترتيبه واستمناح
سوابغ لطفه وهباته جعلنا الله ممن حقق له حقايق قربه وامداده
واسعافه واسعاده وامتنان بكل فتنة ومحنة مسبغا علينا رضاه
متفضلا بكل ما نتمناه انه هو الجواد الكريم الرؤف الرحيم سبحان ربك
رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دايما ابدا الى يوم الدين امين

وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة صبيحة
يوم الجمعة المبارك سابع عشر شهر رجب
الفرد الحرام سنة اربع واربعين والف
عفا الله عن كاتبها ولوالديه ولمن دعا لهم بالمغفرة ولمن قرا فيها ولجميع المسلمين امين
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا والحمد لله
رب العلمين

[illegible] ربع عشر [illegible] المسلمين [illegible]


مخطوطات
جامعة الرياض

ويح قوم جفوا نبيا بارض الفته ضبابها والظباءُ

قولهم ويح فلان وويحا له قال ابن طاهر متى اضفت ويح وجب النصب وامتنع الرفع
لانه مبتدا لا خبر له متى افردت جاز كل منهما وكذا ويل والنصب فيه غير قوي لانه
مصدر لا فعل له بخلاف نحو حمدا وشكرا ومن ثم غلب على ويح الرفع بل قال
ابن ابي الربيع يجب رفعه دون ويل نعم ان عطف ويح على تب تعين نصبه ومنع
المازني عطف ويح على تب وعكسه لتناقض معناهما ورد بان ويح اخرج مخرج
الدعا وليس معناه الدعا وانما يستعمل لقاتله الله ما اشعره فعلم ان ويح وويل
ونحوهما متى نصب فانما هو بعامله المحذوف وجوبا وانه لا يدخل للندا هنا واعلم
انهم اتفقوا على ان ويح كلمة ترحم تقال لمن وقع في مهلكة لا يستحقها وويل كلمة عذاب
وقيل هما بمعني وعلى الاول فقد يستشكل اتيان الناظم في هذا المحل فان الجافين
له صلى الله عليه وسلم يستحقون الهلاك الدايم وقد يجاب بان كثيرا منهم اسلم بعد
ذلك فالترحم لهم باعتبار ما ال اليه حالهم ويرد انهم بهذا الاعتبار لا يقال
فيهم ويح لانهم لم يقعوا في هلاك اصلا فالاحسن الجواب بان الترحم من حيث النظر
الي القرابة التي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم من عمود نسبه وجلدته
والترحم لهم من هذه الحيثية لا محظور فيه **قوم جفوا نبيا** بلغ من مراتب
الجلالة والتعظيم ما لم يبلغه نبي اي عصره واذوه الايذا البالغ بل قصدوا قتله
كما مر انفا مبسوطا **بارض الفته ضبابها** جمع ضب وحديثه مشهور على
الالسنة رواه البيهقي في احاديث كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال
المزني لا يصح اسناده ولا متنه وهو ان اعرابيا اصطاد ضبا فلما راى النبي صلى الله
عليه وسلم طرحه بين يديه وقال لا او من بك حتى يومن بك هذا فقال يا ضب
قال لبيك وسعديك قال من تعبد قال الذي في السما عرشه وكلمات
اخر قال من انا قال رسول رب العالمين فاسلم الاعرابي الحديث بطوله



قيل وهو موضوع ورد بان نهايته الضعف لا الوضع وفي معجزاته صلى الله عليه وسلم ما هو
ابلغ من هذا **والظبا** جمع ظبي ورد حديثه من طرق البيهقي وابو نعيم والطبراني وساق
الحافظ المنذري حديثه في الترغيب والترهيب لكن ضعفه الادبلي قال الحافظ ابن
كثير لا اصل له ومن نسبه الي النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب ورد بانه ورد في الجملة
في عدة احاديث يتقوى بعضها ببعض بل بالغ بعض المحققين فزعم انه حديث
صحيح قال الشارح السبكي وهو وان لم يتواتر اليوم فلعله استغنى عنه
بغيره او لعله تواتر ذلك وهو بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحرا اذ هاتف يهتف
يا رسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة في وثاق واعرابي قايم
عندها فقال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في هذا الجبل
فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت عذبني الله عذاب
العشار اي المكاس ان لم افعل فاطلقها فذهب ورجعت فاوثقها صلى الله عليه وسلم
فانتبه الاعرابي فقال يا رسول الله الك حاجة فقال تطلق هذه الظبية فاطلقها
فخرجت تعدو في الصحرا فرحا وهو تضرب برجلها الارض وهي تقول اشهد ان
لا اله الا الله وانك رسول الله ولم يذكر المصنف الحمر في هذين فقد صح ان الذيب
الفه واخبر بنبوته صلى الله عليه وسلم فما جا من طرق منها طريقان صحيحان حاصلهما
انه اخذ شاة فانتزعها الراعي منه فقال الا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله
اي فتعجب الراعي من كلامه له فقال له الذيب الا اخبرك باعجب من ذلك
محمد بيثرب يخبر الناس بانبا ما قد سبق وفي رواية صحيحة بما مضى وما هو كاين
فاتى الراعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فامر ان ينادى للصلاة جامعة
ثم امر الراعي فاخبرهم وفي رواية عن سعيد بن منصور في سننه ان الذيب
جا الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال وافد الذياب جايسا لكم ان تجعلوا له شيا من اموالكم

يوم جات عضبي تقول امي مثلي من احمد يقال الهجاءُ وتولت وما راته ومن اين تري الشمس مقلة عمياءُ

شبيهة بها في ذلك فهي حال منتداخلة **يوم** ظرف لاعدت **جات** في حال كونها **عضبي** من شدة ما سمعت من ذمها في تلك السورة وفي نسخة غيظا فهو تمييز والغضب نار كامنة في طي الفواد يوججها طرد السبب المحرك بها فان لم يقدد علي انقاذ ظي في المغصوب عليه سمي غيظا كما قيل وفي القاموس الغيظ الغطيب او اشده او سورته او اوله وحال كونها **تقول امي مثلي** وانا بنت سيد بني مخزوم متعلق بيقال **من احمد** حال من الهجا **يقال الهجا** اي السب والذم ونسبت القول اليه اما حقيقة وهو الظاهر لانهم لا يعتقدون الالهية وان اصنامهم تقربهم اليه فان كانت من قولها فهي تعليلية اي يقول الهجاء لاجله **وتولت** عطف علي اعدت **و** الحال انها **ما راته** وكيف تراه وهو في ظهوره للقلوب السليمة والعقول المستقيمة كالشمس وهي اعمي تلك المراة في غاية من عمي البصيرة وفساد السريرة **ومن اين تري الشمس مقلة عمياء** اي عين **عميا** ولما راها ابو بكر رضي الله تعالى عنه قال يا رسول الله انها امراة بذية فلو قمت قال صلى الله عليه وسلم انها لن تراني فجاءت فلم تره فقالت يا ابا بكر اين صاحبك كيف هجاني فوالله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله اني لشاعرة وذكرت هجوا قبيحا فقلت لا وهو لا يقول الشعر فقالت انت عندي مصدق وانصرفت فقلت يا رسول الله لم لم تروك فقال صلى الله عليه وسلم لم يزل ملك يسترني منها بجناحه وفي رواية قد اخذ الله ببصرها عني وكان صلى الله عليه وسلم يقول اما تعجبون لما يصرف الله عني من اذي قريش يسبون ويهجون مذمما وانا محمد صلى الله تتمه قرا صلى الله عليه وسلم سورة والنجم حتي اذا بلغ افرايتم اللات والعزي ومناة الثالثة الاخري القي الشيطان في امنيته اي في تلاوته تلك الغرانيق العلي وان شفاعتهن لترتجي وفي

رواية

رواية القي الشيطان علي لسانه تلك الغرانيق الخ فعند سجوده اخر السورة سجد المشركون معه لتوهمهم انه مدح الهتهم وفي رواية ما ذكر الهتنا بخير قبل اليوم فسجل وسجدوا فنزلت هذه الاية وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمني القي الشيطان في امنيته الاية ففشي ذلك في الناس واظهره الشيطان حتي بلغ المسلمين بالحبشة فاقبلوا اسراعا فلما تبين للمشركين خلاف ذلك رجعوا الي اشد ما كانوا عليه والغرانيق جمع غرنوق او غرنيق وهو طير الماء شبهت الاصنام لاعتقادهم انها تقرب بهم من الله تعالى بطيور الماء لكونها تعلو في السما وترتفع تنبيــــه كثر كلام العلماء في هذه القصة فمن منكر لوقوعها ومبالغ في بطلانها وانه لا يجوز لاحد القول بها كعياض والفخر الرازي وسبقهما لنحو ذلك البيهقي وابو واابن البخاري وغيره رده وانه صلى الله عليه وسلم قرا سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والانس والجن ولم يذكر فيها قصة الغرانيق وبان من جوز علي نبي تعظيم وثن فقد كفر وبانها من وضع الزنادقة والحق خلاف ذلك كله بل لها اصل اصيل فقد خرجها من طرق كثيرة جدا ابن ابي حاتم والطبري وابن المنذر وابن مردويه وابن اسحاق في السيرة وموسي بن عقبة في المغازي وابو معشر كما نبه علي ذلك الحافظ ابن كثير وغيره لكن قال ان طرقها كلها مرسلة وانه لم يرها مسندة من وجه صحيح انتهي ورد عليه وعلي عياض الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر بان طرقها كثيرة جدا ثلاثة رجالها الصحيح وباقيها اما ضعيف واما منقطع وبعضها تفرد بوصلها امية بن خالد وهو ثقة مشهورة من زعم ابن العربي وعياض ان رواياتها كلها لا اصل لها ليس في محله اذ لا يتمشي علي القواعد فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك علي ان لها اصلا قال وقد ذكرنا ان ثلاثة اسانيد منها علي شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد

